

١- أيام العرب والفرس

وتشتمل على ما يأتي :

١- يوم الصفقة .

٢- يوم ذي قار .

(١) يوم الصفقة *

قال ابن الكلبي :

بَث كسرى أُو شروان^(١) إلى عامله^(٢) باليمن بعيرٍ تحمل نَبْعاً^(٣) ، وكانت عير كسرى تُبَدْرَق^(٤) من الدائن حتى تُدْفَع إلى النعمان بن المنذر بالحيرة ، والنعمان يُبَدْرَقها بخفراء من بني ربيعة حتى تُدْفَع إلى هُوذة بن علي الحنفي باليمامة فيُبَدْرَقها حتى يُخْرَجها من أرض بني حنيفة ثم تُدْفَع إلى تميم ، وتجعل لهم جمالة^(٥) فتسير بها إلى أن تبلغ اليمن ، وتسلم إلى عمال كسرى باليمن .

ولما بَث كسرى بهذه العير ووصلت إلى اليمامة قال هُوذة بن علي للأساورة^(٦) الذين يرافقونها : انظروا الذي تجملونه لبني تميم فأعطونيهِ ، وأنا أكفيكم أمرهم ، وأسير بها معكم حتى تبلغوا ما منكم .

وخرج هُوذة والأساورة والعير معهم من هَجْر^(٧) ، حتى إذا كانوا يَنْطَاع^(٨)

* لكسرى على تميم ، وسمي الصفقة ، لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر ، ويسمى أيضاً يوم المشقر ، والمشقر حصن بالبحرين .

الأغانى ص ٧٥ ج ١٦ ، معجم البلدان ص ٣٦٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٢٧٥ ج ١ ، تاريخ الطبري ص ١٣٣ ج ٢ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

(١) هو كسرى أُو شروان بن قباذ ، من أشهر ملوك الفرس وأعظمهم ذكراً ، وكانت نبيلا طاهراً ، هلك ثمان وأربعين سنة من دولته (٢) هو وهرز القائد الشجاع الذي أرسله كسرى مع سيف بن ذي يزن لتطهير اليمن من الجبل (٣) النبع : شجر اللسبي وللشمام ينبت في قلة الجبل (٤) البئرقة : الحفارة (٥) الجمالة (مثلة) : ما يجعل على العمل (٦) الأساورة : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس (٧) هجر : اسم لأرض البحرين (٨) نطاع : اسم لواد باليمامة .

بلغ بنى تميم ما صنع هوزة ؛ فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ؛ وقتلوا
عامّة الأساورة وسلبوهم ، وأمروا هوزة بن عليّ ، فاشترى هوزة نفسه بثلاثمائة بعير ،
فساروا معه إلى هجر ، وأخذوا منه فداه (١) .

وعند ذلك عمد هوزة إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو تميم - وكانوا قد سلبوا -
فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى - وكان هوزة رجلاً جيللاً شجاعاً
لينبأ - فدخل عليه وقصّ عليه أمر بن تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من
ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها ، وكساه قباء (٢) ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ،
وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، ودعا يعقده من درّ فعقد على رأسه (٣) .

ثم إنه سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد ، وأنه يفزو المفازي
فيصيب ؛ فقال له كسرى : كم ولدك ؟ قال : عشرة . قال : فأيهم أحب إليك ؟ قال :
غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ .

قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حَمَلَكَ على أن طلبت مني الوسيلة .
ثم قال : ياهوزة ؛ رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ؟ أبيتك وبينهم
صلح ؟ قال هوزة : أيها الملك ؛ بيني وبينهم حساء (٤) الموت ، وهم قتلوا أبي ، فقال
كسرى : قد أدركت نأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوزة : إن أرضهم لا تطيقها

(١) في ذلك يقول الشاعر :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوزة مقرون البيدين إلى النحر

وردنا به نخل اليمامة عانياً عليه وناق القد والحلق السم

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٣) سمى لذلك هوزة ذا الناج (٤) حساء الموت :

تجرع الموت .

أساورتك ، وهم يمتنون بها ؛ ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ، فإنهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك .

فعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الميرة في سنة مجديبة ، ثم أرسل إلى هوزة فاتاه ، فقال : إيت هؤلاء فاشفي منهم واشتف . وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المكعبير^(١) ؛ فساروا حتى نزلوا المشقر^(٢) من أرض البحرين ، وبعث هوزة إلى بني حنيفة فاتوه فدنوا من حيطان الشقر ؛ ثم نودي : إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فماتوا فامتاروا .

فانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد^(٣) ؛ فجملوا إذا جاءوا إلى باب الشقر أدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يذهب به إلى المكعبير فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل ، فإذا مرّ رجل من بني تميم بينه وبين هوزة إزاء أو رجل يرحوه ، قال للمكعبير : هذا من قومي فيخليه له ، فنظر خيرى بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، فقال : ويلكم ! أين عقولكم ؟ فوالله ما بعد للسلب إلا القتل ، وتناول سيفاً ، وضرب سلسلة كانت على باب الشقر ، فقطعها

(١) كان المكعبير عامل كسرى على البحرين ، واسمه بالفارسية آزاد فردز بن جشنس ، وصمته العرب للمكعبير : لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل ، وآلى ألا يدع من بني تميم عيناً تطرف فعمل .
(٢) المشقر : حصن حياه حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له : محلم (بتشديد اللام) ، بناه رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ (٣) بنو سعد : بطن من تميم .

وقطع يد رجل كان واقفاً بجانبها ، فانفتح الباب ؛ فإذا الناس يُقتلون ، فثارت
بنو تميم (١) .

فلما علم هودّة أن القوم قد نَدَرُوا به كَلِمَ الكَعْبِيرِ في مائةٍ من خِيَارِهِمْ ،
فوهبهم له يوم الفِصْحِ (٢) .

(١) هذه رواية العقد الفريد ، وفي الطبري : إن الذي قطع السلسلة هو رجل من بني تميم اسمه
عبيد بن وهب أقدم على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :

تذكرت هنداً لات حين تذكر
تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها
مصاب الحريف بين زور ومنور
ألا هل أتى قومي على النأي أني
حميت ذماري يوم باب المشقر
ضربت رجاج الباب بالسيف ضربة
تفرج منها كل باب مضرب

(٢) وفي ذلك يقول الأعشى مدح هودّة :

سائل تميماً به أيام صفقتهم
لما رآهم أسرى كلهم ضميراً
وسط المشقر في غرباء مظلمة
لا يستطيعون بعد الضرم متفقاً
فقال للملك أطلت منهم مائة
رسلا من القول مخفوضاً وما رفعا
فكك عن مائة منهم لإسارهم
وأصبحوا كلهم من غلة خلعا
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية
يرجو الإله بما أسدى وما صنعا
فلا يرون بناكم نعمة سبقت
إن قال قائلها حقاً بها وسما

(٢) يوم ذى قار*

كان منزل أيوب^(١) بن مَعْرُوفٍ في اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه ، فهرب ، ولحق بأوس بن قلام^(٢) الحارثي بالحيرة ، وكان بينهما نسبٌ من قبل النساء ، فلما قدم عليه أكرمه ، وأنزله في داره ، فكث معه ما شاء الله أن يمكث .

ثم إن أوساً قال له : يا بن خال ؛ أتريد المقام عندي وفي دارى ؟ فقال له : نعم ، فقد علمتُ أنى إن أتيت قوى ، وقد أصبتُ فيهم دماً ، لم أسلم ، ومالى دارٌ إلا دارك آخر الدهر . قال أوس : إني قد كبرتُ وأنا خائف أن أموت فلا يعرفُ ولدى لك من الحقِّ مثل ما أعرف ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرِّحم ، فانظر أحبَّ مكان في الحيرة إليك فأعلمنى به لا تُقطعك أو أبتاعه لك . فاختار موضعاً في الجانب الشرقى من الحيرة ، فابتاعه له بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليه مائتى أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعائها وقرساً وقينة^(٣) . فكث في منزل أوس حتى هلك ؛ ثم تحوّل إلى داره بعد مهلك أوس ،

* ليكر على العجم . ووقعة ذى قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : اليوم أول يوم اتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرورا . وذو قار ماء ليكر قريب من الكوفة . ويمد هذا اليوم من مفاخر بكر .

العقد الفريد ص ٣٧٤ ج ٣ ، تاريخ الطبرى ص ١٤٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٢٨٩ ج ١ ، الأغاني ص ٩٧ ج ٢ (طبعة دار الكتب) ص ١٣٢ ج ٢٠ طبعة الساسى ، خزانة الأدب ص ٣٤٣ ج ١ ، النقااض ص ٦٣٨ (طبع أوروبا) ، معجم البلدان ص ٣٥٢ ج ٣ ، ص ٨ ج ٧ (١) روى عن ابن الأعرابي أنه أول من سمى أيوب من العرب .
(٢) هكذا ضبط في الأغاني ، وفي الأعلام للزركلى ضبط بضم القاف (٣) الغنية : الأمة .

وَاتَّصَلَ بِالْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحَيْرَةِ ؛ وَعَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وَحَقَّ ابْنِهِ زَيْدَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ
مَلِكٌ يَمْلِكُ إِلَّا وَلِوَلَدِ أَيُّوبَ مِنْهُ جَوَائِزٌ وَجُمْلَانٌ (١) .

ثُمَّ إِنَّ زَيْدَ بْنَ أَيُّوبَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ آلِ قَلَّامَ ، فَوَلَدَتْ حَمَادًا ، ثُمَّ خَرَجَ
زَيْدٌ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ يَرِيدُ الصَّيْدَ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ ، وَهُمْ مُنْتَدُونَ (٢) بِحَفِيرٍ ،
فَانْفَرَدَ فِي الصَّيْدِ ، وَتَبَاعَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِينَ
كَانَ لَهُمُ الثَّأْرُ قَبْلَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ — وَقَدْ عَرَفَ فِيهِ شَبَهَ أَيُّوبَ — مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟
قَالَ : مِنْ بَنِي تَيْمٍ . قَالَ : مِنْ أَيُّهُمْ ؟ قَالَ : مَرَّتِي (٣) . قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : وَأَيْنَ مَنْزِلُكَ ؟
قَالَ : الْحَيْرَةُ . قَالَ : أَمِنْ بَنِي أَيُّوبَ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ بَنِي أَيُّوبَ ؟
وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَذَكَرَ الثَّأْرَ الَّذِي هَرَبَ أَبُوهُ مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ بِهِمْ ،
وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ . فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَمَنْ أَيْ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا امْرَأٌ مِنْ
طَيْيِّءٍ ، فَأَمِنَهُ زَيْدٌ وَسَكَتَ عَنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ تَفَقَّلَ زَيْدًا ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ
بَيْنَ كَتْفَيْهِ فَفَلَقَ قَلْبَهُ ، فَلَمْ يَرَمْ (٤) حَافِرُ دَابَّتِهِ حَتَّى مَاتَ .

رَبِلَتْ أَصْحَابُ زَيْدٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ طَلَبُوهُ ؛ وَقَدْ افْتَقَدُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ
أَمَنَّ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَبَاتُوا يَطْلُبُونَهُ حَتَّى يَأْتُوا بِطَلَبِهِ ، ثُمَّ غَدَوْا فِي طَلَبِهِ ، فَاقْتَفَوْا
أَثْرَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ، وَرَأَوْا مَعَهُ أَثْرَ رَاكِبٍ يُسَارِعُهُ ، فَاتَّبَعُوا الْأَثْرَ حَتَّى وَجَدُوهُ قَتِيلًا ؛
فَعَرَفُوا أَنَّ صَاحِبَ الرَّاحِلَةِ قَتَلَهُ ، فَاتَّبَعُوهُ ، وَأَغْدَوْا السَّيْرَ ؛ فَأَدْرَكَهُ مَسَاءَ اللَّيْلِ الثَّانِيَةِ ،
فَصَاحُوا بِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَرْمِي النَّاسِ ؛ فَامْتَنَعَ مِنْهُمْ بِالنَّبْلِ ، حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛

(١) الجملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة (٢) اتدى القوم : اجتمعوا ؛ وحفير :

موضع بالحيرة ، ذكره عدى بن زيد في شعره ، قال :

قد أرانا وأهلنا بحفير تحسب الدهر والسنين شهوراً

(٣) مرئي : نسبة إلى امرئ القيس (٤) لم يرم : لم يبرح .

وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع^(١) كتفيه بسهم ، فلما أجنه الليل مات وأفلتت الرّامي ، فرجعوا وقد قُتل زيدٌ ورجلٌ آخر معه .

فكث حماد بن زيد في أخواله حتى أيقع^(٢) ، ولحق بالوصفاء^(٣) ، ثم تحول إلى دار أبيه ؛ وتعلم الكتابة فيها ، فكان أول من كتب من بني أيوب ، وخرج من أكتب الناس ؛ وطُلب حتى صار كاتب النعمان الأكبر^(٤) ؛ فلبث كاتباً له ؛ حتى وُلد له ابنه زيد ؛ وكان لحماد صديق من الدهاقين^(٥) ، ولما حضرته الوفاة أوصى بانه زيد إلى الدهقان ، فأخذته إليه فكان مع ولده ، وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان ، فلما أخذه علمه الفارسية فلقيها .

ثم إن الدهقان أشار على كسرى أن يجعل زيدا على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازبة^(٦) ، فكث يتولّى ذلك لكسرى زماناً . ثم إن النعمان هلك ، فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر للرجل ينصّب ، فأشار عليهم الدهقان بزيد بن حماد : فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء^(٧) .

ثم إن زيدا تزوج نعمة بنت ثعلبة المدوية ، فولدت له عدياً ، وولد الدهقان ابن سماه شاهان مرّد ، فلما تحرّك عدى بن زيد وأيقع طرّحه أبوه في الكتاب ،

(١) مرجع كتفيه : أسفلها (٢) أيقع : يقال : أيقع الغلام إذا شارف الاحتلام .

(٣) الوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق (٤) هو النعمان بن امرئ القيس

حكم ثمانية وعشرين عاماً ، وترك الملك سنة ٤٣١ م (٥) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر

(٦) المرازبان : أحد مرازبة القرس ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم (٧) هو المنذر بن

امرئ القيس ، وماء السماء اسم أمه ، وكان أشهر ملوك الحيرة ، وهو صاحب يومى التميم والبؤس

توفي سنة ٥٦٣ م .

حتى إذا حَدِقَ أرسله الله هقان مع ابنه إلى كُتَّابِ الفارسية ، فكان يختلف إليه مع ابنه ،
ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ؛
وقال الشعر ، وتعلم الرمي بالنشاب ، ونُفِرَجَ من الأساورة^(١) الرثامة ، وتعلم لِعَبَّ
العجم على الخيل بالصَّوَالِجَةِ^(٢) وغيرها .

ثم إن الله هقان وقد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فأثبتته كسرى مع
سائر أولاد الدهقان في صحابته ؛ فقال الله هقان لكسرى : إن عندي غلاماً^(٣)
من العرب خلفه أبوه في حِجْرِي فربيتته ؛ فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربية
والفارسية ، والملك محتاجٌ إلى مثله ؛ فإن رأى أن يُثبته مع ولدي فعل ، فقال :
ادعُه ، فأرسل إلى عدى ، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحسنِ ، وكانت الفرسُ تُتَبَرِّكُ
بالوجه الجميل ؛ فلما كلمه وجدته أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه ، وأثبتته
مع ولد الدهقان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى .

فرغب أهلُ الحيرة إلى عدى ورهبوه ، ولم يزل بديوان كسرى في المدائن
يُؤدِّنُ له عليه في الخاصة ، وهو مُعجِبُ به قريب منه ؛ وأبوه زيد يومئذٍ حتى ، إلا أن
ذِكْرَ عدى قد ارتفع وخمِلَ ذكر أبيه ، فكان عدى إذا أراد المقام بالحيرة استأذن
كسرى ، فأقام في أهله الشهرَ والشهرين ، وأكثر وأقل ، ثم يمود .

ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهديَّة من طُرف ما عنده ، فلما أتاه عدى
بها أكرمه ، وحمله إلى عماله على البريد ليريه سعة أرضه ، وعظيم مُلكه ؛ وكذلك
كانوا يصنعون ؛ فمن ثم وقع عدى بدمشق ، وقال فيها الشعر . وكان مما قال :

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الجيد الرمي بالسهم (٢) الصوالجة : جمع صولجان ،
وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (٣) يريد عدى بن زيد .

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجِزْعِ مِنْ دُوْمَةِ (١) أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ جَيْرُونِ (٢)
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا لُوا وَلَا يَرْهَبُونَ صَرْفَ الْمُنُونِ
قَدْ سُقِيَتْ الشَّمُولُ فِي دَارِ بَشِيرٍ قَهْوَةً مُرَّةً (٣) بِمَاءِ سَخِينِ
وفسد أمرُ الحيرة ، وعدى بدمشق ؛ حتى أصلح أبوه زيد بينهم ؛ إذ أن أهل
الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله ؛ لأنه كان لا يعدلُ فيهم ؛ وكان يأخذهم
أموالهم ما يُعجبه ؛ فلما تيقن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلي زيد ،
فقال له : يا زيد ؛ أنت خليفةُ أبي ، وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة ، فلا حاجة
لي في ملككم ، دونكموه ، ملكوهم من شئتم . فقال زيد : إن الأمر ليس إلي ،
ولكنني أسبرُ لك هذا الأمر ، ولا آلوك نصحاً .

فلما أصبح غدا إليه الناس فخيَّوه تحية الملك ، وقالوا له : ألا تبعثُ إلى عبدك
الظالم (يعنون المنذر) فترج منه رعيتهك ؟ فقال لهم : أو لا خيرٌ من ذلك ؟ قالوا :
أشرٌ علينا ! قال : تدعونني على حاله ، فإنه من أهل بيتِ مُلك ، وأنا آتية فأخبره
أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه ، إلا أن يكون غزواً أو قتالاً ،
فلك اسمُ الملك ، وليس إليك سوى ذلك من الأمور . قالوا : رأيك أفضل .

فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا ، فقبِل ذلك وفرح ، وقال : إله لك يا زيدُ عليَّ
نعمةٌ لا أكفرها ما عرفت حق سبدي (٤) . فولَّى أهل الحيرة زيداً على كل شيء سوى
اسم الملك فإنهم أقرُّوه للمنذر .

ثم هلك زيد ، وعدى بالشام ، وكان لزيد ألفُ ناقةٍ للحِمالات (٥) ، كان

(١) دومة : من منازل جذيمة الأبرش (٢) جيون : بناء عند باب دمشق (٣) المزة :
الحمر اللذيذة الطعم (٤) سبد : صنم كان لأهل الكوفة (٥) الحِمالات : جمع حِمالة (بالفتح)
وهي الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ؛ فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللواتِ والعزى لا يؤخذ مما كان في يد زيد تُفروق^(١) ، وأنا أسمع الصوت .

ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر ، فصادف أباه والدهقان الذى ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى فى الإلام بالحيرة ، فأذن له ، فتوجّه إليها ، وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه فى الناس ، ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ؛ ولو أراد أن يملكوه للمكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد والأهـم واللعب على الملك ، فكث سنين يبدو^(٢) فى فصل السنة ، فيقيم فى جفير^(٣) ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هنداً بنت النعمان بن المنذر ، وهى يومئذ جارية حين بلغت أو كادت .

٢

كان للمنذر ابنان : أحدهما النعمان ، وكان فى حجر آل عدى بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربّوه ، وكان له ابن آخر فى حجر بنى مرينا^(٤) ، وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشاهب^(٥) لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش^(٦) قصيراً ، فلما احتضر المنذر أوصى بأولاده إلى إياس بن قبيصة

(١) قال الأصمى : التفروق : قمع التمرة والبسرة ، يكتب به عن القلة ، فيقال : ماله تفروق ، أى ماله شيء (٢) يبدو : يخرج إلى البادية (٣) جفير : موضع بنجد (٤) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد (٥) الشهباء فى الأصل تطلق على البياض الذى يغلب على السواد ، وقد يطلق على مطلق البياض ، قال الأعشى فى بنى المنذر :

وبنى المنذر الأشاهب فى الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

(٦) الأبرش : الذى يكون فيه بقعة بياض وأخرى أى لون كان .

الطائي ، وملكه على الهيرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فكث مملكا عليها أشهراً ،
وكسرى بن هُرْمُز في طلب رجل يملكه عليهم ، فقال لعدى : من بقي من آل المنذر؟
وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ فقال : نعم ، أيها الملك السعيد ، إن في ولد المنذر لبقيةً ،
وفيهم كلهم خير ، فقال : ابث إليهم فأحضرهم .

فبث عدى إليهم فأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنعمان : لست أملك غيرك ، فلا
يُوحشنيك ما أفضّل به إخوتك عليك من الكرامة ، فإنما أغترهم بذلك ، ثم كان
يفضل إخوته جميعاً في النزول والإكرام والملازمة ، ويُرِيهم تنقُصاً للنعمان ، وأنه
غير طامع في تمام أمره على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً ، فيقول : إذا أدخلتكم
على الملك فالبسوا أغترّ ثيابكم وأجلها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فبساطوا في
الأكل وصغروا اللقم ، ونزروا ما تأكلون ، فإذا قال لكم : أتكفونني العرب ؟
فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدكم عن الطاعة وأفسد أتكفوننيهِ ؟
فقولوا : لا ، إن بعضنا لا يقدرُ على بعض ؛ ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ، ويعلم
أن للعرب منمةً وبأساً ، فقبِلوا منه ؛ وخلا بالنعمان ، وقال له : ألبس ثياب السفر ،
وادخل متقلداً سيفك ، وإذا جلست للأكل فمظّم اللقم ، وأسرع المضغ والبلع ،
وزد في الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ، فإن كسرى يمجبه الأكل من العرب خاصةً ،
ويرى أنه لاخير في العربي إذا لم يكن أكلًا شرها ، ولا سيما إذا رأى غير طعامه ،
وما لا عهد له به ، وإذا سألك : هل تكفيني العرب ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك :
فمن لي بإخوتك ؟ فقل له : إن عجزت عنهم فإني عن غيرهم لأعجز .

وخلا ابن مَرِينَا بالأسود أخيه فسأله عما أوصاه به عدى فأخبره . فقال : غَشَك
والصليبِ والمعمودية ، وما نصحك ، ولئن أطعنتي لتخالفن كل ما أمرك به ،

وَلْتَمَلَّكَنَّ ، وَلِيْنُ عَصِيْتِي لِيْمَلَّكَنَّ النَّمَانَ ؛ وَلَا يَغْرَثُكَ مَا أَرَاكَ مِنَ الْإِكْرَامِ
وَالْتَفْضِيلِ عَلَى النَّمَانَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَهَاءٌ مِنْهُ وَمَكْرٌ ؛ وَإِنَّ هَذِهِ الْمَدِيَّةَ لَا تَخْلُو مِنْ
مَكْرٍ وَحِيْلَةٍ . فَقَالَ : إِنْ عَدِيًّا لَمْ يَأْلُنِي نُصْحًا ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُسْرِي مِنْكَ ، وَإِنْ
خَلَفْتُهُ أَوْ حَشْتُهُ وَأَفْسَدَ عَلَيَّ ، وَهُوَ جَاءَ بِنَا وَوَصَفَنَا ، وَإِلَى قَوْلِهِ يَرْجِعُ كُسْرِي .
فَلَمَّا أَيْسَ ابْنُ مَرِيْنَا مِنْ قَبُولِهِ مِنْهُ قَالَ : سَتَعْلَمُ .

وَدَعَا بِهِمْ كُسْرِي ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ جَهْلُهُمْ وَكَلَامُهُمْ ، وَرَأَى رَجَالًا
قَلَمَّا رَأَى مِثْلَهُمْ ، فَدَعَا لَهُمْ بِالطَّعَامِ فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ عَدِيٌّ ، فَجَمَلُ يَنْظُرُ إِلَى النَّمَانَ
مِنْ بَيْنِهِمْ وَيَتَأَمَّلُ أَكْلَهُ ، فَقَالَ لِعَدِيٍّ بِالْفَارْسِيَّةِ : إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ مِنِّي
هَذَا . فَلَمَّا غَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ جَمَلُ يَدْعُو بِهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُ : أَتَكْفِينِي الْعَرَبُ ؟
فَيَقُولُ : نَعَمْ ، إِلَّا إِخْوَتِي ، حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى النَّمَانَ آخِرَهُمْ ، فَقَالَ : أَتَكْفِينِي الْعَرَبُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَلَّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ لِي بِإِخْوَتِكَ ؟ قَالَ : إِنْ عَجَزْتُ
عَنْهُمْ فَإِنِّي مِنْ غَيْرِهِمْ أَعْجِزُ . فَلَمَّا خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَالْبَسَهُ تَاجًا قِيَمَتُهُ سِتُّونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ فِيهِ اللُّؤْلُؤُ وَالذَّهَبُ .

فَلَمَّا خَرَجَ - وَقَدْ مُلِّكَ - قَالَ ابْنُ مَرِيْنَا لِلْأَسْوَدِ : دُونَكَ عُقْبَى خِلَافِكَ لِي .
ثُمَّ صَنَعَ عَدِيٌّ بِنَ زَيْدٍ طَعَامًا ، وَدَعَا عَدِيَّ بْنَ مَرِيْنَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ
صَاحِبِكَ الْأَسْوَدَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ يُمَلِّكَ مِنْ صَاحِبِي النَّمَانَ ، فَلَا تَلْمُنْنِي عَلَى شَيْءٍ
كُنْتُ عَلَى مِثْلِهِ ، وَإِنِّي أَحَبُّ الْأَتَحِقِدِ عَلَى شَيْئًا لَوْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ رَكْبَتَهُ ، وَإِنْ نَصِيْبِي
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِأَوْفَرَ مِنْ نَصِيْبِكَ ، وَحَلْفُ ابْنِ مَرِيْنَا أَلَّا يَهْجُوهُ ، وَلَا يَنْفِيهِ
غَائِلَةٌ أَبَدًا . فَقَامَ ابْنُ مَرِيْنَا وَحَلْفَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَهْجُوهُ وَيَنْفِيهِ الْغَوَائِلُ مَا بَقِيَ ، وَقَالَ :

ألا أبلغ عدياً عن عدى فلا تجزع وإن رثت^(١) قواكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً وإن تمطب^(٢) فلا يعمد سواكا
ندمت ندامة الكسعي^(٣) لا رأيت عينك ما صنعت يداكا

ثم قال عدى بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بئارك
من هذا المعدى الذى فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرتك أن ممداً لا ينم كيدها
ومكرها ، وأمرتك أن تعصيه فخالفتنى . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا تأتيتك
فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على ، ففعل .

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يكن فى الدهر يوم يأتي إلا على باب
النعمان هدية من ابن مرينا ، وكان إذا ذكر عدى بن زيد عند النعمان أحسن
الثناء عليه ، وشيخ ذلك بأن يقول : إن عدى بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمعدى
لا يصلح إلا هكذا .

فلما رأى من يطيع بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل
يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عدياً عند الملك بجحر فقولوا له :
إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النعمان -
عامله ، وإنه هو وولاه ما وولاه ؛ فلم يزالوا به حتى أضغنوه عليه ؛ فكتبوا كتاباً
على لسانه إلى قهرمان^(٤) له ، ثم دشوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه ؛ وأتوا به
النعمان قراءه ؛ فاشتد غضبه ، فأرسل إلى عدى بن زيد : عزمت عليك إلا زرتنى ،

(١) رثت : ضعفت (٢) عطب كفرح : هلك (٣) الكسعى منسوب إلى كسع ،
وهو حى من قيس عيلان ، والكسعى رجل رام ، رى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه وظن أنه
أخطاه ، فكسر قوسه ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل
نادم على فعله (٤) القهرمان هنا : أمين الملك وخاصته عند الفرس .

فإني قد اشتقتُ إلى رؤيتك - وعدى يومئذ عند كسرى - فاستأذن كسرى فأذن له؛
فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد؛ فجعل عدى
يقول الشعر، وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس:

ليت شعري عن الهمام ويأتيه لك بخبر الأنبياء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا المال والأد؛ فُس إذ ناهدوا ليوم المحال^(١)
ورضالي في جنبك الناس يرمو ن وأرعى وكُلنا غير آلي^(٢)
فأصيبُ الذي تريدُ بلا غش ن وأربي عليهم وأوالي
ليت أني أخذتُ حتفي بكفة ي ولم ألق ميمته الأقتال^(٣)
محلوا محاهم^(٤) لصرعنا العا م فقد أوقعوا الرحا بالثفال^(٥)

وقال:

سعى الأعداء لا يألون شراً على ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدى لئسجن أو يدهده في القلب^(٦)
وكنت لزاز^(٧) خصمك لم أعرد^(٨) وقد سلكوك في يوم عصب
أعالنهم وأبطن كل سر كما بين اللحاء إلى العسب^(٩)
ففرت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القدح الأريب

(١) إخطار المال والأنفس: بنهما. والناهدة: المناهضة في الحرب، والمحال: الكيد والمكر
(٢) غير آلي: غير مقصّر. (٣) الأقتال: جمع قتل وهو العدو. (٤) يقال: يلق فلان
بصاحبه إذا سعى به إلى السلطان. (٥) الثفال: الجلد الذي يبسط تحت رجا اليد ليق الطحين من
التراب. (٦) دهده الشيء: حدره من علو إلى سفلى، والقلب: البئر. (٧) أى لا أدع
خصمك يخالف ويعانق. (٨) عرد: هرب وفر. (٩) العسب: جريدة من النخل مستقيمة
دقيقة يكسحط حوصها. واللحاء: قشر الشجر. والمراد: أن السرى يبق عنده مكنوماً.

وما دهرى^(١) بأن كدّرتُ فضلاً ولكن ما لقيتُ من العجيب
ألا من مبلغ النعمان عني وقد شهدى النصيحة بالغيّب
أحطى كان سلسلةً وقيداً وغلاً والبيان لدى الطيب
أتاك بأننى قد طال حبسنى ولم تسأم بمسجون حريب^(٢)
وبيتى مقفراً إلا نساءً أرامل قد هلكن من النحيب
يادرن الدموع على عدى كشن خانه خرز الرب^(٣)
يحاذرن الوشاة على عدى وما اقترفوا عليه من الذنوب
فإن أخطأت أو أوهمتُ أمراً قد يهيم المصافى بالحبيب
وإن أظلم قد عاقبتمونى وإن أظلمتُ فذلك من نصيبى
وإن أهلك تجددى وتخذل إذا التقت العوالى فى الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تقلب على رأى المصيب
فإنى قد وكت اليوم أمرى إلى رب قريب مستجيب

ولمّا طال سجنُ عدى كتب إلى أخيه أبى - وهو مع كسرى - بهذا الشعر :

أبلغ أيباً على نأيه وهل ينفعُ الرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا دكنت به واثقاً ما سلم
لدى ملك مؤثّق فى الحديد إمّا يحق وإمّا ظلم

(١) ما دهرى بكذا أو كذا ، أى ما لرادنى وغابنى كذا (٢) الحريبه : الذى سلب ماله

(٣) الشن : الخلق من كل آنية صنعت من الجلد ، والمراد بالريب هنا المصلح .

ملكت الرو
١٢

فلا أعرفنك كذات الغلَا
فأرضك أرضك إن تأتنا
م ما لم تجد غارمًا تمرِّم^(١)
تمَّ نومةً ليس فيها حلم ،
فكتب إليه أخوه أبي :

إن يك خانك الزمان فلا عا
وعين الإله لو أن جأوا
ذات رزٍ مجتابة غمرة المو
كنت في حمها لجتك أسمى
أو بمالٍ سالت دونك لم يم
أو بأرضٍ أسطيع آتيك فيها
ولعمري إن جزعت عليه
ولعمري إن ملكت عزائي
جز باع ولا ألف^(٢) ضعيف
ء طحونا تضي فيها السيوف^(٣)
ت صحيح سر بالها مكفوف^(٤)
فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف^(٥)
نع تلاءد حاجة أو طريف
لم يهلى بعد بها أو مخوف
لجزوع على الصديق أسوف
لقليل شرواك^(٦) فيما أطوف

وذهب أبي أخوه إلى كسرى ، فكلّمه في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب إلى
النعمان يأمره بإطلاقه ؛ وبمث معه رجلاً - وكان للنعمان خليفة عند كسرى - فلما
علم بأمر كسرى في عدى كتب إليه : إنه قد كتب إليك في أمر عدى .
ولما جاء الرسول دخل على عدى قبل أن يذهب إلى النعمان وقال له : يا عدى ،

(١) أراد بذات الغلام : الأم المرضع ، والعارم الراضع ، ويقال : اعترمت المرأة : تبغت من يعرّمها
أو يمص ثديها . قال في اللسان : المراد إن لم تجد من ترضعه درت هي غلبت ثديها ، وقال ابن
الأعرابي : يقال هذا لمن يتكلف ما ليس من شأنه . (٢) الألف : الثقيل البطيء . (٣) الجأء :
الكتيبة التي يعلوونها السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .
(٤) الرز : الصوت ، السربال : القميص ، والمكفوف من كفت الثوب إذا خبط حاشيته .
ولعله يريد أنها كتيبة سالمة (٥) تستضيف : تستجير (٦) شرواك . مثلك .

إني قد جئت بإرسالك ؛ فما عندك ؟ فقال : عندي الذي تُحبُّ ، ووعده بعدة سنين ؛ وقال له : لا تخرجن من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأُقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي النعمان بالكتاب ، فأوصله إليه ، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه ، وأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدي وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق منا أحدا أنت ولا غيرك . فبعث من قتله .

ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ، فقال : نعم وكرامة ، وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجرية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل إليه فخذ . فلما أصبح الرسول غدا إلى السجن ، فلم يرَ عدياً ، وقال له الجرس : إنه مات منذ أيام ولم نجري على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع الرسول إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ، ولم يره اليوم ، فقال : أبعث بك الملك إلي فتدخل إليه قبلي ! ثم تهده ورشاه وتوثق منه ألا يُخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان .

٣

ندم النعمان على قتل عدي ، وعرف أنه قد احتيل عليه في أمره ؛ واجترأ أعداؤه عليه ، وهاجمه هجمة شديدة . ثم إنه خرج للصيد فمراى ابناً لعدي يقال له زيد ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدي بن زيد ، فكلمه فإذا غلام ظريف ؛ ففرح به فرحاً شديداً ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وقرّبه وأعطاه ووصله وجهه ، وسيره إلى كسرى ووصفه له ، وقال : إن عدياً كان ممن أعين به الملك في نصحِهِ ولُبِّهِ ، فأصابه ما لا بُدَّ منه ، وانقطعت مدته ، وانقضى أجله ،

ولم يُصَبِّ به أحدٌ أشد من مصيبتى ، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جعل الله له منه خلفاً ، لما عظمَ الله من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه ، رأيتُه يصلحُ لخدمة الملك ، فسرَّحتُه إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليعمل وليصرف عمه^(١) إلى عمل آخر .

فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقع سأله عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، وأقام عند الملك سنواتٍ بمنزلة أبيه ، وأعجب به كسرى ؛ فكان يكثرُ الدخول عليه والخدمة له .

وكانت للملك الأعاجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ، فإذا وجدتُ حملتُ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ؛ ولا يظنونها عندهم ؛ ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكتبَ بها إلى النواحي ؛ ودخل إليه زيد بن عدى ، وهو في ذلك القول ؛ فخطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إني رأيتُ الملك قد كتبَ في نسوة يُطلبنَ له ، وقرأتُ الصفة ، وقد كنتُ بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة .

قال : فاكتبَ فيهن . قال : أيها الملك ؛ إنَّ شرَّ شيء في العرب وفي النعمان خاصةً أنهم يتكرمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكرهُ أن يُعيَّبنَّ عمَّن تبعثُ إليه ؛ أو يمرضَ عليه غيرهن ، وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ؛ فابعثى وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهمُ الإهربية ، حتى أبلغ ما تجبه .

(١) كان عمه الذى بلى المسكينة عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورها وفى خواص أمور الملك ، وكانت له من العرب وظيفة موظفة فى كل سنة .

فبعث معه رجلاً جلدًا فهِمَا ، وخرج به زيد ، وجعل يكرم الرجلَ وَيُلَطِّفُهُ حتى بلغ الحيرة ، ودخلا على النعمان ، فأعظمه زيد وقال له : إن كسرى احتاج إلى نساءِ انْفِسِهِ وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك ؟ قال : ما هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صِفَتُهُنَّ قَدْ جُنَّ بِهَا .

وكانت الصفة أن النذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر أبي شمر الغسانی ؛ وكتب إليه بصفتها ، وبقيت هذه الصفة إلى أيام كسرى بن هرمز حتى أرسل بها إلى النعمان مع زيد ورفيقه ، وهى :

« إنى قد وجهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةً أَلْخُلُقِ ، نقيَّةَ اللّوْنِ والشَّعْرِ ، بيضاءَ قَمَرَاءَ ، وَطَفَاءَ (١) ، كَحَلَاءَ (٢) ، دَعَجَاءَ (٣) ، حَوْرَاءَ (٤) ، عَيْنَاءَ (٥) ، قَنَوَاءَ (٦) ، شَمَاءَ (٧) ، بَرَجَاءَ (٨) ، زَجَاءَ (٩) ، أَسِيلَةَ (١٠) ، الخَدَّ ، شهيةً القُبْلِ ، جَمَلَةَ (١١) الشعرِ ، عظيمةً الهامة ، بعيدةً مهوى القرظ ، عَيْطَاءَ (١٢) ، عريضةً الصدر ، كاعبَ التَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مُشَاشِ (١٣) النَّسِيبِ والعُضْدِ ، حسنةً المِعْصَمِ ، لطيفةً الكفِّ ، سَبْطَةَ البَنَّانِ ، ضَامِرَةَ البَطْنِ ، نَحْمِيصَةَ الخَصْرِ ، غَرَّتِي (١٤) الوِشَاحِ ، رَدَاحَ (١٥) الأَقْبَالِ ،

(١) الوطفاء : غريزة الأهداب وشعر الحاجبين (٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة
بياض بياضها (٣) الحور : أسوداد العين كلها مثل الطباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستعارة
(٤) العين : سعة العين (٥) القنا : ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديداب في وسطه ، وسبوغ
في أعلاه (٦) الشمم في الأنف : ارتفاع القصبه (٧) البرجاء : الجميلة الحسنه (٨) الزجاء :
دقيقة الحاجبين في طول (٩) الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس (١٠) الجنل من
الشعر : للكثيف الأسود (١١) العيطاء : الطويلة العنق (١٢) المشاشة : رأس العظم
الممكن المضغ (١٣) غرثي الوشاح : دقيقة الخصر (١٤) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك
التامة الخلق . والأقبال : ما استقبك من مشرف .

رَابِيَةَ الْكَفَلِ ، لَفَاءً (١) الْفَخِذَيْنِ ، رَبِيًّا الرَّوَادِفِ ، ضَخْمَةً الْمَأْكِمَتَيْنِ (٢) ،
 مُعَمَّمَةً (٣) السَّاقِ ، مُشْبَعَةً (٤) الْخُلُخَالَ ، لَطِيفَةً الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قَطُوفَ (٥) الْمَشْيِ ،
 مِكْسَالَ الضُّحَا (٦) ، بَضَّةَ (٧) الْمُتَجَرِّدِ ، سَمُوعًا لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِمُجَلِّسَاءَ (٨) وَلَا سَمْعَاءَ (٩) ،
 رَقِيقَةَ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةَ النَّفْرِ ، لَمْ تُعَدَّ فِي بُؤْسٍ ، حَيِّمَةً رُزِينَةً ، حَلِيمَةً رَكِينَةً ،
 كَرِيمَةً الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتَسْتَعْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاحِ
 قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمَهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ
 الْحَاجَةِ ، صَفَاعَ الْكَفَّيْنِ ، قَطِيعَةَ (١٠) اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ (١١) الصَّوْتِ سَا كُنْتَهُ ،
 تَزِينِ الْوَلِيِّ ، وَتَشِينِ الْعَدُوِّ (١٢) .

ولما قرأ زيدٌ هذه الصفة على النعمان شقَّ عليه ، وقال لزيد ، والرسولُ يسمعُ :
 أَمَا فِي مَهَا السَّوَادِ وَعَيْنِ فَارِسٍ مَا يَبْلُغُ بِهِ كِسْرَى حَاجَتَهُ ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ لزيدٍ
 بِالْفَارِسِيَّةِ : مَا الْمَهَا وَالْمَيْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ : « كَاوَانُ » أَيِ الْبَقْرِ ؛ فَأَمْسَكَ الرَّسُولُ ،
 وَقَالَ زَيْدٌ لِلنَّعْمَانِ : إِنَّمَا أَرَادَ الْمَلِكُ كِرَامَتَكَ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ لَمْ
 يَكْتُبُ إِلَيْكَ بِهِ . فَأَنْزَلَهُمَا يَوْمَيْنِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى : إِنَّ الَّذِي طَلَبَ الْمَلِكُ
 لَيْسَ عِنْدِي ، وَقَالَ لزيدٍ : اعْذِرْنِي عِنْدَ الْمَلِكِ .

فَعَادَ إِلَى كِسْرَى ، فَقَالَ زَيْدٌ لِلرَّسُولِ الَّذِي قَدِمَ مَعَهُ : اصْدُقِ الْمَلِكَ عَمَّا سَمِعْتَ ،
 فَإِنِّي سَأَحْدِثُهُ بِمَثَلِ حَدِيثِكَ ، وَلَا أَخَالَفُكَ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى كِسْرَى قَالَ زَيْدٌ :

(١) لفاء : ضخمة الفخذين مكتنزة (٢) المأكمتان اللتان على رؤوس الوركين
 (٣) معمة الساق : ممتلئها (٤) كناية عن السمن (٥) وصف من القطاف ، وهو تقارب
 الخطو (٦) المكسال : المرأة التي لا تسكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح عندهم (٧) البضة :
 الناعمة (٨) الخنس : قريب من الفطس (٩) السقع : السواد (١٠) ليست سليطة
 (١١) رهوة : رقيقة (١٢) حذف بعض العبارات المستهجنة .

هذا كتاب النعمان إليك ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذي كنت
خبرتني به ؟ قال : كنتُ خبرتُكَ بِصِدْقِهِمْ بِنِسَابِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
شَقَائِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمُ الْجُوعَ وَالْعُرَى عَلَى الشَّبَعِ وَالرِّيَاشِ ، وَإِيثارِهِمُ السَّمُومَ وَالرِّيَاحَ
عَلَى طَيِّبِ أَرْضِكَ هَذِهِ ، حَتَّى لِيَسْمُومُوهَا السَّجْنَ ، فَسَلِّ هَذَا الرَّسُولَ الَّذِي كَانَ
مَعِيَ عَمَّا قَالَ ، فَإِنِّي أُكْرِمُ الْمَلِكَ عَنْ مُسَافَهَتِهِ بِمَا قَالَ ، وَأَجَابَ بِهِ . فَقَالَ لِلرَّسُولِ :
وَمَا قَالَ ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنَّهُ قَالَ : أَمَا فِي بَقَرِ السَّوَادِ وَفَارِسَ مَا يَكْفِيهِ
حَتَّى يَطْلَبَ مَا عِنْدَنَا ؟ فَعُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ مَا وَقَعَ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ : زُبُّ عَبْدٍ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، ثُمَّ صَارَ أَمْرُهُ
إِلَى التَّبَابِ .

وشاع هذا الكلامُ حتى بَلَغَ النُّعْمَانُ ، وَسَكَتَ كِسْرَى أَشْمَرَآ عَلَى ذَلِكَ ،
وَجَمَلَ النُّعْمَانُ يَسْتَمِدُّ وَيَتَوَقَّعُ ، حَتَّى أَنَاهُ كِتَابَ كِسْرَى : أَنْ أَقْبَلَ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ
حَاجَةً إِلَيْكَ ، فَانْطَلَقَ حِينَ أَنَاهُ كِتَابَهُ ، فَحَمَلَ سِلَاحَهُ ، وَمَا قَوَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَحِقَ
بِجَبَلِكِي طَيِّبٍ ، وَكَانَ مِتْرَوجًا إِلَيْهِمْ ^(١) ، فَأَرَادَ النُّعْمَانُ طَيِّبًا عَلَى أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَبَلَيْنِ
وَيَعْتَمُوهُ ، فَأَبْرَأَ عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ كِسْرَى ، وَقَالُوا لَهُ : لَوْلَا صَهْرُكَ لَقَتَلْنَاكَ ، فَإِنَّهُ
لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مُعَادَاةِ كِسْرَى ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ .

٤

فَأَقْبَلَ يَطُوفُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُهُ ، غَيْرَ أَنَّ بَنِي رُوَاحَةَ

(١) كانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وكذلك كانت عنده زينب بنت أوس

ابن قُطَيْمَةَ بن عَبْسٍ قالوا : إن شئت فقلنا معك - لِنِسَةِ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُمْ . قَالَ :
مَا أَحِبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِكَسْرِي .

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ فِي ذِي قَارٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ ^(١) سِرًّا ، فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ ^(٢)
الشَّيْبَانِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيْعًا - فَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ لَزِمَنِي ذِمَامُكَ ، وَأَنَا
مَانِعُكَ مِمَّا أَمْنَعُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي مِنْهُ ، مَا بَقِيَ مِنْ عَشِيرَتِي الْأَذْدِيَّةِ رَجُلٌ ، وَإِنَّ
ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعِكَ ، لِأَنَّهُ مُهْلِكِي وَمُهْلِكُكَ ، وَعِنْدِي رَأْيٌ لَكَ ، لَسْتُ أَشِيرُ بِهَ عَليكَ
لَأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مَجَاوِرَتِي ، وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ . فَقَالَ : هَاتِهِ ، قَالَ : إِنْ كَلَّ
أَمْرٌ يَجْمَلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمَلِكِ سُوقَةً ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ
بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَئِنْ مَوْتُكَ كَرِيْمًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَجَرَّعَ اللَّذْلُ أَوْ تَبْقَى سُوقَةً بَعْدَ الْمَلِكِ ،
هَذَا إِنْ بَقِيَتْ ؛ فَاْمضْ إِلَى صَاحِبِكَ ، وَاحْمِلْهُ إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا ، وَأَلْقِ بِنَفْسِكَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، فَمَا أَنْ صَفَّحَ عَنْكَ فَمَدَّتْ مَلَكًا عَزِيْزًا ، وَإِمَا أَنْ أَصَابَكَ فَالَوْتُ خَيْرٌ مِنْ
أَنْ يَتَلَبَّ بِكَ صَعَالِيكُ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفَكَ ذُنَابِهَا ، وَتَأْكُلَ مَالَكَ وَتَعْمِشَ فَقِيْرًا
مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلَ مَقْهُورًا . فَقَالَ : كَيْفَ مَجْرَمِي ؟ قَالَ : هُنَّ فِي ذِمَّتِي لَا يُخْلَصُ
لِلْيَمِينِ حَتَّى يُخْلَصَ إِلَى بَنَاتِي . فَقَالَ : هَذَا وَأَيْكَ الرَّأْيُ الصَّحِيْحُ وَلَنْ أُجَاوِزَهُ .

ثُمَّ اخْتَارَ النَّمْعَانَ خِيْلًا وَحُلَلًا مِنْ عَصَبِ ^(٣) الْيَمِينِ ، وَجَوْهَرًا وَطُرْقًا كَانَتْ عِنْدَهُ ،
وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى كَسْرِي ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَمْتَنِدُ ، وَيُعَلِّمُهُ أَنَّ صَائِرَ إِلَيْهِ ، وَوَجَّهَ بِهَا

(١) شَيْبَانَ : بَطْنٌ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ (٢) وَفِي رِوَايَةٍ : إِنْ هَانِيُّ بْنُ مَسْعُودٍ لَمْ يَدْرِكْ هَذَا
الْأَمْرَ ، وَإِنَّمَا هُوَ هَانِيُّ بْنُ قَبِيْصَةَ بْنِ هَانِيٍّ بْنِ مَسْعُودٍ (٣) الْعَصْبُ : نَوْعٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمِينِ يَعْصِبُ
غَزْلَهُ ، أَيْ يَشُدُّ وَيَجْمَعُ ثُمَّ يَصْبِغُ وَيَسْجُجُ .

مع رسوله ، فقبيلها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه ، فماد إليه الرسول فأخبره بذلك ، وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً .

فضى إليه بعد أن استودع هاني بن مسعود حلقته وأهله وولده وألف شكة^(١) ، حتى إذا وصل إلى المدائن^(٢) لقيه زيد بن عدى على قنطرة ساباط^(٣) ، فقال له : انجُ نعيم إن استطعت النجاء . فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله لئن عشتُ لك لأقتلك قتلة لم يقتلها عربي قط ؛ ولألحقنك بأبيك . فقال له زيد : امض لشأنك نعيم ، فقد أخيت لك أخية^(٤) لا يقطعها المهر الأرن^(٥) .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه قميده وبعث به إلى سجن^(٦) كان له ، فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك ، مات فيه^(٧) .

(١) الشكة : السلاح (٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بني لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وسماها باسمه ، فسميت المدائن (٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز (٤) الأخية : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها الدابة (٥) الأرن النشط (٦) وفي رواية لابن الكلبي : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطنته حتى مات (٧) ولما نعى إلى النابغة وحدث بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمتل :

من يطلب الدهر تتركه مخاطبه	والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة	إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سراهم	بالتافذات من النيل المصايب
إني وجدت سهام الموت معرضة	بطل حنق من الآجال مكتوب

ورثاه زهير بن أم سلمى فقال :

ألم تر للنعمان كان بنجدة	من الشر لو أن أمراً كان باقياً
فلم أر مخذولاً له مثل ملكه	أقل صديقاً أو خليلاً موافياً
خلا أن حيا من راحة حافظوا	وكانوا أناساً يتقون الخازيا
فقال لهم خيراً وأثنى عليهم	وودعهم توديع ألا تلاقيا

فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وبعث إليه : أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه . فبعث إياس إلى هاني بن مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها ، وقال له : لا تكفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتَسْبِي الذرية . فبعث إليه هاني يقول : إن الذي بلغك باطل ، وما عندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أحدُ رجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه إياها ، ولن يسلم الحرُّ أمانة . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدوٍّ أو حاسد .

فلما منها هاني غضب كسرى ؛ ثم أخذت بكر بن وائل تُغير في السواد^(١) ، فوفد قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أُكلاً وطُعماً على أن يضمن له بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يُفسدوا فيه ، فأقطعهُ الأُبلة^(٢) وما والآها ، وقال : هي تكفيك وتكفي أعراب قومك ، فكانت له حُجرة^(٣) فيها مائة من الإبل للاضياف إذا نُحرت ناقةٌ أُقيدت أخرى .

فكان يأتيه من أتاه من بكر فيعطيه جُلَّة^(٤) تمر وكرْباسة^(٥) ، حتى إذا قدم الحارث بن وعله والمكسر بن حنظلة أعطاها جُلَّتِي تمر وكرْباستين ، ففضبا وأيأا أن يقبلا ذلك منه ، وخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد .

(١) السواد : ما حوالى القصة من القرى (٢) الأُبلة : بلد على شاطئ دجلة البصرة
(٣) الحجرة : حظيرة للإبل (٤) الجُلَّة : وعاء من خوص يكنز فيه التمر (٥) الكرباسة : ثوب من قطن .

فلما بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حَنَقُهُ عليهم، وأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالبلَّةِ وقال له : لقد غَرَّرتني من قَوْمِكَ ، وزعمت أنك تكفينيهم ، وأمر به فحُبِسَ في سَابَاط .

ثم أرسل إلى إياس بن قبيصة ، واستشاره في الفأرة على بَكْرِ فقال له : ماذا ترى ؟ وكم ترى أن تُفزيهم من الناس ؟ فقال له إياس : إن الملك لا يصلح أن يعصيه أحدٌ من رعيَّته ، وإن تُطعني لم تُعلم أحداً لأى شيء عَبَرْتَ وقطعت الفرات ، فيروا أن شيئاً من العرب قد كَرَبَكَ ، ولكن ترجع وتضرب عنهم ، وتبث عليهم العيون حتى ترى غِرَّةً منهم ، ثم ترسل حَلْبَةَ^(١) من العجم فيها بعضُ القبائل التي تليهم ، فيوقعون بهم وقعةَ الدهر ، ويأتونك بطليبتك .

فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكر بن وائل أخوالك ؛ فأنت تَتَمَسَّبُ لهم ، ولا تألوهم نُصْحًا . فقال إياس : رأى الملك أفضل .

فقام إليه عمرو بن عدى بن زيد العبادى - وكان كاتبه وترجمانه بالعريية وفي أمور العرب - فقال له : أقم أيها الملك ، وابعث إليهم بالجنود يكفوك .

وكان عنده النعمان بن زرعة التغلبى - وهو يحبُّ هلاكَ بَكْرِ ؛ فقال لكسرى : يا خيرَ الملوك ، أدلك على عدوٍ يطلبهم ، وعلى غِرَّةٍ بكر ؟ قال : نعم . قال : أمهلنا حتى نَقِيظَ ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء ، يقال له ذوقار تساقط الفراش في النار ؛ فأخذتهم كيف شئت ، وأنا عندك إلى أن أ كفيكمهم ، ومع ذلك فإن مطاليهم في ذلك الوقت كثير ، وذلك مما يؤهن كيدهم ويكون أيسر على الملك هلاكهم .

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل تجمع للسباق أو الفأرة .

فواقفه كسرى وأقرهم، حتى إذا قاطوا جاءت بكر بن وائل فزلت بالحنو^(١)
حنو ذى قار.

٦

ولما بلغ كسرى، نزلهم عقد للنعمان بن زُرْعَةَ على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن
زيد البهراني على قضاة وإياد، وعقد لاياس بن قبيصة على العرب، ومعه كتيبتاه
الشهباء والدوسر^(٢). فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامرز^(٣) على ألف من
الأساورة، وعقد لخنازين على ألف، وبعث معهم باللطيمة - وقد كانت تخرج من
المراق فيها البز والعطير والألطف توصل إلى بأذان عامل كسرى باليمن - وأمر عمرو
ابن عدي أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة
اليمن، وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر ودنوا منها أن يمشوا النعمان بن
زُرْعَةَ يُخَيِّرُهُمْ بين ثلاث خصال: إما أن يمطوا بأيديهم فيحكم فيهم الملك بما شاء،
وإما أن يعرفوا الديار، وإما أن يأذنوا بحرب.

وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك بيني تميم يوم الصفقة^(٤)، فالعرب ورجلة خائفة
منه. وكانت همد بنت النعمان في بني سنان، فلما علمت بمسير جموع كسرى قالت
تندّر العرب:

ألا أبلغ بني بكر رسولا فقد جدد النفير بمنفقير^(٥)
فليت الجيش كلهم فداكم ونفسى والسرير وذا السرير

(١) هو من ذى قار على مسيرة ليلة (٢) الشهباء ودوسر: كتيبتان حريبتان، كان قد جعلهما يزدجرد ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده، وكان رجال الشهباء من الفرس ورجال دوسر من عرب تنوخ (٣) كان الهامرز على مسلمة كسرى بالسواد (٤) انظر يوم الصفقة ص ٢ (٥) العنقير: الداهية.

كأني حين جدّ بهم إليكم مغلقةُ الدوابِّ بالعبور^(١)
فلو أني أطقت لداك دفماً إذا لدفعته بدري وزيري^(٢)

فلما بلغ الخبر بكر بن وائل سار هاني بن مسمود حتى انتهى إلى ذي قار، فنزل به،
وأقبل النعمان بن زُرعة حتى نزل على ابن أُخته مرّةً بن عمرو، فحمد الله النعمان
وأثنى عليه ثم قال: إنكم أحوالي وأحد طرفي، وإن الرائد لا يكذبُ أهله، وقد
أتاكم ما لا قبيل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب، والكتيبتان: الشهباء
والدوسر؛ وإن في الشرّ خياراً، ولأن يفتدى بفضكم بعضاً خيراً من أن
تضطلّموا^(٣)؛ انظروا هذه الخلقة فادفعوها، وادفعوا رهنًا من أبنائكم بما أحدث
سفهاؤكم. فقال له القوم: ننظر في أمرنا.

٧

ثم بعثوا إلى من يليهم من بكر، وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجلهتين^(٤)،
وأخذوا يرّقبون^(٥) من يأتي من قبائل بكر؛ لا تُرفع جماعة إلا قالوا سيدنا في

(١) العبور: نجم في السماء يلي الجوزاء (٢) الزير: ما استحكمتل من الأوتار (٣) تضطلّموا:
تستأصلوا وتبيدوا (٤) جلبة الوادي: مقدمه وما استقبلك منه واتسع له (٥) روى في الأغاني:
أن مرداساً السلمي كان مجاوراً في بكر يومئذ، فلما رأى الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله وخرج
عنهم وأنشأ يحرضهم:

بلغ سراً: بني بكر مغلطة
السرية: الجماعة يفيرون. والواري: التلّيب
يرجى جياداً وركباً غير أعيار
إني أرى الملك الهامرز منضلتاً
المنضلت: المسرع، والأعياز: جمع عبر وهو الحمار
لا تلتقط البعر الحولى نسوتهم
للجائزين على أعطان ذي قار

الأعطانيهم: مبارك الإبل
فأب أيتم فاني رافع ظعني
اللّوب: هم النوب، وهم جبل في السودان
ومنشب في جبال اللوب أطفاري
وجاعل بيننا ورداً غواربه
ترى إذا ماربا الوادي بتيار
ربا: ارتفع، و «وردأ غواربه» أراد البحر.

هذه ؛ فرُفعت لهم جماعة، فقالوا: سيدنا في هذه ، فلما دَنَوْا إِذَا هم بعبد عمرو بن بشر ابن مرثد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعَتْ لهم أُخرى ، فقالوا: سيدُنَا في هذه ، فإذا هو جبلة ابن باعث بن صريم اليَشْكُرى ، فقالوا : لا . فرُفِعَتْ أُخرى ، فقالوا : في هذه سيدنا ، فإذا هو الحارث بن وعله بن الجالد الذَّهلي ، فقالوا : لا . ثم رُفِعَتْ لهم أُخرى ، فقالوا: في هذه سيدنا ؛ فإذا فيها الحارثُ بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله ، فقالوا : لا ، ثم رُفِعَتْ لهم أُخرى أكبرُ مما كان يجيئُ فقالوا : لقد جاء سيدُنَا ، وإذا رجل أَصْلَعُ الشعر ، عظيمُ البطن ، مُشْرَبٌ حمرة ، هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ؛ فقالوا : يا أبا معدان قد طال انتظارنا ، وقد كرهنا أن نقطع أَمْرًا دونك ، وهذا ابنُ أختك قد جاءنا ، والرائد لا يكذبُ أهله ، وهذا هاني بن قبيصة يهيمُ بركوب الفلاة ، ويقول لنا : لا طاقةَ لكم بجموع الملك ^(١) . قال حنظلة : فما الذي أجمعَ عليه رأيكم واتفق عليه مَلؤُكم ^(٢) ؟ قالوا : إن اللخي ^(٣) أهون من الوهي ؛ وإن في الشرِّ خيارًا ، ولأنَّ يفتدَى بمضنًا بمضًا خيرٌ من أن نصطلمَ جميعًا .

فقال حنظلة : قبَّحَ اللهُ هذا رأيًا ! لا تجرُّ أحرارُ فارس أرجلها بيطحاء ذى قار وأنا أسمعُ هذا الصَّوتَ ، ثم أمرُ بقُبَّتِه فُضِرَتْ بوادي ذى قار ، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غيرَ القتال ؛ فإنَّا إن ركبنا الفلاةَ مِننا عطشًا ، وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتُسبِّي ذرارينا . ثم قال لهاني بن مسعود : يا أبا أمامة ؛ إن ذمتكم ذممتنا عامة ، وإنه لن يُوصَلَ إِلَيْك حتى تَقْتَنِي أرواحنا ، فأخرج هذه الحلقةَ ففرَّجها بين قومك ؛ فإن تظفرَ فتردُّ عليك ، وإن تهلك فأهونُ مَفْقُود .

(١) قال في العقد الفريد : لم تر من هاني سقطة قبلها (٢) الملاء : جماعة القوم

(٣) اللخي : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خير من الهلاك .

فأمَرَ بها هاني فأخرجت وفُرِّقَتْ في القوم . ثم التفت حَنْظَلَةُ إلى النعمان وقال : لولا أنك رسولٌ لما أبتَ إلى قومك سالماً ، فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما رَدَّ عليه القومُ ، فباتوا ليلتهم مستعدِّين للقتال ، وبَكَرَ يتأهبون للحرب ^(١) .

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجمُ نحوهم يسرون على تَمِيْمِيَّة ^(٢) ، ومعهم الجنودُ والأفْيَالُ عليها الأساورُ ؛ وكان نازلاً في بني شيبان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التَّجِجِي هو وقومه ، فقال : يا بني شيبان ؛ أما إني لو كنتُ منكم لأشَرْتُ عليكم برأيٍ مثل عروة العِلْم ^(٣) ، فقالوا : أنتَ والله من أوسَطِنَا فَأَشِرْ علينا ؛ فقال : لا تَسْهَدِفُوا لهذه الأعاجم ، فهلككم بنشأبها ^(٤) ؛ ولكن تَكَرَّدَسُوا كراديس ^(٥) ، فإذا أقبَلُوا على كِرْدَسْ شدَّ الآخر ، فقالوا : قد رأيت رأياً .

٨

ولما تقارب الرَّحْفَان قام حَنْظَلَةُ بن ثعلبة فقال : إن النَّشَابَ الذي مع الأعاجم يُفَرِّقُكُمْ ، فإذا أرسلوه لم يخطئكم ؛ فما جلَّهم اللَّقاء ، وابدءَ وهم بالشدة ، ثم قام إلى وَضِين ^(٦) راحلة امرأته فقطعه ، ثم تتبَّع الظعن يقطع وُضِين ^(٧) ، فسقطن على الأرض ، فقال : ليقاتل كلُّ رجلٍ منكم عن حليلته ، ثم ضرب قبة على نفسه يبطحاء ذى قار ، وآلى لا يفرُّ حتى تفرَّ القبة . وقطع سبعائة رجل من شيبان أيدى أقببئهم من منابها لتخفَّ أيديهم لَضْرَبِ السيف . وقام هاني ^(٨) بن مسعود فقال : « يا قوم مهلك مقدور خيرٌ من نجاه معرور ^(٩) وإن الحذر لا يدفعُ القدر ، وإن

(١) شهدت بكر جميعها هذه الحرب عدا حنيفة (٢) عبي الجيش تميمية : أصلحه وهياها (٣) أي العلم الذي يوتق به ، وهو يريد ، الرأي السيد (٤) النشاب : النبل (٥) الكردوس : قطعة من الخيل (٦) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد (٧) سمى حنظلة بعد ذلك مقطع الوضين (٨) في الأمالي : هي لهاني بن قبيصة الشيباني ، وزواجة الأمالي فيها اختلاف عما هنا (٩) معرور : معاب .

الصَّبْرُ من أسباب الظَّفَر ، المنيَّة ولا الدنيَّة ، واستقبال الموت خيرٌ من استِدْبَارِهِ ،
والطعن في الثَّنَر ، أكرمُ من الطَّعن في البدر ، ياقوم جدُّوا فما مِن الموت بدٌّ ، فَتَحَّ
لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً ، ويا آل بكر شدُّوا واستعدُّوا ، وإلا
تَشَدُّوا تُرَدُّوا .

وقام شريك بن عمرو بن سراحيل فقال : ياقوم ، إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند
الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم ؛ فمليكم بالصبر ، فإن الأسنَّة تُردى
الأعِنَّة ، يا آل بكر ، قُدِّمًا (١) قُدِّمًا !

وجمل الناس يتحاضون ويرجزون ؛ فقالت امرأة من عجل (٢) :

إِنْ هُزِمُوا نَمَانِقُ وَنَفَرِشُ النَّمَارِقِ (٣)

أَوْ هُزِمُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمَقِ

وقال حنظلة بن ثعلبة :

قَد جَدَّ أَشْيَاعُكُمْ فِجْدُوا مَا عَلَّتِي وَأَنَا مُؤَدِّ (٤) جَلْدُ

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرُّ عُرْدٍ (٥) مِثْلَ دِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قَدْ جَعَلْتُ أَخْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِنْ الْمَنَائِيَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ

هَذَا عَمِيرٌ حَيْهَ أَلَدُّ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرَدُّ

حَتَّى يَمُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدِ خَلَوْا بَنِي شَيْبَانَ فَاسْتَبَدُّوا

نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

(١) أي تقدموا (٢) عجل : بطن في شيبان (٣) النمارق : جمع نمرقة ، والنمرقة الوسادة الصغيرة ، أو المبترة ، أو الطنفسة فوق الرحل (٤) مؤد : ذو أداة من السلاح تامة ، أي لا عذر لي (٥) عرد : شديد .

من فر منكم قر عن حرّيه وجاره وفرّ عن نديمه
أنا ابن سيّار على شكيمه إن الشراك قدّ من أدبعه (١)
وكلمهم يجرى على قديمه من قارح الهجّنة أو صميمه (٢)

وقال عمرو بن جبلة اليشكري :

ياقوم لا تفرركم هذي الخرق ولا وميضُ البيض في الشمس برق
من لم يقاتل منكم هذا المنق (٣) فجنبوه الراح واسقوه الرق
ووقف الجيشان متقاً بلّين ، فكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنايزين وعليهم
حنظلة بن ثعلبة ، وبنو شيان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز ، وعليهم بكر بن يزيد
ابن مسهر ، وأفناء بكر في القلب وعليهم هاني بن مسعود ، فخرج أسوار من الأعاجم
في أذنيه درّتان من كتيبة الهامرز يتحدّى الناس للبراز ، فنادى في بني شيان فلم
يبرز إليه أحد ، حتى إذا دنا من بني يشكر برّز له يزيد بن حارثة ، فشدّ عليه بالرّمح
فطمّنه ودقّ صلبه ، وأخذ حليّته وسلاحه (٤) .

وخرج الهامرز يدّعو إلى البراز فخرج إليه الحوْفِران (٥) فقتله . وفي ذلك الحين
أرسلت إباد - وكانت في جيوش كسرى - مرّاً إلى بكر ، وقال رسولهم : أي الأمرين

(١) الشراك : سير النمل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد اللدبوغ (٢) القارح : الحصان ،
والهجين : عربي ولد من غير عربي (٣) العنق : الجماعة وهو مذكر (٤) وذلك قول سويد بن
أبي كاهل يفتخر :

ومنا يزيد إذ تحرى جوعكم فلم تقربوه المرزبات المشهر

تحرى : نازع الغلبة

وبارزه منا غلام بصارم حسام إذا لاقى الضريبة يتر

الضريبة : ما ضربته بالسيف

(٥) اسمه الحارث بن شريك .

أعجب إليكم؟ أن نظيرَ تحتَ لَيْلَتِنَا فنذهب ، أو نقيم ونفرَّ حينَ تلاقونَ القومَ ؟
قالوا : بل تقيمون ؛ فإذا التقى الناسُ انهزمتم بهم .

وقال يزيد بن حمار السَّكُونِي - وكان حليفاً لَشَيْبَانَ - أطيعوني واكْمَنُوا لهم
كَمِينًا ، ففعلوا ، وجعلوا يزيد رأسهم ، وكمَنُوا في مكان يقال له الحبيء واجتلدوا ،
وحملت مَيْسِرَةَ بَكرٍ وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وحملت مَيْمَنَةَ بَكرٍ وعليها يزيد
ابن مسهر على مَيْسِرَةَ الجيش ، وخرج عليهم الكمينُ من النَّخْبِيِّ وعليهم يزيد بن
حمار ، فشدوا على قلب الجيش ، وولت إِيَادٌ مُهْزَمَةٌ كما وعدتهم ؛ وانهزمت الفرس ،
وتبعتم بَكر .

ولحق مرثد بن الحارث النعمان بن زُرْعَةَ فأهدى له طَمْعًا ، فسبقه النعمان بصدرِ
فرسه فأفلته (١) ، ولكن أسود بن بجير المجلي وضع يده في يده ، ثم جزَّ ناصيته ،
وخلَّى سبيله .

ثم اتبعت بكر الفُرسَ وأخلافهم من العرب يقتلونهم بقية يومهم وليتهم حتى
أصبحوا من الغد وقد شارفوا السَّوَادَ ، ودخلوه في طلب القوم .

أما إِيَاسُ بن قبيصة فكان أولَ مَنْ انصرفَ إلى كسرى بالهزيمة ، وكان لا يأتيه
أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كَتِفِيهِ ؛ فلما أتاه إِيَاسُ سألَه عن الخبر فقال : هَزَمْنَا
بَكرَ بن وائل ، فأتيناك بنسأهم ، فأعجبَ ذلك كسرى وأمر له بكسوة . ثم استأذنه
إِيَاسُ فقال : إن أخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر فأردت أن آتيه (٢) ، فأذن له

(١) وذلك قول مرثد :

وخيل تبارى للطعان شهدها
وأفلتني النعمان فوت رماحنا
فأغرقت فيها الريح والجمع محجم
وفوق قطاة المهر أزرق لهضم
القطاة : موضع الردف من الدابة ، واللهضم : كل شيء من سنان أو سيف قاطع .
(٢) قال ذلك ليتحى عنه .

كسرى، فركب فرسه الحميمة^(١) ولحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخورنق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقيل : نعم، إياس، فقال : شككت إياساً أمه ، وظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وحدثه بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمر به فنزعت كتفاه .

١ — وفي ذلك اليوم^(٢) يقول أعشى قيس مُفتخراً :

أما تميمٌ فقد ذاقَ عداوتنا وقيسٌ عيلانٌ مسَّ الخزيُّ والأسف
وجندٌ كسرى غداة الحنو صبَّحهم منا عطاريفٌ ترجو الموت وانصرفوا
لقوا مملمة^(٣) شهباء يقدمها للموت لا عاجزٌ فيها ولا خرف^(٤)
فرع نمته فروغٌ غير ناقصة موفق حازم في أمره أف^(٥)
فيها فوارسٌ محمودٌ لقاؤهم مثل الأسنّة لا ميلٌ ولا كُشف^(٦)
بيضُ الوجوه غداة الروع تحسبهم جنان عين عليها البيض والزغف^(٧)

(١) لهذه الفرس خير ذكره صاحب الأغاني ؛ وهو أن هذه الفرس كانت لإياس ثم أودعها عند رجل من تيم الله يقال له أبو ثور ، ولما أراد لإياس أن يغزو قومه أرسل إليه أبو ثور بها ، فبهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما في فرس إياس ما يبرز رجلاً أو ينله ، وما كنت لأقطع رحمة فيها ، فقال لإياس :

غزاها أبو ثور فلما رأيتها دخيس دواء لا أضيع غزاها
دخيس : صمينة ، والدواء : تسمين الفرس

فأعدتها كفتا لكل كريمة

(٢) رأينا أن نعرض هنا بعض ما قيل في هذا اليوم من الشعر (٣) كتيبة مملومة وململة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض (٤) خرف الرجل : فسد عقله من الكبر ، فهو خرف ، والأنتى خرفة (٥) الجمل الأنف التلول المؤاتي الذي يأتي من الزجر ومن الضرب ويعطى من السير عفواً سهلاً ، قال في اللسان : وكذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حق صبر عليه وقام به (٦) الكشف : جمع أ كشف وهو الذي لا ترس معه ، كأنه متكشف غير مستور (٧) جنان جمع جان ، وهو من الجن ، والزغف : الدروع .

لما رأونا كشفنا عن جماجمنا
 قالوا: البقية^(١)، والهنديُّ يَحْصُدُهُمْ
 لو أن كلَّ مَمَدٍ كان شارِكنا
 لما أتونا كأنَّ الليلَ يقدمهم
 بطارق وبنو ملكٍ مَرَاذِيهٍ
 من كلِّ مَرَجَانَةٍ في البحرِ أحرزها
 وظُمننا خَلْفَنَا تَجْرِي مَدَامُهَا
 كأنما الآلُ في حَفَاتِ جَمِهِمْ
 يحسِرُنْ عن أوجهٍ قد عاينتْ عِبراً
 ما في الخدودِ صدورٌ عن وجوههم
 لما أمالوا إلى النُشْتَابِ أَيْدِيَهُمْ
 وخيل بكرٍ فأتفكَّ تَطْحَنُهُمْ

٢ — وقال يمدح بني شيبان :

فَدَى لَبْنِي ذُهْلَ بِنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي
 كَقَوْأِ إِذْ أُنِي الهَامِرُزُ تَخْفِقُ^(٧) فَوْقَهُ
 وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَاتِ
 وَقَدْ بَدَخْتُ^(٨) فِرْسَانَهُمْ وَأَذَلَّتْ

(١) العرب تقول للعدو إذا غلب : البقية : أي أبقوا علينا ولا تستأصلونا ، وفي اللسان : قالوا البقية والخطي بأخذهم (٢) في الديوان : تفشاها لهم (٣) النطف : الأفراط وفي رواية : الشنف (٤) تجف : تضرب (٥) قطعاً ، أي أن ألوانها مختلفة (٦) رواية القمد : ملنا بيض لملل الهام تحنطف (٧) في الديوان : تحف ، والحنف : الليل (٨) بدخ : تناول وتكبر ، وفخر ، وعلا ، وبدخ البعير : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء .

فصَّبَحَهُم بِالْحِنُوِّ حِنُوِّ قَرَارِقِ وَذِي قَارَهَا مِنْهَا الْجُنُودُ فَقَلَّتْ (١)
 عَلَى كُلِّ مَحْبُوكٍ (٢) السَّرَاةِ كَأَنَّهُ عَقَابٌ مَرَّتْ مِنْ مَرَقَبٍ إِذْ تَدَلَّتْ (٣)
 فَجَاءَتْ عَلَى الْهَامُرِزِ وَسَطَ بِيُوتِهِمْ شَائِبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ فَاسْتَهَلَّتْ
 تَنَاهَتْ بَنُو الْأَحْزَابِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلْبٌ فَوَلَّتْ

* * *

٣ — وقال أبو عبيدة: سئل أبو عمرو بن العلاء، وقد تنافر إليه عجلي ويشكري؛
 فزعم العجلي أنه لم يشهد يوم ذي قار غير شيباني وعجلي، وقال يشكري: بل
 شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم، فقال أبو عمرو: قد فصل بينكما التغلبي حيث يقول:
 ولقد رأيت أخاك عمراً مرة يَقْضَى وَضِيْعِيْهِ بِنَاتِ الْعِجْرَمِ (٤)
 فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرُ تَنْمَعُمُ
 وَكَأَنَّمَا أَقْدَامُهُمْ وَأَكْفَهُمْ مَرَبٌ (٥) تَسَاقَطَ فِي خَلِيْجٍ مُقْعَمِ
 لَمَاسَمْتُ دَعَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا وَأَتَى رَيْبَعَةَ فِي الْعِجَاجِ الْأَقْصَمِ
 وَمَحَلَّمٌ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِمْ وَالْمَوْتُ تَحْتَ لَوَاءِ آلِ مَحَلَّمِ
 لَا يُصِرُّ فَوْقَ عَنِ الْوَعْنَى بِوُجُوهِهِمْ فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كَلُونَ الْعِظْمِ (٦)

(١) روي هذا البيت في اللسان:

وَمُ ضَرَبُوا بِالْحِنُوِّ حِنُوِّ قَرَارِقِ مَقْدَمَةُ الْهَامُرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ

قال: وصواب انشاده: مُمَّ ضَرَبُوا، وهذه هي رواية الديوان؛ ورواية النفاض أيضاً.

(٢) في الديوان: مجبول، والتصحيح عن اللسان (٣) في اللسان: عقاب سرت من مرقب
 وتملت (٤) يقاب وضعت عند فلان وضيمة، وفي التهذيب وضيعاً، أي استودعته وديعة،
 ويقال للوديعة وضيع. والمعجمة شجرة من العضاة غليظة عظيمة لها عقيد كعقد الكعاب تتخذ
 منها القسي، والجمع عجرم بضم العين والراء وكسرهما، قال العجاج يصف المطايا:

* نواحلا مثل قسي العجرم *

(٥) السرب بالتحريك: الماء السائل (٦) العظم: عصارة شجر لونه كالنيل أخضر إلى الكدرة،
 والعظم أيضاً: صبغ أحمر.

ودعت بنو أمّ الرقاع فأقبلوا عند اللقاء بكل شكٍّ مُعْتَمٍ
 وسمعت يشكرُ تُدعى بِجَبِيبٍ (١) تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
 يمشون في حلق الحديد كما مشتْ أسدُ العرين بيوم نحسٍ مُظلم
 والجمعُ من ذهل كأن زهاءهم (٢) جُربُ الجمال يقودها ابناً قشعماً
 والخيْلُ من تحت العجاج عوابساً. وعلى مناسجِها (٣) سحائبُ من دم

* * *

٤ — وقال العديل بن الفرّج العجلي :

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لكرُمةٍ إلا اصطلينا وكُنّا مُوقدي النار
 وما يمدّون من يوم سمعتُ به للناس أفضلَ من يومِ بندي قار
 جئنا بأسلابهم والخيْلُ عابسةٌ لا استلبنا لِكِسرى كل إسوار (٤)

* * *

٥ — وقال أبو كلبّة التيمي :

لولا فوارسُ لأميلٌ ولا عُزلٌ (٥) من اللهازم (٦) ما فظتم (٧) بندي قار
 إن الفوارسَ من عجلهم أنفوا من أن يُجلبوا لِكِسرى عرصة (٨) الدار

(١) الجيب : الصاحب ، والجباب : الشيطان ، ويصح أن يكون تصغيراً لواحد منهما

(٢) زهاء الشيء : شئخه ، واحده كجمعه ، وأنشد ابن الأعرابي :

* دهماً كأن الليل في زهاها *

زهاؤها : شخصها ، يصف نخلا يعني أن اجتماعها يرى شخصها سواداً كالليل

(٣) المنسج بكسر الميم بمنزلة الكاهل من الإنسان (٤) الاسوار بكسر الهيمزة وضمها :

قائد الفرس ، وقيل : هو الجيد الرمي بالسهم ، وقيل : هو الجيد الثبات على ظهر الفرس ، والجمع

أساورة وأساور (٥) الأميل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو الذي

لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، أو هو الذي لا يثبت على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل :

الذي لا سلاح معه (٦) اللهازم : بنو تميم الله بن ثعلبة (٧) في بعض الروايات : فظتم ، وفاظ

الرجل : مات ، وفي مهذب الأغاني : فظتم (٨) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها

بناء ، والجمع العراض والعرصات .

لاقوا فوارس من عجلٍ بشكيتها^(١) ليسوا إذا قلّصت حربٌ بأعمار^(٢)
قد أحسنت ذهل بن شيبانٍ وما عدتُ في يومِ ذِي قَارِ فُرْسَانَ ابنِ سِيَّارِ
هم الذين أتوهم عن شمائلهم كما تلبس وُرَادَ بِصُدَارِ^(٣)

٦ - وقال الأعشى يجيبه^(٤) :

أبلغ أبا كلبة التيميَّ مألَكةَ فأنتَ من معشرِ واللهِ أشرارِ
شيبانٍ تدفعُ عنكَ الحربَ آوَنَةً وأنتَ تنبجُ نبجَ الكلبِ في الغارِ

٧ - وقال الأعشى يلوم قيس بن مسعود :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنتَ امرؤٌ ترَجُو شِبَابَكَ وَإِئْتُلُ
أطورين في عامِ غزاةٍ ورحلةٍ ألا ليت قيساً عرفته القوائل
لقد كان في شيبانٍ - لو كنتَ عالماً - قِيبَابٌ وفيهم رحلةٌ وقبائلُ
رحلت ولم تنظرِ وأنتَ عميدُهم فلا يبلغنني عنكَ ما أنتَ فاعلُ
فمرّيت من أهلٍ ومالٍ جَمَعْتَهُ كما عريت مما تُنَمِرُ المَغَازِلُ
لملك يومِ الحِنُونِ إِذْ صَبَحْتَهُمْ كَتَابُ مَوْتٍ لَمَّا تَعَطَّكَ العَوَاذِلُ

(١) الشكّة: السلاح (٢) رجل غمر: لا تجربة له بحرب ولا أمر، ولم تحسكه التجارب،
وجمه أعمار (٣) رواية النقائض:

نحن أتيناكم من عند أشملهم كما تلبس وراد بصدار

(٤) وفي النقائض: فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال: صدق، ثم قال معتذراً:

متى تقرن أصم بجبل أعشى يتبها في الضلال وفي الخسار
فلست ببصر ما قد يراه وليس بسمع أبداً حواري

٨ - وكتب لقيط الایادی إلى بنی شییان فی یوم ذی قار شعراً یقول فیہ :

قوموا قیاماً علی أمشاط أرجلکم ثم افزعوا ، قد ینال الأمن من فزعنا
وقلدوا أمرکم ، لله درکم ! رحب الدراع بأمر الحرب مضطلماً
لا مترفاً إن رخاء المیش ساعده ولا إذا عَضَّ مکروه به خشماً
ما زال یحلب هذا الدهر أشطره (١)
حتی استمرَّ علی شزر مریرته مستحکم الرأی لاقحماً (٢) ولا ضرعاً

٩ - وقال بُکیر أصمُّ بنی الحارث بن عباد یمدح شییان :

إن كنت ساقية الدامة أهلها فاستقی علی کرم بنی همّام
وأبا ربیعة کلها ومحلماً سبقاً بغایة أمجد الأيام (٣)
ضربوا بنی الأحرار یوم لقوهم بالشرفی علی مقیل الهام
شدَّ ابن قیس شدّة ذهب لها ذکرها له فی مُعْرِق (٤) وشام
عمر ووما عمرو بقحم (٥) ذائف (٦) فیها فیها ولا غمیر ولا بُغلام

(١) حلب فلان الدهر أشطره : أى خبر ضروبه ، یعنی أنه من به خیره وشره وشدته ورخاؤه تشبیهاً بحلب جمیع أخلاف الناقة ، ما کان منها حفلاً و غیر حفل وداراً و غیر دار (٢) القحم : الکبیر من الإبل ، قال فی اللسان : ولو شبه به الرجل کان جائراً (٣) فی مهذب الأغانی : بغایة أفضل الأقسام (٤) فی روایة : مغرب (٥) القحم : الکبیر من الإبل ، ولو شبه به الرجل کان جائراً ، وقال الجوهری : شیخ قحم : أى هم کبیر (٦) فی الکامل : ولا داله .



٢ - أيام القحطانيين فيما بينهم

وتشتمل على ما يأتي :

- ١ - يوم البردآن .
- ٢ - « الكلاب الأول .
- ٣ - « عين أباغ .
- ٤ - « حليلة .
- ٥ - « اليحاميم .
- ٦ - حروب الأوس والخزرج :

- (١) حرب سمير .
- (٢) « كعب .
- (٣) « حاطب .
- (٤) « يوم بعث .
- ٧ - « « سجيل .

(١) يوم البردان *

كان حُجْرٌ^(١) بن عمرو بن معاوية الكندى قد أغار في كِنْدَةَ وربيعة على البَحْرَيْنِ فبلغ زياد بن الهُبُولَةَ^(٢) خبرهم ، فسار إلى كِنْدَةَ وربيعة وأموالهم ، وهم خُوفٌ^(٣) ، ورجالهم في غزاتهم المذكورة ، فأخذ الحرِيم والأموال ، وسبى منهم هند بنت ظالم زوج حُجْرٍ ؛ وسمع حجر بنارة زياد فطلبه ، وصحبه من أشرف ربيعة : عَوْف بن عَلم بن ذهل بن شَيْبَانَ ، وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شَيْبَانَ وغيرها ، فأدركوا عمراً بالبردان ، وقد أمن الطلب .

فنزل حُجْرٌ في سَفْحِ جَبَلٍ ، ونزلت بكر وتقلب وكِنْدَةَ مع حُجْرٍ دون الجبل . فتعجَّل عوف بن عَلم وعمرو بن أبي ربيعة وقالوا لحُجْرٍ : إنا مُتَمَجِّلان إلى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا ؛ فسارا إليه ، وكان بينه وبين عَوْفٍ إِخَاءٌ فدخل عليه وقال له : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ^(٤) : اَرُدُّ عَلَيَّ امرأتى أمانة ، فردّها عليه ، وهى حامل^(٥) . ثم إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ ؛ اَرُدُّ عَلَيَّ ما أخذت من

* لحجر آكل المرار (من كندة) : على زياد بن الهبولة (من قضاة) ، والبردان : علم على مواضع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، ولم يعين الموضع الذى وقع فيه ذلك اليوم .

ابن الأثير ص ٣٠١ ج ١ ، والأغانى ص ٨٢ ج ١٥

(١) حجر بن عمرو : يعرف بأكل المرار ، وهو جد امرئ القيس ، استعمله تبع ملك اليمن ، ولم يزل ملكاً حتى خرف (٢) كان زياد بن الهبولة ملكاً على الشام ، وكان من قضاة (٣) الخلوف : الذين ذهبوا من الحى . ويقال أيضاً لمن حضر منهم ، وهو من الأضداد ، والمراد الأول (٤) تلك كانت تحية ملوك الشام عند العرب (٥) ولدت له بنتاً ، فأراد عوف أن يشدها فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلها تلد إناساً ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، فولدت عمراً ، فعرف بابن أم إناس .

لِإِبْلِ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ، وَفِيهَا فَحَلُّهَا ، فَنَازَعَهُ الْفَحْلُ إِلَى الْإِبْلِ فَصَرَعهَ عَمْرُو ، فَقَالَ لَهُ زِيَاد : يَا عَمْرُو ؛ لَوْ صَرَغْتُمْ يَا بَنِي شَيْيَانَ الرَّجَالَ كَمَا تَصْرَعُونَ الْإِبْلَ لَكُنْتُمْ أَنْسُمُ أَنْتُمْ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : لَقَدْ أُعْطِيتَ قَلِيلًا ، وَسَمِيتَ جَلِيلًا ، وَجَرَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَيْلًا طَوِيلًا ، وَلَتَجِدَنَّ مِنْهُ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أُرْوِيَ سِنَانِي مِنْ دَمِكَ ، ثُمَّ رَكِضَ فَرَسَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ .

فَأَقْبَلَ حَجْرًا فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْحَفِيرُ ، أُرْسِلَ سَدُوسُ بْنُ شَيْيَانَ وَصَلِيعُ بْنُ عَبْدِ عَمٍّ يَتَجَسَّسَانِ لَهُ الْخَبْرَ ، وَيَعْلَمَانِ عِلْمَ الْمَسْكِرِ ؛ فَخَرَجَا حَتَّى هَجَمَا عَلَى عَسْكَرِهِ لَيْلًا ، وَقَدْ قَسَمَ الْغَنِيمَةَ ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ تَمْرًا وَسَمْنًا ، فَلَمَّا أَكَلَ نَادَى : مَنْ جَاءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ فَلَهُ فِدْرَةٌ (١) تَمْرٌ ؛ فِجَاءَ سَدُوسٍ وَصَلِيعِ بِحَطَبٍ ، فَنَاولَهُمَا تَمْرًا ، وَجَلَسَا قَرِيبًا مِنْ قُبَّتِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلِيعُ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَسْكِرِ زِيَادٍ ، وَأَرَاهُ التَّمْرَ .

وَأَمَّا سَدُوسٌ فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى آتِيَهُ بِأَمْرِ جَلِيٍّ ، وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ . وَهَنَدَ امْرَأَةٌ حُجْرًا خَلْفَ زِيَادٍ ؛ فَقَالَتْ لَزِيَادٍ : إِنَّ هَذَا التَّمْرَ أُهْدِيَ إِلَيَّ حُجْرًا مِنْ هَجَرَ ، وَالسَّمْنُ مِنْ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ .

ثُمَّ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَنْهُ ، فَضْرَبَ سَدُوسٌ يَدَهُ إِلَى جَلِيسِ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتِ ؟ خِيفَةَ أَنْ يَسْتَسْكِرَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَنَا فُلَانُ ابْنِ فُلَانٍ ، وَدَنَا سَدُوسٌ مِنْ قُبَّةِ زِيَادٍ بِحَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، وَدَنَا زِيَادٌ مِنْ هَنَدِ امْرَأَةِ حَجْرٍ فَقَالَ لَهَا : مَا ظَنُّكَ الْآنَ بِحَجْرٍ ؟ فَقَالَتْ : مَا هُوَ ظَنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَقِينٌ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَنْ يَدَعَ طَلْبَكَ حَتَّى يُطَالِعَ الْقُصُورَ الْحُمْرَ - تَعْنِي قُصُورَ الشَّامِ - وَكَأَنِّي بِهِ فِي فُؤَارِسَ مِنْ بَنِي شَيْيَانَ

(١) فِدْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ : قَدْرٌ مِنْ تَمْرٍ . وَكَانَ ابْنُ الْمُبَوَّلَةِ قَدْ أَصَابَ فِي عَسْكَرِ حَجْرٍ مَا لَا كَثِيرًا .

يذمرهم^(١) ويذمرونه ، وهو شديد الكلب تُزبد شفتاه ، وكأنه بمير آكل
مرارا^(٢) ؛ فالنجاء النجاء ! فإن وراءك طالبا حثيثا ، وجمعا كفيفا ، وكيدا متينا ،
ورأيا صليبا .

فرفع يده فلطمها ، ثم قال لها : ما قلت هذا إلا من عجبك به ، وحبك له .
فقال : والله ما أبغضت ذانسة قط بُغضى له ، ولا رأيت رجلا أحرز منه نائما
ومستيقظا ، إن كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ ، وكان إذا أراد النوم
أمرني أن أجعل عنده عسا^(٣) من لبن ، فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريب^(٤) منه
أنظر إليه إذ قبل أسود^(٥) سألح^(٥) إلى رأسه فنحى رأسه ، فقال إلى يده فقبضها ، فقال
إلى رجله فقبضها ، فقال إلى العس^(٦) فشر به ثم جبه . فقلت : يستيقظ فيشر به فيموت
فأسرع منه ، فانتبه من نومه ، فقال : على^(٧) بالإناء . فأنتبه به ؛ فشمه ثم ألقاه
فهرق^(٦) ، فقال : أين ذهب الأسود ؟ فقلت : مارأيت . فقال : كذبت والله ! وذلك
كله بأذن سدوس ، فلما نامت الأخراس خرج يسرى ليلته حتى صبح حجرا ، فقال :
أتاك المرجفون برجم^(٧) غيب على دهش وجئتك باليقين

(١) ذمراه : لأمه وحضه وحته (٢) المرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشا فرها
قيل : سمى حجر آكل المرار من يومئذ . وقد وردت هذه العبارة في اللسان : إن ابنة كانت له
سباها ملك من ملوك سلبق يقال له ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جل
آكل المرار - يعني كاشرا عن أبيابه ، فسمى بذلك . ثم أورد سببا آخر لهذه التسمية (لسان)
مادة مرر (٣) العس : إناء كبير (٤) هذا اللفظ يستوى فيه الواحد والثني والجمع ، وفي
المصباح : للقریب في اللغة معنيان أحدهما قريب قرب ، فيستوى فيه للذكر والمؤنث ، يقال زيد قريب
منك ، وهند قريب منك ، لأنه من قرب المكان والمسافة فكأنه قيل هند موضعها قريب ، ومنه
إن رحمة الله قريب من المحسنين . والثاني قريب قرابة فيطابق ، فيقال هند قريبة ، وهما قريبتان
(المصباح واللسان - مادة قرب) (٥) أسود سألح : الشديد السواد من الحيات ؛ ويقال له : سألح
لأنه يسلم جلد كل عام (٦) هريق : أريق (٧) المرجفون : الذين يولدون الأخبار الكاذبة ،
والرجم : التكلم بالظن .

فمن يك قد أتاك بأمر لبس فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه ما سمع به ، فأسف ونادى بالرحيل ، فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهبولة ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسببي ، وعرف سدوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وضرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس وقال : قتلت أسيرى ، ودينه دية ملك ، فتحاكماً إلى حُجره فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك ، وأعانهم من ماله ، وأخذ حُجر زوجته هنداً فربطها في فرسين ، ثم ركضهما حتى قطعاهما ، وقال فيها :

إن من غره النساء بشيء بعد هندا لجاهل مغرود
حُلوة العين والحديث ومر كل شيء أجن منها الضمير
كل أنى - وإن بدا لك منها آية الحب - حُبها خيتعور (١)

(١) خيتعور : كل شيء يتلون ، ولا يدوم على حال .

* قال ابن الأثير بعد إيراد هذا اليوم : ليس زياد بن هبولة ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليج كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً للملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالاً للملوك الفرس ، ولم تكن سليج ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال . وزياد بن هبولة السليجي ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو ابن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بال عراق أيام قباز أنوشروان ، وبين ملك قباز والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة ، وأقل ما سمعت فيه ثلاثمائة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليج ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليج فتزيد المدة زيادة أخرى ، وحيث أطقت رواية العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة العاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول . على أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان

(٢) يوم الكلاب الأول*

كان الحارثُ بن عمرو المقصور^(١) بن حُجْرٍ آكل المرار قد ملك الحِجْرَةَ في أيام قَبَادِ بن قَيْرُوز ملك الفرس لدُخُولِهِ في دين الزردكية^(٢) الذي دعاه إليه ، بعد أن نفي المنذر بن ماء السماء^(٣) عنها . واشتغل بالحِجْرَةَ عما كان يراعيه من أمور البوادي ، فَتَفَاسَدَتِ^(٤) القبائل من نزار ؛ فاتاه أشرافهم ، وشكوا إليه ما حلَّ بهم من غَلَبَةِ السفهاء ، وحُكْمِ الأقبوياء ، وطلبوا إليه أن يُملكَ أبناءَهُ عليهم .

فَمَلَكَ ابْنَهُ حُجْرًا على بنى أسد وغطفان ، وابنه شُرْحَيْمِيلاً على بكر بن وائل بأسرِها وعلى بنى حَنْظَلَةَ ، وملك ابنه معد يكرب على بنى تَغْلِبَ والنَمِرِ بن قاسط وسعد بن زيد ، وملك ابنه سَلْمَةَ على قَيْسِ عَيْلان .

ثم إن الحارث خرج يتصيد فرأى جماعةً من مُحرِّ الوحش فشدَّ عليها ، وانفرد منها حمارًا فَتَنَبَّهَهُ ، وأقسم ألا يأكل شيئًا قبل كَيْدِهِ ، فطلبته الخيلُ ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوى على النار وأطعم من كَيْدِهِ وهي حارة ، فمات .

* لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور آكل المرار على أخيه شرحبيل . والكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

الأغانى ص ٦٠ ج ١١ ، معجم البلدان (كلاب) . ابن الأثير ص ٢٣١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٣ ج ٣ ، شرح ديوان امرئ القيس ١٨٩

(١) سمى المقصور ؛ لأنه قصر على ملك أبيه حجر بعد موته . (٢) الزردكية : أتباع مزدك ، وهو فيلسوف لباحي ظهر في فارس على عهد قباد ، ودعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وأيده قباد وصادف رواجاً عند الكثيرين من الفرس . (٣) وكان سبب نفي المنذر عن الحيرة أن قباد دعاه إلى أن يدخل في دين الزردكية ، فأبى حمية وأنفة ؛ ففناه وقرب الحارث وملكه بعد أن أجاب دعوته إلى المذهب الزردكي . (٤) تفاسدت القبائل : قطعت الأرحام .

ولما هلك الحارثُ تشتت أمرُ أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كلُّ واحد منهم لصاحبه الجوع ، وزحف إليه بالجيوش .
وبلغت العداوة أشدها بين سُرحبيل وسلمة ، بفضل المنذر الذي عاد إلى الحيرة بعد هلاك قباز ، وأخذ يُغري بين الأخوين .

وسار سُرحبيل ومن معه حتى نزلوا « الكلاب ^(١) » وأقبل سلمة فيمن معه ، وكان نصحاء سُرحبيل وسلمة نهوهما عن الفساد والتحاسد ، وخذروهما عثرات الحرب ، وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ولم يبرحا ، وأقاما على التنايع ^(٢) واللجاجة في أمرهما ، واقتتل القوم قتالا شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار نادى منادى سُرحبيل : مَنْ أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل ؛ ونادى منادى سلمة : من أتاني برأس سُرحبيل فله مائة من الإبل .

واشتد القتال حينئذ ، كلُّ يطلب أن يظفرَ لعله يصلُ إلى قتل أحد الرّجلين ليأخذ مائة من الإبل ؛ وكانت الغلبة لسلمة وأتباعه ، ومضى سُرحبيل منهزماً ، فقبضه من بني تغلب ذو السنينة ^(٣) ، فالتفت إليه سُرحبيل ، وضربه على ركبته فأطن ^(٤) رجله .

وكان لدى السنينة أخ لأمه اسمه عصيم بن مالك الجشمي ، ويكنى أبا حنش فقال له إذ رآه : قتلى الرجل ، ثم هلك ، فقال أبو حنش لسُرحبيل : قتلى الله إن لم أقتلك ، وحمل عليه حتى أدركه . فقال : يا أبا حنش ؛ اللبن اللبن ^(٥) ! فقال : قدهرت لبناً كثيراً .

(١) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة (ياقوت) (٢) التنايع : يقال يتنايع في الأمور أى يرمى بنفسه فيها من غير تثبت .
(٣) اسمه حبيب بن عتيبة من جشم بن بكر ، وكانت له سن زائدة (٤) أطن رجله : قطعها .
(٥) يريد الدية .

فقال شرحبيل: يا أبا حنشل، أمليكَ بسوقة! فقال: إن أخي كان ملكي، ثم طمعه وألقاه عن فرسه، ونزل إليه، فأخذ رأسه^(١)، وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له اسمه أبو أجا بن كعب، فأناه وألقى الرأس بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقىته إلقاء رفيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حيّ شر من هذا. فقال سلمة: وقد دمعت عيناه! أنت قتلته؟ فقال: لا؛ ولكن قتله أبو حنشل. وعرف أبو أجا الندامة في وجه سلمة، وظهر عليه الجزع لموت أخيه، فهرب وهرب أبو حنشل، ثم نظر سلمة إلى رأس أخيه وبكى وقال^(٢):

ألا أبلغ أبا حنشل رسولا
فما لك لا تجيئني إلى الثواب
تعلّم^(٣) أن خير الناس طرّاً
قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر
وأسلمه جماسيس^(٤) الرباب^(٥)
قتيل ما قتيلك يابن سلمى^(٦)
تضرّ به صديقك أو تحابي
وبلغت الأبيات أبا حنشل فقال مجيباً:

أحاذر أن أجيئك ثم تجبو
حباء أهلك يوم صنبيعات^(٧)

(١) ويقول امرؤ القيس في مقتل شرحبيل وهلاك آبائه:

وقد طوفت في الآفاق حتى
رضيت من الغنية بالأياب
أبعد الحارث الملك ابن حرب
وبعد الخير حجر ذي الثباب
واعلم أنني مما فليس
سأنشب في شبا ظفروناب
كما لاقى أبي حجر وجدى
ولا أنسى قتيلاً بالكلاب

(٢) قيل إن هذا الشعر لمديكر بن أخي شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربهما

(٣) تعلم: اعلم (٤) الجماسيس: جمع جمسوس، وهو القصير الدم. (٥) الرباب: أحياء ضبة، وقد كانت هي وجشم بن بكر مع شرحبيل (٦) سلمى: أم أبي حنشل، وهي بنت عدى ابن ربيعة، بنت أخي كليب (٧) صنبيعات: موضع ذكره ياقوت، وارجع أيضاً إلى النقائض ومجم الأمثال، قتيها: قوله يوم صنبيعات: إن ابناً للحارث كان مسترضعاً بين حين من العرب تميم وبكر، فإت يقال لدغته حبة فأخذ خمسين رجلاً من بكر قتلهم بذلك.

فكانت غَدْرَةٌ شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى الممات (١)
وسمع بقتل شُرْحَبِيلِ أخوه معد يكرب - وكان صاحب سلامة ، معتزلاً عن جميع
الحروب - فقال يرثيه :

إِنْ جَنَّبِيْ عَنِ الْفِرَاشِ لِنَابِيْ كَتَجَافِي الْأَسْرَ فَوْقَ الظَّرَابِ (٢)
مَنْ حَدِيثٍ نَمَا إِلَى فَمَا تَرَهُ قَأْ عَيْنِي وَلَا أُسَيِّغْ شِرَابِيْ .
مُرَّةٌ كَالذَّعْفِ أَوْ كَتَمَهَا النَّا سَ عَلَى حَرٍّ مَلَّةٌ (٣) كَالشَّهَابِ
مِنْ شُرْحَبِيلٍ إِذْ تَعَاوَزَهُ الْأَرُّ مَاحٌ فِي حَالِ لَذَّةٍ (٤) وَشَبَابِ
يَابْنَ أُمِّيْ وَلَوْ شَهِدْتِكَ إِذْ تَدُ عَو تَمِيمًا وَأَنْتِ غَيْرُ مُجَابِ
يَوْمِ نَارَتْ بَنُو تَمِيمٍ وَوَلَّتْ خَيْلُهُمْ يَتَّقِينَ بِالْأَذْنَابِ
وَيُحْكَمُ يَا بَنِيَّ أَسَيْدُ إِنِّي وَيُحْكَمُ رَبِّكُمْ وَرَبُّ الرَّبَابِ
أَيْنَ مَعَطِيْكُمْ الْجَزِيلَ وَحَايِيْكُمْ عَلَى الْفَقْرِ بِالْمِثْنِ اللَّبَابِ (٥)
فَارِسٌ يَطْعَنُ الْكَمَاةَ جَرِيٌّ تَحْتَهُ قَارِحٌ (٦) كَلَوْنُ الْغَرَابِ

وَلَمَّا قُتِلَ شُرْحَبِيلُ قَامَ عَوْفُ بْنُ شَجْنَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَمْعَدٍ دُونَ عِيَالِهِ فَمِنْهُمْ هُوَ ،
وَحَالُوا بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُمْ ، وَدَفَعُوا عَنْهُمْ حَتَّى أَحَقُّوهُمْ بِقَوْمِهِمْ وَمَا مِنْهُمْ ، وَبَلَغَ امْرَأُ الْقَيْسِ
ابْنَ أَخِي شُرْحَبِيلِ أُمْرُهُمْ مَعَ عَمِّهِ فَقَالَ يَمْدَحُهُمْ ؛ وَيَعْرِضُ بَيْنِي حَنْظَلَةَ الَّذِينَ خَذَلُوهُ :

(١) قال معلق الأغانى (ص ٦٢ ج ١١ ساسى) قال هشام : قلت لأبي : أى شىء كان حياء
أبيه يوم صنيعات ؟ قال : كان للحارث بن عمر غلام مسترضع فى بنى تميم وبكر ، وكانوا يقتلون
فى صنيعات ، فمشت حبة الغلام ، فأتهم به الحين جميعاً ، فجاءوا يعتذرون إليه ، بأنهم لم يقتلوه ،
فقال : اتنوني بأمان حتى أسأل عن ابني وما حاله ، فأتاه من هؤلاء وهؤلاء نفر قتلهم جميعاً .
(٢) يقال بعير أسر : إذا كان فى سرته ذاء فيتجافى إذا برك ، والظراب : جمع ظرب ، وهو
ماتناً من الحجارة (٣) الملة : الحجر (٤) فى اللسان : فى حال صوة (٥) الباب : خيار
الإبل (٦) الفارح : الفرس .

أَحْظَلَّ لَوْ حَامَيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لِأَنْتَيْتُمْ خَيْرَ صَالِحًا وَلَا رِضَانِي
أَلَا إِنْ قَوْمًا كُنْتُمْ أَمْسَ دُونَهُمْ هُمْ مَنَعُوا جَارًا لَكُمْ آلَ غُدْرَانَ (١)
ثِيَابَ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَفِيَّةً وَأَوْجَهُمْ عِنْدَ الشَّاهِدِ غُرَّانُ (٢)
عُورٍ (٣) وَمَنْ مِثْلَ الْمُؤِيرِ وَرَهْطَهُ وَأَسْعَدَ (٤) فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانَ
هُمْ أَبْلَغُوا حَيَّ الْمَضَلَّ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
فَقَدْ أَصْبَحُوا - وَاللَّهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ - أَيْرًا بِمِثْقَالِ وَأَوْفَى بِجَمِيرَانَ

(١) قال الوزير أبو بكر شارح ديوان امرئ القيس : يقول : ألا إن قوماً نزلت عليهم وتحرمت بهم ثم منعوا جاراً لكم بالأمس دونهم ، أي كنت بالأمس جاراً لكم دونهم ، فأردتم أن تغدروا بي وأضرتهم ذلك ، فأتم أهل غدر (٢) قال في اللسان : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غر وجران ، ثم أشد هذا البيت . وفيه إقواء (٣) عوير : هو عوف بن شحنة ، وصفوان من سادات بني سعد ، والمضلل : يريد شرحبيل ، وقال شارح الديوان : المضلل : المحير الذي لا يدري أين يتوجه ، ولا حيث يأخذ ، يريد أن قبائل العرب كانت تتحاماه ولا تحيره ، خوفاً من الملك الذي كان يطلبه (٤) أسعد : أعان ، في ليل البلابل : في الهجوم والأفكار ، كأنه خفف بعضها .

(٣) يوم عين أباغ

سار المنذر^(١) بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في معدّ كلّها حتى نزل بعين أباغ ، فأرسل إلى الحارث^(٢) الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له : إما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودي ، وإما أن تأذن بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا ، فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان ، فلا تهلك جنودي وجنودك ، ولكن يخرج رجل من ولدي ، ويخرج رجل من ولدك فنقتل خرج عوضه آخر ، وإذا فني أولادنا خرجت أنا إليك ، فنقتل صاحبه ذهب بالملك ، وتماهدا على ذلك .

فعمد المنذر إلى رجل من شجّمان أصحابه ، وأمره أن يخرج فيقف بين الصّمين ، ويُظهر أنه ابن المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب ، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده ، أو بعض شجّمان أصحابه .

* للحارث الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة . وعين أباغ : واد وراء الأنبار على طريق القرات إلى الشام .

ابن الأثير ص ٣٢٦ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٧٤ جزء ٣ ، ديوان الحماسة ص ٣٤٦ ج ٢ ، شواعر العرب ص ٥٦ ، لسان العرب ص ٢٩٨ ج ١٠ ، معجم البلدان ص ٦٨ ج ١ ، تاريخ العرب القدامى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٣٨ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجي زيدان) .

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثريهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباد و ابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات إنه صاحب يوم النعم والبؤس (٢) الحارث بن جبلة : أشهر ملوك غسان وأعلامهم وهمه وأبدهم صوتاً ، وهو الذي سهل لامرئ القيس طريق الوصول إلى قيصر توفي سنة ٥٥٦ م .

فقال : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ ما كان الشيخُ ليغدر ! فعاد إليه وقاتله ، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر وعاد ؛ فأمر الحارث ابنًا له آخر بقتاله ، والطلبُ بثأر أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه رجع إلى أبيه ، وقال : يا أبت ؛ هذا والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخُ ليغدر ! فعاد إليه ، وشدّ عليه الرجل وقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي ، وكان مع المنذر - وكانت أمه غسانية - قال له : أيها الملك ؛ إن الغدرَ ليس من شيمِ الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت يا بن عمك دفتين .

فغضبَ المنذرُ وأمر بإخراجه ، فلحق بمسكر الحارث وأخبره ، فقال له : سل حاجتك ، فقال له : حُلتك وخاتمتك^(١) . فلما كان الغد حرض الحارث أصحابه - وكان في أربعين ألفاً - واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المنذر ، وهُزمت جيوشه .

فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلَا على بعير بمنزلة المدلين^(٢) ، وجعل المنذر فوقهما فرداً ، وقال : يالأملاوة بين المدلين ، وسار إلى الحيرة فنهبا وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبني الغريين^(٣) عليهما .
وفي ذلك يقول ابنُ الرِّعَاءِ الضَّبَّابِي :

كَمْ تَرَكَنا بِالْمَعِينِ عَيْنِ أَبَاغٍ مِنْ مَلُوكٍ وَسُوقَةٍ أَكْفَاءِ

(١) الخلة : الصدقة (٢) العدل : المثل ، ويقال : عادله في المحمل ركب معه (٣) الغريان : بناءً لن بالكوفة ، وفي بعض الروايات : إن الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنذر علي قبرى نديعه .

أمطرهم سحابُ الموتِ تَرَى إن في الموتِ راحةَ الأشقياءِ
ليس من مات فاستراحِ بِمَيِّتٍ إنما الميِّتُ ميت الأحياءِ
وفي ذلك اليومِ قَتِلَ فِروةُ وقيسِ ابنا مسعود بنِ عامرٍ ، فقالت ابنةُ فِروة (١)
ترثي أباهما :

بِمينِ أباغٍ قاسمنا النّايا فكان قسيمها خيرَ القسيمِ (٢)
وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذلك الرمحُ يكلفُ بالكرامِ (٣)

(١) في لسان العرب : إن قاتلة هذه الأبيات إنما هي ابنة المنذر في أبيها (٢) المعنى : إن المنايا لما قاسمتنا أخذت خير قسم ، وهما المرثيان (٣) ماجداً انتصب على أنه مفعول مقدم والمعنى ؛ تبادلوا : ماجداً منكم قتلنا . فأجيبوا : الرمح يعشق الكرام ويولع بهم مثل ذلك . وزواية اللسان بتقديم البيت الثاني على الأول ، وروى البيت الثاني :

وقالوا فارساً منكم قتلنا فقلنا الرمح يكلف بالكرام

(٤) يوم حليلة*

لما تولى المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة^(١)، واستقر في ملكه سار إلى الحارث الغساني^(٢) طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إني قد أعددت لك الكهول على الفحول^(٣)، فأجابه الحارث: قد أعددت لك الرد على الجرود^(٤). وسار المنذر حتى نزل بمرج حليلة، وسار إليه الحارث أيضاً، ثم اشتبكوا في القتال، ومكثت الحرب أياماً ينتصف بعضهم من بعض.

فلما رأى ذلك الحارث قعد في قصره، ودعا ابنته حليلة، وكانت من أجل النساء، فأعطاها طيباً وأمرها أن تطيب من مرّ بها من جنده، فجلسوا يمرّون بها وتطيّبهم^(٥)، ثم نادى: يا فتیان غسان؛ من قتل ملك الحيرة زوجتة ابنتي. فقال لبيد بن عمرو الغساني^(٦) لأبيه: يا أبت؛ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة،

* للحارث الأعرج بن جبلة، ملك العرب بالشام على المنذر بن المنذر بن ماء السماء، ملك العرب بالحيرة، وحليمة هي بنت الحارث، وفي هذا اليوم ضرب الثلث: ما يوم حليلة يسر.

ابن الأثير ص ٣٢٨ ج ١، الفضليات ص ١٨٧، معجم البلدان ص ٣٣٠ ج ٣، خزنة الأدب ص ٣٠٣ ج ٣، ثمار القلوب ص ٢٤٨، رغبة الأمل من شرح الكامل (المرصفي) ص ٣٣ ج ١، مجمع الأمثال ص ٢٠٢ ج ٢، تاريخ العرب القدامى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٤٤، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجي زيدان) ص ١٩٣

(١) كان يقب بالأسود، ولم يمكث في الملك طويلاً مات سنة ٥٨٢ م (٢) في ابن الأثير: إن الحارث هذا هو صاحب يوم عين إبّاغ، ويرى جورجي زيدان، أنه غيره، (ص ١٩٣) من تاريخ العرب قبل الإسلام (٣) الفحول: الذكور من كل حيوان، والكهول: جمع كهل وهو من كانت سنه بين الرابعة والثلاثين والحادية والخمسين (٤) المرء جمع أمرء وهو الشاب طر شاربته ولم تنبت لحيته، والجرد: جمع أجرد وهو الفرس السباق (٥) وفي خزنة الأدب: إنها أخرجت لهم مركناً من طيب وطيبتهم (٦) قال الحارث بن أبي شمر عنه لابنته: هو أرحام عندي ذكاه فؤاد.

ولست أرضى فرسى فأعطينى فرسك ، فأعطاه فرسه ، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شدّ لبيد على المنذر فضر به ضربة ، ثم ألقاه عن فرسه ، وانهزم أصحاب المنذر من كل وجه ، ونزل لبيد فاحترّ رأسه ؛ وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظرُ إليهم ، فألقى الرأس بين يديه ، فقال له الحارث : شأنك بابنة عمك (١) ، فقد زوجتكها .
فقال : بل أنصرف فأرأسى أصحابي بنفسى ، فإذا انصرف الناس انصرفت .

ورجع فصادف أبا المنذر قد رجع إليه الناس وهو يُقاتل ، وقد اشتدت نكايته ، فتقدم لبيد فقاتل حتى قُتل ، ولكن لَحْمًا انهزمت ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن الظفر ، بعد أن أسروا كثيرًا ممن كانوا مع المنذر من العرب .

وكان من أسرهم الحارث مائة من بني تميم ، فيهم شأس بن عبدة ، ولما سمع أخوه

علقة (٢) وفد إليه مُسْتَشْفِعًا وأنشدته هذه القصيدة :

طَحَابِكِ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ (٣)
يُكَلِّفْنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ (٤)
مُنَاعِمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَيَّ بِهَا مِنْ أَنْ تَزَارَ رَقِيبُ (٥)
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُقْسِ سِرَّهُ وَتُرْضَى لِإِيَابِ الْبَعْلِ حِينَ يَتُوبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سَقَمْتُكَ رَوَايَا الْمُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ (٦)

(١) يريد حليلة (٢) هو علقمة بن عبدة الفحل ، ولقب بالفحل لأنه غلب امرأ القيس - وكان معاصراً له - في الشعر ، وتزوج أمه ، وله ديوان مطبوع توفي سنة ٦٥١ م (٣) طحا : ذهب في مذهب بعيد ، وطرُوب : كثير الطرب ، وحان : قرب (٤) شط : بعد ، وليها : قربها ، والعوادي : حوادث الأيام (٥) الناعمة : المرأة الحسنة الغذاء كالنعمة ، وروى في الفضليات : منعمة (٦) المغمرة الذي لم يجرب ، والروايا : الإبل التي تحمل الماء ، شبه سحاب المزن بها .

سفاك يمانٍ ذو حَبِيٍّ وعارضٌ ١
 تَرُوحُ به جُنْحَ العَشِيِّ جَنُوبٌ (١)
 وما أنت؟ أم ما ذِكْرُها رَيْبِيَّةٌ ٢
 يُحِطُّ لها من ثَرَمَداءَ قَلِيبٌ (٢)
 فإن تسألوني بالنساء فإني ٣
 خَيْرُهُ (٣) بأدواء النساء طيب
 إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلَّ ماله ٤
 فليس له من وُدِّهن نصيب
 يُرِدُنْ ثَرَاءَ المالِ حيث عَلِمَنه ٥
 وشرحُ الشَّبابِ عندهنَّ عَجِيبٌ
 فدعها وسلِّ الهمَّ عنك بجِسرَةٍ ٦
 كهَمِّك فيها بالردِّافِ خَيْبٌ (٤)
 وناجِيَةٌ أفنى رَكِيبَ ضلُوعها ٧
 وحادِركها تهجُّرٌ فدُهوبٌ (٥)
 تتبَّعُ أفياءَ الظلالِ عَشِيَّةٌ ٨
 على طرقِ كَأْمِنِ سُبُوبٌ (٦)
 بها جِيفُ الحَصْرِى فأما عظامها ٩
 فأيض وأما جِلْدُها فصَلِيبٌ (٧)
 فأوردُها ماءً كأنَّ جِمامه ١٠
 من الأجنِّ حِنَاءٌ مَعاً وصَيْبٌ (٨)
 تُرَادَى على دِمَنِ الحِياضِ فإن تَعَفَّ ١١
 فإن المَنْدَى رِخْلَةٌ فَرُكُوبٌ (٩)

(١) الحبي : السحاب (٢) أم : حرف رد به الاستفهام قبله ، وذكرها : تذكرها وربعية : منسوبة إلى ربعية ، ويحط فيها من الخط وهو الحفر . وثرمداء : موضع مشهور بالحصب . والقليب : البئر . يقول : ما شأنك تبدلت حالك من صحو إلى سكرة ، أم ما تذكرك ليلى وهي ربعية ذات غنى وسعة . ورواه في اللسان : أما ذكرها ربعية (٣) في المفضليات : بصير (٤) الجسرة : الناقة الماضية ، وكهمك : كتمك ، والرداف : جمع رديف وهو من يركب خلفك ، والحبيب نوع من السير (٥) الناجية : الناقة تجوب ركابها ، والركيب : ماركب على الضلوع من الشحم ، والحارك عظم مشرف من جانبي الكاهل ، والتهجر : السير في الهجرة ، والدوب : المبالغة في السير (٦) يريد بالسبوب : ماتسجه بالتهاريد الرياح الحارة (٧) الحسرى من الإبل التي كات وتمتت ، والصليب : الصديد (٨) جمامه : مياهه الكثيرة ، والأجن : اختلاط الماء بغيره ، والصيب : الدم ، يصف الماء بالتغير بعد العهد (٩) ترادى : تراود ، والدمن : بقية الماء في الحوض ، والتندية : أن توزد الإبل فتشرب قليلا ، ثم ترعى ، ثم ترد إلى الماء .

- وَتُصْبِحُ عَنْ غِيبِ الشَّرِيِّ وَكَأَنَّهَا
تَعَفَّقُ بِالْأُرْطَى لَهَا وَأَرَادَهَا
إِلَى الْحَرثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي
لِتُبَلِّغَنِي دَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا
إِلَيْكَ أَيْتَ الْعَمَنِ كَانَ وَجِيفُهَا
هُدَانِي إِلَيْكَ الْفَرَقْدَانِ وَلَا حِبُّ
وَأَنْتِ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانِي
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبِيهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ
تَقَدَّمَهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ
مُظَاهِرٌ سِرْبَالِي حديدٍ عَلَيْهِمَا
- مولمةٌ تَحْشَى الْقَنِيصَ شُبُوبٌ (١)
رجالٌ فَبَدَّتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبٌ (٢)
لِكَلِّكِلْهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَجِيبٌ (٣)
فَقَدَّرَ بَنِيَّ مِنْ نَدَاكَ قَرُوبٌ (٤)
بِمُسْتَهَابٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيْبٌ (٥)
لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ التِّانِ عُلُوبٌ (٦)
وَقَبْلَكَ رَبِّي نَحْنُ فَضِعْتُ رُبُوبٌ (٧)
وَعُودِرٌ فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَيْبٌ (٨)
لَأَبُوا خَزَايَا وَالْإِيَابِ حَيْبٌ (٩)
وَأَنْتِ لِبَيْضِ الدَّارِعِينَ ضَرْوبٌ (١٠)
عَقِيلًا سَيُوفٍ مِخْدَمٌ وَرَسُوبٌ (١١)

(١) غيب كل شيء : آخره ، والمولمة : البقرة الوحشية ، والقنيص : الصائد ، والشبوب : الشابة من البقر (٢) تعفَّق : لاذ ، والضير للصائد ، والأرطى : شجر ، وبنت : سبقت ، والكليب : جماعة الكلاب : يشبه ناقته في شدة عدوها عقب سيرها ليلا بقرّة وحشية تحذر قنيصاً تواري بشجر الأرطى ليختلها ، وقد أعد لها نبلاً وكلاباً فرماها بهما فسبقتها ولم يدركاها
(٣) أعمل الناقية : ساقها ، والكلكل : الصدر ، والقصران : ضلعان ، والوجيب : الحفقان
(٤) القروب : اسم الناقية (٥) الوجيف : نوع من سير الإبل ، والمستهبات : الطرق الغامضة ، ومهيب : يهاب الناس اقتحامه (٦) اللاحب : الطريق الواضح ، وأصواء التان : ما غلظ على متن الأرض ، والعلوب : الآثار ؛ يصف وضوح الطريق بآثار السيارة (٧) أفضت : انتهت ، وأمانتي : طاعتي ، والربوب كالأرباب (٨) ريبها : هو المنذر (٩) فارس الجون : هو الحارث الغساني ، والجون فرسه ، وضير منهم راجع إلى الغسانيين ، يقول : لولا كذا غلبت كتاب المنذر جنود الشام (١٠) تقدمه : الضمير راجع إلى الفرس (الجون) (١١) ظاهر بين درعين ، أي لبس إحداها فوق الأخرى ، والسربال : الدرع ، وعقيل كل شيء : أكرمه ، ومخدم ورسوب : سيفان .

فجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم
وقاتل من غسان أهل حفاظها
تخشخش أبدان الحديد عليهم
تجود بنفس لا يجاد بمثلها
كان رجال الأوس تحت لبانه
رغاً فوقهم سقب السماء فداحض
كانهم صابت عليهم سحابة
فلم تنج إلا شطبة بلجامها
والأكمى ذو حفاظ كأنه
وأنت الذي آثاره في عدوه
وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فلا تحرمي نائلاً عن جنابة

وقد حان من شمس النهار غروب
وهنب وفأس جالدت وشيب (١)
كأخشخت يئس الحصاد جنوب (٢)
وأنت بها يوم اللقاء خصيب (٣)
وما جمعت جل مما وعيتب (٤)
بشكته لم يستتب وسليب (٥)
صواعقها لطيرهن ريب (٦)
والأطير كالقناة نجيب (٧)
بما ابتل من حد الظبابة خصيب (٨)
من البؤس والنعمى لمن ندوب (٩)
فحق لشأس من نذاك ذنوب (١٠)
فأتى امرؤ وسط القباب غريب (١١)

(١) هنب وفأس وشيب: أحياء في العرب (٢) الحشخشة: صوت الثوب الجديد إذا تحرك ،
والأبدان: النزوع ، والجبوب: ربح (٣) خصيب: كريم لا يرض نفسه (٤) لبانه: أي
لبان فرسه ، والأوس وجل وعيتب: قبائل (٥) رغاً فوقهم سقب السماء: يعني أنهم قد استوصلوا
وهلكوا كما هلكت تمود حين عقروا الناقة فرغاً سقبها ، والسقب ولد الناقة ، والداحض الذي يحرك
رجليه عند الموت ، والشكة جملة السلاح ، كأن القتلى أكبر من أن يحاط بهم فنهزم من سلب ومنهم
من لم يسلب (٦) صابت: من الصوب وهو نزول المطر ، والصواعق: النار التي تسقط من السماء
مع الرعد ، والطيرهن: يريد لها تطاير منها (٧) الشطبة: الفرس السبطة اللحم ، والطير:
الفرس المستعد للوثب ، والتجيب: الكرم من الخيل (٨) خصيب: محضوب بحمرة
(٩) الندوب: آثار الجرح (١٠) الذنوب: النصب (١١) يريد بالنائل: إطلاق شأس ،
والجنابة: البعد والغربة ، ومعناه: لا تحرمي بعد غربة وبعد عن ديارى .

ولما بلغ إلى قوله : « فحُقَّ لشأس من نذاك ذنُوب » قال الملك : أى والله وأذنبه ، ثم أطلق شأسا وقال له : إن شئت الحياء ، وإن شئت أمراء قومك . وقال لجلسائه : إن اختار الحياء على قومه فلا خير فيه ، فقال : أيها الملك ، ما كنت لأختار على قومي شيئا ، فأطلق له الأسرى من تميم وكساة وحباه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيراً ، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا له : أنت كنت السبب في إطلاقنا ، فاستمن بهذا على دهرك ، فحصل له كثير من إبل وكسوة وغير ذلك .

٥ - يوم اليجاميم *

كان الحارثُ بنُ جبلةِ الغسانی قد أصلح بين قبائلِ طيِّ، فلما هلك عادت إلى حربِها، فالتقتْ جديلةُ والغوثُ بموضعٍ في حرب، فقتل قائدُ بني جديلة وهو أسبع ابن عمرو بن لأم، وأخذ رجلٌ من سنيس أذنيه فخصفَ بهما نعليه. وفي ذلك قال أبو سروة السنيسي :

نَخَصِفُ بِالْأَذَانِ مِنْكُمْ نِعَالَنَا وَنَشْرِبُ كَرَهَا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِمِ
وتناقل الحيان في ذلك أشعاراً كثيرة .

وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم، وعزم على لقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحروب المتقدمة، هو ولا أحد من رؤساء طيِّ، كحاتم بن عبد الله، وزيد الخليل، وغيرهم من الرؤساء؛ فلما تجهز أوس للحرب، وأخذ في جمع جديلة ولفها قال أبو جابر :

أقيموا علينا القصد يا آل طيِّ وإلا فإن العلم عند التَّحَاسِبِ
فمن مثلنا يوماً إذا الحربُ شمَّرت ومن مثلنا يوماً إذا لم نحاسب
وبلغ الغوث جمعُ أوس لها، وأوقدت النار على ذروة أجا^(١) - وذلك أول يوم توقد عليه النار - فأقبلت قبائلُ الغوث، كل قبيلة وعليها رئيسها؛ ومنهم زيد الخليل، وحاتم .

* لغوث على جديلة (كلاماً من طيِّ) ويعرف أيضاً بقارات جوق . واليجاميم ماء على طريق مكة .

ابن الأثير ص ٣٨٨ ج ١ ، مهذب الأغاني صفحة ٧٨ ج ١
(١) أجا وسلمي : جبلان لطيِّ .

وأقبلت جديلة مجتممة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس ألا يرجع عن طيبي حتى ينزل معها جبليها أجا وسلمى ، وتُجبي له أهلها ، وتزاحفوا ، فاقتلوا قتالا شديداً .

قال عدى بن حاتم : إني لواقف يوم اليعاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخليل قد أحضر ابنه مكنفا وحُرَيْثاً في شعب لا منفذ له وهو يقول : أي بني ؛ أبقيا على قومكما ، فإن اليوم يوم التّفاني ، فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال ؛ فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك ؛ فاحمرّت عيناه غضباً ، وتناول إليّ ، حتى نظرتُ إلى ما تحته من سرّجه فخفته ؛ فضربتُ فرسي ، وتنحّيت عنه ، واشتغل بنظره إليّ عن ابنه ، فخرجا كالصّقرين ، ثم انهزمت جديلة عند ذلك ، وقُتِل فيها قتلاً ذريعاً .

فلم يبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليعاميم ، فدخلوا بلاد كلب ، فحالفوهم وأقاموا معهم .

٦ - حروب الأوس والخزرج *

(١) حرب مُسمير

لما كان سيل العَرِم خرجت الأزد^(١) من اليمن مع رؤسائهم إلى تهامة ، ثم هاجروا إلى النواحي الشمالية منها ، ونزل الأوس والخزرج بضواحي المدينة ، ولم يكونوا حين نزلوا أهل نَعَم وِشَاء وِخَيْلِ وأموال ، وإنما كان ذلك كله لليهود ، فماشوا بين اليهود بالضواحي والقرى في شَطَف من العيش ، وهوان وإذلال من اليهود ؛ إذ حكموهم وتحكموا فيهم ، وألزموهم أداء الخراج .

وظلوا على هذه الحال مدة حتى وفد وافد منهم ؛ هو مالك بن العجلان الخزرجي إلى الغسانين بالشام ، ونزل على أحد أشرافهم واسمه أبو جبيلة ، واستجاره على اليهود ؛ فأجاره ، وجاء إلى المدينة ، وقتل عطاء اليهود ، ثم عاد إلى الشام بعد أن مكث للأوس والخزرج بالمدينة .

* الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الفطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد نشبت بينهم تلك الحروب في الجاهلية ؛ وهذه أشهرها :

(١) حرب مسمير : للأوس على الخزرج .

(٢) حرب كعب : للخزرج على الأوس .

(٣) حرب حاطب : للخزرج على الأوس .

(٤) يوم بعات : للأوس على الخزرج .

ابن الأثير ص ٤٠٢ ج ١ ، تاريخ العرب القدامى ص ٢٥٠ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٥٠ ، الأغانى ص ١٨ ج ٣ (طبعة الدار) ، ص ١١٨ ج ١٣ طبعة الساسي ، جهرة أشعار العرب ص ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، مهذب الأغانى ص ١٢٢ ج ١ ، المفضليات ص ١٣٥ ، رغبة الأمل من

كتاب الكامل ص ٢١٢ جزء ٢

(١) الأزد : شعب من كهلان .

وظل الحيان على اتفاق ووثام، حتى وفد على المدينة وافدٌ من ذبيان اسمه كعب الثعلبي، ونزل على مالك بن العجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه، ثم خرج كعب يوماً إلى سوق بني قينقاع^(١)، فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول: لِيَأْخُذْ هذا الفرس أعزُّ أهلِ يَثْرِبِ^(٢)، فقال رجل: فلان، وقال رجل آخر: أحيحة بن الجلاح الأوسي، وقال غيرها: فلان ابن فلان اليهودي أفضل أهلها.

وقال كعب الثعلبي: مالك بن عجلان أعز أهل يثرب، وكثر الكلام، ثم قبل الرسول قول كعب الثعلبي، ودفع الفرس إلى مالك بن العجلان الخزرجي. فقال كعب: ألم أقل لكم إن حليفي مالكا أفضلكم! فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له: مُسَيِّر بن يزيد، وشتمه واقترقا، وبني كعب ما شاء الله.

ثم قصد سوقاً لهم بقباء، فقصده مُسَيِّر، ولازمه حتى قتله، وأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتُم هنا قتيلاً، فأرسلوا إلينا بقاتله، فمأجأهم رسول مالك تَرامواً به؛ فقال بنو زيد: إنما قتلتُه بنو جَحْجَبِي وقالت بنو جَحْجَبِي: إنما قتلتُه بنو زيد^(٣)؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يُدرى أيُّهم قتله.

ولما تأكد عند مالك أن مُسَيِّر هو الذي قتله أرسل إلى قومه بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله مُسَيِّر، فأرسلوا به إلى أقتله، فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل مُسَيِّرًا من غير بيعة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه مُسَيِّرًا أو يابون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو كرهوا أن يُنْشَبُوا بينهم وبين مالك حرباً،

(١) بنو قينقاع: شعب من اليهود (٢) قيل: إن الذي بعثه هو عبد ياليل الثقفي

(٣) بنو جحجبي وبنو زيد: بطنان في الأوس.

فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف ، وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية . فغضب مالك وأبى إلا أن يأخذ الدية كاملة أو يقتل مُسمراً ، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، ثم دعوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس^(١) ، أحد بني الحارث بن الخزرج ، فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج ، ف قضى على مالك بن المجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك ، وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس ، فقال مالك يذكر خذلان بن الحارث ، وحدب بن عمرو على مُسمّر ، ويحرّض بني النجّار على نصرته :

إن مُسمراً أرى عشيرته قد حدّبوا دونه وقد أنفوا
إن يكن الظن صادقاً بيني النجّار لا يطعموا الذي عُلفوا^(٢)
لا يُسلمونا لمعشر أبدأ مادام منا يبطنها شرّ^(٣)
لكن موالٍ قد بدا لهم رأى سوى ما لى أو ضفوا
بين بني جحججى وبين بني زيد فأنى لجارى التلف
يمشون فى البيض والذروع كما تمشى جمال مصعب قطف^(٤)
كما تمشى الأسود فى رهج^(٥) الموت إليه وكلّهم لهف

(١) جد عبد الله بن رواحة الأنصارى (٢) قال صاحب الأغاني: يقال علفوا الضيم إذا أقرّ وابه، أى ظنى بهم أنهم لا يقبلون الضيم - (٣) الشرف: الشريف (٤) البيض: جمع بيضة، وهى ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية فى الحرب، والمصعب: جمع مصعب، وهو الفحل الذى لم يرك ولم يسه جبل حتى صار صعباً، والقطف: البطيطة الخطو (٥) الرهج: الفبار.

وقال درهم بن زيد أخو سمير في ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سميراً فإنَّ القتل فيه البوارُ والأسفُ
إن تقتلوه ترنُّ نسوتكم على كريم ويفزع السلفُ (١)
إني لعمرو الذي يحجُّ له الناس ومن دون بيته صرف
يمينُ برِّ بالله مجتهد يحلف إن كان ينفع الحلف
لا نرفعُ العبدَ فوق سنَّته ما دام منا يبطنها شرفُ
إنك لاقٍ غدا غواة بني عمي فانظر ما أنت مُزدهف (٢)
فأبدي سيماك يرفوك كما يُبدون سيام فتعترف (٣)

* * *

ثم أرسل مالك إلى بني عمرو يؤذنههم بالحرب ، ويمدِّهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر
قومه فتهيئوا للحرب ، وتحاشد الحيان ، وجمع بعضهم لبعض ، ثم زحف مالك بمن
معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير ، والتقوا
بفضاء قريب من قباء ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا وهم منتصفون جميعاً ، ثم
التقوا مرةً أخرى عند أطم بني قينقاع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر
للأوس على الخزرج ، وفي ذلك قال أبو قيس بن الأسلت :

لقد رأيت بني عمرو فاهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب
ألا فدي لهم أمي وما ولدتُ غداة يمشون إرقال المضاعيب (٤)

(١) ترنُّ نسوتكم : يرفعن أصواتهن بالبكاء . (٢) مزدهف : مقتحم . (٣) قال صاحب
الأغاني : معنى قوله : فأبدي سيماك : أن مالك كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف
فيقصد (٤) الإرقال : الإسراع في السير .

بكل سَهْمَةٍ كَالأَيْمِ ماضِيَةٍ وكل أبيض ماضِي الحدِّ مَحْشُوبٌ ^(١)
ولبث الأوس والخزرج متحارِبِينَ عشرين سنة في أمرِ مُسمِرٍ يتماودون القتال في
تلك السنين ، وكثرت أيامهم ومواطنهم .

ولما رأيت الأوس طول الشر ، وأن مال كالأل ينزع ^(٢) ، قال لهم سويد بن صامت
الأوسى ^(٣) : يا قوم ، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوتكم ؛
فيقتلَ بمعضكم بعضاً ، ويطمعَ فيكم غيركم ، وإن حملتم على أنفسكم بعضَ الحمل .

فأرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكمَ بينهم وبينه ثابت ^(٤) بن المنذر
حرام مرفأجابهم إلى ذلك ، وخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر ، فقالوا : إنا حكمناك
بيننا ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردوا حُكْمِي كما
رددتم حكمَ عمرو بن قيس ، فقالوا : فإننا لا نردَّ حكمك ، فاحكم بيننا ، قال : لا أحكم
بينكم حتى تعطوني مَوْثِقاً وعهداً لترضونَ بحكْمِي وما قضيتُ به ، وتسلمنَ له .
فأعطوه على ذلك عهدهم وموائيقهم ، فحكم بأن يُودَى حليفُ مالك ديةَ الصريح ،
ثم تكون السنةُ فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديتِه والحليف على ديتِه ،
وأن تمدَّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ، ثم يكون بعضُ بعض ،
ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين .

فرضى بذلك مالك ، وسلمت الأوس ، وتفرقتوا ، على أن يكون على بني النجَّار
نصف ديةَ جار مالك معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها . فرأت بنو عمرو

(١) السهبة : الطويلة من الخيل ، والأيم : الحية ، والمحشوب : المصقول (٢) ينزع : يكف

(٣) كان يقال له في الجاهلية الكامل ، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً كاتباً رامياً

سموه الكامل (٤) أبو حسان بن ثابت .

أنهم لم يُخْرِجُوا إِلَّا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ ، وَرَأَى مَالِكٌ أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ مَا كَانَ يُطَلَّبُ ، وَوَدِدَى جَارُهُ دِيَةَ الصَّرِيحِ .

وفى تلك الحرب قال قيس^(١) بن الخطيم الأوسى ، ولم يدرك هذه الحرب ، ولكنه قال ذلك بعدها بزمان :

رَدَّ الْخَلِيْطُ الْجَمَالَ فَانصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا^(٢)
 لَوْ عَرَّجُوا سَاعَةَ نُسَائِلِهِمْ رَيْثُ يُضْحَى جَمَالَهُ السَّلْفُ^(٣)
 فِيهِمْ لَعُوبُ الْعِشَاءِ آنَسَةُ الدَّلَّ عَرُوبٌ يَسُوءُهَا الْخُلْفُ^(٤)
 بَيْنَ سُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقْتَهَا قَصْدٌ فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصَفُ^(٥)
 تَنَامُ عَنْ كُبْرٍ شَانَهَا فِإِذَا قَامَتْ رُؤَيْدًا تَكَادُ تَفْعَرِفُ^(٦)
 تَفْتَرِقُ الطَّرْفُ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ^(٧)
 حَوْرَاءُ جَيْدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا خُوطُ بَانَةَ قَصِيفُ^(٨)
 قَضَى اللَّهُ لَهَا حِينَ صَوَّرَهَا الْ يَتَخَارِقُ الْأََّ يُكِيْهَا سَدَفُ^(٩)

(١) قيس بن الخطيم : شاعر جاهلي أوسى ، جيد الشعر ، حسن الديباجة ، أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام ، وتلا عليه شيئاً من القرآن ، فقال : إني لأسمع كلاماً عجيباً ، فدعنى أنظر في أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك ، فبات قبل الحول سنة ٦١٢ م (٢) أى ردوا جمالهم من الرعى ليرتحلوا (٣) الريث : مقدار المهلة من الزمان ، ويضحي : من الضحاء وهو أن يرعى الإبل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظعن في السير (٤) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو ، والعروب : الحسنة المتحبة إلى زوجها (٥) شكول : أنواع ، والجلبة : الغليظة ، والقصف : القليلة اللحم (٦) تنعرف : تنقص من دقة خصرها (٧) يريد : من نظر إليها استفرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها وهي لاهية غير محتفلة وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف (٨) الحوراء : الواسعة العين ، والجيداء : الطويلة الحيد ، والحوط : الفصن ، والقصف : الناعم الثنى (٩) السدف : الظلمة ؛ أى أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

حَوْذٌ يَفْتُ الْحَدِيثَ مَا صَمَّتْ وهو يفيها ذو لذة طَرْفٌ (١)
 تَخَزَنُهُ وَهُوَ مُشْتَهَى حَسَنٌ وهو إذا ما تكلمت، أُنْفٌ (٢)
 أَبْلَغَ بَنِي جَجَجِي وَإِخْوَتَهُمْ زَيْدًا بَأَنَّا وَرَاءَهُمُ أُنْفٌ (٣)
 إِنَّا وَإِنْ قَلَّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُّ
 لِمَا بَدَتْ نَحْوَنَا جِبَاهُهُمْ حَفَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصَّحْفُ (٤)
 نَفَلَى بِمَجْدٍ الصَّفِيحِ هَامِمٌ وفلينا هامهم بها جنف (٥)
 يَتَّبِعُ آثَارَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ سُخْنٌ عَيْبِطٌ عَرُوقُهُ تَكِفُّ (٦)
 إِنْ بَنِي عَمْنَا طَفَوْا وَبَفَوْا ولجَّ منهم في قومهم سرفٌ
 فَرَدَّ عَلَيْهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ النَّجَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ (٧)، ولم يدرك هذه الحرب أيضاً:
 مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعًا يَكِفُّ من ذكرك حَوْذٍ شَطَّتْ بِهَا قَدْفٌ (٨)
 بَانَتْ بِهَا غَرَبَةٌ تُوْمٌ بِهَا أرضاً سوانا والشكلُ مُخْتَلَفٌ
 مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوْشَكَ بَيْنَهُمْ حتى رأيت الحدوجَ تَنْقَدِفُ
 دَعُ ذَا وَعَدَّ الْقَرِيضَ فِي نَفْرِ يرجون مدحى ومدحى الشرفِ
 إِنْ تَدَعُ قَوْمِي لِلْمَجْدِ تُلْفَهُمْ أهلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وَصِفُوا
 إِنْ سَمِيرًا عَبْدُهُ طَفَى سَفَهَا ساعده أَعْبَدَ لَهُمْ نَطْفٌ (٩)

(١) الحوذ: الثابة الناعمة، والطرف: المستطرف المحبوب (٢) الأنف: المستأنف الجديد
 (٣) أنف: ذوو أنفة، ندفع الضيم عنهم ونصرهم (٤) الصحف: العهود (٥) يقال فلاه
 بالسيف؛ إذا علاه، والصفح: جمع صفيحة، وهي السيف العريض. والجنف: انحراف وميل
 عما توجهه القرني والرحم. قال شارح ديوانه: يريد أت قتلنا إيام عنف منا؛ لأنهم قومنا وبنو
 عمنا (٦) اختلجت: انتزعت. وسخن عبيط: دم طرى ساخن (٧) حسان بن ثابت: فعل
 من فحول الشعراء، وأحد المعمرين المحضرمين، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي
 صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن في الإسلام، توفي سنة ٥٤ هـ (٨) قدف: بعبدة
 (٩) النطف: القرط.

(٢) حرب كعب بن عمرو*

تَزَوَّجَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَازِنِيِّ الْخَزْرَجِيُّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَالِمٍ^(١)، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، فَقَعِدَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَجَجِيٍّ مِنَ الْأَوْسِ بِمَرَّصِدٍ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ أَوْ كَادُوا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَرَجٍ وَخَرَجَ مَعَهُ بَنُو النَّجَّارِ^(٢) وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي جَجَجِيٍّ يُؤَذِّنُهُمْ بِحَرْبٍ، فَتَلَقَوْا بِالرُّحَابَةِ^(٣)، وَاقْتَتَلُوا اقْتِتَالًا شَدِيدًا، وَانْهَزَمَتْ بَنُو جَجَجِيٍّ، وَكَانَ مَعَهُمْ أُحَيْحَةَ بْنُ الْجُلَّاحِ الْأَوْسِيُّ، فَطَلَبَهُ عَاصِمٌ فَأَدْرَكَهُ وَقَدْ دَخَلَ حِصْنَهُ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي بَابِ الْحِصْنِ، وَرَجَعَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمَكَّنُوا أَيَّامًا. ثُمَّ إِنْ عَاصِمًا طَلَبَ أُحَيْحَةَ لَيْلًا لِيَقْتُلَهُ فِي دَارِهِ، وَبَلَغَ أُحَيْحَةَ ذَلِكَ فَقَالَ:

بَنَيْتُ أَنْكَ جِئْتَ تَسْرِي بَيْنَ دَارِي وَالْقُبَابَةِ^(٤)
 فَلَقَدْ وَجَدْتُ بِجَانِبِ الضَّحْيَانِ^(٥) شَبَانًا مُهَابَةً
 فِتْيَانِ حَرْبٍ فِي الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأَسَدٍ غَابَهُ
 هُمْ نَكْبُوكَ عَنِ الطَّرِيقِ فَبِتَّ تَرْكِبُ كُلِّ لَابَةٍ^(٦)
 أَعْصِمِ لَا تَجْزِعْ فَإِنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ بِاللُّدْءِ عَابَةٍ
 فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ دَخَلُوا الرَّحَابَةَ
 وَقَتَلْتُ كَعْبًا قَبْلَهَا وَعَلَوْتُ بِالسَّيْفِ الدُّؤَابَةَ

(١) بنو سالم : قبيلة في الخزرج (٢) بنو النجار : قبيلة في الخزرج (الأَنْصَار) (٣) الرحابة : حصن بالمدينة (٤) القبابة : حصن بالمدينة (٥) الضحيان : حصن بناه أحيحة في أرض القبابة (٦) اللابة : الحرة من الأرض .

وبلغ عاصم قوله فأجابه :

أَبْلُغْ أُحَيْحَةَ إِنَّ عَرْضْتَ بداره عَنِّي جِوابه
وَأنا الَّذي أَعْجَبْتُه عَن مَقْعَدِ أُلْهِى كِلابَه
وَرَمَيْتُهُ سَهْمًا فَأَخْطَأَهُ وَأَغْلَقْتُ نِمْمَ بَابَه

وكان أُحَيْحَةُ إِذا أَمسى جَلَسَ بِحِذاءِ حِصْنِهِ الضَّحِّيَّانِ ، ثم أَرسَلَ كِلابًا لَهُ نَبِجَ
دُونِهِ عَلى مَنْ يَأْتِيهِ مِمَّنْ لا يَعرِفُ ، حَذراً مَن أَن يَأْتِيَهُ عَدُوٌّ يَصِيبُ مِنْهُ غِرَّةً ، فَأَقْبَلَ
عاصِمُ بَنَ عَمْرُو يَريدُهُ في مَجْلِسِهِ ذَلكَ لِيَقْتُلَهُ بِأَخِيهِ ، وَقَدِ أَخَذَ مَعَهُ تَمْرًا ، فَلَمَّا نَبِجَتْهُ
الْكِلابُ حِينَ دَنَّا مِنْهُ أَلْتِي لَهَا التَّمْرَ فَوَقَفَتْ ؛ فَلَمَّا رَأَتْها أُحَيْحَةُ قَدِ سَكَتَ حَذِيرًا ،
فَقامَ فَدَخَلَ حِصْنَهُ ، وَرَمَاهُ عاصِمٌ بِسَهْمٍ فَأَحْرَزَهُ ^(١) البَابُ ؛ فَوَقَعَ السَهْمُ بِالْبِابِ ،
فَلَمَّا سَمِعَ أُحَيْحَةُ وَقَعَ السَهْمِ صَرَخَ في قَوْمِهِ ، فَجَرى عاصِمٌ وَأَعْجَزَهُمْ حَتَّى
أَتَى قَوْمَهُ .

ثم إن أُحَيْحَةَ جَمَعَ لِبَنِي النُّجَّارِ وَأَرادَ أَن يَفْتَرَّهُمْ ، فَواعَدَهُ قَوْمُهُ لَذلكَ -
وَكانت عِنْدَ أُحَيْحَةَ سَلمى ^(٢) بِنْتُ عَمْرُو إِحدى نِساءِ بَنِي النُّجَّارِ - وَكانَ لَهُ مِنْها ابْنُهُ
عَمْرُو بَنَ أُحَيْحَةَ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ فَطِيمٌ أودونَ الفَطِيمِ ، فَلَمَّا رَأَتْ عَزَمَ أُحَيْحَةُ عَلى نَزْوِ
قَوْمِها عَمَدتْ إِلى ابْنِها فَرَبَطتَهُ بِخِيطٍ حَتَّى إِذا أَوَجَّعتِ الصَّبِيَّ تَرَكتَهُ فِباتِ بِيكِي وَهُوَ
تَحْمَلُهُ ، وَباتَ أُحَيْحَةُ مَعها ساهراً يَقولُ : وَيَحْكُ ! ما لِابْنِي ؟ فَتَقولُ : وَاللَّهِ ما أَدْرى
مَالَهُ ، حَتَّى إِذا ذَهَبَ اللَّيْلُ أَطَلَقْتَ الخِيطَ عَن الصَّبِيِّ فَنامَ . وَلما هَدَّ الصَّبِيَّ قالَتْ :

^(١) أَحْرَزَهُ المَكَانَ : الجَأَهَ (٢) هِيَ أُمُّ عَبْدِ المَطَّلِبِ بَنِ هاشِمٍ ، خَلَفَ عَلَیْها هِشامُ بَعدَ أَن
طَلَقَها أُحَيْحَةُ ، وَكانتِ امْرَأَةً شَريفَةً لا تَتَزَوَّجُ الرِّجالَ إِلا وَأَمَرُها بِيَدِها ، إِذا كَرِهتْ مَن رَجَلَ
شَيْئاً تَرَكتَهُ .

ورأساه ! فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، وبات يمصب لها
رأسها ويقول : ليس بك بأُس ، حتى إذا لم يبق من الليل الا أقله قالت له : قم فإني
أجدني صالحة ، وقد ذهب عني ما كنت أجده - وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه ،
وليشتد نومه على طول السهر - فلما نام قامت وأخذت حبلاً^(١) وأوثقته برأس الحصن
ثم تدلّبت منه ، وانطلقت إلى قومها فأندرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه
من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدّوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر
قد استعدّوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال ، ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن
لحذر القوم ، وعلم أن سلمى قد خدعته .

ملبسة السر

١٢
٩

(٣) حرب حاطب

كان حاطبُ بن قيس الأوسى رجلاً شريفاً سيداً ، فأتاه رجل من ذُبْيَان ،
ونزل عليه . ثم إنَّ الضيفَ غدا يوماً إلى سوق بني قَيْنُقَاع ، فرآه رجل من بني الحارث
ابن الخزرج اسمه يزيد ، فقال لرجل يهودى : لك ردأى إن كَسَمْتُ (١) هذا الذُّبْيَانِي .
فأخذ رداءه وكَسَمَهُ كَسَمَةً سَمَّهَا مَنْ بالسوق ؛ فنَادَى الذُّبْيَانِي : يَا حَاطِبُ ؛ كَسِعَ
ضَيْفُكَ وَفَضِحَ !

وأخْبَرَ حاطبٌ بذلك فجاء إليه ، فسأله مَنْ كَسَمَهُ ؟ فأشار إلى اليهودى ؛ فعدَا
إليه وضربه بالسيف ضربةً فلقَ بها هامته ، وأخبر يزيد بذلك ، فأسرع خَلْفَ
حاطبٍ وأدركه وقد دخل بيوتَ أهله ، فأدرك رجلاً من الأوس فقتله .

وَنَارَتِ الحَرْبُ بَيْنَ الأوسِ والخزرجِ ، واحتشدوا واجتمعوا على جسر بني الحارث
ابن الخزرج ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البِيضَاضِي ، وعلى الأوس حُضَيْرُ بن سَمَاكِ
الأشْمَلِي . وعلم عُيَيْنَةُ بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وخيار بن مالك الفَزَارِيَّانِ
بالأمر فقدا المدينة ، وتحدَّثَا مع الأوس والخزرج في الصلح ، وضمنا أن يتحملا كلَّ
مَا يَدْعَى بعضهم على بعض فأبوا .

ووقعت الحرب عند الجسر وكانت الدائرةُ على الأوس .

(١) كَسَمَهُ : ضربه برجله في دبره .

(٤) يوم بُعَاث

كانت الأوسُ قد استعانت ببني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ^(١) في حروبهم التي كانت بينهم ، وبلغ ذلك الخَزْرَجَ ، فبعثت إليهم : إن الأوسُ فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعْجِزَنَا أَنْ نَسْتَعِينَ بِأَعْدَادِكُمْ وَأَكْثَرِ مَنْعِكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ ظَفِرْنَا بِكُمْ فَذَلِكَ مَا تَكْرَهُونَ ، وَإِنْ ظَفِرْتُمْ لَمْ تَنْتُمْ عَنِ الطَّلَبِ أَبَدًا ، فَتَصِيرُوا إِلَى مَا تَكْرَهُونَ ، وَيَسْغَلِكُمْ مِنْ شَأْنِنَا مَا أَنْتُمْ الْآنَ مِنْهُ خَالُونَ ، وَأَسْلَمُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَدْعُونَا وَتَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا .

فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق ؛ فأرسلوا إلى الخَزْرَجِ : إنه قد كان الذي بلغكم والتمست الأوسُ نُصْرَنَا ، وما كنا لَنَنْصُرَهُمْ عَلَيْكُمْ أَبَدًا ؛ فقالت لهم الخَزْرَجُ : فإن كان ذلك كذلك فابشوا إلينا برهائن تكون في أيدينا ؛ فبعثوا إليهم بأربعين غلاماً منهم ؛ ففرقهم الخَزْرَجُ في دُورهم ، ومكثوا بذلك مدة .

ثم إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة^(٢) : إن أباكم أنزلكم منزل سوء بين سبحة^(٣) ومفازة^(٤) ، وإنه والله لا يمس رأسى غسل حتى أنزلكم منازل بني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ على عَذْبِ الْمَاءِ وَكَرِيمِ النَّخْلِ ؛ ثم راسلهم إما أن تحلوا بيننا وبين دياركم نسكنها ، وإما أن تقتل رُهْمَكُمْ ؛ فهموا أن يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم كعب ابن أسد القرظي : يا قوم ؛ امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرُّهْنُ ، والله ما هي إلا ليلة يُصِيبُ فِيهَا أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ حَتَّى يُوَلِّدَ لَهُ غَلامَ مِثْلِ أَحَدِ الرُّهْنِ ؛ فاجتمع رأيهم على ذلك ؛

(١) قريظة والنضير : حيان في اليهود . (٢) قبيلة في الجزر (٣) السبغة : أرض ذات ترز وملح (٤) المفازة : القلاة لا ماء بها .

فأرسلوا إلى عمرو بآل نُسَلَمَ لَكُمْ دُورَنَا ، وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رُهْنِنَا فتقوموا لنا به ؛ فمدَّ عمرو بن النعمان البياضى على رُهْنِهِمْ هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوهمْ ، وأبى عبد الله بن أبي - وكان سيِّدًا حَلِيمًا - وقال : هذا عقوق ومَأْتَمٌ وبَغْيٌ ، فليست مُعِينًا عليه ، ولا أحد من قومي ^(١) أطاعنى ، وخطى عمَّنْ عنده من الرُهْنِ .

فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئًا من قتال غير كبير ، واجتمعت قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ إلى كعب بن أسد القرظى ، ثم تأمروا أن يُعِينُوا الأوس على الخزرج ، فبعثت إلى الأوس بذلك ، ثم أَجْمَعُوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بيت من النَّبِيتِ ^(٢) على بيت من بنى قُرَيْظَةَ ؛ فنزلوا معهم في دورهم . ثم أرسلوا إلى سَائِرِ الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك .

فاجتمع الملائم منهم ، واستحکم أمرهم ، وجدُّوا في حربهم ؛ فلما سمعت الخزرج اجتمعوا حتى جاءوا عبد الله بن أبي ، وقالوا له : قد كان الذى بَلَغَكَ من أمر الأوس وأمر قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ واجتماعهم على حَرَبِنَا ، وإنا نرى أن تقاتلهم ، فإن هزمناهم لم يُحْرِزْ أَحَدٌ منهم مَقْلَهُ ولا مَلْجَأَهُ حتى لا يبقى منهم أحد .

فلما فرغوا من مقاتلتهم قال لهم عبد الله : إن هذا بنى منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحب أن رجلاً ^(٣) من جراد أَلْفَيْنَاهُمْ ، وقد بلغنى أنهم يقولون هؤلاء قومنا مَتَمُّونَا الحَيَاةَ أفيتمموننا الموت ؟ والله إنى أرى قومًا لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنْصَرُوا عليكم لِبَغْيِكُمْ عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم

(١) هم بنو سالم الحلبي . (٢) البيت : حى في الأوس ، أطلق عليهم لقب أبيهم ، واسمه عمرو ابن مالك بن الأوس (٣) الرجل : جماعة الجراد .

تقاتلونهم ، فإذا ولّوا فخلّوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلّوا عنكم .
فقال له عمرو بن النعمان البياضي : انتفخ والله سحرُك^(١) يا أبا الحارث حين بلغك
حلف الأوس وقريظة والنضير . فقال عبد الله : والله لا حضرتمكم أبداً ، ولا أحد
أطاعني أبداً ، ولكأني أنظر إليك قتيلاً تحمّلك أربعة في عباء^(٢) .

وتابع عبد الله رجالاً من الخزرج ، واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم
عمرو بن النعمان البياضي ، وولّوه أمر حربهم ، ولبث الأوس والخزرج أربعين ليلة
يتصنعون^(٣) للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل
العرب ، فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع ، وأرسلت الأوس إلى مزينة ، وذهب
حضير الكتائب الأشهلي إلى أبي قيس الأسلت^(٤) ، فأمره أن يجمع له أوس الله ،
فجمعهم له أبو قيس ، فقام حضير ، فاعتمد على قوسه ، وعليه نمرّة^(٥) تشفّ عن
عورتها ، فحزّضهم ، وأمرهم بالجدّ في حربهم ، وذَكَر ما صنعت بهم الخزرج من
إخراج النبيت ، وإذلال من تخلف من سائر الأوس في كلام كثير ؛ وجعل كلما ذكر
ما صنعت بهم الخزرج يستشيط ويحى ، فأجابته أوس الله بالذي يُحبّ من النصرة
والمؤازرة الجِدّة في الحرب .

ثم اجتمعت الأوس مرة أخرى ، فأجالوا الرأي ؛ فقالوا : إن ظفرنا بالخروج
لم نُبِقْ منهم أحداً ، ولم نقاتلهم كما كنّا نقاتلهم . فقال حضير : يا معشر الأوس ؛
ما مُسِّمْتُمُ الأوس إلا لأنكم تُؤسُّون^(٦) الأمور الواسعة !

(١) أصل السحر : ما التزق بالحقوم والمرى ، ويقال للجبان : انتفخ سحره ، أى ملأ الخوف
قلبه (٢) العبء : كساء (٣) يتصنعون : يتجهزون ويتأهبون (٤) حضير وأبو الأسلت :
كلاهما من الأوس (٥) النمرّة : بردة من صوف تلبسها الأعراب (٦) أى تعالجون الأمور .

يا قوم قد أصبحتم دوارا لمشرك قد قتلوا الحيارا

يوشك أن يستأصلوا الديارا

ثم طرحوا بين أيديهم تمراً ، وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالساً وعليه برودة له قد اشتمل بها الصماء^(١) ، وما يأكل معهم ولا يدنو إلى التمر غضباً وحنقاً ، فقال : يا قوم ؛ اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت ، فقال لهم أبو قيس : لا أقبل ذلك ، فإني لم أرأس على قوم في حرب قط إلا هزموا وتشاءموا برياستي .

ثم جاءتهم أوس مناة ، وقدمت مزينة ، فانطلق حضير وأبو عامر الراهب إلى أبي قيس ، فقالوا : قد جاءتنا مزينة واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قبيل للخزرج به ، فما الرأي إن نحن ظهرنا عليهم : الإنجاز أم البقية ؟ فقال أبو قيس : اقتلواهم حتى يقولوا : بزأب^(٢) . ثم اختلفوا في ذلك ؛ فأقسم حضير ألا يشرب الخمر ، أو يظهر ويهدم مزارحاً : أطم عبد الله بن أبي . ثم لبثوا شهرين يعدون ويستمدون .

وكان اللقاء ببعاث ، وحشد الحيان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذكرك^(٣) له ، ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه . فلما رأت الأوس الخزرج أعظمهم وقالوا لحضير : يا أبا أسيد ؛ لو حاجزت القوم ، وبعتت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة ؟ فطرح قوساً كانت في يده ثم قال : أنتظر مزينة وقد نظر إلى القوم ونظرت إليهم ! الموت قبل ذلك . واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوس حين وجدوا من

(١) اشتال الصاء : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعلى عاتقه الأيسر ، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيها جميعاً (٢) بزأب : كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا (٣) تخلف عن الأوس بنو حارثة ، فبعثوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبعثوا إليهم أن ابشوا إلينا برهائن منكم يكونون في أيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلاً .

السَّلاح ، فولّوا مصعدين في حرّة قورى^(١) ، فنزل حُضير ، وصاحت بهم الخزرج :
 أين الفرار ، فلما سمع حُضير طعن بسيفان رُمحِه فَنَحَده ، ونزل وصاح وعَقَّراه^(٢) ،
 والله لأأرم حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسَلِّموني فافعلوا ؛ فتمطّفت
 عليه الأوس ، وقام وعلى رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ، وهما يومئذ مُعْرِسان^(٣)
 ذوا بَطْش ، فجعلوا يرتجزان ويقولان :

أى غلامى ملك ترانا فى الحرب إذ دارت بنا رحمانا
 وعدد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قُتِلَا ، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان البياضى رأس
 الخزرج فقتله ، لايدرى من رمى^(٤) به . ثم انهزمت الخزرج ، ووضعت الأوس فيهم
 السلاح ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ؛ أسجِّحوا^(٥) ولا تُهْلِكوا إخوتكم ؛
 فتناهت الأوس ، وكفّت عن سلبهم بعد إئْتِخَان فيهم^(٦) ، وسلمتهم قُرَيْظَةَ والنضير ،

(١) موضع في نواحي المدينة (٢) العقر : قطع قوائم البعير بالسيف لينحر (٣) يقال :
 أعرس فلان إذا اتخذ عرساً (٤) رويوا : أنه بينما كان عبد الله بن أبي يتردد على بطفة له قريباً من
 بعث ، يتجسس أخبار القوم ؛ إذ طلع عليه بعمر بن النعمان ميتاً في عباء يحملها أربعة إلى داره ،
 فلما رآه قال : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان فقال : ذق وبال العفوق^(٥) أسجِّحوا :
 أحسنوا العفور (٦) روي في الأغاني أن يهودياً أعمى من بني قريظة كان يومئذ في أطم من أطامهم
 فقال لابنة له : أشرفي على الأطم فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت فقالت : أسمع الصوت قد ارتفع
 في أعلى قورى وأسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة لئذا على الأوس ، لا خير
 في اللبء . ثم قال : ما ذا تسمعين ؟ فقالت : أسمع رجالاً يقولون : يا آل الأوس ، ورجلاً يقولون :
 يا آل الخزرج ، فقال : الآن سمى القتال . ثم لبث ساعة ، وقال : أشرفي فاسمعي ، فأشرفت فقالت :
 أسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة أصحاب المرعل » . فقال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت
 والله الأوس ، ثم جرى فرحاً نحو باب الأطم ، وضرب رأسه بالباب ، وكان من حجارة ، فسقط
 ومات .

وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبة زبيها مولاها لا كهلها هُدَّ ولا فتاها

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . ثم خرج سعد بن معاذ

الأشهل^(١) ، حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموأهم جزاء لهم بيوم

الرعيل^(٢) .

وأقسم كعب بن أسد القرظي^(٣) ليدنن عبد الله بن أبي ، وليحلقن رأسه تحت

حصنه مزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدو الله ، فقال عبد الله : أنشدك الله ! ما

خذلت^(٤) عنكم . فسأل عما قال ، فوجده حقاً ، فرجع عنه .

وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا القيس بن الأشلت بمد

الهمزعة ، فقال له حضير : يا أبا قيس ؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصر آقصرآ ، ودارآ

دارآ ، تقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك .

فغضب حضير وقال : ما سُميت الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمر أوساً ؛ ولو ظفرت

الخبزرج بمثاها ما أقالونا . ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وقتل على حضير الجرح ، فذهب به كليب بن عبد الأشهل إلى منزله ، فلبث عنده

أياماً ، ثم مات . فقال خُفَّاء بن نُدْبَة^(٥) يرثيه :

(١) من بني عبد الأشهل ، وهم قبيلة في الأوس (٢) الرعل : مال لعبد الأشهل ، وبنو سلمة

قبيلة في الخزرج ، وكانوا يوم الرعل أغاروا على مال لبني عبد الأشهل وقتلوه ، فخرج سعد بن

معاذ الأشهل جراحة شديدة ، فاحتمله بنو سلمة إلى عمرو بن الجوح الخزرجي فأجاره وأخاه

وأجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار ، فلما كان يوم بعث حازاه سعد (ابن الأثير ص ٤١٥

جزء ١) (٣) من بني قريظة حلفاء الأوس (٤) أي ما تركت نصرتكم ، وهو يشير إلى

ما كان بينه وبين قومه من الخزرج ، من امتناعه عن محاربة بني قريظة والنضير (٥) كان خفاف

نديمه وصديقه .

أتانى حديث فكذبته وقيل خُليكَ في الرمس^(١)
 فياعينُ بكى حُضيرَ الندى حُضيرَ الكتائب والمجلس
 ويوم شديد أوار الحديد تقطعُ منه عرَى الأنفس
 صليتُ به وعليك الحديد دُ ما بين سَلع^(٢) إلى الأعرس
 فأودى بنفسك يوم الوغى وتقى ثيابك لم تَدنس

وفي ذلك اليوم قال قيس بن الخطيم الأوسى^(٣) :

أُتِرف رسماً كاطرادِ المذاهب لِعِمرةٍ وَحشا غير موقوف رَاكب^(٤)
 ديارَ الِى كانت ونحن على منى تحلّ بها لولا نِجاء النِجائب^(٥)
 بدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب
 ولم أرها إلا ثلاثاً على منى وعهدى بها عذراء ذات ذوائب
 ومثلك قد أصببتُ ليست بكفنةٍ ولا جارةٍ ولا حكيمةٍ صاحب

(١) يريد القبر (٢) موضع قرب المدينة (٣) فى الأغانى : جلس النبي صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلا خزرجى ، ثم استشهدهم قصيدة قيس بن الخطيم :

أُتِرف رسماً كاطرادِ المذاهب لِعِمرةٍ وحشاً غير موقوف رَاكب
 فأشده بعضهم لياها ، فلما بلغ لى قوله :

أجادهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لآعب

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان كما ذكر » ؟ فشهد له ثابت بن قيس وقال له : والذى بعثك بالحق بإرسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه ، عليه غلالة وملحفة مورسة ، بخالدنا كما ذكر . هذا وقد أورد صاحب الجهرة هذه القصيدة ، ووعدها من المذاهب (٤) الاطراد : التابع . المذاهب : جلود كانت تذهب واحدها مذهب (بضم الميم) : يحصل فيها خطوط مذهب بعضها فى إثر بعض . ووحشاً : قرأ ، وغير موقوف رَاكب : لا يصلح للنزول . وقد روى فى الفضليات : كالطراز المذهب (٥) النجاء : السرعة ، والنجائب : الإبل الكريمة ، وفى مذهب الأغانى : لولا نِجاء الركائب .

دعوتُ بني عوف لحِقْنِ دماهم
 وكنتُ امرأةً لا أبعثُ الحربَ ظالما
 أربتُ بدفعِ الحربِ لِمَا رأيتها
 إذا لم يكنْ عن غايَةِ الموتِ مدْفَعٌ
 فلها رأيتُ الحربَ حربًا مجردتُ
 مُضَاعَفَةً يَفْشَى الأناملَ فضلها
 وسامحَ فيها ملكاهنينِ ومالكُ
 رجالٌ متى يُدْعَوُ إلى الموتِ يُرْفَلُوا
 ترى قَصْدَ الرُّءُوسِ أن تهوى كأنها
 صَبَحْنَا بها الأَطَامَ حولِ مُزَاحِمِ
 لو أنك تُلقَى حنظلًا فوقَ بِيضِنَا
 إذا ما فرَرْنَا كانَ أسوأَ فرَارِنَا
 صدودُ الخدودِ والقنَا مُتَشَا جِرْ
 فلما أبوا ساحت في حربِ حاطبِ (١)
 فلما أبوا أشعكتها كلَّ جانبِ
 عن الدَفْعِ لا تزدادُ غيرَ تَقَارُبِ (٢)
 فأهلاً بها إذ لم تزل في المَرَاجِبِ
 لبستُ مع البرُدينِ ثوبَ المَحَارِبِ
 كأن قَتِيرَها عيونُ الجَنَادِبِ (٣)
 وتلمبةُ الأخيارِ رهطُ ابنِ غَالِبِ (٤)
 إليه كَارِ قَالِ الجِمالِ المِصَابِ (٥)
 تَدْرُعُ خِرْصَانَ بِأَيْدِي الشَّوْاطِبِ (٦)
 قَوَانِسُ أَوْلَى بِيضِنَا كَالسُّكْوَاكِ (٧)
 تَدْحَرُجُ عَنِ ذِي سَامِهِ المُتَقَارِبِ (٨)
 صُدودُ الخدودِ وَأَزْوَرَارُ المَنَاكِبِ
 ولا تَبْرَحُ الأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ

(١) ساحت : تابعت . حاطب : حليف لهم قتل فكانت بينهم حرب في قتله (٢) كانت لي لربة : أي حاجة ، وفي رواية ابن الأثير : أذنت ، وفي مذهب الأغانى : حتى رأيتها (٣) المضاعفة : الدرع التي ضوعف حلقها ، والقدير رءوس المسامير (٤) قال صاحب مذهب الأغانى : ملكاهنين : قريظة والنضير ، ورواية الجمهرة : الكاهنان في الجمهرة : رهط القبايب ، قال : القبايب : الشجمان وجماعات الكريهة (٥) يقال : أرقل القوم إلى الحرب أسرعوا ؛ قال النابغة :

إذا استنزلوا للطنع عنهن أرقلوا
 إلى الموت ليرقال الجمال المصائب

(٦) القصد : القطع ، والمران : الرماح . والتذرع : قال صاحب اللسان عن الأصمعي : تذرع فلان الجريد إذا وضعه في ذراعه فشطبه ، ومنه قول قيس : ترى قصد . . . الخ ، والخرصان : الفضيان ، والشواطب : النساء يشققن الفضبان (اللسان - مادة ذرع) (٧) مزاحم : حصن بالدينة ، وقونس البيضة من السلاح : أعلاها (٨) السام : عروق الذهب ، وأراد به خطوط ذهب على البيض تمويه بها .

إِذَا قَصَّرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالتَّقَارِبِ
 أَجَالَهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقُ لَاعِبٍ (١)
 وَيَوْمَ بُعَاثَ أُسْلِمْتَنَا سَيُوفِنَا إِلَى حَسْبٍ فِي جَذْمِ غَسَّانِ ثَاقِبٍ (٢)
 يُعْرَيْنَ بِيضًا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَيُنْمِدُنَ حَمْرًا نَاحِلَاتِ الْمَضَارِبِ (٣)
 أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمْ عَنِ السَّلْمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلَ وَاجِبٍ (٤)
 رَضِيَتْ لِعَوْفٍ أَنْ تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ - وَيَهْرَأَنَّ مِنْهُمْ - لَيْتِنَا لَمْ نُخَارِبِ
 صَبْحَنَاكُمْ بِيضَاءَ يَبْرُقُ بِيضُهَا تُبَيِّنُ خَلَائِصَ النِّسَاءِ الْهَوَارِبِ (٥)
 أَصَابَ صَرِيحَ الْقَوْمِ غَرْبُ سَيُوفِنَا وَغُودِرَ أَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ (٦)
 وَمَنَا (٧) الَّتِي آتَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً عَنِ الطَّحْرِ حَتَّى زَارَكُمُ بِالْكِتَابِ
 رَضِيَتْ لَهُمْ إِذْ لَا يَرِيْعُونَ قَعْرَهَا إِلَى عَازِبِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِصَاحِبِ
 فَلَوْلَا ذَرَا الْأَطَامِ قَدْ تَمْلُونَهُ وَتَرَكِ الْفَضَا شُورَكُمُ فِي الْكَوَاعِبِ (٨)
 فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَانًا زَيْدُهُ لَكُمْ مُحَرَّرًا إِلَّا ظَهَرَ الْمَشَارِبِ (٩)

(١) الحديقة : قرية من أعراض المدينة ، والمخراق : خرقه مفتولة يلعب بها الصبيان ، وفي الجمهرة :
 يوم الخنادق (٢) يريد أنهم حققوا غير انتسابهم إلى غسان . وهذه رواية صاحب الجمهرة ،
 ورواية اللسان : إلى نشب في حزم غسان ثاقب (٣) روى صاحب الجمهرة البيت
 كما يأتي :

يجردن أيضاً كل يوم كريمة ويضدن حمراً خاضبات المضارب
 (٤) واجب : ميت (٥) صبحناكم : أى دهنناكم صباحاً ؛ ويريد بالبيضاء الحرب غلب عليها
 لون السيوف ، والهوارب : النساء الهاربات من الذعر (٦) الصريح من القوم : السيد فيهم ،
 وغرب السيف : حده ، والإماء : الجوارى ، وأبناء الحواطب : أبناء حملات الحطب من النساء
 (٧) أبو قيس بن الأست (٨) يريد : إنكم لولا أنكم هربتم في أعلى الهضاب لكتبتم في
 عداد السبايا (٩) المشارب : الغرف .

فَهَلَّا لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَانُ صَبْرْتُمْ لَوْ قَعْنَا وَالْيَأْسُ صَعَبُ الْمَرَاكِبِ
 ظَارَنَا كَمْ بِالْبَيْضِ حَتَّى لَأَنْتُمْ أَذَلُّ مِنْ السَّقْبَانَ بَيْنَ الْحَلَائِبِ (١)
 وَلَا هِبَطْنَا الْحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنَا حَرَامٌ عَلَيْنَا الْحَمْرُ مَا لَمْ نَضَارِبِ
 فَسَاعِهِ مِنْ رِجَالِهِ أَعَزَّةٌ فَابْرَحُوا حَتَّى أُحِلَّتْ لِشَارِبِ
 فَلَبَّتْ سُوَيْدَ أَرَاءَ مِنْ جَرٍّ مِنْكُمْ وَمَنْ فَرَّ إِذْ يَجِدُونَهُمْ كَالْحَلَائِبِ
 فَأُبْنَا إِلَى أَبْنَانَا وَنَسَائِنَا وَمَا مَن تَرَكْنَا فِي بُمَاتٍ بَأْتِ
 وَغُيِبَتْ عَنْ يَوْمِ كَفَنَتْنِي عَشِيرَتِي وَيَوْمَ بُمَاتٍ كَانَ يَوْمَ النَّعَابِ
 وَعَادَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسَلْتِ (٢) إِلَى امْرَأَتِهِ ، بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي الْحَرْبِ أَشْهُرًا آتَتْهَا
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى شَحِبَ لَوْنُهُ وَتَغَيَّرَ ، فَدَقَّ الْبَابَ فَفَتَحَتْ لَهُ ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِيَدِهِ
 فَدَفَعَتْهُ وَأَنْكَرَتْهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو قَيْسٍ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ حَتَّى تَكَلَّمْتَ ،
 فَقَالَ (٣) :

قَالَتْ - وَلَمْ تَقْصِدْ لِقَائِي الْخَنَا - مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي (٤)
 أَنْكَرْتَهُ حِينَ تَوَسَّمْتَهُ وَالْحَرْبُ غَوْلٌ (٥) ذَاتُ أَوْجَاعِ
 مِنْ يَذُقُ الْحَرْبَ يَجِدُ طَعْمَهَا مُرًّا وَتَحْبَسُهُ بِجَمْعِجَاعِ (٦)
 قَدْ حَصَّتْ الْبَيْضَةَ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ (٧)

(١) ظَارَنَا كَمْ : عطفناكم على ما يزيد . السبق : الذكر من أولاد الإبل (٢) قال صاحب :
 الأغاني : لم يقع لى اسمه ، والأسلت لقب أبيه ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس
 قد أسندت إليه حربها يوم بعث ، وجعلته رئيساً عليها ، فكفى وساد ، وأسلم ابنه عقبه ، واستشهد
 يوم القادسية (٣) وقد ررى هذه القصيدة صاحب الجهرة ، وصاحب المفضليات ، والرصني في
 رغبة الآمل (٤) الخنا : العار ، والمعنى آلمني خبرك حتى لا أريد سماعه (٥) غول : مقاتلة .
 (٦) الجمجاع : المكان الغليظ (٧) حصت : أذهبت شعره ، والبيضة : ما تلبس في الرأس
 عند الحرب ، يريد أنه من طول لبسها أذهبت شعر رأسه ، والتهجاع : النوم الثقيلة .

أسمى على جُلِّ (١) بنى مالك كلُّ امرئٍ في شأنه سَاع
أعدت للأعداء مَوْضُونَةً فضفاضةً كالنهي (٢) بالقاع
أحْفَزُها عني بنى رَوْنِقٍ مهنّد كالمَلْح (٣) قطاع
صَدَقِ حُسامٍ وادِقِ حَدُّهُ وَمُجْنَأٍ أَسْمَرُ قَرَاعٍ (٤)
بِزِّ امرئٍ مستبسل حاذِرٍ للدهر جلدٍ غيرِ مِجْزَاعٍ (٥)
الحزم والقوة خير من الـ إِدْهَانِ وَالْفَسْكَةِ وَالْهَاعِ (٦)
ليس قِطاً مثل قُطِيٍّ ولا الـ مرعى في الأقسام كالرَاعِي (٧)
لا نألم القتل ونجزي به الأعداء كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ (٨)
نَدُوْهُمْ عَنَّا بِمُسْتَنَّةٍ ذَاتِ عِرَانِينَ وَدُفَاعٍ (٩)
كَأَنَّنَا أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَتَنَ فِي غَيْلٍ وَأَجْرَاعٍ (١٠)
حَتَّى تَجَلَّتْ وَلَنَا غَايَةٌ من بين جَمْعٍ غيرِ مُجَاعٍ (١١)

(١) الجل : ما يوضع على الدابة (٢) الموضونة : الدرع المنسوجة ، بعض حلقها مداخل في بعض ، والنهي : الغدير ، والقاع : المكان المستوي ؛ شبه نسجها بما تنسجه الريح فوق سطح الماء بذلك القاع (٣) الحفز في الأصل : دفعك الشيء من خلفه ؛ يريد أدفع ثقلها بقمع سيف ذي روثق والروثق : ماء السيف وصفائه . وشبه السيف بالملح لصفائه (٤) صدق : صادق الضربة ؛ وادق حده : ماض في ضربته ؛ والمجنأ : الترس سمي به لانحنائه ، وقراع : صلب ؛ سمي به لصبره على القرع (٥) البز : السلاح ، والحاذر : المتأهب الشاكي السلاح (٦) الإدهان : اللين ، والفسكة : ضعف الرأي ، والهاع : سوء الحرص مع الضعف (٧) ورد هذا البيت مورد المثل ، وليس قِطاً مثل قُطِيٍّ : ليس الأمر الكبير كالصغير ؛ وليس المرعى كالراعي : ليس السائس كالسوس (٨) يريد أنه لا يفوتنا أحد بوتر ، ولا ينقص من حقنا (٩) المستنة : الكتيبة تستن في عددها من استن الفرس ؛ مضى على وجهه ، والعراين : جمع عرين وهو الأنف ، وأراد به رؤساءهم ، والدفاع : جمع دافع ؛ وهم الذين يدفعون الأعداء (١٠) النهيت : صوت الأسد ، والغيل : الأجمة والأجزاء : الوديان المنقطعة (١١) الغاية : الراية ، والجماع : أخلاط الناس ؛ يريد لم نستعن بأحد من غيرنا .

هلا سألت الخيل إذ قلصت ما كان إبطائي وإسراعي^(١)
 هل أبذل المال على حُبِّه فيهم وآبي دعوة الداعي
 وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصُر به باعي^(٢)
 وأقطع الحرق يُخاف الردى فيه على أدماء هلواع^(٣)
 ذات أساهيجَ جُماليَّة حششتها كورى وأنساع^(٤)
 تمطى على الأين وتنجومن الضَّ رب أمونٍ غيرِ مِظَلَّاع^(٥)
 كأن أطراف وِلَّياتها فى شَمال حصاء زِعَزَاع^(٦)
 أزينُ الرِّحل بمقومة حارية أو ذات أقطاع^(٧)
 أقضي بها الحاجات إن الفتى رهن بذى لوئيه خَدَّاع^(٨)

هذا ، وقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدم
 منها يوم السرارة ، ويوم الربيع ، ويوم فارغ ، ويوم البقيع ، ويوم مبعس ومضرس ،
 وغيرها ، فارجع إلى ما أشرنا من مراجع إن أردت الزيادة .

(١) قلصت : شمرت ؛ من قلصت الإبل فى سيرها ؛ إذا استمرت فى مضيتها . (٢) القونس :
 مقدم بيضة السلاح أو أعلاها (٣) الحرق : القفر ، ويريد بالأدماء الناقة ، من الأدمة وهى فى الإبل
 البياض الواضح ، والهلواع مثل الهلواعة : الناقة الشبهة التى تخاف من السوط . وهذه رواية صاحب
 الفضليات والمرصنى فى رغبة الأهل ، ورواية صاحب الجمهرة :

فلك أفعالى وقد أقطع الحرق على أدماء هلواع

(٤) الأساهيج : فنون فى السير مختلفة ، لا واحد لها ، وجالية : تشبه الجمال فى خلقته ،
 وحششتها : يريد أعطيتها ، والكور : الرحل ، والأنساع : جبال من جلد مضفورة تشد عليها
 الرحال (٥) تمطى على الأين : يريد تمطى سيرا سريعا ، والأمون : المأمونة الثار ، وغير
 مِظَلَّاع : من الظلم ، وهو العرج والتمز فى المنى (٦) الوليات : جمع ولىة ، وهى الكساء
 يوضع تحت الرحل ، جعل كل جزء ولىة فجمع ، وحصاء : شديدة الهبوب ، وزعزاع : ترزعزع
 كل ما تمر به ؛ يريد كأن أطراف ذلك الكساء على ربح الشمال من شدة سرعتها فى السير
 (٧) المقومة : المشوية ، وحارية منسوبة إلى الحيرة : على غير قياس ، والأقطاع : الطنافس المشوية .
 توضع تحت الرحل على كنف البعير (٨) أى بدهر ذى خير وشر .

(٧) يوم سحبل *

كان جعفر^(١) بن عُلْبَةَ يزور نساء من بني عَقِيل^(٢) بن كَعْب ، وكانوا متجاورين
هم وبنو الحارث^(٣) بن كعب، فأخذته بنو عقيل ، وكشفوا عورتَه ، وربطوه إلى جُمْتِه ،
وضربوه بالسِّياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا ، على النسوة اللاتي كان يتحدث
إليهن على تلك الحال ليغيظوهن ، وَيَفْضَحُوهُنَّ عِنْدَهُنَّ ، فقال لهم : يا قوم ؛ لا تَفْعَلُوا ؛
فإنَّ هذا الفعل مُثَلَّةٌ ، وأنا أحلف لكم بما يُثَلِّج صدوركم ؛ ألاَّ أزورَ بيوتكم أبداً
ولا أليجها . فلم يقبلوا منه . قال : فإن لم تفعلوا ذلك فحَسْبُكُمْ ما قد مضى ، ومُنُوا
على بالكف عني ؛ فإنِّي أعدّه نعمة لكم ، ويداً لا أكفرها أبداً ؛ أو فاقتلوني
وأريحوني فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه .

فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورتَه بين أيدي النساء ويضربونه ، ويُفرون به
سفهاءهم ، حتى شَفَوْا أنفسهم منه ، ثم خلَّوا سبيلَه .
وبلغ ذلك إياس بن زيد ، فقال يتوجع لجعفر :

* لبني الحارث بن كعب (بطن في كهلان) على بني عقيل بن كعب (بطن في قيس) وسحبل
موضع في ديار بني الحارث بن كعب . وهذا اليوم ، وإن اتصل بالإسلام ، إلا أننا وضعناه هنا ؛
لأنه لا يمت إلى الوقائع والحروب الإسلامية بصلة ، ولذلك وضع في مجمع الأمثال في الأيام الجاهلية .
معجم البلدان ص ٤٣ ج ٥ ، الأغاني ص ١٤١ ج ١١ ، معاهد التنصيص ص ٤٣ ج ١ ، شرح
الحماسة للبريزي ص ٥٦ ج ١

(١) جعفر بن علبه بن ربيعة من بني الحارث بن كعب ، انتهى نسبه إلى عبد يغوث الشاعر ،
أسير يوم السلاب الثاني ، كنيته أبو عارم ، وعارم ابنه . وهو من مخضري الدولتين : الأموية
والعباسية ، شاعر غزل فارس مذکور في قومه (٢) بنو عقيل : بطن من قيس
(٣) بنو الحارث بن كعب : من كهلان .

أبا عادمٍ كيف اغتررتَ ولم تكنُ تُفَرِّ إذا ما كان أمرٌ تُحَاذِرُهُ (١)
 فلا صلحَ حتى يَحْفِقَ السيفُ حَقَقَةً بكفِّ فتى جرَّتْ عَلَيْهِ جِرَارُهُ
 ثم مضت أيامٌ ، وأخذ جَعْفَرُ أربعة رجال من قومه ، ورَصَدَ العقيلين حتى ظَفَرَ
 برَجُلٍ ممن كان يصنع به ذلك ، فقبضوا عليه ، وفعلوا به شراً مما فعل بجعفر ، ثم
 أطلقوه ، فرجع إلى الحى ، فأنذرهم ، فتيبهم سبعة عشر فارساً من بنى عقيل حتى
 لحقوا بهم بوادى سَجَبِل ، فقاتلهم جَعْفَرُ ، وقتل فيهم حتى لم يبق من العقيلين إلا
 ثلاثة نفر ، وعمد إلى القتلى فشدَّهم على الجمال وأنفذهم مع الثلاثة إلى قومهم . وقال
 جَعْفَرُ في ذلك :

وسائِلُ عُنَا بَغِيْبٍ وَسَائِلُ	بمَصْدَقِنَا فِي الْحَرْبِ كَيْفَ تُقَاتِلُ
أَهْفَى بَقْرَمَى سَجَبِلٍ حِينَ أَحْلَبَتْ	عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْمَدْوُ الْمَبَاسِلُ (٢)
قَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا :	صَدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَاسِلُ (٣)
قُلْنَا لَهُمْ : تِلْكَمُ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ	تُغَادِرُ صَرَعَى نَوَاهَا مَتَخَاذِلُ (٤)
وَلَمْ نَدْرِ إِنْ جِضْنَا مِنَ الْمَوْتِ جِيضَةً	كَمْ الْعَمْرُ بَاقٍ وَالْمَدَى مُتَطَاوِلُ (٥)
إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَا زِقًا فَرَجَّتْ لَنَا	بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ (٦)

(١) اغتررت: أتيت على غفلة (٢) أهفى: أصله أهفى: والتلفظ: التوجع ، وقرى: موضع بوادى سجب ، وأحلبت: أعانت ، والولالى يريد بها العشاير والقبائل ، والمباسة: المصاولة في الحرب (٣) يقول: لانهم قالوا لنا: إما أن تصبروا على القتال فلنقاتلكم بالرمح ، وإما أن تستأسروا فتأخذكم في السلاسل (٤) الإشارة إلى التخيير ، والكرة: المرة من الكر ، وتغادر: تترك والمفعول محذوف تقديره تغادركم ، والنوء: التهوض ، يقول: فأجبنهم بأن ذلك الخيار بين هاتين لا يكون إلا بعد كرة عليكم تترككم مصروعين عاجزين عن التهوض (٥) يقال: جاض أى انحرف وعدل (٦) المأزق: مضيق الحرب ، يقول: إذا استبقنا إلى مضيق في الحرب وسعته لنا سيوف مصقولة بأيامتنا .

لهم صدرُ سيفي يوم بطحاء سَحْبِلٍ ولى منه ما ضُمَّتْ عليه الأناجيل (١)
 واستمدتْ بنو عُقَيْلٍ عليهم السرى بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر
 المنصور ، فأرسل إلى عُلمبة بن ربيعة ، والد جعفر ، وأخذه بهم ثم حبسه ، حتى
 دفعهم وسائر من كان معهم إليه .

وكان ممن حبس مع جعفر في بني عُقَيْلٍ علي بن جُنْدُب - وكان صديقه - والنضر
 ابن مضارب ؛ أما علي فإنه أفلت من الحبس وهرب ، أما النضر فإنه استُقيد منه
 بِجِرَاحَةٍ ، ولكن بقى جعفر في حبسه يقول الشعر ، وكان مما قال :

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُضْعِدُ . جَنِبُ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ (٢)
 عَجِبْتُ لِمَسْرَاها وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ . إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُغْلِقُ
 أَلَمْتُ (٣) فحَيْتُ ثُمَّ قَامْتُ فودَعْتُ . فلما تَوَلَّتْ كادت النفس تَزْهَقُ
 فلا تَحْسَبِي أَنِّي تَحَشَّعْتُ (٤) بعدكم . لشيءٍ ولا أَنِي مِنَ المَوْتِ أَفْرَقُ
 ولا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيها وَعَيْدُهُم . ولا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي القَيْدِ أَخْرَقْتُ (٥)
 ولكن عَرَّتْنِي مِنَ هَوَاكِ صَبَابَةٌ . كما كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ
 ثم إن جعفرا أخبر بأنه مقتول ؛ فقال :

ألا لا أبالي بعد يومٍ بِسَحْبِلٍ . إذا لم أعذب أن يجيء حماميا
 تركتُ بأعلى سَحْبِلٍ وَمَضِيقِهِ . مُراقِ دم لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثاويا

(١) يريد : أن للأعداء صدر سيفه يعمل فيهم ، وفي يده مقبضه ، ورواية اللسان : يوم صحراء
 سحبل . قال : وصحراء سحبل : موضع (٢) هوى : مهوى ، والركب : ركبان الإبل خاصة ،
 واليمانون : جمع يمان ، وهو النسب إلى اليمن ، والمصد : المبعد من الإصعاد وهو الإبعاد ،
 وجنب بمعنى محبوب : مستمتع ، والجمان : البدن (٣) ألت من الإلغام بمعنى الزيارة
 (٤) تحشمت : تكلفت الحشوع (٥) يزدهيها : يستخفها . والأخرق : القليل الرقيق بالشيء .

شفيتُ به غَيْظِي وحربِ مواطِنِي وكان شفاءَ آخرِ الدهرِ باقِيا
أرادوا لِيَتَنُونِي فقلتُ تَجَنَّبُوا طريقِ فسالى حاجةً من وِزائِيا
فدى لِبني عمِّ أَجابوا لِدَعْوَتِي شَفَوْا من بنى القَدعاءِ عَمِي وخالِيا
كَأَنَّ العَقيلينَ يومَ لِقيتِهِم فِرَاحُ قَطًّا لاقِينَ صَقْرًا يَعايِيا
تَرَكَناهُمُ صَرَعيَ كَأَنَّ ضَجيجَهُم ضَجيجُ دُبَارِي النيبِ لاقَتِ مُداوِيا
أقولُ - وقد أَجَلتُ من القومِ عَرَكَ - لِيَبكِ العَقيلينَ من كانَ با كِيا
فإِنَّ بِقِرِّي سَحِيلَ لَأَمارةِ ونَصَحَ دِماءِ مَنهُمُ وعَحايا^(١)
ولم أَتَرَكَ لِي رِيبَةً غيرَ أَنِي ووددتُ مَعادًا كانَ فيمِنَ أَتائِيا^(٢)
شَفيتُ غَليلَ من خَشِينَةَ بَعدِما كَسوتُ الهذيلَ المِشرَفِي الِيمانِيا^(٣)
أحَقًّا عِبادَ اللَّهِ أَن لستُ ناظِرًا سَحاريَ نَجِدَ والرِياحَ الذَّوارِيا
ولا زائِرًا شَمَ العَرَائِنِ تَنمى إِلى عاصِرٍ يَحِلانَ رَمَلا مُعالِيا
إِذا ما أَتيتَ الحارِثِياتِ فَانمى لَهِنَّ وخَبَرَهُنَّ أَنَّ لا تَلاقِيا
وقودَ قَلوصِي يَبنُهِنَّ فَإِها سَتَبردُ أَكبِادًا وتُبكي بواكِيا
أوصيكمُ إِن مَتَّ يَومًا بِمَارِمِ^(٤) لِيَغنى شَيْئًا أو يَكُونُ مَكانِيا

ولما أخرج جعفر للقوق قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؛

فقال له : اسكت ؛ لا أم لك ؛ إني إذا لمهيف^(٥) ، وانقطع شسع نعله ، فوقف

فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشمك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

(١) المحابي : آثار حيوم من الضعف (٢) أى وددت أن معاذًا كان أتاني معهم فأقتله

(٣) خشينة والهذيل : اثنان من بنى عقيل قتلها جعفر (٤) عارم : ابنه (٥) رجل ميوف

ومهيف : لا يصبر على العطش .

أشدَّ قَبالَ نعلِي أَن يراني عَدُوِّي للحوادثِ مستكينا
ثم ضُرِبَتْ عنه .

ولما قُتِلَ قام نساءُ الحِي يبيكين عليه ، وقام أبوه ^(١) إلى كل ناقة وشاة فنحر
أولادها ، وألقاها بين يديها ، وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق تنعو ،
والنساء يَصِحْنَ ويبيكين . وهو يبيكي مَمَهْنٌ فإرُئِي يوم كان أوجع ، ولا مَأْتَمًا
أكثر حزنًا في العرب من يومئذ ^(٢) .

وهناك رواية أخرى أوردتها التبريزي في شرح الحماسة هذا نصها :

كانت بنو عقيل بن كعب وبنو الحارث بن كعب حالين بصَيْهَد ^(٣) ، وفي عشيةٍ
جاء فتَيَانُهُم يلبمون ، وبرزت لهم فتيات ينظرن إليهم . فبصر رجل من بني الحارث
رجل من بني عقيل يُومِضُ بامرأة من قومه ؛ فأخذ رُمُحًا وطمع به العقيلي في
رفيه ، فدَقَّ نابه ، وشقَّ لثته ، وحسب أن الرُمح قد بلغ منه فولَّى . واستثار رجل
من العقيلين أبا العقيلي - واسمه عباس - ولكنه وثب وولَّى هاربًا ^(٤) . ووثب رجل
من بني عقيل فرمى الحارثي بسهم ؛ فجدَمَ ^(٥) صُلْبَهُ ومات .

(١) كان مما قاله أبوه في حبس ابنه :

لعمرك إن الليل يأأم خالد	على وإن علنتي لطويل
أحاذر أبناء من القوم قد دنت	وأوبة أنقاض لهم دليل
لعمرك إن ابني غداة تقوده	عقيل لناي الناصرين ذليل

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن الأغاني ، ومعجم البلدان ، ومعاهد التنصيص ^(٣) صيهد : فلاة
لا ينال ماؤها ، وموضع بين اليمن وحضرموت (٤) وفي هربه تقول امرأة من بني الحارث :
أشهد أن وعد الله حق وأشهد أن عباساً جبان

(٥) جدَمَ : قطع .

وَعَقْلٌ^(١) بنو عقيل لبني الحارث ، وبرى العقيل من طمئنته ، ومضى زمان ، ونسى الناس ذلك .

ثم نشأ نسط في بني الحارث عثروا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفي بني الحارث شابان مثران متخالان : علي بن جندب ، وجعفر بن علبه . ثم لقي بنو الحارث نفرآ من بني عقيل ، فقتل جعفر وعلي رجلا من بني عقيل اسمه خشيبة ، وضربا عرقوبي آخر ، وضربا ثالثا بين الشارب والأنف .

ولما فعل ذلك أتيا علبه أبا جعفر ، فأخبراه الخبر ، وقال له : ما ترى لنا ؟ أتهرب ؟ فقالا : لا تهربا ، ولكن اتيا صهرى محمد بن هشام ، وأنا لكما جار من أن يضيركما من هذا شىء .

وأبرد^(٢) إلى ابن هشام بالكتاب أن علي بن جندب وجعفر بن علبه قد أحدنا حدثا ؛ فما رأيك ؟ فكتب إليه : إني لهما جار فليأتيانى .

وحذر بنو عقيل ابن هشام ، فاستمدوا الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب لهم إلى أمير نجران : أن خذ الحارثيين وإن قام بنو عقيل بينك ، فأقدهما ممن قتلاه ، وخذ لهم بحقهم .

فلما لقوا التقى قال : لقد لحقا بصهرهما ابن هشام بمكة ، ولا أقدر عليهما ، وقد لحقا بمن هو علي ؛ فرجموا حتى أتوا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا وبين حقنا أن نأخذ من القوم وهم أصهاره ، فكتب هشام إلى محمد بن هشام : أن أعط القوم حقهم ، وأتق الله .

(١) عقل القتيل : وداه ، وعنه أدى جنايته ، وله دم فلان : ترك القود للدية (٢) أبرده : أرسله بريداً .

فلما جاء العقيليون طُلابُ الدم أخذ ابنُ هشام جعفرًا وعلياً وقيدَهما ، وقال للعقيلين : ائتوني بالبيئنة ، فقالوا : قَسامة^(١) ! كيف نأتي بالبيئنة ؟ وكيف نقيم من يشهد لنا ، وقد استودي^(٢) بدمائنا ، وتغنى بها واعترف ؟ فقال : أَمَا قَتَلَا فَلَسْتُ قَاتِلًا ، ولكني عاقلٌ لكم ومُوفٍ نذر-دمائكم وخيلكم .

فراجع القومُ الثالثة هشاما ، فكتب إليه : ألا تَطِيلُ دماءُ القوم ، وقد نطقت الأشعارُ واعترفوا على أنفسهم .

فكتب ابنُ هشام إلى هشام : أن رَدَّهم إلىَّ إذا أتوك ، فإن بنى الحارثُ أَصْهارى أَفْضَلُ دماءٍ منهم ؛ وإني أَحْبَسِيهم ، أرجو أن يأخذوا العَقْلَ^(٣) .

فرجع العقيليون الرابعة حتى أتوا هشاما ، فلما أراد رَدَّهم إليه قالوا : ليس ينصفنا ابنُ هشام ، ولا يُجاوزك أبداً ، فحَدُّ لنا أُنَّا رَنا^(٤) ؛ فقال لهم هشام : اكتب إليه يعطيكم العَقْلَ ؛ ويرضيكم فقد تحرَّز به صِهره ، فقال العقيليون : لا ، إلا أن يبرز لنا جَعْفَرُ بنُ عُبلة فيرى الناس أنَا قدرنا على حقنا ، وأنا نترك عن قُدرة ؛ ثم نأخذ حينئذ منه العَقْلَ .

فكتب لهم إلى ابن هشام بذلك ، وأخذ عليهم العَهْدَ أنكم تَقُونُ بنا ، وإني أعطيكُم العَهْدَ ، ففعل .

وقال العقيليون لرجل منهم لم يكن يعرف ، يقال له رَحْمَة : سِرِّ قَرِيبًا مِنَّا ، وادخُلْ إذا دخلنا ، ولا تنزل حيث نزل ، ولا تنتسب عقيلياً ، فإذا ما برز الرجل فاضربْ عُنُقَه ، وانحَسِسْ^(٥) بين الناس .

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء ويأخذونه ، أو يشهدون (٢) استودي : أقر واعترف

(٣) العقل : الدية (٤) جمع ثأر (٥) انحس : تأخر .

وأبرز ابن هشام جعفر بن عُلبه، عليه حُلَّتْه أحسن الناس، وقد وضع على العقيليين
حَرَسًا أن تبدر منهم بادرة، وخاف غَدْرَهُم .
فلما برز أهدى إليه رَحْمَةً فقتله . فأخذ ابن هشام فحبسه وأبسه (١) وعذبه ،
وحبس العقيليين وقال : لا غيظنكم ، وكان يمدُّ بَرَحْمَةً . ولا يُطعمه . فمات يوم الجمعة ؛
ولم تأت الجمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك ، وقام الوليد بن يزيد ؛ فبعث يوسف
ابن عمر الثقفي ؛ فأخذ ابني هشام ؛ وعذَّبَهُمَا حتى ماتا في عذابه وسجنه .

(١) أبس الرجل : حقره وصغره به .

٣- أيام القحطانيين والعدنانيين

- ١- يوم طخفة
- ٢- يوم أواره الأول
- ٣- « » الثاني
- ٤- « السلان
- ٥- « خزاز
- ٦- « حجر
- ٧- « الكلاب الثاني
- ٨- « فيف الريح
- ٩- « ظهر الدهناء

(١) يوم طخفة*

كانت الرّدافة بمنزلة الوزارة ، وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردّفه ورائه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرف إليه كأس الملك إذا شرب ، وله رُبْع غنيمة الملك من كل غزوة يغزو ، وله إتاوة على كل مَنْ في طاعة الملك . وكانت رِدافة ملوك الحيرة في بني يربوع^(١) ، وفي عهد الملك المنذر^(٢) بن ماء السماء كانت الرّدافة لعتّاب بن هريرة بن ربّاح بن يربوع ، ولما مات نشأ له ابن يُقال له عَوْف بن عتّاب ، فقال حاجبُ بن زُرارة^(٣) للمنذر : إن الرّدافة لا تصلح لهذا الغلام لحدائته سنّه ، فاجعلها لرجل كهّل ، قال : ومن هو ؟ قال : الحارث بن يبيّبة الجاشمي . فدعا الملك بني يربوع ، وقال لهم : إن الرّدافة كانت لعتّاب وقد هلك ، وابنه هذا لم يبلغ ؛ فأعقبوا إخوتكم من بني مجاشع^(٤) ؛ وإني أريد أن أجعلها للحارث بن يبيّبة . فقالت بنو يربوع : إنه لا حاجة لإخوتنا فيها ؛ ولكن حسدونا مكاننا من الملك ؛ وعوف بن عتّاب -

* لبني يربوع على المنذر بن ماء السماء . وطخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

معجم البلدان ص ٣٢ ج ٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، التفاضل ص ٤٤٨ ، ٩٢٤ ، ٢٨٥ ، ٦٦ ، الأغاني ص ١٧٦ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٦ ج ١

(١) يربوع : بطن في تميم ، وقيل : إن بني يربوع كانوا أكثر العرب إغارة على ملوك الحيرة ، فصالحوم على أن جعلوا لهم الرّدافة ، ويكفوا الفارة عن أهل العراق (٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباد وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الإمبراطور جستنيان ، ومن العساسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات هو صاحب يومي التميم والبؤس ، مات سنة ٥٦٣ م (٣) حاجب بن زُرارة بن عبد الله بن دارم التميمي ، أحد الذين أوفدم النعمان على كسرى ، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى ووفى برهنه ، وبها ضرب المثل ، وسارت الأشعار (٤) مجاشع : بطن في تميم .

على حدائثة سنه - أحرى بالردافة من الحارث بن بيبه ، ولن نفعل ولن ندعها . قال :
 فإن لم تدعوها فأذنوا بحرب ؛ قالوا : دعنا نسر عنك ثلاثاً ، ثم آذناً بحرب
 وسارت بنو يربوع ذاهبة عن الملك ، ومعها برجة من البراجم^(١) حتى نزلوا
 شعباً بطخفة ؛ ودخلوا فيه هم وعيالهم ؛ فجمعوا العيال في أعلاه ؛ والمال في أسفله ،
 وهو شعب حصين له مدخل كالباب ؛ ولما مضى ثلاث أرسل الملك قابوس ابنه وحسانا
 أخاه ، في جيش كثير من أفناء^(٢) الناس ، واحتبس عنده شهاب بن عبد قيس
 اليربوعي وحاجب بن زرارة ، فلما مضى للجيش ثلاث دعاها الملك - وكانت الملوك
 تعطى العرب على حسن ظنونهم ، والكلام الحسن تستقبل به الملوك - فقال لحاجب :
 يا حاجب ؛ قد سهرت الليلة فأرسلت إليك لتحديثي أنت وشهاب ، ثم قال له : ما ظنك
 بالجيش يا حاجب ؟ فقال حاجب : ظني أنك قد أرسلت جيشاً لا طاقة لبني يربوع به ،
 وسيأتونك بهم وبأموالهم ظافرين .

ثم التفت المنذر إلى شهاب وقال : وما ظنك أنت يا شهاب ؟ فقال : أرسلت جيشاً مختلف
 الأهواء - وإن كثروا - إلى قوم عند نسائهم وأموالهم ، يدؤم واحدة ، وهواهم واحد ،
 يقاتلون فيصدقون ، وظني أن سوف يظفرون بجيشك ، ويأسرون ابنك وأخاك ؛
 فقال حاجب : كذبت ؛ أنت قد أهترت^(٣) . فقال شهاب : أنت أكذب ،
 ثم تراهن هو وحاجب على مائة مائة من الإبل ، وكان لشهاب ربي^(٤) من الجن ،
 فقام مغضباً وأنى مضجعه ، وانتبه من الليل وهو يقول :

(١) البراجم : خمسة رجال من بني تميم اجتمعوا وقالوا نحن براجم الكف ، فقلب عليهم ، وهم
 قيس وعمرو وغالب وكلفة والظلم بنو حنظلة بن مالك (٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، والواحد
 فنو (٣) أهتر : خرف (٤) الرئي : الجنى في زعم العرب ؛

أنا بشير نفسيه نَفَرْتُ حاجباً مِيه^(١)

وردّها مراراً ، فسمعها الملك فقال لحاجب : ما يقول هذا ؟ قال : **بُهِجِر** ^(٢) ،
قال : لا والله ما أهجِر ، ولكن جيشك قد هُزِم ، وأسرَ ابنك وأخوك ، وآية ذلك
أن يُصَبِّحَك رَاكِبُ بَعِيرٍ ، جاعلاً أعلى رِجْلِهِ أسفله يُخْبِرُكَ بذلك .

أما جيشُ قابوس فإنه كان قد انطلق حتى أتى الشَّعبَ فدخل الجيش فيه ، حتى
إذا كانوا في مَصَافِهِ حملت عليهم بنو يَرْبُوع النَّمم ، وخرجت الفرسان من شِعَابِهِ ،
فقتلوا بالسلح النَّمَمَ فَدَعَرُهَا ذلك ، وحمل على الجيش فردُّوا وجوههم ، وأتبعتم خيل
بني يَرْبُوع تقتل وتطعن . ثم انهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارقُ بن دَيْسِقُ فرسَ
قابوس فعفره وأسره ، وأراد أن يجزَّ ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تُجزَّ نواصيها ،
فأرسله ؛ وأما حسانُ فأسرهُ عمرو بن جوين ، وهُزِمَ الجيش ، وأخذت الأنهاب .

ثم صَبَحَ الملك - تلك الغدَاة التي قال في ليثها شهاب ما قال - رجلٌ انهزم من
أول الجيش على بعير ، فأخبره ما قال شهاب له لم يَخْرِمَ منه شيئاً .

فدعا المنذرُ شهاباً فقال له : يا شهاب ؛ أدرك ابني وأخي ، فإن أدركتهما حيَّين فلبنى
يربوع حكمهم ، وأرُدُّ عليهم رِدائهم ، وأهدِرُ عنهم ما قتلوا ، وأهنتهم ما غنموا ،
وأحمل ^(٣) لهم من قتل منهم فأعطيهم بها أُلْفَى بعير .

فخرج شهاب فوجد الرجلين حيَّين ، فضمن لهم ما قال المنذر فرضوا ، وعادت
الرِّدَاةُ إلى ابن عتاب ، ولم تنزل لهم حتى مات المنذر .

(١) يريد أنه قد استحق المائة من الإبل التي تراها عليها (٢) أهجِر في منطقه : أتى بالقيح
من الكلام (٣) احتمل الدية .

وفي تلك الموقعة قال شريح بن حارث اليربوعي :

وكنت إذا ما بابُ ملكٍ قرعته قرعت بأباءِ أولي شرفٍ ضخمٍ
 بأبناء يربوعٍ وكان أبوهم إلى الشرف الأعلى بأبائه ينمي
 هم ملكوا أملاك آل مُحَرِّقٍ وزادوا أبا قابوسَ رغماً على رغمٍ
 وقادوا بكرهٍ من شهابٍ وحاجبٍ رعوسَ معدَّ بالأزيمة والخطم
 علا جدُّهم جدَّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الحكم
 وكنا إذا قوم رميننا صفاتهم تركنا صدوعاً بالصفاة التي نرعى
 وزعى حى الأقوام غير محرم علينا ولا يرعى حمانا الذي نحصى

وقال متمم بن نويرة :

ونحن عقرنا مُهرَ قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والخيل تلحِبُ (١)
 عليه دِلاصٌ (٢) ذات نُسجٍ وسيفه جُراز (٣) من الهندي (٤) أبيض مقضبٌ

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هرم بن رباح :

قسطننا يوم طخفةَ غير شكٍّ على قابوس إذ كرهَ الصباح
 لعمرُ أبيك والأبناء تنمي لنعم الحى في الجلى رباح
 أبوا دين الملوك فهم إلقاح (٥) إذا هيجوا إلى حربٍ أشاحوا
 فما قوم كقومي حين يملؤ شهاب الحرب تسعره الرماح

(١) تلحِبُ : تلتهب (٢) الدلاص : من الدروع : اللينة (٣) الجراز من السيوف :

الماضى النافذ (٤) فى القائض : الجنى ، والجنى : بالكسر والضم : من أجود الحديد

(٥) اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدها لقوح ولقحة .

فما قوم كقومي حين يُحشَى على الخلود المخدرة الفصاح
أدبٌ عن الحفائظ في معدٍ إذا ما جدَّ بالقوم النطاح^(١)
كانهم لو وقع البيض بزل^(٢) تفضُّ الطرف واردة قماح^(٣)
صبرنا نكسر الأسلات^(٤) فيهم فرحنا قاهرين لهم وراحوا
ورحنا تخفق الرايات فينا وأبنا والملوك لهم أحاح^(٥)

(١) المراد الحرب (٢) بزل البعير : انشق نابه فهو بازل ذكرأ كان أو أنتى وذلك في السنة التاسعة ، وريما في السنة الثامنة . والبزل أيضاً : العنز (٣) القامح من الإبل : الذى اشتد عطشه حتى قتر لذلك قوراً شديداً (٤) الأسلة : طرف السنان ، وأسلة النصل : مستدقه ، أو هى الرماح فقد جمع الفرزدق الأسل (الرماح) أسلات فقال :

قدمات فى أسلاتنا أو عضه غضب بروثقه الملوك تقتل

أى فى رماحنا (٥) فى صدره أحاح وأحيحة من الضغن والغيط .

(٢) يوم أوارَة الأول*

أخرجت تغلب سلمة بن الحارث^(١) من بينها بعد يوم السلاب الأول ، فالتجأ إلى بكر بن وائل ، ولحقت تغلب بالنذر بن ماء السماء ، فلما صار سلمة عند بكر أذعنت له وحشدت عليه ، وقالوا لا يملكنا غيرك ؛ فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسيرن إليهم ، فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قلّة جبل أوارَة . حتى يبلغ الدّم الحضيض .

وسار إليهم في جموعه ، فالتقوا بأوارَة ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، وانهمزت بكر ، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي ، فأمر المنذر به فقتل ، وقتل في المعركة بشر كثير .

وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة ، فأمر بهم فذبحوا على جبل أوارَة . فجعل الدم يجمد ؛ فقليل له : أيت اللعن ! لو ذبحت كل بكرى على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض^(٢) ، ولكن لو صببت عليه الماء ! ففعل فسال الدم إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يُجرّقن بالنار . وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر ، فكلمه في سني بكر بن وائل ، فأطلقن المنذر ؛ فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسي إلى المنذر في بكر :

ومناً الذي أعطاه بالجمع ربّه على فاقةٍ وللملوك هباتها

سبأيا بني شيبان يوم أوارَة على النار إذ تجلى به فتبانها

* للمنذر بن ماء السماء على بكر . وأوارَة : اسم جبل لبني تميم .

ابن الأثير ج ١ ص ٣٣٤ ، العرب قبل الإسلام لجورجى زيدان ص ٢٠٦

(١) هوسلمة بن الحارث بن عمرو ، وكان أبوه الحارث ملكاً من ملوك كندة ، ملك أربعين سنة ، ولما مات فرق بينه في قبائل معد ، فكان سلمة وهو أصغرهم على بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد ابن زيد مناة بن تميم (٢) الحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل : هو في أسفله .

(٣) يوم أواره الثاني *

— ١ —

كان عمرو بن المنذر^(١) قد عاهد طيئاً ألا ينازعوا ولا يفزوا ولا يفاخروا، ثم غزا عمرو اليمامة، فرجع منفضاً؛ فمرَّ بطيئاً، فقال له زُرارة بن عدس: أبيتَ اللعن، أصب من هذا الحى شيئاً. قال: وبلك! إن لهم عقداً. قال: وإن كنن؛ فإنك لم تكتب العقده لهم كلهم. فلم يزل به حتى أصاب نسوةً وأدواداً. فقال في ذلك قيس بن جرّوة الطائي:

ألا حتى قبلَ البينِ من أنتِ عاشقهُ ومن أنتِ مُشتاقٌ إليه وشاققهُ
ومن لا تُؤاني داره غيرَ فينةٍ^(٢) ومن أنتِ تبكي كلَّ يومٍ تُفارقهُ
وتعدُّو بصحراءِ الثويةِ^(٣) ناقتي كعدُّو النحوصِ قدأُختَ نواهقهُ^(٤)
إلى الملكِ الخيرِ ابنِ هندٍ تزوره وليس من الفوتِ الذي هوسابقهُ^(٥)
وإن نساءَ غيرِ ما قالَ قائلُ غنيمَةُ سَوءٍ بينهنَّ مهَارِقهُ^(٦)

* لعمرو بن هند على بني تميم. وأواره: اسم جبل لبني تميم.

معجم البلدان ص ٣٦٤ ج ١، ابن الأثير ص ٣٣٤ ج ١، النقاظ ص ٦٥٢، ١٠٨١، أمثال الميداني ص ٢٦٦ ج ١

(١) عمرو بن هند: هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، ويعرف باسم أمه هند بنت عمه امرئ القيس الشاعر، وكان شديد البأس وافر البطش عظيم الكبرياء، مات مقتولا بسيف عمرو ابن كلثوم سنة ٥٧٨ م (٢) أي لا تأتي داره إلا ساعة (٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة (٤) النحوص: الأتان الوحشية، وأخت: صار لها منح، والنواهيق: عظيان في الساق والمراد أنها صمينة (٥) أي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارقاً ويسبقه (٦) المهاريق: الصحائف، وهو حرير يسق صمغاً، ويصقل ثم يكتب فيه.

ولو نِيلَ فِي عَهْدِ لِنَا لِحْمِ أَرْنَبٍ رَدَدْنَا وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مَعَالِقُهُ (١)
 فَهَبَكَ ابْنَ هَنْدٍ لَمْ تُعْمَكَ مَلَامَةٌ وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا عَهْدُهُ وَمَوَاتِقُهُ
 وَكُنَّا أَنْاسًا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ الْمَلَا وَأَبَارِقُهُ (٢)
 فَأَقْسَمْتُ لَا أُحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَيْنَا رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ (٣)
 أَكَلْتُ خَمِيسٍ أَخْطَأُ الْغَنَمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَائِنًا فَهُوَ سَائِقُهُ (٤)
 فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِيَّ وَمَا خَبٌّ فِي بَطْحَاهِ مِنْ دَرَادِقِهِ (٥)
 لَنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ لِأَنْتَجِحِينَ الْعَظْمَ دُوْنَا عَارِقُهُ (٦)

فبلغ عمرو بن هند هذا الشعر ، فقال له زُرارة بن عدس : أبيت اللعن ! إنه
 ابتوعدك . فقال عمرو بن شعث الطائي : أيهجوني ابن عمك (٧) ويتوعدني ؟ قال :
 لا ، والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لو كان ابنُ جَفْنَةَ جارِكُم مَا أَنْ كَسَاكُمْ غُصَّةً وَهَوَانًا
 وَسِلَاسِلًا يَبْرُقُنْ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقِطَّعَ تَلْكُمُ الْأَقْرَانَ (٨)
 وَلَكِنْ عَادَتَهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا (٩) وَجِفَانًا

وإنما أراد أن تذهب سخيمته ، فقال : والله لأقتلنّه ؛ فبلغ ذلك عارفا فقال :

(١) معالقه : متعلق به (٢) التلع : جمع تلة ، وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض (من الأضداد) ، والأبارق : جمع أبرق وهي أرض مختلطة بحجارة ورمل (٣) صهوة كل شيء : أعلاه ، والشقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدها شقيقة (٤) دائنًا : مطيعًا ، والخميس : الجيش (٥) الدراديق : صغار الإبل ، ومني : موضع بمكة (٦) ذو بمعنى الذي وهي لغة طيء ، وعرق العظم : انتزع منه اللحم ، وسمي الشاعر عارقاً لهذا البيت (٧) هو ابن عم قيس بن جروة (٨) الأقران : الحبال (٩) يقال قيس رادع إذا كان مصبوغاً بالزعفران .

من مُبلِّغٍ^(١) عمرو بن هندٍ رسالةً إذا استحققتُها العيسُ تنفضي من البُعدِ^(١)
أيوعدني والرمل بيني وبينه تأملُ رويداً ما أمانة من هند
ومن أجأ حولى رعان^(٢) كأنها قنابلُ خيلٍ من كُميتٍ ومن ورْدٍ^(٢)
غدرت بأمرٍ كنت أنت دعوتنا إليه ، وبئس الشيمةُ الغدرُ بالمهدِ^(٣)
فبلغ عمرو شعره ، فغزا طيئراً ، وأسر من بني عدى^(٤) سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن
جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتمُ يومئذ بالحيرة ، فلما قدم جعلت المرأة تأتبه
بالصبي ، فتقول : يا حاتمُ أسيرُ أبو هذا ؛ فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى عمرو بن
هند - وكذلك كان يصنع - فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ؛ لأنه كان من رهط
عارقٍ ؛ فقال حاتم :

فككت عدياً كلها من إسارها فأنعم وشفّعني بقيس بن جحدر
أبوه أبي ، والأمهات أمهاتنا فأنعم فدنك اليوم نفسي ومعشري
فقال : هولك يا حاتم .

وقد كان المنذر بن ماء السماء - أبو عمرو بن هند - وضع ابناً^(٥) له يقال له مالك عند
زرارة بن عدس - وكان أصغر بني المنذر - فبلغ حتى صار رجلاً ؛ وإنه خرج ذات يوم
بتصيد ، فأخفق فرأى يابل لسويد بن ربيعة الدارمي - وهو زوج بنت زرارة قد ولدت
له سبعة غلمة ، فأمر مالك ببيكرة منها فحرقها ، ثم اشتوى ، وسويد نائم ،

(١) أى إذا حملتها الإبل هزلت لبعده السافة (٢) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل
والقنابل : الجماعات من الخيل ، وأجأ : جبل طيء (٣) بروى : كنت احتديتنا ، واحتدى من
الحدبو وهو السوق (٤) رهط/حاتم الطائي (٥) فى رواية : أخأ له .

فلما انتبه سُويِدَ شدَّ على مالكٍ بَعْصًا - ولم يعرفه فَأَمَّهُ (١) ومات؛ فخرج سُويِدُ هاربًا حتى لحق بمكة، وعلم أنه لا يَأْمَنُ، فحالف بني نوفل بن عبد مناف، واختطَّ بمكة (٢). ثم ملك عمرو بن هند - وعلم بذلك - ففزاهم، وكانت طيِّبٌ تطلب عَمَرَاتِ زُرَّارَةَ وبنى أبيه، حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك (٣)، فأنشأ عمرو بن مَلَقَطِ الطائِي يقول:

من مبلغُ عمراً بأن المرء لم يُخلَقْ صُبَّارَةً (٤)
 وحوادثُ الأيام لا يَبْقَى لها إلا الحجارة
 ها إنَّ عَجْرَةَ أُمِّهِ بالسَّفْحِ أسْفَلَ من أواره (٥)
 تَسْفِي الرِّيحُ خِلَالَ كَشِّ حَيْهِ وقد سَلَبُوا إزارَه
 فاقتُلْ زُرَّارَةَ إلا أرى في القوم أوتى من زُرَّارَةَ (٦)

فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعر بكى وفاضت عيناه؛ وبلغ زُرَّارَةَ الخبر، فهرب، وركب عمرو في طلبه، فلم يقدر عليه، فأخذ امرأته، وهي حُبْلَى - فقال: أذْ كَرْتِي بَطْنِكَ أم أُنْثَى؟ قالت: لا عِلْمَ لِي بِذَلِكَ، قال: ما فعل زُرَّارَةَ الغادرُ الفاجر؟ قالت: إن كان ما عمت لطيبُ العَرَقِ، سمين المَرَقِ، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يُضَافُ؛ فبقر بطنها وانصرف.

فقال قومُ زُرَّارَةَ له: والله ما أنت قتلت أخاه، فأنت الملكَ فاصدِّقه، فإن الصَّدْقَ يَنْفَعُ عنده؛ فأتاه زُرَّارَةَ فأخبره الخبر، فقال: فجئني بسويدٍ. قال: قد لحق بمكة. قال: فعكَّيَّ بِنْتِيهِ. فأَتَى بَيْنِيهِ السَّبْعَةَ من ابنة زُرَّارَةَ، وهم غِلْمَةٌ بعضهم فوق بعض،

(١) أمه: قصده (٢) اختط بمكة: استملك فيها (٣) سبق أن ذكر أنه ابنة

(٤) الصبارة: الحجارة اللس، كأنه يقول: ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا

(٥) أول ولد المرأة يقال له زكمة، والآخر عجرة (٦) الأبيات في لسان العرب مادة صبر.

فأمر بقتلهم، فتناولوا أحدهم وضربوا عنقه، فتملّق الآخرون بزُرارة، فقال زُرارة: يا بَعْضِي سَرِّحْ بَعْضاً^(١)، ثم قُتِلُوا، وآلَى عمرو بأليسة ليُحْرِقَنَّ من بني دارم^(٢) مائة رجل.

وخرج يريدهم، وبمَثَ على مُقَدِّمَتِهِ عمرو بن مَلِيقَط الطائي، فوجد القوم قد نَدَرُوا به، فأخذ ثمانية وتسمين منهم بأسفل أُوارة من ناحية البحرين. ولحقه عمرو ابن هند في الناس، حتى انتهى إلى أُوارة؛ فضرب به قُبَّتَهُ، وأمر لهم بأخْدُود، فخذُّ لهم، ثم أضرَم ناراً؛ فلما تَلَطَّتْ واحتدمت قذف بهم فيها فاحترقوا^(٣).

وأقبل راكب عند المساء من بني كُلفَةَ بن مالك بن حنظلة من البراجم^(٤)، لا يعلم بشيء مما كان، يُوضِعُ^(٥) بعيرَه، فأناخ، وأقبل يَعدُّو، فقال له عمرو: ما جاء بك؟ قال: حبُّ الطعام؛ قد أقيوت^(٦) ثلاثاً، لم أذُق طعاماً؛ فلما سطع الدخان ظننتُ أنه دخانُ طعام. فقال عمرو: ممن أنت؟ قال: من البراجم، فقال عمرو: إن الشقيِّ وافدُ البراجم^(٧)، وري به في النار^(٨).

(١) ذهب مثلاً (٢) دارم: بطن في تميم (٣) ومن هذا سمت العرب عمرو بن هند محرراً
(٤) البراجم: خمسة رجال من بني تميم: قيس وعمرو وغالب وكلفة وظليم بنو حنظلة بن مالك ابن زيد مناه بن تميم. اجتمعوا وقالوا: نحن كبراجم الكف فغلب عليهم، والبراجم: رءوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه برزت وارتفعت؛ الواحدة: برجة
(٥) أوضع المرء بعيره: إذا جملة يسرع في سيره (٦) أقوى الرجل: نفد طعامه
(٧) ذهبت مثلاً (٨) هجت العرب بذلك تيمياً فقال ابن الصعق:
بأية ما يحبون الطعام
ألا أبلغُ لَدَيْكَ بني تميم

وقال أبو مهوش الفقعسي:

إذا ما مات ميت من تميم
بجنز أو بلحم؛ أو بتمر
تراه ينقب الآفان حولا
فسرك أن يعيش فجيء بزاد
أو الشيء الملقف في البجاد
ليأكل رأس لفنان بن عاد

وأقام عمرو ولا يرى أحداً ، فقيل له : أبيت اللعن ! لو تحملتَ بامرأةٍ منهم ،
قد أحرقتَ تسمةً وتسعين ؛ فدعا بامرأةٍ من بني نهشل بن دارم ، فقال : من أنتِ ؟
قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر . قال : إني لأظنك أعجمية . قالت : ما أنا
بأعجمية ، ولا ولدني الأعاجم :

إني لبنتُ ضمرة بن جابرٍ ساد معداً كبيراً عن كبيرٍ
إني لأختُ ضمرة بن ضمرة إذا البلادُ لقتتُ بجمرة

قال : فن زوجك ؟ قالت : هوذة بن جروم . قال : وأين هو الآن ؟ أمتعرفين
مكانه ؟ قالت : هذه كلمةٌ أحق ، لو كنتُ أعرفُ مكانه حال بينك وبينى . قال :
وأى رجل هو ؟ قالت : هذه أحق من الأولى ! أعن هوذة يسأل ! قال عمرو :
أما والله لو لا مخافةُ أن تلدى مثلك لصرفتُ النارَ عنك ، قالت : والذى أسألهُ أن
يضع وسادك ، ويخفيض عمادك ، ويصغر حصاتك ، ويسلب بلادك ، ما قتلت إلا
نسيّاً^(١) أعلاها تُديث ، وأسفلها حلي . ووالله ما أدركت ثأراً ولا محوت عاراً ، وليس
من فعلت هذا به بما قل عنك .

قال : اقدفوا بها في النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتى مكان العجوز^(٢) ! فلما
أبطئوا عليها قالت : كأن الفتيان حمماً^(٣) ، وقد قدف بها في النار فاحترقت ،
فقال لقيط بن زُرارة يُعيرُ بني مالك بن حنظلة بإحراق عمرو بإهم :

أمن دمنة أقرت بالجناب إلى السفح بين الملا فلهضاب^(٤)
بكيت لعرفان آياتها وهاج لك الشوق نعبُ العراب

(٢) تصغير نسوة : نسية أو هي بالفتح وهو الذي لا يعد في القوم لأنه منسى (٢) في أمثال
الميداني : مكان عجوز ، فذهبت مثلاً (٣) يروى : هيات صارت الفتيان حمماً ، وقد ذهبت مثلاً
(٤) الجناب والملا والهضاب : مواضع .

فأبلغَ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مُعْلَمَةً^(١) وَسِرَاةَ الرَّبَابِ
فَإِنَّ امْرَأَةً أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْقُونَ قُبَّتَهُ بِالْقَبَابِ
يُهَيِّنُ سَرَائِكُمْ عَامِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
فَلَوْ كُنْتُمْ إِبْلًا أَمْلَحْتُمْ^(٢) لَقَدْ نَزَعَتْ لِلْيَاهِ الْبِذَابِ
وَلَكُنْتُمْ غَنَمٌ تُصْطَفَى وَيُتْرَكُ سَائِرُهَا لِلذُّنَابِ
لَعَمْرُ أَبِيكَ أَبِي الْخَيْرِ مَا أُرِدْتَ بِقَتْلِهِمْ مِنْ صَوَابِ
وَلَا نِعْمَةً إِنْ خَيْرَ الْمَوِ كِ أَفْضَلُهُمْ نِعْمَةً فِي الرَّقَابِ^(٣)

ولما ظهرت براءة زُرارة عند ابن النذر، وجن عليه الليل اجلوز^(٤)، فلحق بقومه، ثم لم يلبث أن مَرَضَ .

ولما حضرته الوفاة قال : يا حاجبُ ؛ إليك غَلِمَتِي فِي بَنِي نَهْشَلِ ، ويا عمرو بن عمرو ؛ إليك عمرو بن مَلْقَطِ الطَّائِي ؛ فإنه حَرَضَ عَلَيَّ الْمَلِكِ . فقال عمرو : لقد أسندتَ إِلَيَّ يَا عَمَّاهُ أَبَدَهَا شِقَّةً وَأَشَدَّهَا شَوْكَةً .

فلما مات زارته هَيباً عمرو بن عمرو في جمعٍ ، ثم غزا طَيْبًا^(٥) فأصاب الطَّرِيفَيْنِ طريف بن مالك ، وطريف بن عمرو ، وأفلته المَلَّاقِطُ ، فقال عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِةَ فِي ذَلِكَ :

وَنَحْنُ جَلْبِنًا مِنْ ضَرِيَّةِ خَيْلِنَا نَجْنِبُهَا حَدَّ الْإِكَامِ قَطَاً طَطَاً^(٦)
أَصْبَنَ الطَّرِيفِ وَالطَّرِيفِ بِنِ مَالِكِ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ أَصْبَنَ الْمَلَّاقِطَا
إِذَا عَلِمُوا مَا قَدَّمُوا النَّفُوسِيهِمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَإِنْ الشَّرْمَرُ أَرَاهِطَا

(١) المغلظة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد (٢) أملتحت : وردت ماء ملحاً (٣) ولما أراد بذلك بنى مالك بن حنظلة لأنهم كانوا يخدمون عمرو بن هند والملوك (٤) اجلوز : أسرع (٥) هذا هو يوم طيء ، راجع النقاظص ص ٤٥ (٦) في اللسان : تكلفها حد الإكام . قال أبو عمرو : أي تكلفها أن تقطع حد الإكام فتقطعها بجوارفها ، قال : ووحد القطاظط قطوط . وقال غيره : قطاظطاً : رعلا وجماعات في تفرقة .

(٤) يوم السلان *

كان بنو عامر بن صعصعة قوماً مُحَمَّسًا^(١) لِقَاحًا^(٢) ، فلما ملك النعمان^(٣) بن المنذر كان يجهز كل عام لطيمة^(٤) لتباع بُمَكاظ ، فتمرّض لها بنو عامر يوماً ؛ ففضب لذلك النعمان ، وبعث إلى وبرة الكلبى ، أخيه لأمه ، وبعث إلى صنائمه^(٥) وَوَصَائمه^(٦) ، وأرسل إلى بنى ضبّة بن أد وغيرهم من الرّباب وتميم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبى فى تسعة من بنيه كلهم فوارس ، ومعه حبش بن ذئف - وكان فارساً شجاعاً - واجتمعوا فى جيش عظيم ، وجهز النعمان معهم عيراً ، وأمرهم بتسييرها ، وقال لهم : إذا فرغتم من عُكاظ ، وانسلخت الأشهر الحُرُم^(٧) ، فاقصدوا بنى عامر ؛ فإنهم قريبٌ بِنَوَاحِي السِّلَان .

فخرجوا وكتّموا أمرهم ، وقالوا : خرجنا لثلاثا يمرض أحدٌ للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عُكاظ علمت قريش بمحالمهم ، فأرسل عبد الله^(٨) بن جدعان

* لبنى عامر على النعمان بن المنذر ، والسلان فى الأصل بطون من الأرض غامضة ذات شجر ، ثم سميت بها بعض المواطن .

ابن الأثير ص ٣٩١ ج ١ تاريخ العرب القدامى ص ٤٦ ، معجم البلدان ص ١٠٤ ج ٥

(١) المحس : المتشددون فى دينهم المتحمسون (٢) اللقاح : الذين لا يؤمنون للملوك

(٣) هو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، كان شهماً شجاعاً ميلاً إلى العمارة سرياً كريماً . قصده الشعراء من بلاد بعيده فبالغ فى إكرامهم ، وبلغت الحيرة فى عهده درجة عظيمة من الرقى . مات فى سجن كسرى لإبروز بخاقين (٤) اللطيمة : غير تحمل المسك (٥) الصنائع : جماعة كانوا ينتخبون من بنى ثعلبة خاصة - كالحرس لا يبرحون باب الملك (٦) الوضائع : ألف رجل من الفرس كانوا يستخدمون فى نصرة العرب ، ويستبدلون بثمنهم كل سنة (٧) الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب (٨) عبد الله بن جدعان التيمي ، كان من مشاهير الأجواد وكان يسمى بحامسى الذهب لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، وهو ابن عم عائشة زوج الرسول وأخباره فى الكرم كثيرة .

قاصداً إلى بني عامر يُعلمهم الخبر ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيبوا للحرب ، وتحرزوا ووضعوا العيون ، وجاءوا ، عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنّة ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد ابن عمرو بن خويلد ^(١) الصمق إلى وبرة الكلبى أختي النعمان ، فأعجبته هيئته ، فحمل عليه وأسرّه ، فلما صار في أيديهم همّ الجيش بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي ، وقام بأمر الناس ، فقاتل هو وبنوه قتالا شديداً ؛ فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه - وكان أبو براء رجلاً شديداً الساعد - فلما حمل على ضرار اقتتلا ؛ فسقط ضرار إلى الأرض ، وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : من سرّه بنوه ساءتة نفسه ^(٢) .

ثم جعل أبو براء يلجّ على ضرار طمعاً في فدائه ، وجعل بنوه يحمونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتنّ أو لأموتنّ دونك ، فأحلتني على رجل له فداء ، فأومأ ضرار إلى حبش بن دلف - وكان سيّداً - فحمل عليه أبو براء فأسرّه ، وكان حبش أسود نحيفاً دميماً ، فلما رآه كذلك ظنه عبداً ، وأن ضراراً خدعه ، فقال : إنا لله ، ألا في الشؤم وقمت ! فلما سمعها حبش منه خاف أن يقتله ، فقال : أيها الرجل ، إن كنت تريد اللبن ^(٣) فقد أصبتّه ، واقتدى نفسه بأربعمائة بعير . وهزم جيش النعمان ، ولما رجع الفل ^(٤) إليه أخبروه بأسر أخيه وقيام ضرار بأمر الناس ، وما جرى له مع أبي براء ، واقتدى وبرة الكلبى نفسه بألف بعير وفرس من يزيد بن الصمق فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال .

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد ، وخويلد يقال له الصمق ، قال ابن الكلبى : سمى بهذا الاسم ، لأنه عمل طعاماً لقومه بكاظ ، فجاءت روح بغبار فسيها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته
(٢) ذهبت مثلاً (٣) اللبن : الإبل (٤) الفل : القوم المنهزمون .

(٥) يوم خَزَاز*

كان من حديثه أن مَلِكًا من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَرٍّ وربيعة وقُضَاعَةَ ، فوفد عليه وفد من وجوه بني معدة ؛ ومنهم سدوس بن شيبان ، وعوف ابن محلم ، وعوف بن عمرو ، وجُثَم بن ذهل ، فاحتبس الملكُ عنده بعضَ الوفد رهينة ، وقال للباقيين : ائتوني برؤساء قومكم لآخذَ عليهم الموائيق بالطاعة لي ؛ وإلاَّ قتلْتُ أصحابكم .

فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فاجتمعت معدة على كليب وائل ، وسار بهم - وعلى مقدمته سلمة بن خالد المعروف بالسفاح التغلبي - وأمرهم أن يوقدوا على خَزَاز نارا ليَهْتَدُوا بها ، فبلغ مَدْحَجًا اجتماعَ ربيعة ومسيرها ، فأقبلوا بجمعهم ، واستنَفَرُوا مَنْ يليهم من قبائل اليمن ، وساروا إليهم ، فلما سمع أهلُ تهامة بمسيرِ مدحج انضموا إلى ربيعة ، ووصلت مدحج إلى خَزَاز ليلا ، وكان كليب قال لسلمة : إن غَشِيكَ العدوُّ فأوقد نارين ؛ فلما رأى جموعَ مدحج أو قد نارين ، فأقبل كليب بالجموع ، وصبح مدحجًا بخَزَاز ، واقتتلوا قتالًا شديدًا ، أكثروا فيه القتل ، وانهزمت مدحج .

* * *

هذه رواية ابن الأثير ، وفي معجم البلدان^(١) رواية أخرى هذا نصها :

اجتمعت مضر وربيعة على أن يجعلوا منهم ملكا يقضى بينهم ، فكلُّ أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ، ومن مضر ملك ، ثم أراد كل

* لعد على مدحج ، وخزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة ، وكان هذا اليوم من أعظم أيام العرب في الجاهلية ، وكانت معد لا تستنصف من اليمن ، ولم تزل لها قاهرة لها حتى كان هذا اليوم فاتصرت معد ، ولم تزل لها المنعة حتى جاء الإسلام .

ابن الأثير ص ٣١٠ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٤ ج ٣

(١) ص ٤٢٨ ج ٣

بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أنه يتخذوا ملكا من اليمن ، فطلبوا ذلك إلى بني آكل الرار من كندة ، فملك بنو عامر شراحيل بن الحارث من بني آكل الرار ، وملك بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملك وائل شرجيل بن الحارث ، وملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث ، وملك بقية قيس معديكرب بن الحارث ، وملك بنو أسد وكنانة حُجر بن الحارث ، أبا امرئ القيس ، فقتل بنو أسد حُجرًا ، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه ، وقتل بنو تميم محرقًا ، وقتل وائل شرجيل ، فكان حديث يوم الكلاب ، ولم يبق من بني آكل الرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمن ، وسار ليقتل نزارًا ، وبلغ ذلك نزارًا ، فاجتمع منهم بنو عامر بن صعصعة ، وبنو وائل ، تغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة وقدّم على مقدمته السفاح التغلبي ، وأمره أن يملو خزازًا ، فيوقد بها لهتدي الجيش بناره ، وقال : إن غشيك المدو فأوقد نارين .

وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وكلما مرّ بقبيلة استنفرها ، وهجمت مذحج على خزاز فرجع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة إليهم فصبّحهم ، والتقوا بخزاز ؛ فاقتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت جموع اليمن .



وفي ذلك اليوم قال السفاح التغلبي :

وليلت أوقد في خزازي ^(١) هديت كتابياً متحيرات
 ضللت من الشهاد وكن لولا سهاد القوم أحسب هاديات
 فكن مع الصباح على جذام ولخم بالسيوف مشهرات

(١) خزازي : لغة في خزاز .



وقال ابن الخائك :

كانت لنا بجزّ أزي وقمة عجب لما التقينا وحادي الموت يحديها
ملنا على وائل في وسط بلدتها وذو الفخار كليب العزّ يحميها
قد فوضوه وساروا تحت رايته سارت إليه معدّ من أقاصيها
وحير قومنا صارت مقاولها ومدحج العزّ صارت في تعانيتها

(٦) يوم حُجْر*

— ١ —

كان الحارث^(١) بن عمرو ملكاً على الحيرة ، ثم تفسدت القبائل من نزار ، فأتاه
أشرافهم فقالوا : إنا في دينك ، ونخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا
بنك ينزلون فينا ، فيكفون بعضنا عن بعض .

ففرق ولده في قبائل العرب ، فللك ابنه حُجْر على بنى أسد وغطفان ، وملك
ابنه شُرْحَيْبِل على بكر بأسرها وبنى حنظلة بن مالك ، والرَّباب . وملك ابنه
معد يكرب على بنى تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناه ، وطوائف من بنى دَارم
والصنَّاع^(٢) ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس ،

* لبني أسد على حجر . وحجر ملك من ملوك كندة .

الأغاني ص ٨١ ج ٩ ، ابن الأثير ص ٣٠٤ ج ١

(١) الحارث بن عمرو : أعظم ملوك كندة ، حكم الحيرة على عهد الملك قباذ ملك الفرس ، وعلا
صيته زماناً ، ولكنه لم يلبث أن ولى ملك الفرس كسرى أبو شروان ، فولى على الحيرة المنذر بن
ماء السباء ، فهرب الحارث وتبعه المنذر في عرب الحيرة ولكنه نجح وأقام بأرض كلب حتى مات
سنة ٥٤١ م ، وأخذ المنذر ثمانية وأربعين نفساً من بنى آكل المرار ، وقومه ، وفيهم عمرو ومالك
ابنا الحارث ، وأمر بضرب رقابهم في ديار بنى مرينا ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقونا العشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مر ملينا

الفصل : ما يغسل به الرأس

تظل الطير عاكفة عليهم وتنزع الحواجب والعيونا

(٢) الصنَّاع : قوم من شذاذ العرب ، يصبحون الملوك .

وكانت لِحجر علي بنى أسد إتاوة فى كل سنة مؤقّته ، وغبر^(١) على ذلك دهرآ ، ثم أرسل جابيه الذى كان يجيبهم ، فنعوه ذلك - وحجره يومئذ بهامة - وضربوا رُسله وضربوهم^(٢) ضرباً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فسار إليهم بجند من ربيعة ، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سراتهم ؛ وجعل يقتلهم بالمصا^(٣) ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم فى بلد أبدأ ، وحبس جماعة من أشرافهم .

ثم سارت إليه بنو أسد ثلاثاً ، ودخلوا إليه يستعطفونه ، وفيهم عبيد بن الأبرص فقام وقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتي :

يا عينُ فابكى ما بنى أسد فهم أهل الندامة
أهل القبابِ الحمرِ والنَّممِ المؤبِّلِ^(٤) والمدامة
وذوى الجيادِ الجردِ والَّأسلِ الثَّقَفَةِ المُقامه
حِلاَّ أيتَ اللعنِ حِلاَّ إنَّ فيما قلتَ أمه^(٥)
فى كلِّ وادٍ بين يثربَ فالقُصورِ إلى اليمامة
تطريبُ عانٍ أو صياحُ محرقٍ أو صوتُ هامه
ومنتمهم نجدًا فقد حلوا على وجلِ تهامة
برمتُ بنو أسدٍ كما برمتُ ببيضتها الحمامه
جملت لها عُودين من فشمٍ وآخر من ثمامه^(٦)

(١) غبر : لبث (٢) ضربه : أدماه (٣) لذلك سموا : عبيد العضا
(٤) المؤبِّل : المقتنى (٥) حلا : أى تحلل من يمينك ، والآمة العيب (٦) النشم : شجر
جبلى تتخذ منه النسبى ، والثامة : نبت بالبادية .

إِذَا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوَاً أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةَ
أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبْدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
ذَلُّوا لَسَوَاطِكِ مِثْلَهَا ذَلَّ الْأَشْيَقِرُّ ذُو الْحِزَامَةِ (١)

فَرَقَ لَهُمْ جُحْرٌ حِينَ سَمِعَ قَوْلَهُ ، وَأَرْسَلَ مَنْ يَرُدُّهُمْ .

ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد ، وكان يُقدِّمُ بعضُ ثَقَلِهِ (٢) أمامه ، ويُهَيِّئُ نَزْلَهُ ثم يجيئُ وقد هيَّئ له من ذلك ما يُعْجِبُهُ فينزل ، ويُقدِّمُ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَنَزَلَةِ الْآخَرَى ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ - وَقَدْ بَلَغَهُمْ مَوْتُ أَبِيهِ - طَمَعُوا فِيهِ ، فَلَمَّا أَظْهَرَهُمْ ، وَضُرِبَتْ قِيَابَهُ اجْتَمَعَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى نُوْفَلِ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ : يَا بَنِي أَسَدِ ؛ مَنْ يَتَلَقَى هَذَا الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقْتَطِعُهُ ؟ فَإِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ عَلَى الْفَتَاكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا لِذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرِكَ . فَخَرَجَ نُوْفَلٌ فِي حَيْلِهِ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الثَّقَلِ ، فَقَتَلَ مِنْ وَجْدٍ فِيهِ ، وَسَاقَ الثَّقَلَ ، وَأَصَابَ جَارِيَتَيْنِ قَيْمَتَيْنِ لِحَجْرٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ .

وَبَلَغَ حَجْرًا أَمْرَهُمْ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ . فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَاهِضُوهُ الْقِتَالَ ، وَلَمْ يَكْبِتُوا أَنْ هَزَمُوا أَصْحَابَ حَجْرٍ وَأَمْرُوهُ فَجَسُوهُ .

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِي قَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنْ كَهَنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ لِيَرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ : أَيُّ قَوْمٍ ! لَا تَعْمَلُوا بِقَتْلِ الرَّجُلِ حَتَّى أَرْجُرَ لَكُمْ ؛ وَانصَرَفَ عَنِ الْقَوْمِ لِيَنْظُرَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ .

(١) الْأَشْيَقِرُّ : تَصْغِيرُ الْأَشْقَرِ ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ مِنَ الدَّوَابِّ . وَالْحِزَامَةُ : حَلْقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَجْعَلُ فِي وَتَرَةِ أَنْفِ الْبَعِيرِ يَشُدُّ بِهَا (٢) الثَّقَلُ : مَتَاعُ الْمَسَافِرِ .

فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل (١) - وكان حُجر قتلَ أباه - وقال له : يا بني ؛ أَعنُديك خيرٌ فتشأَرُ بأبيك ، وتنالَ شرفَ الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ولم يزل بالغلام حتى حرَّبه (٢) ، ودفع إليه حديدَةً قد شحذها وقال : ادخلْ عليه مع قومك ، ثم اطعمنه في مَقْتله . فعمد الغلام إلى الحديدية فخبأها ، ثم دخل على حجر في قُبُته التي حُبس فيها . فلما رأى الغلام منه غفلة طعمنه طعمنةً أصابت مقتلاً .

ولما علم حجر أنه ميّت أوصى ودفع كتابه إلى رجل ، وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبرَ ولده - فإن بكى وجزع فالهُ عنه ، وأستقرهم واحداً واحداً ، حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرهم - فأيتهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحي وخيلِي وقُدُوري ووصيتي . وكان قد بينَ في وصيته من قتله ، وكيف كان خبره . ولم يلبث حُجر أن مات ، فوثب القوم على الغلام قاتله ، فقال الغلام : إنما ثارتُ بأبي ، فخلوا عنه . وأقبل كاهنهم المزدجر ، فقال : أي قوم ! قتلتموه ! مُلكَ شهر ، وذلَّ دهر . أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً .

— ٢ —

وانطلق الرجلُ بوصيةَ حجر إلى نافع ابنه ، وأخبره ؛ فأخذ التراب فوضمه على رأسه ، ثم استقرهم واحداً واحداً ، فكلمهم فعل ذلك . وكان حجرٌ في حياته قد طرد ابنه امرأ القيس ، وآلى الألقم معه أنفةً من قوله الشعر - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسيرُ في أحياء العرب ، ومعه

(١) بنو كاهل : بطن في بني أسد . (٢) حرَّبه : حرَّشه .

أَخْلَاطٌ مِنْ شَذَازِ طَيْبٍ وَكَلْبٍ وَبَكْرٍ ، فَإِذَا صَادَفَ غَدِيرًا أَوْ رَوْضَةً أَوْ مَوْضِعَ صَيْدٍ أَقَامَ فَذَبِحَ لِنَفْسِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَتَصِيدُ ، ثُمَّ عَادَ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَسَقَامَ ، وَغَنَمَهُمْ قِيَانَهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ مَا ذَلِكَ الْغَدِيرِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ مَعَ نَدِيمٍ لَهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَلَاعِبُهُ بِاللَّتْدِ ، فَقَالَ لَهُ : قُتِلَ حَجْرٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمْسَكَ نَدِيمُهُ ، فَقَالَ لَهُ امْرَأُ الْقَيْسِ : اضْرِبْ ، فَضْرَبَ حَتَّى إِذَا فَرَّخَ ، قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ لِأُفْسِدَ عَلَيْكَ دَسْتَكَ . ثُمَّ سَأَلَ الرَّسُولَ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ كَلَهُ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : ضَمِّعْنِي صَغِيرًا ، وَحَمَلْنِي دَمَهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَةَ الْيَوْمِ ، وَلَا سُكْرَ غَدَاً ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَاً أَمْرٌ .

ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا ، فَلَمَّا صَحَا آلَى أَلَا يَأْكُلُ لَحْمًا ، وَلَا يَشْرَبُ خَمْرًا ، وَلَا يَدُهْنُ بَدُهْنَ ، وَلَا يَصِيبُ امْرَأَةً ، وَلَا يَفْسِلُ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةِ ، حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرَهُ .

وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ لِبَرَقِ بَلِيلِ أَهْلٍ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلَلِ
بَقْتُلِ بَنِي أَسَدِ رَبِّهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلِ (١)
فَأَيْنَ رِبِيعَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ تَمِيمٌ وَأَيْنَ الْخَوْلِ
أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أَكَلِ

ثُمَّ ارْتَجَلَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرًا وَتَغَلَّبَ ، وَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو أَسَدٍ

(١) جلال : حقير ، وهو من الأضداد .

بما عَزَمَ عليه امرؤ القيس قدم عليه رجال منهم ، فيهم كهول وشبان ، وفيهم قبيصة ابن نعيم ، وكان في بني أسدٍ مقبياً ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردًا وصدرًا .
 ولا علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدّم بإكرامهم ، والإيفاض عليهم واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا من جسر من رجال كندة ، فقالوا : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجر من السلاح والعدّة . فقالوا : اللهم غفراً ، إنما قدّمنا في أمر تناسى به ذِكْرُ ما سلف ، ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا .
 فخرج عليهم في قباء وحُفٍّ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تَعْتَمُّ بالسوداء إلا في التّرات . فلما نظروا إليه قاموا له ، وبدَرَ إليه قبيصة وقال : « إنك في المحلِّ والقدرِ والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدّثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ؛ بحيث لا يحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تدكّرة مجرب . ولك من سوؤد منصبك وشرف أعرافك ، وكرم أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يَحْتَمَلُ ما يحمل عليه من إقالة العترة ورجوع عن الهفوة . ولا تتجاوز المهم إلى غاية إلا رجعت إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصّفح ، في الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمّت رزيبته زاراً واليمن . ولم تُخصّصْ به كندة دوننا ، للشرف البارع . كان لحجر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد ، وطيب الشيم ؛ ولو كان يُفدى هالكٌ بالأنفس الباقية بدمه ، لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ، ولقد ينأه منه ؛ ولكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أولاهُ على أخراه ، ولا يلحقُ أقصاهُ أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال : إما أن اخترت من بني أسدٍ أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء الكرمات صوتاً ، فقد نأه إليك بنسمة^(١)

(١) النسمة : سير مضمور يجعل زماماً للبعير .

تذهب مع شقرات حُسامِكِ قَصْرَتَه (١) ، فيقول : رجل أمتحن بِهَلِكِ عزيز ، فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداءً بما يروح من بني أسدٍ من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداءً رجعت به القُضْبُ إلى أجفانها ، لم يردده تسليط الإحن على البرءاء ؛ وإما أن توادعنا ، حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر ونمقد الحمر فوق الرأيات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال : « لقد علمت العرب أنه لا كُفءَ لِحجر في دم ، وإني لن أعتاض به جلا أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبة الأبد ، وفت المصد . وأما النظر (٢) فقد أوجبها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لِعَظِها سبباً ، وستعرفون طلائع كندة بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقا ، وفوق الأسته علقا (٣) :

إذا جالت الخليلُ في مَأزِقِ تصافحُ فيه المنايا النفوسا

أقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل تنصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلي الاختيار بكمروه وأذية ، و حرب و بليّة ، ثم نهضوا عنه ، و قبيسة يقول متمثلا :

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت كتائبنا في مَأزِقِ الموت تُمطرُ
فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فريداً ينكشفك دُجَاها عن قرسان كندة وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي ؛ إذ كنت نازلا بربعي ؛ ولكنك قلت فأجبت . فقال قبيسة : ما توقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذلك .

(١) القصة : العنق (٢) النظرة : الإمهال (٣) العلق : الدم .

وعزم امرؤ القيس على أخذ الثأر ، وسار يقصد بني أسد فنذروا به ، ولجئوا إلى بني كنانة^(١) ، فلما كان الليل قال علباء بن الحارث لبني أسد : والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فارحلوا بليل ولا تُعلموا بني كنانة . ففعلوا ؛ وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة - وهو يحسبهم بني أسد - ووضع السلاح فيهم وقال : يا ثارات الملك ! يا ثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت : أبيت اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدوناك ثأرك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس ، وتبع بني أسد ولكنهم فاتوه ليلتهم ، فقال فيهم :

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشَّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
 وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِنِي - أَيُّهُمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٢)
 وَأَفْلَتُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكَنَّه صَفِرُ الْوِطَابِ^(٣)

ثم أدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامون^(٤) على الماء ، فهدهد إليهم وقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم .

وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم

(١) كنانة وأسد ابنا خزيمية : أخوان (٢) جدّم : حظهم ، والأشقين : جمع أشقى ، أى وقى بني أسد حظهم ، لاذ وقع العقاب بكنانة بني أيهم (٣) علباء : قاتل حجر ، والضمير في أفلتن للخيال ، وجريضاً ، أى بعد جهد ، والمراد : أنهم لو أدركوا علباء لقتلوه فيكون جسده صفرأ من دمه كما يصفر الوطاب من اللبن (٤) جامون : مجتمعون .

وقالوا له : قد أصبَتْ ثأرك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبْتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسدٍ أحداً . فقالوا : بلى ؛ ولكنك رجل مشئوم ، وكرهوا قتال بني أسدٍ وانصرفوا عنه .

ومضى لوجهه هارباً حتى لحق باليمن ، واستنصر أزدَ سُنُوَةَ ، فأبوا أن ينصروه ، وقالوا : إخواننا وجيراننا . فاستنصر مرثد الخير بن ذى جَدَنَ الحُمَيْرِي - وكانت بينهما قرابة - فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير . ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهما ، وقام بالملك بعده رجل يُقال له قرَمَل بن الحميم ، فأنفذ له الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر غيرهم ، وسار إلى بني أسد .

ومرّ في طريقه بتبالة^(١) ، وبها صنم^(٢) تعظمه العرب ، فاستقسم^(٣) عنده بقِدَاحه ، وهي الأمر والنهي والتريص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وسبه وقال له : لو أبوك قتل ما عُقَّتني ، ثم خرج فظفر بيني أسد .

وعلم بمكانه المنذرُ بن ماء السماء ملك الحيرة ، فوجه الجيش في طلبه ، فتفرقت عنه عُصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل الرار ، حتى نزل بالحرث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة ، ومعه أدرأعه الخمسة :

الففاضة ، والضاوية ، والمحصنة ، والخربق ، وأم الديبول ؛ كُنَّ ابني مرار

(١) تبالة : موضع بين مكة واليمن (٢) اسمه ذو الخلصة : قالوا إنه كان صهوة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج ، وكان سدتها من بني أمية من باهلة ، وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ويقال : إنه ما استقسم عند ذى الخلصة بعد امرئ القيس بقدر حتى جاء الإسلام ، وهدمه جرير من عبد الله الجبلي (٣) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء .

يَتَوَارَثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ ، فَقَلَمًا لَيْثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ النَّذِيرَ مِائَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ بَنِي آكَلَ الْمَرَارَ فَأَسْلَمَهُمْ ، وَنَجَا امْرَأُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ^(١) وَبَنْتُهُ هِنْدُ ، وَالْأُدْرَعُ وَالسَّلَاحُ ، وَمَالٌ كَانَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، وَمَضَى إِلَى أَرْضِ طَيْيٍّ ، وَنَزَلَ عِنْدَ الْمُعَلَّى بْنِ تَيْمٍ^(٢) ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَاتَّخَذَ إِبْلَا ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثم خرج فنزل بعامر بن جوين ، واتخذ عنده إبلا ، ثم هم عامر أن يغلب امرأة القيس على ماله وأهله ، ففطن امرؤ القيس لما أراد ، وخاف منه ، وانتقل إلى رجل من بني ثعل^(٣) ، واستجار به ، فوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَامِرِ وَبَنِي ثَعْلٍ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَارِ حَتَّى يَرَى ذَاتَ عَيْبِهِ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ الْفَزَارِيُّ : يَا بَنَ حُجْرٍ ؛ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلِّ مِنْ قَوْمِكَ ، وَأَنَا أَنفَسُ^(٥) بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، وَقَدْ كِدْتُ بِالْأَمْسِ تَوَكَّلُ فِي دَارِ طَيْيٍّ ، وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ أَهْلُ بَرٍّ لَا أَهْلُ حُصُونٍ تَمْتَعُهُمْ ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ ذُؤْبَانٌ مِنْ قَيْسٍ ، أَفَلَا أَدَلَّكَ عَلَى بَلَدٍ ! فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ ، وَجِئْتُ النِّعْمَانَ ، فَلَمْ أَرِ لَضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمُجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ .

فقال: من هو؟ وأين منزله؟ فقال: السمومل بتيماء، وسوف أضرب لك مثله؛ هو يمنع ضمفك حتى ترى ذات عيبك، وهو في حصن حصين، وحسب كبير.

(١) ابن عمه (٢) مدحه امرؤ القيس فقال :

كأنني إذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام

شمام : اسم جبل

فما ملك العراق على المعلى بمقتدر ولا ملك الشام

أقرحشى امرؤ القيس بن حجر بنو تيم مصايح الظلام

(٣) ثعل : من طيي اشتهروا بالرماية (٤) يريد ينظر في أمره ويصلح من شأنه

(٥) أنفس : أضن .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ فقال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه ؛
 فصاحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضُبُع الفزاريّ ممن يأتي السموءل فيجمله
 ويعطيه ؛ فلما صار إليه قال له الفزاريّ : إن السموءل يعجبه الشعر ، فتعال تتناشدُ
 له أشعاراً ؛ ثم مضوا حتى قدموا على السموءل ، وأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛
 وأنزل المرأة في قُبّة آدم ، وأنزل القوم في مجلس خاصّ ، فكان عنده ما شاء الله .
 ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر النسائي بالشأم ، ليوصله
 إلى قيصر ، فاستنجد له رجلا ، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال ، وأقام معها
 يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه ، ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقبله وأكرمه ،
 وكانت له عنده منزلة .

ثم اندسّ زجل من بني أسد - يقال له الطمّاح - وكان امرؤ القيس قد قتل
 أخاه من بني أسدٍ ، حتى أتى بلاد الروم ، فأقام مُستخفياً - وبعد مدّة ضمّ
 قيصرُ إليه جيشاً كثيراً ، وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصل قال الطمّاح
 لقيصر : إن امرأ القيس غويّ عاهر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه
 كان يرأسل ابنتك ويواصلها ، وأنه يقول فيها أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها
 ويفضحك .

فبعث إليه بحلّة وثي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : إني أرسلت إليك
 بحلتي التي كنت ألبسها تكرمه لك ، فإذا وصلت إليك فألبسها باليمن والبركة ،
 واكتب إلى بنخبرك من منزل منزل .

فلما وصلت إليه ، لبسها واشتدّ سروره بها ؛ فأسرع إليه السمّ وسقط جلده ،
 ففطن لما أريد به وقال :

لقد طمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلَيْسِنِي. مِمَّا يَلْبَسُ أَبُو سَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنِهَا نَفْسٌ تَسَاقِطُ أَنْفُسًا
وَمَا صَارَ إِلَى أَنْقَرَةَ اخْتَضِرَ بِهَا ، وَرَأَى قَبْرَ امْرَأَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَاتَ هُنَاكَ ،
فَدُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَسِيبُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأَخْبَرَ بِقِصَّتِهَا ، فَقَالَ :
أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

(٧) يوم الكلاب الثاني *

لما أوقع كسرى بيني تميم يوم الصَّفقة^(١) أداروا أمرهم، وقال ذُوو الجِحَى منهم: إنكم قد أغضبتُم الملك ، وقد أوقع بِكُمْ حتى وَهنتم ، وتسامعت بما لقيتم القبائل ، فلا تأمنون دَوران العرب .

ثم اجتمعوا إلى سبعة منهم وشاوروهم في أمرهم: أ كثم بن صيفي الأسدي ، والأعimer بن يزيد المازني، وقيس بن عاصم المنقري ، وأبيير بن عصمة التيمي، والنعمان ابن الحسحاس التيمي ، وأبيين بن عمرو السعدي ، والزرِّقان بن بدر السعدي ؛ وقالوا لهم : ماذا ترون ؟ فقال أ كثم : « إن الناس قد بلغهم ما قد لقينا ، ونحن نخافُ أن يطعموا فينا » . ثم مسح بيده على قلبه وقال : « إني قد نيّفتُ على التسمين ، وإنما قلبي بَضعة^(٢) من جِسمي ، وقد نحلَّ كما نحلَّ جِسمي ، وإني أخافُ ألا يدركَ ذهني الرأيَ لكم ، وأنتم قومٌ قد شاعَ في الناس أمرُكم ، وإنما كان قوامكم أسيفاً وعَسيفاً^(٣) ، وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم . فليعرض على كلِّ رجلٍ منكم رأيه وما يحضره ، فإني متى أسمع الحزم أعرفه » .

فقال كلُّ رجلٍ منهم ما رأى ، وأ كثمُ ساكتٌ لا يتكلم ، حتى قام النعمان ابن الحسحاس فقال : « يا قوم ؛ انظروا ماءً يجمُّمكم ، ولا يعلمُ الناسُ بأيِّ ماءٍ أنتم

(*) تميم على مذبح ، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

المقد العريد ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٩ ج ١ ، النفاض ص ١٣٧ ج ١
(طبع مصر) ، خزانة الأدب ص ٣٧٠ ج ١ ، ص ١٧٠ ج ٢ ، شواجر العرب ص ٩٥
شراء النصرانية ص ٧٥ ج ١ ، الأغاني ص ٧٢ ج ١٥ ، مهذب الأغاني ص ٥٠ ج ١ ،
ذيل الآمال صفحة ١٣٢

(١) سبق يوم الصفقة ص ٢ (٢) البضة في الأصل : القطعة من اللحم (وتكسر)

(٣) الأسيف : العبد ، والعسيف : الأجير .

حتى يقوى ظهرُكم ، ويشتدُّ أزرُكم ، وقد حممتم^(١) وصُكحت أحوالكم ، وانجبرَ كسيرُكم ، وقوى ضعيفُكم ، ولا أعلم ماءً يجمعكم إلا قِدة^(٢) .

فلما سمع أكرم بن صبيح كلام النعمان قال : هذا هو الرأي . وارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، ونزلت الرباب^(٣) وسعد بأعلى الوادي ، ونزلت حنظلة بأسفله^(٤) .

وكانوا لا يخافون أن يُغزوا في القيظ ، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع تلك الصحارى لُبُد مسافتها ، وشدّة حرّها ، وأقاموا بقية القيظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تهور^(٥) القيظ ، مرّ بهم رجل من أهل مدينة هجر ، فرأى ما عندهم من النعم ، فانطلق إلى مذحج وقال : هل لكم في جارية عذراء ، ومهرة شوهاء^(٦) ، وبكرة^(٧) حراء ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تِلْكُمْ تميم ألقاء^(٨) مطروحوون بقِدة . فقالوا : إيا والله !

ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتَنِموها من بني تميم ، وبمثوا الرّسل في قبائل اليمن وأحلافها من قُضاعة ، واستشاروا كاهنهم المأمور^(٩) الحارثي ، فأشار عليهم بالكف .

ولكنهم عَصَوْه . وخرجوا لغزوت تميم ، وجعلوا عليهم أربعة رؤساء كلٌّ منهم اسمه يزيد : يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحرّم ، ويزيد بن اليكسُم ،

(١) التحميم : المتعة ، وفي اللسان كان مسلمة بن عبد الملك عربياً ، وكان يقول في خطبته : إن أقل الناس في الدنيا هم أقلهم حمأ ، أي مالا ومتاعاً ، وهو من التحميم : المتعة (٢) ماء بالكلاب (٣) الرباب : للنسايين أقوال كثيرة في تفسير الرباب ، ويقول صاحب القاموس : لانهم أحياء ضية ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (٤) سعد وحنظلة : من تميم (٥) تهور : ذهب (٦) المهرة : الفرس ، والشوهاء من الحيل : الطويلة الرائحة (٧) البكرة : الفتية (٨) ألقاء : جمع لقي ، وهو ما طرح على الأرض (٩) جمع بين القروسية والكهانة ، وكانت مذحج في أمره تتقدم وتتأخر .

ويزيد بن هوير ، ومعه عبد يفيث بن صلّاء الحارثي ، وكان مع كل واحد منهم ألفان ، فاجتمع لهم ثمانية آلاف (١) .

ولما بلغ تيمّا أن مذحجاً وأحلافهم عازمون على غزوهم فزِعوا إلى أكنم بن صيفي - وله يومئذ مائة وتسعون سنة - فقالوا له : حقق لنا هذا الأمر ، فإننا قد رضيناك رئيساً . فقال لهم : « لا حاجة لي في الرياسة ، ولكنني أشير عليكم : لتنزل حنظلة بالدّهناء ، وتنزل سعد والربّاب بالكلاب ، فأى الطريقين أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه . ثم قال لهم : « احفظوا وصيتي ؛ أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصباح من الفشل ، والمرء يمجز لا محالة ؛ يا قوم تثبتوا فإن أكرم الفريقين الرّكين (٢) ، وربّ عجلة تهب ريثاً ، واتزروا للحرب ، وادّرعوا اللّيل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عزّ أخوك فهنّ ، البسوا جلود النّمور ، والثبات أفضل من القوّة ، وأهنا الظفر كثرة الأمرى ، وخيرُ الفئيمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ؛ فإن الموت من ورائكم ، وحُبّ الحياة لدى الحرب زلل ، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن جساس »
فقبلوا مشورته ، ونزلت حنظلة الدّهناء وسعد والربّاب الكلاب .

ولما وردت مذحج وأحلافها رآهم رجلٌ كان يرعى الإبل ، فذهب إلى سعد وأنذّرهم ، فجاء وإذا مذحج قد انتهت النعم وراجزهم يقول :

في كل عام نعم ننأبه . على الكلاب غيب أصحابه

فسمعه غلامٌ من سعد فأجابه :

(١) قالوا : إنه لا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذى قار ومن يوم شعب جيلة (٢) الركين : الرزين .

في كل عام نَمَمٌ بِحَوُونِهِ^(١) يَلْفَحُهُ قَوْمٌ وَيَنْتَجُونَهُ^(٢)
 أَرَبَابَهُ نَوَاكِي فَلَاحِيْمُونَهُ^(٣) وَلَا يَلْقَوْنَ طَعْمَانًا دُونَهُ
 أَنْعَمَ الْأَنْبَاءُ^(٤) تَحْسَبُونَهُ هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لِمَا تَرَجُّونَهُ

ولما اقترب جَمَعُهُمَا قال ضمرة بن لبيد الحماسي لقومه من مَدْحَج : « انظروا ،
 إِنَّكُمْ سَتَسْتَأْقُونَ النَّعَمَ ، فَإِنَّ أُمَّتَ الْخَيْلِ عَصَبًا عَصَبًا ، وَتَبَّتِ الْأُولَى لِلْآخِرَى حَتَّى
 تَلْحَقَ بِهَا فَإِنَّ أُمَّرَ الْقَوْمِ هَيْهَاتَ ، وَإِنْ لَحِقَ بِكُمْ الْقَوْمُ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَيْكُمْ حَتَّى يَرُدُّوا
 النَّعَمَ ، وَلَا يَنْتَظِرُ بَعْضُهُمْ بِمَعْضًا فَإِنَّ أُمَّرَ الْقَوْمِ شَدِيدٌ . »

وتقدمت سعد والرباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، ولم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا
 النَّعَمَ من قبل وجوهه ، وأخذوا يصرفونه بأرماحهم ، واقتتلوا قتالا شديداً يومهم ،
 حتى إذا كان آخر النهار قُتِلَ النعمان بن جساس^(٥) ، ووطن أهل اليمن أن بني تميم

(١) « في كل عام نعم تحوونه » استشهد به صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نعم)
 ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، واستشهد به سيبويه على أن جملة تحوونه صفة لنعم ،
 واستشهد به صاحب الكشف على جواز تدكير الأتعام (٢) يقال : أَلْفَحَ الفحل الناقة إذا
 أجلبها ، وتنتج الناقة أهلها إذا استولدها . وهو يريد : يحملون الفحولة على النوق فإذا حملت
 أغرم أتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندهم (٣) نوكي : جمع أبوك وهو الأحمق الضعيف
 التديير والعمل (٤) الأبناء كل بني سعد بن مزيد إلا بني كعب بن سعد (٥) رماه رجل من
 أهل اليمن ، كانت أمه من بني حنظلة ، فقال حين رى : خذها وأنا ابن الحنظلية ، فقال النعمان :
 شككتك أمك ! رب حنظلية قد غاظني (فذهبت مثلاً) .

وفي قتل النعمان قالت صفية بنت الحرع (ولعلها زوجة) :

قد غاب عنه فلم تشهد فوارسه ولم يكونوا غداة الروع يحذونه

يقال : أشهد إذا قتل ، ويحذونه : يحذون حذوه فيموتون مثله

نطاقه همدواني وجنته فضاضة كأضاعة التهي موضوته

النطاق : منطقة السيف ، والحنة الفضاضة : الدرع السابعة ، والأضاعة والهي : الغدير ، وتشبهه

بهما الدرع في الصفاء ، والموضونة : الدرع المنسوجة المتقاربة الحلقات

فقد قتلنا شفاء النفس لو قعت وما قتلنا به إلا امرأ دونه

تريد بذلك قتل عبد يفيوث سيد بني الحارث — من شواعر العرب ص ٩٥

سيهزمهم قتلُ النعمان ، ولكن ذلك لم يذهبهم إلا جِزاة عليهم ، وما زالوا على قِتالهم حتى حجزَ بينهم الليلُ ، وبات يحرس بعضهم بعضاً .

ولما أَصْبَحُوا تولى قيس بن عاصم النِقْرِي إمْرَةً بنى تميم ، وحملوا على أهل اليمن حَمَلَةً صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم منهم وَعَلَةُ بن عبد الله الجرهمي صاحب اللواء ، ثم تابعت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادى : يَا تَمِيم ! لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرَجَالَةَ ^(١) لكم ، ثم يقول :

لما تولوا عصباً شوازيباً ^(٢) أقسمت لا أظنُّ إلا راكباً

إني وجدت الطعنَ فيهم صائباً

وما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون ^(٣) حتى أُسر عبد يفيوث ^(٤) بن صَلَاة سيدُ بني الحارث ، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس ، وانطلق به إلى أهله ، وكان العَبْشَمِيُّ أَهْوجَ ، فقالت له أمُّه - ورأت عبد يفيوث عظيماً جميلاً - من أنت ؟ قال : أنا سيدُ القوم ، فضحكت وقالت : قَبَّحَكَ اللهُ من سيد قومٍ حين أُسرك هذا الأهُوجَ ^(٥) !

ثم قال لها : أيتها الحرّة ؛ هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أُعْطِيَ ابنك مائة من الإبل ، وينطلق بي إلى الأهم ^(٦) ، فإني أخاف أن تنزعني سعد والرباب منه ،

(١) جمع راجل ، وهو ما ليس له ظهر يركبه (٢) شوازب : ضواصر (٣) قالوا : كان قيس إذا أخذ أسيراً سأله : ممن أنت ؟ فيقول : من بني رعبيل (وم أنذال) يريدون بذلك رخص الفداء ، فجعل إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول : أمسك حتى أصطادك رعبلة أخرى (فذهبت مثلاً) (٤) كان عبد يفيوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب (٥) ولهذا قال :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانياً

(٦) هو عمرو بن سنان والأهم لقبه ، كان من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام .

ثم ضمّن لها مائة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث (١) فوجّهوا بها إليه ، وقبضها العَبْشِيُّ وانطلق به إلى الأهم ، وأنشأ عبد يعقوب يقول :

أَهْمٌ يَأْخِرُ الْبَرِيَّةَ وَالذَّاءَ وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا الْمَسَاعِيَا
تَدَارَكَ أَسِيرًا عَانِيًا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَفَنَّيَ التَّيْمَ الْقَيِّ الدَّوَاهِيَا
فَشِيتَ سَمِيدَ الرَّبَابِ فِيهِ ، فَقَالَتِ الرَّبَابُ : يَا بَنِي سَعْدِ ؛ قُتِلَ فَارِسُنَا ، وَلَمْ يَقْتُلْ
لَكُمْ فَارِسَ مَذْكَورَ ، فَدَفَعَهُ الْأَهْمُ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَهُ عَصْمَةُ بْنُ أَبِي التَّيْمِيِّ ، وَانْطَلَقَ
بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ يَعْقُوبَ : يَا بَنِي تَيْمِ ؛ اقْتُلُونِي قِتْلَةَ كَرِيمَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عَصْمَةُ :
وَمَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ ؟ فَقَالَ : الْهَقُونِي خَيْرًا ، وَدَعُونِي أَنْحُ عَلَى نَفْسِي ، فَقَالَ عَصْمَةُ : نَعَمْ ،
وَسَقَاهُ الْخَمْرَ ، ثُمَّ قَطَعَ لَهُ عِرْفًا يُقَالُ لَهُ الْأَكْحَلُ ، وَتَرَكَ يَنْزِفَ ، وَمَضَى عَنْهُ عَصْمَةُ
وَتَرَكَ مَعَهُ ابْنَيْنِ : فَقَالَا لَهُ : جَمَعْتَ أَهْلَ الْيَمِينِ ، وَجِئْتَ تَصْطَلِمُنَا ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ
صَنَعَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ يَعْقُوبَ :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفِي اللَّوْمِ مَا يَأْتِي فَيَا لِكَمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا يَلِيَا (٢)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا (٣)
فَيَارَا كَبَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ الْأَثَلَايَا (٤)
أَبَا كَرْبٍ • وَالْأَيُّهَمَيْنِ كَلِيمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتِ (٥) الْيَمَانِيَا

(١) يريد بنى الحارث قوله (٢) الخطاب لاثنتين حقيقة ، واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل مؤخر ، أى كفى ما أنا فيه فلا تحتاجان إلى لومى مع ما تريان من إسارى وجهدى
(٣) الشمال : الخلق ، وهو يأتى جمعاً ومفرداً ، وهنا جمع (٤) الراكب : راكب الإبل ، ولا تسمى العرب راكباً على الإطلاق إلا الراكب البعير والنساقة . وعرضت أى أتيت العروض وهى مكة والمدينة . والندابى : جمع ندمان ، وهو المشارب . ونجران مدينة بالحجاز
(٥) أبو كرب . والأيهمان : الأسود بن علقمة وعبد المسيح بن الأبيض وقيس بن معدى كرب هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكروهم عند موته وحن إليهم . يروى أن قيساً لما بلغه هذا البيت قال : « ليك وإن كنت قد أخرجتني » .

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً صريحهم^(١) والآخريين المواليا^(٢)
لو شئت نجتني من الخيل نهدة^(٣) ترى خلفها الحو الجياد^(٤) تواليا
ولكنني أحمى ذمار أيسكم^(٥) وكان الرماح يختطفن الحاميا
أقول وقد شدوا لساني بنسفة^(٦) : أممشر تيمم أطلقوا لي لسانيا
أممشر تيمم قدملكم فأسججوا^(٧) : فإن أحاكم لم يكن منى بواييا
فإن تقتلوني تقتلوا بي سيديا وإن تطلقوني تحربوني^(٨) بماليا
أحقاً عباد الله أن لست سامعاً نشيد الرعاء^(٩) العزيرين المتأليا
وتضحك مني شيخه عبشمية^(١٠) كأن لم ترى قبي أسيراً^(١١) يمانيا
وظل نساء الحى حولي ركدًا يرؤدن منى ما تريد نسائيا
وقد علمت عرسي مليكة أنى أنا الليث معدياً عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعملال مطى وأمضى حيث لا حى ماضيا

- (١) الصريح : الخالص ، والمواليا : الحلفاء المنضمين إليهم ، والكلاب : اسم موضع الوقعة
(٢) النهدة : المرتفعة ، والحو من الخيل : التى تضرب إلى خضرة ، وهى أصبر الخيل . وتواليا :
جمع تالية ، أى تابعة ؛ والمعنى : إن فرسى لحقتها تسبق الحو ؛ فهى تتلو فرسى (٣) الذمار :
ما يجب على الرجل حفظه (٤) النسفة : سير منسوج ، وفى شرح هذا البيت قولان : الأول
أن هذا مثل وذهب إليه التالى وابن الأبارى ؛ لأن اللسان لا يشد بنسفة ، وإنما أراد : افعلوا بى
خيراً لينطلق لساني بشركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلساني مشدود ، لا أقدر على مدحكم ، والشانى
أنهم شدوه بنسفة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين والأصفهاني فى الأغاني ؛ قيل إنهم
ربطوه بنسفة مخافة أن يهجوم ، وكانوا سمعوه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لساني أذم أصحابي
وأنوح على نفسى ، فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجوننا ، فاهداهم ألا يهجوم ، فأطلقوا له عن
لسانه (٥) أسججوا : سهلوا ويسروا ، والبواء : السواء ؛ أى لم يكن أخوكم نظيراً لى
فأكون بواء له ، ويريد به النعمان (٦) تحربوني : تسلبوني وتغلبوني (٧) الرعاء :
جمع راع ، والمعرب : المنحى بإبله ، والمتالى : التى تتج بعضها وتبقى بعض ؛ جمع متلية
(٨) قوله : كأن لم ترى ، رجوع إلى من الإخبار إلى الخطاب ، وكان محففة واسمها مضمر فيها
وروى فى ذيل الأمالى : لم ترن بالنون ، وارجع إلى ذيل الأمالى والمعنى فى مبحث (لم) .

وَأَحْمَرُ لِلشَّرْبِ لِلكِرَامِ مَطِيبِي وَأَصْدَعُ بَيْنَ التَّمِينَتَيْنِ (١) رِدَائِمَا
 وَكُنْتُ إِذَا مَا الحَيْلُ شَمَصَهَا القَنَا لِبِقَاً بِتَصْرِيفِ القِنَاءِ (٢) بَنَانِيَا
 وَعَادِيَةِ سَوَمَ الجِرَادِ وَزَعَمَهَا بِكْفَى وَقَدْ أَمْحُوا إِلَى العَوَالِيَا (٣)
 كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقْلَ لِحْلِي كُرْمِي نَفْسِي (٤) عَنِ رِجَالِيَا
 وَلَمْ أُسْبَأِ الزُّقَّ الرُّوِيَّ وَلَمْ أَقْلَ لِأَيْسَارِ صَدَقِ اعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا (٥)
 وَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدُ يَفُوثَ أَنْ مَاتَ (٦).

- (١) القرب : جمع : شارب ، وأصدع : أشق ، والقينة : الأمة مغنية كانت - كما هنا - أم لا
 (٢) شمسها : نخسها لتتحرك ، ويروي شمسها بالسين ، والليق من الباقية .
 (٣) العادية : القوم يعدون من العدو وهو الركض ، وسوم الجراد أي كسومه وهو انتشاره .
 وزعتها : كفتها ، والوازع : الكاف والمائع ، وأمحو الرماح : أمالوها وقصدوا بها من النحو
 وهو القصد ، والعالية من الرمح : أعلاه (٤) نفسى : وسعى (٥) السباء : اشتراء
 الخمر للشرب لا للبيع ، والأيسار : الذين يضربون الفداح : جمع ياسر (٦) قال الجاحظ في
 البيان والتبيين : ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يَفُوثَ ؛ فإن قسنا جودة أشعارهما
 في وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية .

(٨) يوم فيف الرياح*

كانت بنو عامر^(١) تطلبُ بنى الحارث بن كعب بأوثانٍ كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثي - وكان يفزو بمن تبعه من قبائل مذحج - وأقبل في بنى الحارث وجعفي ، وزبيد ، وقبائل سعد المشيرة ، وصادٍ وصداءٍ ونهدٍ ، واستمانوا بقبائل خشم^(٢)؛ فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مُدرك ، وأقبلوا يريدون بنى عامر ، وهم مُنتحجون مكاناً يقال له «فيفُ الرياح» ، ومع مذحج النساء والذاري ، حتى لا يفروا ؛ إما ظفروا وإما ماتوا جميعاً .

فاجتمعت بنو عامر كلها إلى عامر^(٣) بن الطفيل ، فقال لهم عامر - حين بلغه مجيئ القوم : أغيروا بنا عليهم ، فإني أرجو أن نأخذ غنائمهم ، ونسبي نساءهم ، ولا تدعوهم يدخلون عليكم داركم .

فتابعوه على ذلك ، وقد جعلت مذحجُ ولفها^(٤) رُقباء ، فلما دنت بنو عامر من القوم صاح رُقباءُهم : أتاكم الجيشُ ؛ فلم يكن بأسرع من أن جاءتهم مسالحتهم^(٥)

(*) لمذحج على عامر ، وفيف الرياح : موضع بأعلى نجد

النقائص ٤٦٩ ، ذيل الأمل ١٤٦ ، العقد الفريد ٣٥٩ ج ٣ ، أمثال الميداني ص ٣٠٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٣٨٧ ج ١ ، الأغاني ص ٢١ ج ٥ ، معجم البلدان ص ٤١٣ ج ٦
(١) بنو عامر في قيس عيلان ، وفيهم بطون كثيرة (٢) بنو الحارث وسعد المشيرة وجعفي وزبيد في مذحج ، ومراد بطن في كهلان . وصداء ونهد بطنان في قضاة وخنصر بطن في كهلان (٣) كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيدهم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، ومن شعره :

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحاتها سهلها وحزومها

وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الصحو من آفاقها وغيومها

(٤) لف القوم : من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم (٥) المسالِح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذو سلاح .

تَرَهُ كَضُّ إِلَيْهِمْ ؛ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكَ لِقَوْمِهِ (١) : انصرفوا بنا ،
وَدَعُوا هَؤُلَاءِ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَا أَظُنُّ عَامِرًا تَرِيدُنَا ؛ فَقَالَ لَهُمُ
الْحَصِينُ بْنُ زَيْدٍ : افعلوا ما شِئْتُمْ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرَادُ دُونَكُمْ ، وَمَا نَحْنُ بِشَرِّ بِلَاءٍ
عِنْدَ الْقَوْمِ ، فَانصرفوا إِن شِئْتُمْ ، فَإِنَّا نَرْجُو أَلَّا نَعْجِزَ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ ، فَرُبَّ يَوْمٍ
لَنَا وَلَهُمْ قَدْ غَابَتْ سَعُودُهُ ، وَظَهَرَتْ نَحْوُسُهُ .

فَقَالَتْ خَنْعَمُ لِأَنَسٍ : إِنَّا كُنَّا وَابْنُو الْحَارِثِ عَلَى مِيَاهٍ وَاحِدَةٍ فِي مِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ،
وَهُمْ لَنَا سَلِيمٌ وَهَذَا عَدُوٌّ لَنَا وَلَهُمْ ، فَتَرِيدُ أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَلِمُوا
وَعَنِمُوا لَنَنْدَمَنَّ أَلَّا نَكُونُ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ ظَفَرْنَا بِهِمْ لَتَقُولَنَّ الْعَرَبُ : خَذَلْتُمْ حِيْرَانَكُمْ !
فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُمْ .

وَجَعَلَ حُصَيْنٌ لِحَنْعَمَ ثَلَاثَ الْمِرْبَاعِ (٢) ، وَمَنَّمَا الزِّيَادَةُ ؛ وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ
بِثَ إِلَى ابْنِ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ رُمْحًا بِأَرْبَعِينَ بَكْرَةً فَقَسَمَهَا فِي
أَفْئَاءِ ابْنِ عَامِرٍ .

وَالْتَقَى الْقَوْمُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُقَادُونَ فِيهِمُ الْقِتَالُ بِفَيْفِ (٣) الرِّيحِ ؛
فَالْتَقَى الصُّمَيْلُ بْنُ الْأَعُورِ (٤) الْكَلَابِي ، وَعَمْرُؤُ بْنُ صُبَيْحِ النَّهْدِيِّ (٥) ، فَطَمَنَهُ عَمْرُؤُ ،
فَذَهَبَ الصُّمَيْلُ بِظَمَّتِهِ مُعَاتِقًا فَرَسَهُ ، حَتَّى أَقْبَاهُ فَرَسُهُ إِلَى جَانِبِ الْوَادِي ، فَاعْتَنَقَ
صَخْرَةً وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَرَبَّ بِهِ رَجُلٌ مِّنْ خَنْعَمَ ، فَأَخَذَ دِرْعَهُ وَفَرَسَهُ ؛
وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ .

وَشَهِدَتْ بَنُو نَمِيرٍ يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ ، فَسَمَوْا حُرْبِيَّةَ (٦) الطَّعَانَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَامِرٍ

(١) أى قبائل خنعم (٢) المرباع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنمية (٣) قال أبو عبيدة :
كانت وقعة فيف الريح وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة . (٤) من بني كلاب ، وهم بطن من
عامر . (٥) من نهد وهم أحلاف بني الحارث (٦) أى اجتمعوا بقبيهم ، فصاروا بمنزلة الحرجة ،
وهي شجر مجتمع ، وسموا ذلك اليوم حربيَّة الطعان .

جالوا جَوْلَةً إلى موضعٍ يقال له العُرُقُوبُ، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نمير، فوجدهم قد تخلّفوا في قتال القوم، فرجع عامرُ يصيح: يا صباحاه! يا نميراه! ولا نمير لي بعد اليوم، حتى أقحم فرسه وسط القوم، فطعن يومئذ بين ثمرّة نحره إلى سرّته عشرين طعنةً.

وبرز يومئذ حُسَيْل بن عمرو الكلابي، فبرز له صخر بن أعبي النهدي؛ فقال عامر بن الطفيل لحسيل: ويك يا حُسَيْل! لا تبرز له، فإن صخرأ صخره^(١)، وإن أعبي يميا عليك، ولكن حسيلا لم يستمع لقوله، وبرز للقتال؛ فقتله صخر.

وقتل خَلِيفُ بن عبدالمزى النهدي كعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء؛ فمرّ بعد ذلك خَلِيفُ على بني جمدة^(٢)، فمرفوا بزة كعب وفرسه، فشدّ عليه مالك بن عبد الله بن جمدة فقتله، وأخذ الفرس والبزة فردّهما إلى بني البكاء^(٣).

وكان عامرُ بن الطفيل يتمهد الناس فيقول: يا فلان؛ ما رأيتك فعلت شيئاً! فيقول الرجل الذي قد أبلى: انظر إلى سيني وما فيه، وإلى رمحي وسناني. فأقبل مسهر بن يزيد الحارثي^(٤) في تلك الهيثة - لما رأى عامراً يصنع بقومه الأفاعيل - فقال: يا أبا علي؛ انظر ما صنعت بالقوم، انظر إلى رمحي! حتى إذا أقبل عليه عامرُ وجأه بالرمح في وجنته، ففلق وجنته، وأصاب عينه، وخرى الرمح فيها، وضرب فرسه، فلحق بقومه.

(١) كأنه تطير من اسمه (٢) جمدة: بطن في عامر (٣) هذه رواية القاض في مقتل كعب الفوارس، وفي الأغاني: إن كعب الفوارس مر على بني نهد وعليه سلاحه، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بني جمدة، فراه مالك بن عبد الله بن جمدة، وعليه جبة كعب، وفيها أثر الطعنة، وكان محرماً فلم يقدر على قتله، فقال: يا هذا، ألا رقت هذا الخرق الذي في جبتك! وجعل يترصده بعد ذلك؛ حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جمدة، فركب مالك بن عبد الله بن جمدة فرسا له وأدركه فقتله، ثم قال: يؤبكعب (٤) كان مسهر فازسا شريفاً، وكان قد جنى جناية في قومه، فلحق ببني عامر، فشهد معهم فيف الربح.

وفي طمئة عامر يقول مسهر :

وَهَضَّتْ مُخْرُصٌ^(١) الرِّمَحَ مُقَلَّةَ عَامِرٍ
وَوَادِرَ فِينَا رُمُوحَهُ وَسِلَاحَهُ
وَكُنَّا إِذَا قَيْسِيَّةٌ بَرَقَتْ لَنَا
مُخَافَةً مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ^(٢) عَامِرٍ
ويقول عامر :

لِعَمْرِي ، وَمَا عَمْرِي عَلَى بَهَيْنٍ
فَبَيْسَ الْفَتَى إِنْ كُنْتَ أَعُورَ عَاقِرًا
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَكْرَهُ عَلَيْهِمْ
فَلَوْ كَانَ جَمْعٌ مِثْلُنَا لَمْ نَبَالِهِمْ
فَجَاءُوا بِشَهْرَانَ^(٣) الْمَرِيضَةَ كَالْهَاءِ
لَقَدْ شَانَ حَرَّ الْوَجْهِ طَمَعَنَةُ مُسَهْرٍ
جَبَانًا وَمَا أُغْنِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرٍ
عَشِيَّةً قَيْفَ الرِّيحِ كَرَّ الْمُدُورِ
وَلَكِنْ أَتْنَا أَسْرَةً ذَاتَ مَفْخَرٍ
وَأَكَلَبَ طَرًّا فِي لِيَابِ السَّنُورِ^(٤)
وقال في هذا اليوم أبو دؤاد الرُّؤَاسِي :

وَنَحْنُ أَهْلُ بَضِيعٍ^(٥) يَوْمَ وَاجَهْنَا
سَاقُوا شُعُوبًا وَعَنْسًا فِي دِيَارِهِمْ
مَنَّاهُمْ مُنِيَّةٌ كَانَتْ لَهُمْ كَذِبًا
وَأَتَّ رِجَالُ بَنِي شَهْرَانَ تَتْبِعُهَا
وَالزَّاعِيَّةُ تَكْفِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ
جَيْشُ الْحَصِينِ طِلَاعَ الْخَائِفِ الْكَزْمِ^(٦)
وَرَجُلٌ^(٧) خَنَمَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ عِلْمِ^(٨)
إِنْ أَلْسَنِي إِعْمَا يُوَجِّدُنْ كَالْحَلْمِ
خَضْرَاءَ يَرْمُونَهَا بِالنَّبْلِ عَنْ شَمَمٍ
فِيهِمْ نَوَافِدَ لَا يُرْفَعْنَ بِالذُّسَمِ^(٩)

(١) خرس الرمح : سنامه ، وبخص عينه : أغارها (٢) زعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل
(٣) شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الخثعمي (٤) السنور : لبوس يلبس
في الحرب كالدرع ، أو هو جملة السلاح (٥) بضيع : جبل (٦) الكزم : كزم الرجل :
هاب التقدّم على الشيء (٧) رجل الرجل : فهو راجل ورجل والرجل أيضاً اسم جمع عند
سيبويه وجمع عند غيره (٨) العلم : الجبل (٩) الزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب : رجل أو
بلد ، والدسم : ما سدوا به الجراحات .

ظَلَّتْ يُجَاهِرُ تَدْعَى وَسَطَ أَرْحُلِنَا وَالسَّتَمِيتُونَ مِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَكَمٍ (١)
حَتَّى تَوَلَّوْا وَقَدْ كَانَتْ غَنِيْمَتُهُمْ طَمَنًا وَضَرْبًا عَرِيضًا غَيْرَ مُقْتَسَمٍ
وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ (٢) :

أَتَوْنَا بِشَهْرَانَ الْعَرِيضَةَ كَأَمَّا وَأَكْبَلِيهَا فِي مِثْلِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
فَبِتْنَا وَمِنْ بَنَزَلُ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا يَبْتُ عَنْ قِرَى أَضْيَافِهِ غَيْرَ غَافِلٍ
أَعَاذَلُ لَوْ كَانَ الْبَدَادُ (٣) لَقَوَّلُوا وَلَكِنْ أَنَا نَاكِلٌ جِنِّ وَخَابِلٍ (٤)
وَحَتْمُهُمْ حَتَّى يُعْدَلُونَ بِمَدْحَجٍ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ إِحْدَى الْقَبَائِلِ
وَأَسْرَعُ الْقَتْلِ فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فَافْتَرَقُوا ، وَلَمْ يَسْتَقِلَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ
غَنِيْمَةً ، وَكَانَ الصَّبْرُ وَالشَّرْفُ لِبَنِي عَامِرٍ .

(١) يجاهر : مراد . وجاء : بطن من حكم
جاءت الخيل بداد : متفرقة متبددة ، وقال حسان :
كنا ثمانية وكانوا جحفا
لجأ فثقلوا بالرمح بداد
أى متبددين (٤) الخابل : ضرب من الجن .
(٢) في رواية لبيد بن ربيعة (٣) يقال :

(٩) يومَ ظَهَرَ الدَّهْنَاءُ

كان أوسُ بن حارِثة بن لأم الطَّائِي سَيِّدًا مُطَاعًا في قومه ، وجوادًا مِقْدَامًا ، فوفد هو وحاتمُ الطَّائِي على عَمْرُو بن هند ، فدعا عمرو أوسًا ، فقال له : أنت أفضلُ أم حاتمُ ؟ فقال : أبيت اللعن ؛ إن حاتمًا أوحدُها وأنا أوحدُها ، ولو ملكني حاتم وولدي ولحمتي ^(١) لو هبنا في غداةٍ واحدة ؛ ثم دعا عمرو حاتمًا ، فقال له : أنت أفضلُ أم أوسُ ؟ فقال : أبيت اللعن ! إنما ذكرتُ أوسًا ، ولأحدُ ولده أفضلُ مني . فاستحسنَ ذلك منهما ، وحبَّاهما ، وأكرَّمَهُمَا .

ثم إن وفودَ العرب من كلِّ حيٍّ اجتمعت بعد ذلك عند النعمان بن المنذر ، وفيهم أوس ، فدعا بحلَّةٍ من جُللِ الملوك ، وقال للوفود : احضروا في غدٍ فإني مُلبسٌ هذه الحلَّةَ أكرمكم .

فلما كان الغدُ حضر القومُ جميعًا إلا أوسًا ، ف قيل له : لِمَ تتخلفُ ؟ فقال : إن كان المرادُ غيري فأجملُ الأشياءِ بي إلا أكونَ حاضرًا ، وإن كنتُ المرادُ فساُطلبُ .

فلما جلس النعمان ، ولم ير أوسًا ، قال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له : احضر آمنًا مما خفتُ ، فحضر فألبسَ الحلَّةَ .

ففسده قومٌ من أهله ، فقالوا للحطيئة : اهجهُ ولك ثلاثمائة ناقة . فقال : كيف أهجو رجالًا لا أرى في بيتي أثنانًا ولا مالا إلا منه ؟ ثم قال :

* لطي على أسد . والدهناء : واد يشتمل على سبعة أجبل وعمر ييلاد بني أسد .

ابن الأثير ص ٣٨٢ ج ١ ، قصص العرب ص ١٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٨٣ ج ١ ، الشعر والشعراء ص ٨٦ ، المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)

(١) لحة النسب بالفتح : الشابك منه ، واللحمة بالضم : القرابة .

كَيْفَ الهِجَاءِ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةٌ مِنْ أَهْلِ لَأْمٍ بَطَّحَ النَّيْبِ تَائِبِي
فَقَالَ لَهُمْ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ (١) : أَنَا أَهْجُوهُ لَكُمْ ، فَأَعْطَوْهُ النَّوْقَ ، وَهَجَاهُ
فَأَفْخَسَ فِي هِجَائِهِ ، وَذَكَرَ أُمَّهُ سُمْدَى ، فَلَمَّا عَرَفَ أَوْسَ ذَلِكَ أَغَارَ عَلَى النَّوْقِ
فَاكْتَسَحَهَا ، وَطَلَبَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَالتَّجَا إِلَى بَنِي أَسَدٍ عَشِيرَتِهِ ، فَنَعَمُوهُ مِنْهُ وَرَأَوْا
تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِ عَارًا .

فَجَمَعَ أَوْسُ قَوْمَهُ مِنْ طَيْيٍّ (٢) ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى أَسَدٍ (٣) ، فَالتَقَوْا بِبَطَّحِ الدَّهْنَاءِ ،
فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو أَسَدٍ وَقَتَلُوا قَتْلًا ذَرِيمًا ، وَهَرَبَ بَشْرُ ، فَجَمَلَ
لَا يَأْتِي حَيًّا يُطَلَبُ جَوَارِهِمْ إِلَّا امْتَنَعَ مِنْ إِجَارَتِهِ عَلَى أَوْسٍ .

ثُمَّ نَزَلَ عَلَى جَنْدَبِ بْنِ حَصَنِ السِّكِلَابِيِّ بِأَعْلَى الصَّمَّانِ (٤) ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَوْسٌ
يُطَلَبُ مِنْهُ بَشْرًا ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى أَوْسٍ أَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ
سَعْدَى وَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِالشَّاعِرِ الَّذِي هَجَاكَ ، وَقَدْ آلَيْتُ لِأَقْتُلَنَّ قِتْلَةً تَحْمِيْنُ بِهَا !
قَالَتْ : يَا بَنِيَّ ؟ أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ نَاصِرًا مِنْكَ ،
وَلَا مُجِيرًا عَلَيْكَ ، وَإِنَّا قَوْمٌ لَا نَرَى فِي اصْطِنَاعِ الْمَرْوُوفِ مِنْ بَأْسٍ ؛ فَبِحَقِّي عَلَيْكَ
إِلَّا أَطْلَقْتَهُ ، وَرَدَدْتِ عَلَيْهِ إِبْلَهُ ، وَأَعْطَيْتِهِ مِنْ مَالِكَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنْ مَالِي مِثْلَهُ ،
وَأَرْجِمِهِ إِلَى أَهْلِهِ سَالِمًا ، فَإِنَّهُمْ أَيْسَوُا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْتَسِلُ هِجَاءَهُ إِلَّا مَدْحَهُ .
فَقَبِلَ مَا أَشَارَتْ بِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بَشْرُ ؛ مَا تَقُولُ أُنَى فَاعِلٌ بِكَ ؟
فَقَالَ :

إِنِّي لِأَرْجُو مِنْكَ يَا أَوْسُ نِعْمَةً وَإِنِّي لِأُخْرِى مِنْكَ يَا أَوْسُ رَاهِبُ
وَإِنِّي لِأَمْحُو بِالَّذِي أَنَا صَادِقٌ بِهِ كُلُّ مَا قَدْ قُلْتُ إِذْ أَنَا كَاذِبُ

(١) شاعر جاهلي من بني أسد (٢) طيئ : من كهلان (٣) أسد : بطن في كنانة
(٤) الصمان : جبل في بلاد بني تميم .

فهل نافعى في اليوم عندك أننى سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كلُّ عشيرتى بنى أسد أقصامُ والأقاربُ
تداركنى أوس بن سعدى بِنِعْمَةٍ وقد أمكنته من يدى العواقبُ
فقال أوس : إن سعدى التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، وأمر بحل
كتافه ، وحمله على فرس جواد ، وردَّ عليه ما كان أخذ منه ؛ وأعطاه من ماله مائة
من الإبل ، ورفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على الآ أعود إلى
شعر إلا أن يكون مدحاً فى أوس بن حارثة^(١) .

(١) هذه رواية ابن الأثير . وفى بلوغ الأرب ص ٨٤ ج ١ ما خلاصته : إن بشراً غزاً طيئاً
ثم بنى نهبان فخرج وأخذ أسيراً فى بنى نهبان ، فخبثوه كراهية أن يبلغ أوساً ، وسمع أوس أنه
عندهم فقال : والله لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أو يدفعوه ، ثم أعطاهم مائتى بغير وأخذه منهم ،
فجاء به وأدخله فى جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه العصفور ، فبلغ ذلك أمه
سعدى بنت حصين الطائية فخرجت إلى أوس وقالت : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا
الذى شتمنا ، فقالت : قبح الله قوماً يسودونك ، أو يقتبسون من رأيك ! والله لسكاً ما أخذت به ،
أما تعلم منزله فى قومه ! خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يقبل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده ،
وداوى جرحه ، وكنمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعت إلى قومك يقدونك ، فإنى قد
اشتريتك بمائتى بغير . فأرسل بشراً إلى قومه ، فهبثوا له الفداء ، وبادره أوس فأحسن كسوته ،
وحمله على نجيبة الذى كان يركبه ، وسار معه حتى إذا بلغ غطفان ، جعل بشراً يمدح أوساً بمكان
كل قصيدة هجاه بها قصيدة ، وكان قد هجاه بخمس .

٤- أيام ربيعة (فيما بينها)

١ - حرب البسوس

حرب البسوس *

— ١ —

لما فُضَّ كليب^(١) بن ربيعة جموع اليمن في خَزَازِي وهَزَمَهُم اجتمعت عليه معد^(٢) كلها ، وجماعوا له قسم الملك وتاجه ونجيته وطاعته ، وغبرَ بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديد ، وبنَى على قومه لا هو فيه من عزة وانقيادٍ معد له ، حتى بلغ من بغيه ، أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه ، وإذا جلس

* وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ، وقد مكثت أربعين سنة ، وقعت فيها هذه الأيام :

يوم التهي (والتهي : ماء لبني شيبان) لتغلب على بكر .

يوم الذنائب (والذنائب : موضع على طريق البصرة إلى مكة) لتغلب على بكر

يوم واردات (وواردات : موضع عن يسار طريق مكة إلى البصرة) لتغلب على بكر

يوم عنيزة (وعنيزة : موضع في اليمامة) تكاثفا .

يوم القصيبات (والقصيبات : موضع في ديار بكر وتغلب) لتغلب على بكر

يوم تحلاق الهم : (سمي بذلك لأن بني بكر حلقوا فيه جميعاً ره وسهم) لبكر على تغلب

النقائض ص ٧٢٣ (طبع أوربا) ، الأغاني ص ٣٢ ج ٥ ، ابن الأثير ص ١٨٣ ج ١ ، مجمع

الأمثال ص ٣٤٢ ج ١ ، المقد الفريد ص ٣٤٨ ج ٣ ، معجم البلدان ص ١٣٩ ج ١ ، سرح

العيون ص ٥٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، شعراء الضرائية ص ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، خزانة

الأدب ص ٤٢٥ ج ١

(١) كليب بن ربيعة : اسمه وائل وكليب لقبه ، ولد سنة ٤٤٠ م ونشأ في حجر أبيه ودرّب

على الحرب ، ثم تولى رئاسة الجيش : بكر وتغلب زمناً حتى قتله جساس بن مرة سنة ٤٩٤

(شعراء الضرائية) (٢) قال هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة

رهنط من رؤساء العرب ، وم عامر بن الظرب يوم البيداء حين تمدحجت مذحج وسارت إلى تهامة

وربيعة بن الحارث يوم السلان ، وكليب حين قاد جموع معد يوم خزازي .

لا يمر أحدٌ بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَسِبِي أحدٌ في مجلسه غيره ، ولا يُغَيِّرُ إلاً بإذنه ، ولا تورِدُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقدُ نارٌ مع ناره ، ولم يكن بَكَرَى ولا تغلبى يُجِيرُ رجلاً ولا بعيراً أو يحمي حمى إلا بأمره ، وكان يجير على الدهر فلا تُخْفَرُ ذِمَّتُهُ ، وكان يقول : وحشُّ أرضِ كذا في جوارى ، فلا يُهاج ! وكان هو الذي يُنزلُ القومَ منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ، وقد بلغ من عزته وبغيه أنه اتخذ جرواً وكتب ، فكان إذا نزل منزلاً به كلاً قذف ذلك الجرو فيه فيعوى ، فلا يرعى أحدٌ ذلك الكلاً إلا بإذنه ، وكان يفعلُ هذا بمياض الماء فلا يردُّها أحدٌ إلا بإذنه أو من آذن بحرب ؛ فُضِرَبَ به المثلُ في العزِّ قفيل : أعزُّ من كليب وائل ، وكان يحمي الصيد فيقول : صيدٌ ناحية كذا وكذا في جوارى فلا يصيدُ أحدٌ منه شيئاً (١) .

— ٢ —

وتزوج كليبٌ جليلاً (٢) بن مرةً بن ذهل بن شيبان ، وكان لمرّة عشرة بنين :

(١) قيل : إنه مر يوماً برعى فيه قبرة وقد باضت ، فلما رأته صرصرت وخفت بمجانحها ، فقال : من ردعك؟ أنت في ذمتي ، ثم أنشد :

يا لك من قبرة بمعمرى لا ترهبى خوفاً ولا تستكبرى

معمر : اسم حمى كليب

قد ذهب الصياد عنك فأبصرى ورفع الفخ فإذا تخدرى ؟

خلالك الجو فيضى واصفرى وتقرى ما شئت أت تنقرى

فأنت جارى من صروف الحذر إلى بلوغ يومك المقدر

(٢) كانت جليلاً بنت مرة من فضليات النساء في عصرها ، ولما قتل زوجها كليب بسهم أخيها جساس ، كان خطبها حسياً ، وحيرتها عظيمة ، ولما أخرجت من بيت كليب بعد قتله أقامت في منزل أخيها جساس حتى قتل ، ثم تنقلت مع بني شيبان قومها مدة حروبهم وتوفيت سنة ٥٣٨ م

جَسَّاسٌ (١) أَصْغَرُهُمْ ، وَكَانَتْ بَنُو جُثْمٍ (٢) وَبَنُو شَيْبَانَ تَقِيمُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ إِرَادَةَ الْجَمَاعَةِ وَمَخَافَةَ الْفُرْقَةِ .

وَحَدَّثَ أَنَّ كَلْبِيَّاً دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ جَلِيلَةَ يَوْمَآ فَقَالَ لَهَا : هَلْ تَعْمَلِينَ عَلَى الْأَرْضِ أَمْنَعُ مِنِّي ذِمَّةً ؟ فَسَكَتَتْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا الثَّانِيَةَ فَسَكَتَتْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا الثَّلَاثَةَ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، أَخِي جَسَّاسٌ وَنَدْمَانَهُ (٣) ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو الْمَزْدَلْفِيُّ (٤) بَنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَ .

فَسَكَتَ كَلْبِيٌّ وَمَضَتْ مَدَّةٌ ، وَبَيْنَمَا هِيَ تَغْسِلُ رَأْسَهُ وَتَسْرُحُهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَالَ لَهَا : مَنْ أَعَزٌّ وَأَيْلٌ ؟ قَالَتْ : أَخَوَايَ جَسَّاسٌ وَهَمَّامٌ (٥) . فَنَزَعَ رَأْسَهُ مِنْ يَدَيْهَا وَخَرَجَ . وَكَانَتْ لِحَسَّاسٍ خَالَةٌ اسْمُهَا الْبَسُوسُ بِنْتُ مُنْقِذٍ (٦) ، جَاءَتْ وَنَزَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا جَسَّاسٍ ، فَكَانَتْ جَارَةَ لَبْنَى مَرَّةً ، وَلَهَا نَاقَةٌ (٧) خَوَّارَةٌ (٨) ، وَمَعَهَا فَصِيلٌ لَهَا (٩) ، فَلَمَّا خَرَجَ كَلْبِيٌّ غَاظِباً مِنْ قَوْلِ زَوْجِهِ جَلِيلَةَ رَأَى فَصِيلَ النَّاقَةِ فَرَمَاهُ بِقَوْسِهِ فَقَتَلَهُ . وَعَلِمَتْ بَنُو مَرَّةٍ بِذَلِكَ ، فَأَغْمَضُوا عَلَى مَا فِيهِ وَسَكَتُوا ؛ ثُمَّ لَقِيَ كَلْبِيٌّ ابْنَ الْبَسُوسِ فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلْتَ فَصِيلُ نَاقَتِكُمْ ؟ فَقَالَ : قَتَلْتَهُ وَأَخْلَيْتَ لَنَا لَبْنَ أُمِّهِ ؛ وَأَغْمَضْتَ بَنُو مَرَّةٍ عَلَى هَذَا أَيْضاً .

(١) كَانَ جَسَّاسٌ بِنَ مَرَّةٍ فَارِساً شَهِيماً أَيْباً ، وَكَانَ يَلْقُبُ الْحَامِي الْجَارِ ، الْمَلَانِعَ الذَّمَّارَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ كَلْبِيَّاً كَمَا هُوَ مُفَصَّلٌ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ ، وَلَمَّا نَشِبَتِ الْحَرْبُ نَسِبَهُ أَبُوهُ إِلَى الشَّامِ ، وَلَمَّا عَلِمَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ لِحَقْوِهِ فِي سَفَرِهِ فَاتَّقَى بِهِمْ فِي حَرْبٍ أَسْفَرَتْ عَنْ قِتْلِ أَبِي نُوَيْرَةَ زَعِيمِ الْقَوْمِ الَّذِينَ لِحَقْوِهِ ، وَجَرَحَ جَسَّاسٌ جِرْحاً مَاتَ فِي لَائِزِهِ سَنَةَ ٥٣٤ م (٢) جُثْمٌ : بَطْنٌ فِي تَغْلِبٍ وَهُوَ قَوْمُ كَلْبِيٍّ ، وَشَيْبَانَ بَطْنٌ فِي بَكْرِ وَهُوَ قَوْمُ جَسَّاسٍ (٣) النَّدْمَانُ : الَّذِي يِرَافِقُكَ عَلَى الشَّرَابِ وَقَدْ يَكُونُ جَمًّا (٤) لَقِبَ بِالْمَزْدَلْفِيِّ لِأَنَّهُ أَلْتَنِي بِرِجْلِهِ فِي حَرْبٍ فَقَالَ : ازْدَلْفُوا إِلَيْهِ (٥) كَانَ هَامٌ أَكْبَرَ أَخَوَاتِ أَوْلَادِ مَرَّةٍ (٦) كَانَتْ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ فَقَالُوا : « أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ » (٧) كَانَتْ اسْمُهَا سِرَابٌ (٨) نَاقَةٌ خَوَّارَةٌ : رَقِيقَةٌ حَسَنَةٌ (٩) وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ هَذِهِ النَّاقَةَ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي جَرْمٍ اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ شَمَيْسٍ ، وَأَنَّهُ نَزَلَ بِنَاقَتِهِ عَلَى جَسَّاسٍ .

ثم إن كليياً أعاد القول على امرأته فقال : مَنْ أَعَزُّ وَأَثَل ؟ فقالت : أَخْوَاى ! فأضمرها في نفسه وأسرّها وسكت ، حتى مرّت به إبل جسّاس وفيها ناقة البسوس ، فأنكر الناقة ، ثم قال : ما هذه الناقة ؟ قالوا : نخالّة جسّاس . فقال : أوبلغ من أمر ابن السعدية ^(١) أن يُجِيرَ علىّ بغير إذنى ؟ أزمّ صرّعها يا غلام ، فأخذ القوس ورمى صرّع الناقة ، فاختلط دمها بلبنها .

وراحت الرّعاة على جسّاس فأخبروه بالأمر ، وولّت الناقة ولها عجيج حتى برّكت بفناء البسوس ؛ فلما رأتها صاحت : وأذلاء ! فقال لها جسّاس : اسكتى فلك بناقتك ناقةٌ أعظمُ منها ، فأبت أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر ؛ فلما كان الليل أنشأت تقول - تحاطب سعداً أخا جسّاس وترفع صوتها تُسمع جسّاساً :

أيا سعدُ لا تفرّ بنفسك وارتمل فإنى فى قوم عن الجار أمواتِ
ودونك أذوادى إليك فإنى محاذرةٌ أن يفدروا بينيَّانى
لعمرك لو أصبحتُ فى دارٍ مُنقذٍ ^(٢) لما ضمّ سعدٌ وهو جار لأبياتى
ولكننى أصبحت فى دارٍ معسرٍ متى يعدّ فيها الذئبُ يعدُّ وعلى شاتى ^(٣)

فلما سمعها جسّاس قال لها : اسكتى لا ترأعى : إنى سأقتل جحلاً أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غللاً ^(٤) !

ثم ظنّ ابنا وائل بعد ذلك ؛ فمرت بكره على نهى ^(٥) يقال له شبيث ، فنفاهم

(١) يريد جسّاسا (٢) منقذ : أبو البسوس وهو من تميم (٣) تسمى العرب هذه الأبيات الموثبات ، لأن البسوس لما أنشدتها أوغرت الصدور (٤) كان غلال فعل لإبل كليب ، لم ير فى زمانه مثله ، وإنما أراد جسّاس بمقاتله كليياً ، وفى رواية كان اسمه : عليان ، وفى اللسان : بغير عليان : ضخم (٥) النهى : الغدير .

كَلَيْبُ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرَّوَا عَلَى نَهْشَى آخِرَ نِقَالٍ لَهُ الْأَحْصَى ، فَنَفَاهُمُ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرَّوَا عَلَى بَطْنِ الْحَرِيبِ ^(١) فَمَنْعَهُمْ إِيَّاهُ ، فَضَوْأُوا حَتَّى نَزَلُوا الدَّنَائِبَ ^(٢) ، وَاتَّبَعَهُمْ كَلَيْبٌ وَحَيْهٌ حَتَّى نَزَلُوا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ ذُهَلٍ ^(٣) ، وَهُوَ وَقَفُ عَلَى غَدِيرِ الدَّنَائِبِ ، فَقَالَ لَهُ : طَرَدْتُ أَهْلَنَا عَنِ الْمِيَاهِ حَتَّى كَدَتَ تَقْتَلُهُمْ عَطْشًا ! فَقَالَ كَلَيْبٌ : مَا مَنَعْنَاهُمْ مِنْ مَاءٍ إِلَّا وَنَحْنُ لَهُ شَاغِلُونَ . فَقَالَ لَهُ : هَذَا كَفِعْلِكَ بِنَاقَةِ خَالَتِي ، فَقَالَ لَهُ : أَوْ قَدْ ذَكَرْتَهَا ! أَمَا إِنِّي لَوُجِدْتُهَا فِي غَيْرِ إِبِلٍ مُرَّةً ^(٤) لَأَسْتَحَلَّتُ تِلْكَ الْإِبِلُ بِهَا ! أَتُرَاكَ مَا نَعْنَى أَنْ أُذَبَّ عَنْ حِمَايَ ! فَمَطَفَ عَلَيْهِ جَسَّاسٌ فَرَسَهُ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ فَأَنْقَضَ حِضْنِيهِ ^(٥) .

فَلَمَّا تَدَاءَمَهُ ^(٦) الْمَوْتُ قَالَ : يَا جَسَّاسُ ، اسْقِنِي مِنَ الْمَاءِ . فَقَالَ : مَا عَقَلْتَ اسْتِسْقَاءَكَ الْمَاءَ هُنْدًا وَلَدَتَكَ أُمَّكَ إِلَّا سَاعَتَكَ هَذِهِ . فَالْتَفَتَ إِلَى عَمْرُو وَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ؛ أَغْنَيْتَنِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ^(٧) .

وَأَمَّا جَسَّاسٌ يَدُهُ بِالْفَرَسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ عَلَى فَرَسِهِ يَرْكُضُهُ ، وَقَدْ بَدَتْ رُكْبَتَاهُ ؛ وَلَمَّا رَأَتْهُ أُخْتُهُ قَالَتْ لِأَبِيهَا : إِنْ ذَا لَجَسَّاسٌ أَتَى كَاشِفًا رُكْبَتَاهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمْرِ عَظِيمٍ .

فَلَمَّا جَاءَ جَسَّاسٌ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ يَا بَنِيَّ ؟ قَالَ : وَرَأَيْتُنِي قَدْ طَعَمْتُ طَعْمَةً لَتَشْفَنَنَّ بِهَا شِيوخٌ وَأَوْلَادٌ زَمَنًا . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ لِأُمَّكَ الْوَيْلُ ! أَقْتَلْتِ كَلْبِيَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : إِذْنِ نُسَلِّمُكَ بِجَرِيرَتِكَ ، وَنَرِيقُ دَمَكَ فِي صِلَاحِ الْعَشِيرَةِ ! وَاللَّهِ

(١) الجريب : واد عظيم تجبى أعاليه من قبل اليمن (٢) الدنائب : موضع بنجد

(٣) في الأغاني صفحة ٣٧ جزء ٥ : قال أبو برزة : فمطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فاحترز رأسه ، وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طعنه فقصم صلبه (٤) مرة بن ذهل : أبو جساس (٥) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح (٦) تداومه : تراكم عليه

(٧) ضرب بهذا الثقل ثقيل :

لبئس ما فعلت ! فرقتَ جماعتك، وأطلتَ حربها، وقتلتَ سيدها في شَرفٍ (١) من الإبل
والله لا تجتمع وائل بعدها، ولا يقوم لها عماد في العرب، ولقد وددت أنك وإخوتك
كنتم ممتّ قبل هذا، بابي إلا أن تتشاءمَ بي أبناء وائل؛ فأقبل قومٌ مرّةً عليه وقالوا:
لا تقل هذا. ولا تفعل فيخذلوه وإياك، فأمسك مرة؛ فقال حساس:

تأهّبْ مثل أهبة ذى كِفَاحٍ فإنَّ الأمرَ جلَّ عن التَّلَاحِي (٢)
وإني قد جنيتُ عليك حرباً تُعِصُّ الشَّيخَ بالباء القَرَّاحِ
مذَكَّرَةٌ (٣) متى ما يَصْحُحُ منها فتى نَشِبَتْ بِأخِرِ غَيْرِ صَاحِ

* *

تعدتْ تغلبَ ظلماً علينا بلا جُرمٍ يَمُدُّ ولا جُنَاحِ
فلما أن رأينا واستبنا عُقَابَ البنى رافِعَةَ الجَنَاحِ
صرفت إليه نحسًا يوم سوء له كأسٌ من الموتِ المَتَّاحِ
فلما سمع أبوه قال يمينه (٤):

فإن تكُ قد جنيتَ على حرباً تُعِصُّ الشَّيخَ بالباء القَرَّاحِ
جمعتُ بها يديك على كليب فلا وَكِلَ (٥) ولا رَثُ السِّلاحِ
ولكنني إلى العَلَّاتِ (٦) أجرى إلى الموتِ المُحِيطِ مع الصَّبَّاحِ
وإني حين تشتجر (٧) العوالى أعيد الرمح في إثر الجِراحِ
شديد البأس ليس بندي عيَاء ولكنني أبوءُ إلى الفَلاحِ

(١) الشارف من النوق؛ السنة الهرمة (٢) التلاحي: المخاصمة والمقاولة (٣) مذكرة:

شديدة (٤) قيل أخوه فضلة هو الذي قال ذلك (٥) وكل: عاجز (٦) بنو العلات:

نورجل واحد من أمهات شتى (٧) تشتجر: تتداخل، والعوالى: الرماح.

سألِس ثوبها وأدبُ عنها بأطرافِ العوَالِي والصفَاحِ^(١)
 فما يبقِ لعزته ذليلٌ فيمنعه من القَدَرِ المُتَاحِ
 فإني قد طربت وهاجَ شوقِي طرادُ الحِيلِ عارضةَ الرِّمَاحِ
 وأجلُّ من حياةِ الدَّلِّ موتٌ وبعضُ العارِ لا يمحوه مَاحِ

— ٤ —

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحى للماتم ، فقلن لأخت كليب : رحلى جليلة عن
 ماتمك ، فإن قيامها فيه شمانةٌ وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ؛ اخرجى عن
 ماتمنا ، فأنت أختُ واترنا وشقيقةُ قاتلنا ، فخرجت وهي تجرُ أعطافها ؛ فقالت لها
 أخت كليب : رحلة المعتدى وِفراقُ الشامت ، ويل غدأ لآل مرة ، من الكرة بمد
 الكرة ! فبلغ قولها جليلة فقالت : وكيف تشمتُ الحرّة بهتكِ سترها ، وترقب
 وترها ! أسعد الله جدّ أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ؛ ثم
 أنشأت تقول :

ياينة الأقوامِ إن شئتِ فلا تمجلى باللومِ حتى تسألى
 فإذا أنت تبيّنتِ الذى يوجبُ اللومَ فلوى واعدلى
 إن تكن أخت امرئٍ ليمت على شفقٍ منها عليه فافعلى
 جلّ عندى فعلُ جساسِ فيا حسرتى عما أنجّلتِ أو تنجلى
 فعلُ جساسِ على وجدى به قاطعُ ظهري ومُدنِ أجلى
 لو بيمينٍ فقمّت عيني سوى أختها فانفقات لم أحضلى

تحمّل العينُ قَدَى العينِ كما تحمّل الأمُّ أذى ما تفتلي (١)
ياقتيلاً قَوَّضَ الدهرُ به سقفاً بيتيَّ جميعاً من عِلِّ
هدمَ البيتَ الذي استحدثته واثني في هدمِ بيتي الأولِ
ورمانى قتله من كَثَبِ رَمِيَةِ الصُّمِيِّ (٢) به المستأصلِ
يانسأى دونكنَّ اليومَ قد خصّني الدهرُ برُزءٍ مُعضِلِ
خصّني قتلُ كَلَيْبِ بلطَى من ورأى ولطَى مستقبلِ
ليس من يبيكي ليومينِ كمن إنما يبيكي ليومٍ ينجلي
يشتفي المدركُ بالنَّارِ وفي دركي تُأري نُكُلُ الشكْلِ (٣)
ليته كان دمي فاحتلبوا بدلا منه دمًا من أكلِ (٤)
إني قاتلةٌ مقتولةٌ ولملَّ اللهُ أن يرتاح لي

ولما ذهبت إلى أبيها مرة قال لها : ما دراك يا جليمة ؟ فقالت : نُكُلُ المدد ،
وحزنُ الأبد ، وفقدُ حليل ، وقتلُ أخٍ عن قليل ، وبين ذين غرسُ الأحقاد ،
وتفتت الأكباد ، فقال لها : أويكفُ ذلك كرمُ الصَّحِّحِ وإغلاء الديات ؟ فقالت :
أمنيةٌ مخدوع وربِّ الكعبة ! أبا لبدن تدعُ لك تغلب دم ربها !

- ٥ -

وكان همام بن مرة يُنادم المهلهل أخا كليب وعاقده ألا يكتمه شيئاً . فلما ظن
مُرَّةً بأهله أرسل إلى ابنه همام فرسه مع جارية ، وأمره أن يظنَّ ويلحق بقومه .
وكانا جالسين ، فرَّ جساس يركض به فرسه مُخرِجاً فخذه ، فقال همام : إنَّ له
لأمراً ، والله ما رأيته كاشفاً فخذه قط في ركض ؛ ولم يلبث إلا قليلا حتى انتهت

(١) تفتلي : تربي (٢) من كَثَب : من قرب ، وأصاه : قتله في مكانه (٣) الشكْلِ : التي
لازمها الحزن (٤) الأكل : عرق في الذراع يفصد ؛

الجارية إليهما ، وهما مُعترلان في جانب الحى . فوثب هام إليها ، فسارته أن جسّاساً قتل كليياً ، وأن أباه قد ظعن مع قومه ؛ فأخذ هام الفرس وربطه إلى خيمته ورجع ، فقال له المهلهل : ما شأنُ الجارية والفرس ؟ وما بألك ؟ فقال : اشرب ودع عنك الباطل ! قال : وما ذاك ؟ فقال : زعمت أن جسّاساً قتلَ كُليّاً ؛ فضحك المهلهلُ وقال : همةُ أخيك أضعفُ من ذلك ، فسكت .

ثم أقبل على شرايهما ، فجعل مهلهلٌ يشربُ شُرْبَ الآمن ، وهو يقول :
دَعِينِي فإني اليوم مَصْحَى لِشَارِبٍ ولا في غدٍ ، ما أقرب اليَوْمَ من غَدِ
دَعِينِي ، فَإِنِّي فِي سَمَادِيرِ^(١) سَكْرَةٍ بها جَلَّ هَمِّي ، واستبان تجلُّدِي
فإني يطلعُ الصبحُ المنيرُ فإني سأعدو الهويني غير وان ، مفرد
وأصبحُ بكرأ غارة صيلمية^(٢) ينال لظآها كلَّ شيخ وأمرد
وهما يشرب شرب الخائف ، ولم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلاً ، فأنسلَّ هام وأتى قومه من بني شيان ، وقد قوّضوا الخيام ، وجمعوا الخيل والنعم ، ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهى .

ورجع المهلهل إلى الحى سكران ، فرآهم يعقرون خيولهم ، ويكسرون رماحهم وسيوفهم ، فقال : ويحكم ! مالذي دهاكم ؟ فلما أخبروه الخبر قال : لقد ذهبتم شرّاً مذهب ، أتمقرون خيولكم حين احتجتم إليها ؟ وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليه !

فأنهوا عن ذلك ، ورجع إلى النساء فنهاهن عن البكاء وقال : استبقين للبكاء عيوناً تبكى إلى آخر الأبد .

(١) السماير : شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عن السكر ، وبغشى الدوار (٢) الصيلمية : نسبة إلى الصيلم وهو السيف ، أي غارة شديدة .

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه ، وقام على قبره يرثيه ويقول :

أهاجَ قِذَاءَ عَيْنِي الْأَدِّ كَلَرُ هُدُوءًا فَالدموعُ لها انحدارُ^(١)
 وصار الليلُ مشتملاً علينا كأن الليلَ ليسَ له نهارُ
 وبتُّ أراقبُ الجوزاءَ حتى تقاربَ من أوائلها انحدارُ^(٢)
 أصرِّفُ مقلتي في إثر قومٍ تباينت البلادُ بهم فغاروا^(٣)
 وأبكي والنجومُ مطلّعاتُ كأن لم يحوها عني^(٤) البُخارُ
 على من لو نُعيتُ وكان حيًّا لقاد الخيلِ يحجبها الفبارُ
 دعوتكَ يا كليبُ فلم تُجِبني وكيفَ يُجيبني البلدُ الفقارُ
 أجبني يا كليبُ خلاكَ ذمُّ لقد فُحِمتُ بفارسها نزارُ
 سقاكَ العيثُ إنك كنتَ غيثاً ويُسرّاً حينَ يُلتمسُ اليسارُ
 أيتَ عيناى بمدك أن تكفأَ كأن غصنا القتادِ لها شِفَارُ^(٥)
 وإنك كنتَ تحملُ عن رجالٍ وتمفو عنهم ، ولك اقتدارُ
 وتمنعُ أن يمسهُمُ لسانُ مخافةً من يُجِيرُ ولا يُجَارُ
 وكنتُ أعدُّ قُرْبِي منك رِجحا إذا ما عدتَ الرِّيحَ التُّجَارُ
 فلا تبعدُ ، فكلُّهُ سوفَ يلقَى شعوباً يستديز بها المَدَارُ^(٦)
 يمشي المرءُ عندَ بني أبيه ويوشكُ أن يصيرَ بحيثُ صاروا
 أرى طولاً الحياةِ وقد تولّى كما قد يُسَلِّبُ الشيءُ العَارُ

(١) الادكار : التذكر ، وهدوءا : هدأة من الليل (٢) الجوزاء : من نجوم السماء ، ولا يكون انحداره إلا في آخر الليل (٣) غاروا : غربوا عن العين واخفتوا
 (٤) في رواية : * كأن لم تحوها عني البحار * (٥) غصنا القتاد : شوكة ، والشفار : أصول
 منبت شعر الأجنان (٦) شعوب : المنية ، ومدار الدهر : ما يجرى عليه ، وهنا بمعنى الدهر الذي يدور بالشعوب .

كَأَنِّي إِذْ نَمَى النَّاعِي كَلْبِيًّا تَطَّيَّرَ بَيْنَ جَنبِيَّ الشَّرَارُ
 فَدُرْتُ وَقَدَعَشًا^(١) بَصْرِي عَلَيْهِ كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ^(٢)
 سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ الْحَيِّ دَارُ
 فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَيْثَا وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
 وَوَحَدْتُ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ ثَوَى فِيهِ السَّكَارُ وَالْفَخَّارُ
 لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعٍ^(٣) لَمْ يَشْنُهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
 أَنْتَدُو يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ أَنْجَاهُ الْفَرَارُ^(٤)
 أَنْتَدُو يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْحَدُهَا الشَّفَارُ^(٥)
 أَقُولُ لَتَغْلَبَ وَالْمَزَّ فِيهَا : أَثِيرُوهَا ! لَذَلِكُمْ أَنْتَصَارُ
 تَتَابَعِ إِخْوَتِي وَمَضُوا لِأَمِيرِ عَلَيْهِ تَتَابَعِ الْقَوْمُ الْخِيَارُ^(٦)
 خُذِ الْعَهْدَ الْأَكِيدَ عَلَيَّ عَمْرِي بَتَرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدَّيَارُ
 وَهَجَرِي النَّأْيَاتِ وَشُرْبِ كَأْسِ وَلَبَسِي جَبَّةً لَا تُسْتَمَارُ
 وَلَسْتُ بِمَجَالِخِ دِرْعِي وَسَيْفِي إِلَى أَنْ يَجْلَعَ اللَّيْلَ النَّهَارُ
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةً بِكِرٍ فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا أَثَارُ

وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجتري بالوعيد لبني
 مرّة ، حتى يئس قومه ، وقالوا : إنه زير^(٧) نساء ، وسخرت منه بكر ، وهمت
 بنو مرّة بالرجوع إلى الحمى ، وبلغ ذلك المهلهل فانتبه للحرب ، وشمر ذراعيه

(١) العقار : الحمر (٢) عشى : من باب رضى ودعا (٣) الأروع : الشجاع القوى
 (٤) أى فى الحرب (٥) الشفار : جمع شفرة وهى السكين والنصل (٦) فى رواية
 الحسار ، والحاسر : من لا مغفر له ولا درع ولا جنة (٧) زير نساء : يجب محادثة النساء
 أو مجالستهن بغير شر أو به .

وجمع أطراف قومه ، ثم جزَّ شعره ، وقصَّر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهْو ، ولا يشتمَّ طيباً ، ولا يشرب خمرآ ، ولا يدَّهِن بدهن حتى يقتل بكلِّ عضوٍ من كليب رجلا من بني بكر بن وائل .

- ٦ -

وحثَّ بنى تغلب على الأخذِ بالثأر ؛ فقال له أكبر قومه : إننا نرى ألا تمجِّل بالحرب حتى تُعذِر إلى إخواننا ، فبالله ما تجدعُ بحرب قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفك ! فقال : جدعه الله أنفأ ، وقطعها كفأ ، والله لا تحدت نساء تغلب أنى أكلتُ لكليب عنماً ، ولا أخذتُ له ديةً ، فقالوا : لا بد أن تفضَّ طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم ؛ فكره المهلهل أن يخالفهم فينفضوا من حوله ، فقال : دونكم ما أردتم .

وانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مرةً بن دُهل فعظموا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : إنكم أتيتُم أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بنأب من الإبل ، وقطعتُم الرِّحِم ، ونحن نكره العجلة عليكم دون الإعدار ، وإننا نعرض عليكم إحدى ثلاث ، لكم فيها مخرج ولنا مرصاة :

إما أن تدفموا إلينا جسأساً فنقتله بصاحبنا ؛ فلم يظلم من قتل قائله ؛ وإما أن تدفموا إلينا هماماً فإنه نذ لكليب ، وإما أن تقيدنا من نفسك يامرة ، فإن فيك رضا القوم .

فسكت - وقد حضرتهُ وجوه بني بكر بن وائل - فقالوا : تكلم غير مخذول ، فقال : أما جسأس فغلامٌ حديث السن ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فوالله ما أدرى أئى البلاد انطوت عليه . وأما همام فأبُو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعتهُ إليكم لصيح^(١) بنؤه في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجزيرة غيره . وأما أنا

(١) صيح الرجل : بالغ في الصياح .

فلا أتمجّل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم في غير ذلك؟ هؤلاء بنى فدونكم أحدهم فاقتلوه، وإن شتم فلکم ألف ناقة تضمّنها لكم بكر بن وائل .

فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل^(١) لنا بنيك، ولا لتسومنا اللبنة. ورجعوا فأخبروا المهلهل، فقال: والله ما كان كليب بجزور نأكل له ثمنا .

واعترلت قبائل من بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان ومجامعتهم على قتال إخوانهم، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل، فظعنّت عجل عنهم، وكفّت يشكر عن نصرتهم، ودعت تغلب النمر^(٢) بين قاسط فانضمت إليها، وصاروا يبدأ مهم على بكر، ولحقت بهم عقيل بنت قاسط .

وكان الحارث^(٣) بن عبّاد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكام بكر وفرسانها المدودين، فما علم بمقتل كليب أعظمه، واعتزل بأهله وولّد إخوانه وأقاربه، وحل وتر قوسه، وزرع سنان رُمحه، فقال سعد^(٤) بن مالك يعرض به :

يأبوس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا^(٥)

والحرب لا يبقى لجا حمها التّخيل والمراح^(٦)

إلا الفتى الصّبار في النّة جدات والفرس الوقّاح^(٧)

(١) ترذل : تمطينا رذال بنيك (٢) النمر من قاسط: بطن في ربيعة (٣) انتهت امرأة بني ضبيعة إلى الحارث وهو شاب ومات نحو سنة ٥٠٠ هـ (٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل ، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وله شعر جيد سائر (٥) وضعت : حطت وأسقطت ، وأراھط : جمع أراھط وهو جمع رھط ، والرھط عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة (٦) جاحها : مثيها ، والتخيل : التكبر ، والمراح : النشاط ، أي أن الحرب تكف حدة البطر النشيط ، وهو تعريض بالحارث (٧) الصبار : مبالغة صابر ، والنجدة : الشدة ، والوقّاح : الفرس الذي حافره صلب شديد .

بئس الخَلائف بمَدنا أولاد بَشْكَرَ واللِّقَاحِ (١)
من صَدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا بَرَّاحِ (٢)
الموت غايِبُنَّا فلا قَصْرَ (٣) ولاعنه رِجَاحِ (٤)
وكأَنَّمَا وِرْدُ المنيَّةِ عندنا ملاء وِرَاحُ

- ٧ -

ووقعت الحرب بين الحيين ، وكانت وقعات مُزاحفات يتخللها مُغاورات (٥) ،
وكان الرجلُ يلقي الرجلَ والرجلان الرجلين وهكذا ، وأوَّلُ وقعة كانت على ماء لهم
يُقالُ له النَّهْيُ (٦) كان بنو شيان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيان
الحارث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيان ، واستحرق (٧)
القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة .

ثم التقوا بالذئاب فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مققلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات
فظفرت بنو تغلب ، وكان جساس بن مرة وغيره طلائع قومهم وأبو نيرة التغلبي
طلائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بمض الليالي فقال له أبو نيرة : اخترت إمَّا الصراع أو
الطعان ، أو المُسَافِة (٨) ، فاختر جساس الصراع فاصطَرَّعا ، وأبطأ كلُّ واحد منهما
على أصحاب جيِّه ، وطلبوها فأصابوها وهما يصطرعان ، وقد كاد جساس يصرعه ،
ففرقوا بينهما .

(١) أي إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة ، فبئس الخلائف هم منا ، لا يحمون حريماً ، ولا يأبون
ضياً ، وكانت بنو حنيفة تلقب باللقاح ؛ لأنهم لم يدينوا للملك ، وهو يذم الحيين معاً
(٢) لا بَرَّاح : لا ريب (٣) القصر : الحبس (٤) الجماح : الهرب (٥) يقال
غاور القوم إذا غار بعضهم على بعض (٦) في ترتيب هذه الأيام خلاف بين المؤرخين فاخترنا
رواية نرجحها (٧) استحرق القتال : اشتد (٨) تسافوا : تضاربوا بالسيف .

ثم التقوا بمُنِزَةٍ فَكَافَأَ الْحَيَّانُ ، ثم التقوا بالقُصَبَاتِ وكانت الدائِرَةُ على بكر
وُقِتِلَ في ذلك اليوم هَمَامٌ بنِ مَرَّةٍ أَخُو جَسَّاسٍ ، فَرَّ بِهِ مُهْلَهْلٌ مَقْتُولًا فَقَالَ لَهُ :
وَاللَّهِ مَا قُتِلَ بَعْدَ كَلِيبٍ قَتِيلٌ أَعَزُّ عَلَى قَدِّكَ مِنْكَ (١) .

- ٨ -

ثم كانت بينهم مُعَاوَدَةٌ ووقائع كثيرة ، كلُّ ذلك كانت الدائِرَةُ فيها لبني تغلب ،
وفي ذلك يقول المهلهل - يصفُ الأيامَ وينعاهَا على بكر :

أَلَيْتَنَا بَدَى حُسْمٌ أَنْبَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرِي (٢)
فَإِنْ يَكُ بِاللَّهِ نَائِبٌ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ (٣)
وَأُنْقَذَنِي بِيَاضُ الصَّبْحِ مِنْهَا لَقَدْ أُنْقَذْتُ مِنْ شَرِّ كَبِيرِ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عُوذُ مَعْطَفَةٌ عَلَى رُبْعِ كَسِيرِ (٤)
كَأَنَّ الْجَدْيَ فِي مَشْنَأِ رَبْقٍ أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسِيرِ (٥)
كَأَنَّ النَّجْمَ إِذْ وَلى سَحِيرًا فَصَالَ جُنَّانَ فِي يَوْمٍ مَطِيرِ (٦)

(١) قتله ناشرة ، وكان عند همام لقيطا ، فلما شب تبين أنه من بني تغلب ، فلما التقوا بالقصبات
جعل همام يقاتل ، فإذا عطش رجع إلى قرية فشرب منها ثم وضع سلاحه ، فوجد ناشرة من
همام غفلة ، فشد عليه فأقصده فقتله ولحق بهومه وفي ذلك يقول باكي همام :

لقد عييل الأقوام طعنة ناشره أناشر زالت يمينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر (لسان مادة نشر) (٢) ذو حسم : موضع بالبادية ،
وتحورى : ترجعى (٣) الذنائب : الموضع الذى دُفن فيه كليب ، قال أبو على القالى فى شرح
هذا البيت : يقول : إن كان طال ليلي بهذا الموضع لقتل أخى ، فقد كنت أستقصر الليل وهو حى
(٤) العوذ : الحديثات التاج واحدها عائد ، والربيع : ما تنبع فى الربيع . يقول : كأن كواكب
الجوزاء نوق حديثات التاج عطفت على ربيع مكسور فهى لا تتركه (٥) المشناة : الحبل البنى ،
والربق : الحبل ، والجدى : نجم فى السماء ، يقول : كأن الجدى قد شد بحبل مثنى فهو أحكم لشده
(٦) شبه النجم بالقصائل فى يوم مطير لبطئها ، وذلك أن القصيل يخاف ما لزلق فلا يسرع .

- كواكبها زواحفُ لاغباتٌ^(١) كأن سماءها بيدي مُدير^(١)
 فلو نبش القابرُ عن كليبٍ فيخبرُ بالذئبِ أي زير^(٢)
 بيوم الشعْثَمينِ لقرَّ عيناً وكيف لقاءً من تحت القبور^(٣)
 وإني قد تركتُ بوارِداتِ بُجيراً في دمٍ مثل العيبر^(٤)
 هتكتُ به بيوتَ بني عُبادٍ وبعض القتلِ أشقى للصدور
 وهَمَّامُ بنُ مرَّةٍ قد تركنا عليه القشعمينِ من النُّسور^(٥)
 قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير^(٦)
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ إِذَا رَجَفَ العِضَاهُ من اللِّبُورِ^(٧)
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ إِذَا طُرِدَ اليَتِيمُ عن الجَزُورِ
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ إِذَا ما ضَمَّ جيرانُ الجِبرِ
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ إِذَا خِيفَ المَخُوفُ من الثُّغُورِ
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ غداةَ بَلابِلِ الأَمْرِ الكَبِيرِ^(٨)
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ إِذَا هَبَّتْ رِياحُ الزمهريرِ
 على أن ليس عدلاً من كليبٍ إِذَا وثب الثَّارُ على المِثِيرِ

(١) الزواحف : العبيات ، وكذلك الاغبات ، يقول : كأن سماءها أثقل من أن يديرها مدير
 (٢) الزير : تبع النساء ، وكذلك كان يعرف المهلهل (٣) الشعثان : موضع . وقال بعضهم :
 هما شعْث وعيد شمس قتلهما مهلهل يوم واردات (٤) بجير هو ابن أخي الحارث ، وهذا يدل
 على أن بجيراً قد قتل قبل ذلك ، وهو رأى صاحب الأغانى (٥) القشعم : الهرم من النُّسور
 وروى : عليه القشعمان من النُّسور ، فن رفع جملة حالا ، كأنه قال : وعليه القشعمان من النُّسور
 وجاز حذف الواو لأن الماء التي في «عليه» تكفي لربط الكلام بأوله (٦) عمرو : هو الذي عاون
 جساساً على قتل كليب ، وذو ضرير : صاحب مشقة على العدو (٧) رجف : تحرك ،
 والعضاه : كل شجر له شوكة (٨) الابلاب : الاضطراب.

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مُخَبَّأَةً اُخْدُورِ
 على أن ليس عدلا من كليب إذا عَلَنَتْ نَجِيَّاتُ الأُمُورِ
 وتَسألني بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلة ما ضميري
 فلا وأبي بديلة ما أَفَأْنَا من النعمِ المُوَبَّلِ من بَعِيرِ (١)
 ولكننا طمنا القومَ طَمَنًا على الأتباعِ منهم والنحورِ (٢)
 نَكَبُ القومَ للأذقانِ صرعى ونأخذ بالترائب والصدورِ
 فدَى لَبْنِي شَقِيقَةَ يَوْمِ جَاءُوا كَأَسَدِ الغَابِ لَجَّتْ فِي الرُّؤْيِ
 تركنا الخيلَ عاكفةً عليهم كأن الخيلَ تَدَحَّضُ فِي غَدِيرِ (٣)
 كأنَّا غُدُوَّةٌ وبنى أينا بجانب عُنْبِرَةٍ رَحِيًّا مُدِيرِ
 ولولا الرِّيحَ أسمعَ أهلَ حِجْرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذِّكُورِ (٤)

— ٩ —

ثم إن تغلب جملة تطلب جساسا أشد الطلب ، فقال له أبوه مرّة : الحقّ
 بأخوالك بالشام ، فامتنع ، فألح عليه أبوه فسيّره سرّاً في خمسة نفر ، وبلغ الخبرُ
 مهلهل ، فنذب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلاً من شُجْمان أصحابه ، فساروا مُجَدِّين ،
 فأدرَكوا جساساً فقاتلهم ، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبقَ منهم غيرَ رجلين ،
 وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه ، وقتل أصحابه فلم يسلم غيرَ رجلين أيضاً ،
 فعاد كلُّ واحد من السالمين إلى أصحابه .

(١) أفأنا : رجنا : النعم : الإبل ، والمؤبلة : الكثيرة ، وفي رواية : جلية
 (٢) الأتباع : الأوساط (٣) عاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق (٤) حجر :
 قصة المائة ، وحروبهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت . قال أبو علي القالي : هذا أول كذب
 سمع في الشعر .

فلما سمع مرّة يقتل ابنه جَسَّاس قال : إِنَّمَا يَحْزُنُنِي أَنْ كَانَ لَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا ،
 قَتِيلٌ لَهُ ؛ لِإِنَّهُ قَتَلَ بِيَدِهِ أَبَا نُؤَيْرَةَ رَئِيسَ الْقَوْمِ ، وَقَتَلَ مَعَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَاشِرَكُهُ
 أَحَدٌ مِّنَّا فِي قَتْلِهِمْ ، وَقَتَلْنَا نَحْنُ الْبَاقِينَ ، فَقَالَ : ذَلِكَ مِمَّا يَسْكُنُ قَلْبِي عَنْ جَسَّاسٍ (١) .
 فَلَمَّا قَتَلَ جَسَّاسٌ أَرْسَلَ أَبُوهُ مَرَّةً إِلَى مَهْلَهْلِ : إِنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ وَقَتَلْتَ
 جَسَّاسًا فَاسْكُفْ عَنِ الْحَرْبِ ، وَدَعِ الْجَّاجَ وَالْإِسْرَافَ ، فَهُوَ أَصْلَحُ لِلْحَيَاتِينَ
 وَأَنْكَأ لِعَدُوِّهِمْ ، فَلَمْ يُجِبْ إِلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّ نَبِيَّ بَكْرٍ اجْتَمَعُوا إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَقَالُوا لَهُ : قَدْ فَنَيْتَ قَوْمَكَ !
 فَأَرْسَلَ بُجَيْرًا ابْنَ أَخِيهِ إِلَى مَهْلَهْلِ وَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُ : إِنِّي قَدْ اعْتَرَلْتُ قَوْمِي لِأَنَّهُمْ
 ظَلَمُواكَ ، وَخَلَيْتُكَ وَإِيَّاهُمْ ، وَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ وَقَتَلْتَ قَوْمَكَ . فَأَتَاهُ بِجَيْرٌ فَهَمَّ

(١) وَرَوَى صَاحِبُ الْأَغَانِي وَابْنُ الْأَثِيرِ رَوَايَةَ أُخْرَى فِي قَتْلِ جَسَّاسٍ : « لَمَّا رَجَعْتُ جَلِيلَةَ
 أَقَامْتُ عِنْدَ أُخِيهَا جَسَّاسٌ ، ثُمَّ وُلِدَتْ غَلَامًا — مِنْ كَلِيبٍ — سَمَّيْتُهُ الْهَجْرَسَ ، فَرَبَاهُ جَسَّاسٌ وَكَانَ
 لَا يَعْرِفُ أَبَا غَيْرِهِ وَزَوْجَهُ ابْنَتَهُ ، فَوَقَعَ بَيْنَ الْهَجْرَسِ وَرَجُلٍ مِنْ بَكْرِ كَلَامٍ ، فَقَالَ الْبَكْرِيُّ :
 مَا أَنْتَ مِنْتَهُ حَتَّى نَلْحَقَكَ بِأَبِيكَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَدَخَلَ إِلَى أُمِّهِ حَزِينًا ، وَلَمَّا أَوَى إِلَى فَرَاشِهِ وَنَامَ
 إِلَى جَنْبِ امْرَأَتِهِ وَضَعَ أُنْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَتَنَفَسَ تَنَفَسَةً تَنْفَطُ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ حَرَارَتِهَا ، فَقَامَتْ
 الْجَارِيَةُ فَرَعَةً حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا ، فَفَضَّتْ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْهَجْرَسِ فَقَالَ جَسَّاسٌ : ثَأْرُ رَبِّ السَّكْبَةِ !
 وَبَاتَ جَسَّاسٌ قَلْقًا حَتَّى أَصْبَحَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْهَجْرَسِ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : لِإِنَّمَا أَنْتَ وَلَدِي وَمَنِي بِالْمَسْكَانِ
 الَّذِي عَلِمْتُ ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَ ابْنَتِي ، وَقَدْ كَانَتْ الْحَرْبُ فِي أَبِيكَ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى كِدْنَا نَتَفَانِي ، وَقَدْ
 اصْطَلَحْنَا وَتَحَاجَزْنَا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تَدْخُلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الصَّلْحِ ، وَأَنْ تَنْتَلِقَ حَتَّى نَأْخُذَ
 عَلَيْكَ مِثْلَ مَا أَخَذْنَا عَلَيْنَا وَعَلَى قَوْمِنَا ، فَقَالَ الْهَجْرَسُ : أَنَا فَاعِلٌ ، وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يَأْتِي قَوْمَهُ إِلَّا
 بِالْأَمْتَةِ وَفَرَسِهِ ، فَحَمَلَهُ جَسَّاسٌ عَلَى فَرَسٍ ، وَأَعْطَاهُ لَأَمَةً وَدَرْعًا ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهَا
 فَقَصَّ عَلَيْهِمْ جَسَّاسٌ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا الْفَتَى ابْنُ أُخْتِي
 قَدْ جَاءَ لِيَدْخُلَ فِيمَا دَخَلْتُمْ ، وَيَعْقِدُ مَا عَقَدْتُمْ ، فَلَمَّا قَرَّبُوا الدَّمَ وَقَامُوا إِلَى الْعَقْدِ أَخَذَ الْهَجْرَسُ بِيَسْطِ
 رِجْمِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَفَرَسِي وَأُذُنِي ، وَرِجْمِي وَنَصْلِيهِ وَسَيْفِي وَغَرَارِيهِ لَا يَبْرُكُ الرَّجُلُ قَاتِلُ أَبِيهِ وَهُوَ
 يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ طَعَنَ جَسَّاسًا قَتَلَهُ ثُمَّ لَحِقَ بِقَوْمِهِ ، فَكَانَ جَسَّاسٌ آخِرَ قَتِيلٍ فِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ »

المهلل بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان - وكان من أشرف بني تغلب وكان على مقدمتهم زمناً : لا تفعل ، فوالله لئن قتلته ليقتلنَّ به منكم كبش ، لا يُسأل عن خاله من هو؟ وإياك أن تحقر البغي ، فإن عاقبتَه وخيمه ، وقد اعزكنا عمه وأبوه وأهل بيته . فأبى مهلهل إلا قتله ، فطعنه بالرمح وقتله وقال له : « بُوئُ بِشِيعِ نَعْلِ كَلِيبِ ! » فلما بلغ قتله الحارث - وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً - قال : نعم القتلُ قتيلٌ أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بشِيعِ نَعْلِ كَلِيبِ ، فلم يقبل ذلك .

وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلتُ بُجيرا بكليب ، وانقطعت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلتُه بِشِيعِ نَعْلِ كَلِيبِ ! فغضب الحارث ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعامه - فجزَّ ناصيتها وهَلَبَ^(١) ذَنبها ، ثم قال :

كلُّ شيءٍ مصيره للزوال	غيرَ ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً	ليس فيهم ثنءٌ نَمُضٌ احتيال
قل لأم الأعرى تبكى بُجيرا	ما أتى الماء من رموس الجبال
لَهَفَ نفسى على بُجيرٍ إذا ما	جالت الخيلُ يومَ حربِ عُضال
وتساقى الكُماة ^(٢) سُماً نقيماً	وبداَ البيض من قبابِ الجبال
وسمعتُ كلَّ حُرَّةٍ الوجهِ تدعو	يا لَبْكَرٍ ! غرَّاء كالمثال
يا بَجيرِ الخيرات لا صلح حتى	نملاً أليد من رُوس الرجال
وتقرَّ العيون بَمَدِّ بُكاها	حين تَسْقَى الدُّما صدورَ الموالى

(١) هلب الفرس : تنف هلبه ، والهلب : الشعر كله ، وقيل في الذنب وحده

(٢) الكُماة : جم كمي ، وهو الشجاع .

أَصْبَحْتُ وَائِلٌ نَعِجٌ مِنَ الْحَرْبِ عَجِيجُ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ
لا بجير أغنى قتيلا، ولا رهط كليب تزا جروا عن ضلال
لم أكن من جُنَاتِهَا - علم الله وإني بحرّها اليوم صال
قد تَجَنَّبْتُ وائلا كي يُفِيقُوا فَأَبَتْ تَقَلُّبٌ عَلَيَّ اعْتِزَالِي
وَأَشَابُوا ذَوَابِي يُجْحِرُ قَتْلُوهُ ظُلْمًا بغير قتال
قتلوه! بِشِئْنِ نَعْلِ كَلْبِيبٍ لِمَنْ قَتَلَ الْكَرِيمَ بِالشِّئْنِ غَالِ
يا بني تغلب خذوا الحذر إنا قد شربنا بكاسِ مَوْتِ زُلَالِ
يا بني تغلب قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثله في الخوالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ (١) مَنِي لَقِحَتْ حَرْبَ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ (٢)
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي لَيْسَ قَوْلِي يَرَادُ لَكِنْ فِعَالِي
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي جِدَّةُ نَوْحِ النِّسَاءِ بِالْإِعْوَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي شَابَ رَأْسِي وَأُنْكَرْتَنِي الْعُوَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي لِلشَّرِيِّ وَالغُدُوِّ وَالْأَصَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي طَالَ لَيْلِي عَلَى اللَّيَالِي الطَّوَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي لِإِعْتِنَاقِ الْأَبْطَالِ بِالْأَبْطَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي وَاعْدَلَا عَنِ مَقَالَةِ الْجُهْمَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي لَيْسَ قَلْبِي عَنِ الْقِتَالِ بِسَالِ
قربا مَرَبِطُ النِّعَامَةِ مَنِي كَلِمَا هَبَّ رِيحَ ذَيْلِ الشَّمَالِ

(١) النعامة : فرس الحارث ، وأصل القحاح : الجمل ، وعن بمعنى بعد ، وحيال : مصدر حالت الأثني إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قرباً مَرَبَطُ النعماءِ منى لُبَجِيرٍ مُفَكِّكِ الأغللِ
قرباً مَرَبَطُ النعماءِ منى لكَرِيمِ مُتَوَجِّجِ البِجَالِ
قرباً مَرَبَطُ النعماءِ منى لا نَبِيْعُ الرِجَالِ بِيَعِ النَّمَالِ
قرباً مَرَبَطُ النعماءِ منى لُبَجِيرِ فِدَاهِ عَمِّي وَخَالِي
قرباًها لِحِيٍّ تَغْلِبُ شُوساً^(١) لا عِتْناقِ الكُماةِ يَوْمَ القِتالِ
قرباًها وَقرباً لِأَمْتِي دِرٌّ عا دِلَاصاً^(٢) تَرُدُّ حَدَّ النَبالِ
قرباًها بِمَرْهَقاتِ حَدادِ لِقِراعِ الأبطالِ يَوْمَ النِزالِ
سائِلُوا كَنَدَةَ الكِرامِ وَبِكَرًّا واسألُوا مَدْحِجاً وَحِيَّ هلالِ
لِذِ أَتونا بِمِسْكَرِ ذِي زُهاءِ^(٣) مَكْفَهْرِ الأذى شَدِيدِ المِصالِ
فَقَرَيْناهُ حِينَ رامَ قِراناً كُلِّ ماضِي الذِّبابِ^(٤) عَضْبِ الصِّقالِ

ثم ارتحل الحارث مع قومه ، حتى نزل مع جماعة بَكْرِ بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارثُ بن هَمَّام ، فقال الحارث بن عبَّاد له : إن القوم مُستقلُّون قومك ، وذلك زادهم جُرْأةً عليكم ، فقالت لهم بالنساء ، قال له الحارث بن هَمَّام : وكيف قتال النساء ؟ فقال : قلِّد كلَّ امرأةٍ إِداوةً^(٥) من ماء ، وأَعْطِها هِراوَةَ ، واحمِلْ جَمْعَهُنَّ من ورائِكُمْ ؛ فإن ذلكم يزيدهم اجتِهاداً ، وعَلِّمُوا قومَكِ بِعلاماتِ يَعْرِفُنها ، فإذا

(١) الشوس : جمع الأشوس وهو الجري .
دِلاص : براءة لمساء لينة بينة الدِلاص (٣) ذى زهاء : ذى عدد كثير (٤) ذباب السيف : حد طرفه الذى بين شفرتيه وما حوله من حديه ظباه ، وقيل حده .
(٥) الإداوة : إماء صغير من جلد يتخذ للماء .

مرّت امرأةٌ على صريعٍ منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونمسته ، وإذ امرت على رجلٍ من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته ، وأنت عليه .

فأطاعوه ، وحلقت بنو بكر يومئذ رهوسها ، استبسالاً للموت ، وجملوا ذلك علامة بينهم وبين نساءهم ؛ وقال جحدر بن ضبيعة - وإنما سمي جحدرأ لقصره : لا تحلقوا رأسي ؛ فإني رجل قصير ، لا تشينوني ، ولكن أشتره منكم بأول فارس . يطلع عليكم من القوم ؛ فطلع ابن عناق فشدّ عليه فقتله ، فقال رجل من بكر بن وائل في ذلك :

ومنا الذي فادى من القوم رأسه . ^(١) بمسئلهم من جمعهم غير أعز لا فادى إلينا بزه ^(٢) وسلاحه ومنفصلا من عنقه قد تزايلا
وكان جحدر يرتجز ويقول :

ردّوا على الخيل إن أمت إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي
واقتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهزمت بنو تغلب ، ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها ، واتبعهم سرعان ^(٣) بكر بن وائل ، وتخلّف الحارث بن عبّاد ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وضعته ^(٤) الحرب ؟ فقال : لا ، ولكن لا نجأ لطرّ بعد عروس ^(٥) .

وأمر الحارث مهلهلاً بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ، فقال له : دلّني على المهلهل . قال : ولي دمي ؟ فقال : ولك دمك ، قال : ولي ذمتك وذمة أبيك ؟

(١) مسئلهم : لباس الأئمة وهي السلاح

(٢) البز : نوع من الثياب

(٣) سرعان

الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر

(٤) يشير إلى قوله :

يابؤس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا

(٥) معناه : إن لم تنصر قومك الآن فلن تدخر نصرك ؟

قال : نعم ، ذلك لك . قال المهلهل - وكان ذا رأى ومكيدة - فأنا مهلهل !
خدعتك عن نفسي ، والحرب خدعة . فقال : كافتني بما صنعت لك بعد جرمك ،
وُدّلتني على كفاء لُبجِير . فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَا كَعَلِمَهُ .
فجزّ ناصيته (١) وأطلقه ، وقصد قصد امرئ القيس فشدّ عليه فقتله ، فقال
الحارث في ذلك :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أُمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ
طُلٌّ (٢) مِنْ طُلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أَوْ تَرَوْ بِجِيرًا أَبَانُهُ (٣) ابْنَ أَبَانَ
فَارِسٍ يَضْرِبُ الْكَتِيْبَةَ بِالسَّيْفِ وَتَسْمُو أُمَامَةَ الْعَيْنَانَ

فلما رجع مهلهل بعد الواقعة والأمر إلى أهله جعل النساء والولدان يستخبرونه :
تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والغلام عن أبيه وأخيه ، فقال :

لَيْسَ مِثْلِي يَخْبِرُ النَّاسَ عَنْ آ بَاهِمٍ قَتَلُوا وَيَنْسَى الْقِتَالَ
لَمْ أَرِمْ (٤) عَرَصَةَ الْكَتِيْبَةِ حَتَّى انْتَمَلَ الْوَرْدُ (٥) مِنْ دِمَائِهِ نَمَالًا
عَرَفْتَهُ رِمَاحُ بَكْرِ فَمَا يَأْ خُذْنَ إِلَّا لِبَانَهُ (٦) وَالْقَذَالَا
غَلَبُونَا ، وَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالًا

ثم إن مهلهلا قال لقومه : قد رأيت أن تُبقوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ،
وقد أتت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم ،
فلو مرّت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تملّ من طولها ، فكيف وقد فني
الحَيَانُ ، وثكّلت الأمهات ، ويُمّ الأولاد ، وربّ نائحة لا تزال تصرخ في النواحي ،

(١) الناصية : في مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب إذا أنعموا على الرجل الشريف
بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند من جزها (٢) طل دم التتيل :
ذهب هدرًا (٣) أباء القاتل بالتتيل : قتله به (٤) لم أرم : لم أبرح (٥) الورد
من الخيل : بين الكميّ والأشقر (٦) اللبان : الصدر ، ويروي : لبانه .

ودموع لا تترفاً ، وأجساد لا تُدْفَن ، وسُيُوف مشهورة ، ورماح مُشْرَعَة ؛
وإن القوم سيرجمون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتمطّف الأرحام حتى
تتواصوا ؛ أما أنا فأتطيب نفسي أن أُقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل
كليب ، وأخاف أن أحلّمكم على الاستئصال ، وأنا سأر عنكم إلى اليمن .

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل ،
فأكرهوه وساقوا إليه أدمًا في صداقها فأنكحها إياه ، فقال في ذلك :

أنكحها فقدّها الأراقم^(١) في جنّب^(٢) وكان الحباء^(٣) من أدم
لو بأبائين^(٤) جاء يخطبها ضرج ما أنفُ خاطبِ يدم
أصبحت لا مُنْفِسا^(٥) أصبتُ ولا أبتُ كريماً حراً من الندم
هان على تغلب بما لقيتُ أختُ بني المالكين من جشم^(٦)
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُفنون من عيلةٍ ولا عدَم

وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمي في مذحج ، وكان بين القومين
منافسة ونفور ؛ ففضبوا ، وأرفوا وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجعوها إلى
أبيها بعد أن أسروا زوجها .

وملّت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكرًا ، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ،
ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ولجّت عليه ابنته سُليمي بالسير
إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرُب من قبر أخيه كليب ،
وكانت عليه قبة رقيقة ؛ فلما رآه خنفته المرة ، وكان تحته بقل نجيب ؛ فلما رأى
البقل القبر في غَسّ الصبح نفر منه هاربًا ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عُرقوبيه
بالسيف ، وقال^(٧) :

(١) الأراقم : أحياء في تغلب (٢) حي باليمن هو الذي كان فيه المهلهل (٣) الحباء : يريد به
المهر (٤) أبائان : جيلان (٥) المنفس : المال الكثير الذي له خطر (٦) جشم :
قبيلة في تغلب ، وهم قوم المهلهل (٧) أوردنا هذا الشعر على ما فيه من سهولة تحملنا على
التفكير في صحة نسبه إليه - لطرافته .

رماك الله من بفلٍ بمشحوذٍ من النبلِ
أبا تبلفنى أهلك أو تبلفنى أهلى
ألا أبلغ بنى بكر رجالا من بنى ذهل
بدأتم قومكم بالغد ر ، والعدوان والقتل
قتلتم سيد الناس ومن ليس بذى مثل
وقلتم : كفوهُ رجلٌ وليس الرأس كالرجل
وليس الرجل الماحد مثل الرجل النذل
فتى كان كالف من ذوى الإينام والفضل
لقد جثم بها دهما كالحية فى الجذل
وقد جثم بها شعوا أشابت مفرق الطفل
وقد كنتُ أخوا لهو فأصبحتُ أخوا شغل
ألا يا عاذلى ، أقصر لحاك الله من عدلى
سأجزى رهط جساس كخذو النعل بالنعل

وسار بعد ذلك حتى نزل فى قومه زماناً ، وما وكده^(١) إلا الحرب ، لا يهيم بصلح ، ولا يشرب خمراً ، ولا يلهو بلهو ، ولا يحل لأئمة ، ولا يفتسل بماء ، حتى كان جلسه يتأذى منه من رائحة صدى الحديد .

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تغلب - اسمه ربيعة بن الطفيل ، وكان له نديماً ، فلما رأى مابه قال :

أقسمت عليك أيها الرجل لتفتسلن^٢ بالماء البارد ، ولتبان ذوائبك بالطيب ! فقال المهلهل : هيات ! هيات ! يا بن الطفيل ؛ هيلتني إذا عيني ، وكيف باليمن التي آليتُ ! كلاً أو أفضى من بكر أربي ، ثم نأوه وزفره ، وقال :

(١) وكده : قصده .

إن في الصدر من كليب شُجُونَا هاجساتٍ نَكَانَ مِنْهُ الجِراحَا
 أنكرتني حلياتي مُذْ رَأَتِي كاسفَ اللونِ لَا أَطِيقُ المِزاجَا
 يا خَلِيلِيَّ نَادِيَا لِي كَلِيبَا ثم قولَا له : نَعْمَتَ صَباحَا
 يا خَلِيلِيَّ ، نَادِيَا لِي كَلِيبَا قَبْلَ أَنْ تَبصِرَ العيونَ الصَباحَا

وتقضى الصلح ، وعادت الحرب ، ثم إن المهلهل أغار غارة على بني بكر فظفر به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأسرّه وأحسن إيساره ، فرّ عليه تاجر يبيع الخمر - وكان صديقاً للمهلهل - فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع شبان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أُفِرِدَ له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بشعره ناح فيه على أخيه :

طَفَلَةٌ^(١) مَا بِنْتُ المَحَلِّ بِيضَا ه لَعُوبٌ لَدَيْدَةٌ فِي العِنَاقِ
 فاذهبي ما إليك غير بعيدٍ لَا يُؤَاتِي العِنَاقُ مَنْ فِي الوِثَاقِ
 ضربت نحرها إلى وقالت : ياعدياً ، لقد وقتك الأواق^(٢)
 ما أرجى في العيش بعد ندأما يا أراهم سقوا بكأس حلاق^(٣)
 بعد عمرو وعامر وحيي وربيع الصدوف^(٤) وابني عناق
 وامرئ القيس ميت يوم أودى ثم خلّي على ذات العراق^(٥)
 وكليب سُمّ الفوارس إذ حُمّ مَ رماه الكأه بالإيقاق^(٦)
 إن تحت الأحجار حداً ولينا وَحَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِ^(٧)
 حية في الوجار أربد لا تنقع منه السليم نَفْثَةُ رَاقِ^(٨)

(١) طفلة : رخصة ناعمة (٢) الأواق : جمع واقية (٣) الحلاق : النية معدولة عن الحلاقة ، أى تقشر (٤) الصدوف : اسم فرس الرقيم المذكور (٥) ذات العراق : الداهية (٦) الإيقاق : وضع السهم للرماية (٧) المغلاق : اللسان البلعج (٨) لوجار : الجحر ، والأربد : الذى يضرب لونه إلى السواد .

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال : لا جرّم ! إنَّ اللهَ عليّ نذراً ، إن شرب عندي
قطرة ماء ولا خمر حتى يورد الخضير (١) ، فقال له أناس من قومه : بئس ما حلفت !
فبعثوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، وكان المهلهل مات
عطشاً (٢) .

(١) الخضير: بعير لعوف لا يرد الماء إلا في اليوم السابع . وفي رواية : حتى يرد ربيب الهضاب
وربيب اسم جبل له كانت أقل وروده في الصيف الحمس ، أى مرة كل خمسة أيام (٢) وفي موت
المهلهل رواية أخرى أوردتها صاحب الخزانة وقال : لما أسن وخرف كان له عبدان يجنمانه ففلاه ،
وخرج بهما إلى سفر فبينما هما في بعض القلوات عزم على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله :
من مبلغ الحين أن مهلهلا لله دركما ودر أيكما
ثم قتلاه ورجعا إلى قومه قتالا مات ، ولكن بنته قرأت ما على القتب فقالت : إن مهلهلا لا يقول
هذا الشعر وإنما هو أراد :

من مبلغ الحين أن مهلهلا
لله دركما ودر أيكما

أمسى قتيلاً في القلابة مجذلاً
لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا المبدلين حتى أقرأ بقتله .

٥- أيام ربيعة وتيم

- ١- يوم الوقيط .
- ٢- » نيتل .
- ٣- » جدود
- ٤- » زرود
- ٥- » ذى طلوح
- ٦- » الاياد
- ٧- » الغبيط
- ٨- » قشاوة
- ٩- » زباله
- ١٠- » مبايض
- ١١- » الزورين
- ١٢- » عاقل
- ١٣- » الشيطين
- ١٤- » الوقبي
- ١٥- » الشباك

(١) يوم الوقيط*

تجمعت الهازم^(١) لتغير على بني تميم ، وهم غارون^(٢) ، فرأى ذلك ناشبُ بن بشامة العنبري^(٣) الأعور - وهو أسير في قيس بن ثعلبة ، فقال لهم ناشب : أعطوني رجلاً أرسله إلى أهلي بني العنبر وأوصيه ببعض حاجتي ، فقالت له قيس بن ثعلبة : ترسله ونحن حضور - وذلك مخافة أن يندر^(٤) عليهم - قال : نعم ، فأتوه بسلام مؤتد ، فقال : أتيتموني بأحمق ! قال الغلام : والله ما أنا بأحمق ، فقال الأعور : إني أراك مجنوناً ! قال : والله ما بي من جنون . قال : فالتيران أكثر أم الكواكب ؟ قال : الكواكب ، وكل كثير . قال : إنك لنبي أحمق ، وما أراك مبلّغاً عني . قال : بلى ، لعمرى لأبلغنّ عنك .

فلا الأعور كفه من الرمل ، فقال له : كم في كفي ؟ قال : لا أدري ، وإنه لكثير ما أخصيه ، فأومأ إلى الشمس بيده ، وقال له : ما تلك ؟ قال : هي الشمس . قال : ما أراك إلا عاقلاً ظريفاً ؛ اذهب إلى أهلي ، فأبلغهم عني التحية والسلام ، وقل لهم : ليحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه ، فإني عند قوم يحسنون إلى ويكرموني - وكان جنظلة بن طفيل المرثدي أسيراً في أيدي بني العنبر - وقل لهم : فليمرؤا جملي

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والوقيط : السكان الصلب التي يستتق في السماء . أطلق على موضع .

الأملئ ص ٦ ج ١ ، النقائص ص ٣٠٥ ، ابن الأثير ص ٣٨٥ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٨٥ ج ١ ، نهاية الأرب ص ١٥٤ ج ٣ ، قصص العرب ص ٣٣٧ ج ١ الزهر جزء أول طبعة الحلبي (باب الملاحن)

(١) الهازم : م عنزة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لجم ، و تيم الله وقيس ابنا ثعلبة من بكر ابن وائل ، وقد كانوا جميعاً حلفاء (٢) الغاو : الغافل (٣) من بني العنبر ، وهم بطن من تميم (٤) يندر : يعلم .

الأحمر، ويركبوا ناقتي العيساء^(١)، بآية ما أكلت معهم حيساً^(٢)، وليرعوا حاجتي في أبيني مالك^(٣)، وأخبرهم أن العوسج^(٤) قد أورق، وأن النساء قد شكّت^(٥)، وأبعصوا همام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود^(٦)، وليطيعوا هذيل بن الأحنس، فإنه حازم ميمون .

فقال له بنو قيس : من أبيتو مالك ؟ قال : بنو أخی .

فأتاهم الرسول فأخبرهم وأبلغهم ، فلم تدر عمرو بن تميم ما الذي أرسل به إليهم الأعور ، وقالوا : ما نعرف هذا الكلام ، ولقد جنّ الأعور بعدنا ! ما نعرف له ناقة يختصها ولا جملاً ، وإن إبله عندنا لبأج^(٧) واحد فيما نرى .

فقال هذيل بن الأحنس للرسول : اقتصّ على أول قصّته ، فقصّ عليه أول ما كله به الأعور ، وما رجمه إليه حتى أتى على آخره ، فقال هذيل : أبلغه التحية إذا أتته ، وأخبره أنا سنوصي بما أوصى به ، فشحّص الرسول .

ثم نادى هذيل : باللعنبر! قد بين لكم صاحبكم؛ أما الرمل الذي جعل في يده فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى ، وأما الشمس التي أوما إليها، فإنه يقول : إن ذلك أوضح من الشمس ، وأما جملة الأحمر فالصمان^(٨) يأمركم أن تمرّوه ، يعني ترّجّلوا عنه، وأما ناقته العيساء فإنها الدهناء^(٩) يأمركم أن تتحرّروا فيها، وأما أبيتو مالك فإنه يأمركم أن تفدروهم ما حدركم ، وأن تمسكوا بحلف بينكم وبينهم ، وأما إيراقي

(١) العيساء : الناقة يخالط بياضها شقرة (٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأظف

(٣) يرعوا : يحفظوا ، وأبيني : تصغير بين كما في اللسان مادة بني (٤) العوسج : شوك

(٥) شكّت النساء : اتخذت الشكاء ، والشكاء جمع شكوة وهو وعاء من آدم يبرد فيه الماء

(٦) المحدود : المتنوع من الخير (٧) بأج واحد - يهزم ولا يهزم : شيء واحد

(٨) الصمان : جبل أحمر في أرض بني تميم (٩) الدهناء : سبعة أجيل من الرمل ، وهي

المَوْسَجِ فَإِنَّ القَوْمَ قَدْ اكْتَسَوْا سِلَاحًا ، وَأَمَا اسْتِكْأَ النِّسَاءَ فَيُخْبِرُكُمْ أَنَّهُنَّ قَدْ
عَمِلْنَ الشِّكَاةَ ، يُرِيدُ خَرْزْنَ لَهُمْ شِكَاةً يَفْزُونَ بِهَا ؛ وَقَوْلُهُ : بَأْيَةَ مَا أَكَلْتُ
مَعَكُمْ حَيْسًا ، يُرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ قَدْ غَزَوْكُمْ ؛ لِأَنَّ الحَيْسَ يَجْمَعُ التَّمْرَ وَالسَّمْنَ
وَالْأَقِطَ (١) .

فَخَدِرَتْ بَنُو عَمْرِو (٢) بْنِ تَيْمِمْ ، فَرَكِبَتْ الدَّهْنَاءَ ، وَأَنْدَرُوا بَنِي مَالِكِ بْنِ
حَنْظَلَةَ ، فَقَالُوا : مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو الجَمْرَاءِ (٣) ، وَلَسْنَا مُتَحَوِّلِينَ لِمَا قَالَ
صَاحِبُهُمْ .

فَصَبَحَتْ اللَّهَازِمُ بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَوَجَدُوا بَنِي عَمْرِو قَدْ أُجِلَّتْ وَارْتَحَلَتْ ، وَإِنَّمَا
أَرَادُوهُمْ عَلَى الوَقِيطِ ، وَعَلَى الجَيْشِ أَبِجْرَ بْنِ جَابِرِ العِجْلِيِّ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَطَمِنَ بَشْرُ بْنُ
العوراءِ - مِنْ بَنِي تَيْمِمْ اللَّاتِ - ضَرَارَ بْنَ القَمْعَاقِ وَأَخَذَهُ ، ثُمَّ جَزَّتْ بَنُو تَيْمِمْ اللَّاتِ
نَاصِبَتَهُ وَخَلَّوْا سَرِيهَ (٤) تَحْتَ اللَّيْلِ .

وَبَلَرَزِ عَمْرُو بْنُ قَيْسِ - مِنْ بَنِي رَيْبَعَةَ - عَثَجَلَ بْنَ المأمومِ - مِنْ بَنِي شَيْبَانَ - فَأَسْرَهُ
عَمْرُو تَيْمِمْ مِنْ عَلَيْهِ .

(١) وَهناك رواية أخرى أوردها صاحب التفاض وهي : أن ناشب بن بشامة رأى راكباً فقال :
أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، فقال لبي سعد بن مالك : إن طريق هذا على أهلي ، فهل أتم تارك
فأحمله حاجة إليهم ، وأوصيهم بحنظلة ؟ فقالوا : لا ، إلا ونحن نسمع ، قال : وأتم تسمعون ،
فتركوه وهو معهم ، فقال للراكب : إذا أتيت أم قدامة فقل لها : إنكم قد أسأتم لى جملى الأحمر
ونهمكنموه ركوباً فأعفوه ، وعليكم ناقتى الصهباء فاقتعدوها ، فلما أبلغها ما قال ، قالت لابنها :
إن الأعور يأمركم أن تركبوا الدهناء وتعرؤا الصان . . . الخ (٢) من تميم
(٣) الجراء : لقب بنى عمرو وأصله الضبع ، يريدون ما ندرى ما تقول بنو العنبر .
(٤) سبيله .

وأمر طليسة بن زياد العجلي حنظلة بن المأموم^(١) ، وأمر حنظلة بن عمار
جُوَيْرِيَةَ بن بدر - من بني عبد الله بن دارم^(٢) - وأمر أيضاً نعيم وعوف ابنا القمقاع
وغيرها من سادات بني تميم ، ثم هرب عوف عن أخويه ففات ، وهرب مالك بن
قيس^(٣) .

(١) اشتراه الوراق بن الوراق بمائة بعير ، ثم حبسه معه ، فلم يوفه ، فقدم الكوفة ليفاديه ،
وبها على بن أبي طالب ، فأناه نفر من بني حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : أسار في الإسلام؟
فقال : لا ، وبعث فأنزعه ، من الوراق ، ولم يكن الوراق وفي بني عجل فداء حنظلة ، فلما كانت
فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراق مائة بعير ، فقال يزيد بن الجداء العجلي في المأموم :

وَمَ صَبَحُوا أُخْرَى ضَرَاراً وَرَهْطَهُ وَهُمْ تَرَكَوا المَأْمُومَ وَهُوَ أَمِينٌ
(٢) لم يزل في الوثاق حتى رآهم ذات يوم قد قعدوا شرباً ، فأنشأ يتغنى رافعاً عقيرته :

وقائلة ما غاله أن يزورنا وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد أدركتني والحوادث حجة مخالب قوم لا ضفاف ولا عزل
سراع عن الجلي بقاء عن الحنا رزان لدى الباذين في غير ما جهل
الباذون : أصحاب البذاء

لعلهم أت يعطروني بنعمة كما صاب ماء الزن في البلد المحسل
فقد ينشئ الله الفتى بعد عثرة وقد تبتنى الحسنى سرة بني عجل
فلما سمعوا أطلقوه

(٣) وفي ذلك يقول صهير بن عمار التيمي :

وأفلتنا ابن قمقاع عوف حيث الركنض واحتطوا ضرارا
فإن تك يا عوف نجوت منها فقدما كنت منتخباً مطارا
وكم غادرن منكم من قتيل وآخر قد شدناه لإسارا
كذلك الله يجزي من تميم وبرزقها الساءة والعنارا
ونجى مالكا منا ابن قيس أخو ثقة يؤم به الفسارا
وصادف عثجل من ذلك مرأ مع المأموم إذ جدا نقارا
وغادرننا حكياً في مجال صريعاً قد سلبناه الإزارا

حكيم بن جذيمة بن الأصيلع

مددنا غارة ما بين فلج وبين لصف نوطها الديارا
فاشعروا بنا حتى رأونا على الرايات ندرع الغبارا

ولحن^(١) وراز التيمى حُكَيْمًا^(٢) النهشلى وهو يرتجز :
ماوى لن تراعى رحية ذراعى
بالكر والايزاز

ويقول :

كل امرىء مُصَبِّحٌ في أهله والموتُ أدنى من شراكِ نَمَلِهِ
فشد عليه ورازُ قَتَلَهُ^(٣) .

ومرت المهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بنى عدى بن جندب بن المنبر
لم يكونوا برحوا مع قومهم فلحقوا بالدهناء معهم ولم يشهدوا القتال مع بنى دارم ،
فكانوا يرعون ، فقاتلوا من دون إبلهم حتى طردوها فأحرزوها ، وجعل وزرُ
يقاتلهم ويرتجز ويقول :

نحن حَمِينًا يوم لا يحمى بَشَرُ
قوسٌ تنقأها من النبعِ وَزَرُ
يوم الوقيط والنساء تُبْتَقَرُ^(٤)
تُرُنُّ إن تُنَازِعَ الكفَّ الوترُ
تحفِزُها الأوتارُ والأيدى الشُعُرُ
فيها المنايا تَسْتَعِرُ^(٥) حَجْرِيَّةً

(١) في معجم البلدان اسمه إراز ، وهو أحد بنى تيم الله بن ثعلبة (٢) في معجم البلدان أيضا
أن اسمه الحكم

(٣) رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيم فدى لك يوم الوقي
تمودت خير فعال الرجا
وما إن أتى من بنى دارم
وفقاً عيني تبكاهما
فأشأ فليفعل المؤيدا
ط إذا حضر الموت خال وعم
ل فك العناة وقتل البهم
نميك أشمط إلا وجم
وأورث في السمع منى صم
ت والدهر بعد فتانا حكم

أى حكيم

فتى ما أضلت به أمه
يجوب الظلام ويهدى الخيس
من القوم ليلة لا مدعم
ويصبح كالصقر فوق العلم

(٤) ناقة بغير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وابتقر (٥) يعنى قوساً
نسوبة إلى حجر - قصبة اليمامة أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض تمود - الحجر .

(٢) يوم تَيْتَل*

خرج قيسُ بنُ عاصمِ المِنَقَرِيِّ بِمُقَاعِسِ^(١) وهو رئيسٌ عليها ، ومعه سَلَامَةُ بنُ ظَرْبٍ في الأَجَارِبِ^(٢) ، ففَزَوْا بَكَرَ بنَ وائِلٍ ؛ فوجدوا اللِّهَازِمَ^(٣) ، وبنى ذُهَلِ بنِ ثَعْلَبَةَ وَعِجْلَ بنِ لُجَيْمٍ ، وَعَنْزَةَ^(٤) بنِ أَسَدِ النَّبَّاحِ وَتَيْتَلَ^(٥) ، فتنازَعَ قيسٌ وسَلَامَةُ في الإِغَارَةِ ، ثم اتَّفَقَا على أن يُغَيِّرَ قيسٌ على أهلِ النَّبَّاحِ ، ويُغَيِّرَ سَلَامَةُ على أهلِ تَيْتَلَ ؛ فبعثَ قيسٌ سِنَانِ بنَ سَمِيِّ الأَهَمِّ شَيْفَةَ^(٦) له ، فلقِيَ رجلا من بني بَكَرِ بنِ وائِلٍ ، فتماقدا على الأَلَايَتِكَاتِمَا ؛ فقال الأَهَمُّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ، ونحن بجوف الماء حضور ، فن أَنْتَ ؟ قال الأَهَمُّ : أنا سنان بن سَمِيِّ ، وهو لا يُعرفُ إلا بالأَهَمِّ ، ففعلَ نفسه له ، فرجع البَكَرِيُّ فَأَخْبَرَ قَوْمَهُ عنه ، ورجع الأَهَمُّ فَأَخْبَرَ قَيْسًا الخَبَرَ ، وقال : يا أبا عليٍّ ؛ هل بالوادي طَرْفَاءُ^(٧) ؟ فقال قيسٌ : بل به نَعَمْ . وعرفَ أَنَّهُم بَكَرٌ ، فكتمهم أَصْحَابُهُ .

فلما أصبح سَمِيُّ حَيْلَهُ ، ثم أطلقَ أُنْفُوَاهُ الرَّوَايَا ، وقال لأصحابه : قَاتِلُوا فَمَلُوتُ

* لتيم على بكر (بن ربيعة) . تَيْتَل : ماء على عشر مراحل من البصرة ، ويسمى يوم النباح ، وهو موضع قريب من تَيْتَل
النفائض ١٠٢٣ (طبع أوربا) ، العقد الفريد ٣٣٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٧ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٤٣ ج ٨

(١) مقاعس : بطون في تميم تتألف من : صريم وريع وعبيد بنو الحارث بن عمرو
(٢) الأجارب : بطون في تميم أيضاً تتألف من : جما وريعة ومالك والأعرج بنو كعب بن سعد
(٣) الليهزم : لقب تيم الله بن ثعلبة ، وهم بطن في بكر ، وكذلك ذهل بن ثعلبة وعجل بن لُجيم
(٤) عنزة من ربيعة بن نزار (٥) النباح : موضع على عشر مراحل من البصرة ، وتَيْتَل قريب منه (٦) الشيفة : الطليعة (٧) طرفاء : شجر وهو أصناف من الأثل ، وهو يكتنى بالنعم عن القوم

بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دنوا من القوم صُبْحًا سمعوا ساقياً من بكر
يقول لصاحب له : يا قيس ؛ أورد ؛ فتفاءلوا به الظفر ، ثم أغاروا على أهل النباج من
بكر قبيل الصبح ، فقاتلهم قتالاً شديداً .

ثم إن بكرأ انهزمت ، وأمر الأهم حمران بن عبد عمرو ، وأسر فدكي بن
أعبد جثامة الذهلي ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ثم قال قيس لأصحابه : لا تقبل
دون إخواننا بئيتل .

وعاد مسرعاً إلى سلامة ، ومن معه ، فأدركهم ولم يُفرِّ بَمدُ سلامة وأصحابه
على من بئيتل ، فأغار قيس عليهم فقاتلهم ، ثم هزموهم ، فأصابوا إبلاً كثيرة ، وجاء
سلامة فقال : أغرتم على ما كان إلى ؛ فتلاجوا حتى كاد الأمر يَفْقُم ، ثم انفقوا على
أن سلموا السلامة غنائم بئيتل . وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف بن تميم حيث
رأى قيساً :

فلا يُبعِدَنَّكَ اللهُ قَيْسَ بنِ عاصمٍ فأنتَ لَنَا عِزٌّ عِزٌّ وَمَعْقِلُ
وَأنتَ الَّذِي حَرَبْتِ^(١) بَكْرَ بنِ وائِلِ وقد عَضَّتْ^(٢) مِنْهَا النَّبَاجُ وَبَيْتِلُ
غَدَاةَ دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ كِرَادِيسَ^(٣) يَهْدِيهِنَّ وَرَدُّ مُحَجَّلُ
وظَلَّتْ عُقَابَ المَوْتِ تَهْفُو عَلَيْهِمُ وشعثُ النَّوَاصِي لُجْمُهُنَّ تُصَلِّصُ
فَمَا مِنْكُمْ أَفْنَاءُ بَكْرِ بنِ وائِلِ لِنَارَتِهِ إِلَّا رَكُوبٌ مُدَلَّلُ

• وقال قرة بن قيس بن عاصم :

أنا الذي شقَّ الزَّادَ^(٤) وقد رأى بئيتلَ أحياءَ اللّهَّازِمِ حُضْرًا

(١) حربه : سلب ماله (٢) عضلت الأرض بأهلها إذا ضاقت بهم لكثرتهم

(٣) كراديس : جمع كردوس ؛ الحيل العظيمة ، وقيل القطعة من الحيل العظيمة

(٤) جمع مزادة ؛ الراوية .

فصبّحهم بالجيش قيسُ بن عاصم
سقاهم بها الذيفان^(١) قيسُ بن عاصم
على الجردِ^(٢) يملُكن الشكيم^(٣) عوابسًا
فلم يرها الرءوف إلا فجاءة
ومحمرانُ أدته إينا رماحنا
وجثامة الذهلي قُدناه عنوةً
فلم يجِدُوا إلا الأسنّةَ مصدرًا
وكان إذا ما أوردَ الأمرُ أُصدرا
إذا الماء من أعطافهنَّ تحدّرا
نثرن عجاجًا بالسّنابك أكدرا
فنازع غلاّ في زراعيه أسمرا
إلى الحى مصفودَ اليدين مفكرا

(١) الذئفان ، والذيفان (بفتح الذال وكسرهما) : السم الناقع ، وقيل القاتل (٢) فرس
أجرد قصير الشعر ، وقيل الأجرد : الذى رق شعره وقصر ، وهو مدح (٣) الشكيم فى
اللجام : الحديدة المعتضة فى فم الفرس التى فيها الفأس .

(٣) يوم جدود*

كانت بين الحارث بن شريك وبين بنى سليط بن يربوع مَوَادَعَة ، فهمم بالندَرِ بهم ،
وجمع بنى شيان وذَهْلًا ، واللّهَازم ، وعليهم مُحْران بن عبد عمرو ، ثم غزا وهو يَرْجُو
أن يُصِيبَ غِرَّةً من بنى يربوع ؛ حتى إذا أتى بلادهم نَدَرَ به عُنَيْبَةُ (١) بن الحارث
ابن شهاب ، فنَادَى في بنى جعفر بن ثعلبة ، فحَالُوا بين الحارث وبين الماء ، والحارثُ
في جماعة من أَفْنَاءِ بكر بن وائل ، فقال الحارثُ لعتيبة : إني لا أرى معك إلا بنى
جعفر ، وأنا في طوائف من بكر بن وائل ، فلئن ظفرتُ بكم قلَّ عددكم ، وطمع
فيكم عدوكم ، ولئن أنتم ظفرتُم بي ما تقتلون إلا أقاصى عشيرتي ، والله ما إياكم
أردت ، ولا لكم سموتُ ، وقد عرقتُم المَوَادَعَة التي بيننا وبين إخوانكم بنى سليط ،
فهبل لكم أن تُسألونا ، وتأخذوا ما معنا من التمر ، وتُحَلُّوا سبيلنا ؟ فوالله لا نرَوِّع
يربوعياً أبداً .

فأخذ عتيبة ما معهم من التمر ، وَحَلَّى سبيلهم ، فسار الحارثُ في بكر بن وائل
حتى أغار على بنى رُبَيْع بن الحارث بجدود ، فأصاب سبياً ونعماً وهم خالوف ، فبعث
بنو ربيع صرِيحهم (٢) إلى بنى كَلَيْب بن يربوع ، وهم يومئذ جيرانهم فلم يجيبوهم ،
فقال قيس بن مقلد الكَلْبِيِّ لصريخ بن رُبَيْع :

* لبنى منقر (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وجدود اسم موضع في بلاد بنى تميم قريب
من حزن بنى يربوع على سمت اليمامة فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، قال في اللسان : وكانت فيه
وقعة مرتين . وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم جدود لذلك .

شرح الفضليات ص ٧٤٠ لابن الأباري ، النقاظ ص ١٢٤ ، ٣٣٦ ، العقد الفريد ص ٣٤٠

ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٢ ج ١

(١) رئيس بنى يربوع إذ ذاك (٢) الصريخ : المستغيث .

أمنكم علينا مُنذِرٌ لمدونا وداع بنا يوم الهياج مُنذِدٌ
فقلت ولم أُسرَّ بذاك ولم أُسأْ أسعدُ بن زَيْدٍ؛ كيف هذا التوددُ

فأتى صَرِيحُ بنِ رَبِيعِ بنِ مُنْقِرِ بنِ عُبَيْدٍ ، فركبوا في الطَّلَبِ ، فلاحقوا بكر بن
وائل وهم قائلون ، فما شعر الحارث بن شريك - وهو قائل في ظل شجرة - إلا
بالأهَم^(١) بنِ سُمَيِّ بنِ سِنَانِ بنِ منقر ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحارث إلى
فرسه فركبه ، وقال للأهَم : من أنت ؟ قال : أنا الأهَم ، وهذه منقر قد أتتك ،
فقال الحارث : فأنا الحارث بن شريك ، وهذه بنو ربيع قد حوتها ، فنادى الأهَم
بأعلى صوته : يا آل سعد^(٢) ، وناذى الحارث : يا آل وائل^(٣) ، وشدَّ كل واحد على
صاحبه ، ولحق بنو منقر ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، ونادت نساء بنو ربيع : يا آل سعد ،
فاشتد قتال بنو منقر لَمَّا نادى النساء ؛ فهزمت بكر بن وائل ، وخلصوا ما كان في
أيديهم من السَّبِي والأموال ، ولم تكن لرجل منهم همة إلا أن ينجو بنفسه وتبعتهم
منقر فن قتل وأسير .

وأسر الأهَم سُحران بن عبد عمرو ، وقال في ذلك :
تمطت بِجُمُرَانِ النِّيَّةِ بعدما حشاه سِنَانٌ من شراعة أزرَقُ
دعا يالَ قيسِ واعتريتُ لِمنقِرٍ وقد كنتُ إن لاقيتُ في الخليلِ أصدق
وأتبع قيس بن عاصم الحارث بن شريك ، وهو على فرس له يدعى الزَّيْدُ ، وقيس بن
عاصم على الزعفران بن الزيد فرس الحوفزان^(٤) ، فإذا استوت بهما الأرض لحقه قيس ،
وإذا وقعا في هبوط وصعد سبقه الحوفزان بقوة فرسه وسننه ، فلما خشى أن يفوته قال :
استأمر يا حارث خيرا سير . فقال الحارث : لا ، بل شر أسير ، ثم جزر فرسه ، فسبق مَهْرُ

(١) في رواية : هو سنان بن سمي المنقري (٢) إشارة إلى جدم الأكبر سعد بن زيد مناة
(٣) يشير إلى جدم الأعلى وائل (٤) الحارث بن شريك .

قيس لقوته، وتخوف قيس أن يفوته الحوفزان، فحفزه بالرمح في استه، وبهذه الحفرة سمي الحوفزان، ونجا.

ورجع بنو منقر بسبي بني ربيع وبأسارى بكر بن وائل وأصلاهم .

وقال قيس بن عاصم في ذلك اليوم :

جَزَى اللهُ يَرْبوعاً بِأَسْوَأِ سَعِيهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي الْغَائِبَاتِ أُمُورُهَا

وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ أَبَاكُمْ وَسَأَلْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نَحْوُهَا

سَتَحِطُّ سَعْدٌ وَالرَّبَابُ أَنْوَفَكُمْ كَمَا غَاطَ (١) فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

فَأَصْبَحْتُمْ وَاللَّهُ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَنْهَوَّةٍ (٢) جِرْبَاءِ أُبْرَزَ كُورُهَا

فَأَصْبَحْتُمْ وَاللَّهُ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَوْوِدَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا زَفِيرُهَا

أَفْخَرَ عَلَى الْمَوْلَى إِذَا مَا يَطْنَمُ (٣) وَلَوْ مَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَمِيرُهَا

أَتَانِي وَعَيْدُ الْحَوْفَزَانِ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ صَحْرَاوَاتٍ فَلَجَّ وَقُورُهَا

أَقِمْ بِسَبِيلِ الْحَىِّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا إِذَا حَشَدَتْ سَعْدٌ وَجَاشَ نَصِيرُهَا (٤)

عَصَمْنَا عَيْمًا فِي الْحُرُوبِ فَأَصْبَحْتُ يَلُودُ بِنَا ذُو وَفْرِهَا (٥) وَفَقِيرُهَا

وَأَصْبَحْتَ وَغَلًّا (٦) فِي تَمِيمٍ وَأَصْبَحْتُ مَعَادِنُهَا تُجَبِّي سِوَاكَ وَخَيْرُهَا (٧)

وقال سوار بن حيان النقرى :

وَمَنْ حَفَرْنَا الْحَوْفَزَانَ بَطْنَهُ سَقَتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالًا (٨)

(١) غاط : دخل ، والقضيب : الناقة التي لم ترض ، والجريز : الحبل (٢) هنأت البعير : إذا طلته بالهناء وهو الفطران ، والإيل منهوة . (٣) البطنة : امتلاء البطن من الطعام ، وهي الأشتر من كثرة المال أيضاً ، والفعل كفح (٤) في رواية : إذا غضبت سعد (٥) الوفير : المال (٦) الوغل : الدعى نسباً ليس منه ، والوغل : النذل الضعيف المقصر في الأشياء (٧) الخير : الشرف والأصل ، ويروى : وأصبحت معادتها (بتشديد الدال) ويقال : عادته السعة : إذا أته أمداد (٨) أحر .

وَمُحْرَمَانَ قَسْرًا أَنْزَلْتَهُ رِمَاحُنَا فَمَالَجَ غُلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُقْفَلًا (١)
فَمَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صَدَقَ تَعْمُدُهَا كَيَوْمِ جَوَائِي وَالنَّبَاجِ وَثِيئَلَا
قَضَى اللَّهُ أَنَا - يَوْمَ تُقْتَسَمُ الْمَلَا - أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ فَأَعْطَى وَأَجْرًا لَا
فَلَسْتُ بِمُسْطَبِعِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَجِدْ لِعِزِّ بِنَاءِ اللَّهِ فَوْقَكَ مَخْفَلًا
وقال سلامة بن جندل السعدي :

فَسَائِلَ بَسْعَدِي فِي خَنْدَفٍ وَقَيْسَ وَعِنْدَكَ تَبْيَانَهَا
وَإِن تَسْأَلِ الْحَيَّ مِنْ وَائِلٍ تُنْبِتُكَ عَجَلٍ وَشِيْبَانَهَا
بِوَادِي جَدُودٍ وَقَدْ غُوِدِرَتْ بِضَيْقِ السَّنَابِكِ أَعْطَانَهَا
بَارِعِنَ كَالطَّوْدِ مِنْ وَائِلٍ يَوْمَ الثُّغُورِ وَيَعْتَانَهَا (٢)
تَطَاوَلَهُ الْأَرْضُ مِنْ رِزَّةٍ (٣) إِذَا سَارَ تَرْجِفُ أَرْكَانَهَا (٤)

وَأَلْحَ قَيْسَ عَلَى الْحَوْفِزَانَ ، وَقَدْ جَمَلَ الزَّرْقَاءُ (٥) ، فَسَأَلَهُ مِنْ هُو ، فَقَالَ : لِأَنَّكَ أَيُّمَ
الْيَوْمَ ! أَنَا الْحَوْفِزَانَ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو عَلِي ، وَمَضَى .
وَرَجَعَ الْحَوْفِزَانَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَقَيْتُ رَجُلًا أَزْرَقُ كَأَنَّ لِحْيَتَهُ ضَرِيْبَةٌ (٦)
صُوفٌ ، فَقَالَ : أَنَا أَبُو عَلِي وَمَضَى ، فَقَالَتْ عَجُوزٌ مِنَ السَّبْيِ : يَا أَبُو عَلِي ! وَمَنْ لَنَا
بِأَبِي عَلِي ! فَقَالَ لَهَا : وَمَنْ أَبُو عَلِي ؟ قَالَتْ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :
النَّجَادُ ! وَأَرْدَفَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا إِلَى صَدْرِهِ وَنَجَا بِهَا .

(١) يروى : مقفلا (٢) يعتانها من الربيطة وهو عين القوم (٣) الرز : هدير الفحل
أو صوت الرعد أو الصوت تسمعه من بعيد (٤) ارجع إلى بقية القصيدة ص ١٤٧ من
النقائض إن أردت (٥) كان قد سبهاها من بني ربيع بن الحارث (٦) قطعة .

(٤) يوم زَرُود*

أغار حَزِيمَةُ بن طارق التغلبيّ على بني يربوع وهم بزَرُود ، فاستاق إبلهم ، فأتى الصريح^(١) بن يربوع ، فركبوا في إثره ، وهزموه ، واستنقذوا ما كان قد أخذ ، وأمروا حَزِيمَةَ بن طارق ، واختصم في أسريه اثنان : أنيف بن جبلة الضبيّ - وكان نقيلاً^(٢) في بني يربوع ، وليس معه من قومه أحد - وأسيد بن حِذاء السليطيّ ؛ فاختصما إلى الحارث^(٣) بن قراد فحكم : أن جزّ ناصيته لأنيف ، وأن لأسيد عنده مائة من الإبل ، فرضيا بذلك ، وقال أنيف :

أخذتكَ قسراً يا حَزِيمَ بن طارق ولا قيت مني الموت يوم زرود
وعانقتُهُ والحيل تَدَمِي نحورها فأنزله بالقاع غير حميد

وكان للكَلْبَةِ^(٤) اليربوعي فرس اسمها «عَرَادَة» ؛ فلما جاء النذير كانت فرسه

* ليربوع (من تميم) : على تغلب (من ربيعة) ، وزرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة

العقد الفريد ص ٣٣٣ ج ٣ ، رغبة الأمل من كتاب الأمل ص ١٧ ج ١ ، خزنة الأدب ص ٣٥٤ ج ١ ، المفضليات ص ٣

(١) الصريح : المستغيث (٢) للنقيط : الغريب (٣) من بني رياح بن يربوع (٤) الكَلْبَةُ اليربوعي : اسمه هيرة بن عبد مناف ، على ما في المؤلف والمختلف ، فارس شاعر ، ومن شعره يخاطب جاريته كأساً :

يا كأس وبلك إن غالي خلقي على الساحة صعلوكا وذامال
تخيري ابن راع حافظ برم عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وبين أروع مشمول لخلائقه مستغرق المال للذات مكسال
فأى ذينك إن نابتك نائبة والقوم ليسوا وإن سورا بأمثال

قد سقيت ملء الحوض ماء^(١) ، فلما أجمها وركب ظلمت فرسه ، فقال يمتذر :
 فإن تنج منها^(٢) يا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ فقد تركت ما خلف ظهرك بَلَقَمًا^(٣)
 ونادى منادى الحى : أن قد أُتِيتُم وقد شربت ماء الزادة أجمًا^(٤)
 وقلت لكأس : أجمها فإنما نزلنا الكئيب من زُرُودٍ لَنفَرَعَا^(٥)
 فأدرك إبقاء العرادة ظلمها وقد جعلتني من حزيمة إصبًا^(٦)
 أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمرَ للمعصى إلا مُضِيْعًا
 إذا الرء لم يَعْشَ الكريهة أوشتك حبالُ الهويئى بالفتى أن تقطما^(٧)

(١) كانت خيل العرب إذا علمت أنه يغار عليها — وكانت عطاشا — فنها من يشرب بعض العرب ولا يروى ، وبعضها لا يشرب البتة ؛ لما قد جربت من الشدة التي تلقى إذا شربت وحبوب عليها
 (٢) من فرسه (٣) البلقع : الأرض الفقر لا نبات بها ، والعرب كثيراً ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يريد فإن نجوت منها فقد خلقت وراءك ما جمعت يداك ؛ وكان فرسه حيناً فاتتها نفسه ، لم تقنها غنائمه
 (٤) الزادة : القرية التي زيد فيها جلد بين جلدتين ، وضيم شربت للفرس ، وجملة قد شربت حال ؛ كأن الكلبة يمتذر من انفلات حزيمة ، محتجاً بما أصاب الفرس (٥) كأس : جارية الشاعر ، والكئيب ؛ ما اجتمع من الرمل واحد ودب . ونفزعاً : نفيت ؛ يقول : ما نزلنا هذا الموضع إلا لنفيت من استغاث بنا ، وأورد هذا البيت المبرد في الكامل شاهداً على أن الفرع يكون بمعنى الإغاثة (٦) الإبقاء : ما تبقى الفرس من العدو ؛ إذ من عتاق الخيل مالا تعطى ما عندها من العدو ، بل تبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال : فرس مبقية إذا كانت تأتي بجري عند انقطاع جريها ، والطلع : العرج ؛ يقول شربت الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة وما بينهما إلا مقدار إصبع (٧) الغشيان : الإتيان ، والكريهة : الحرب ، وأوشكت : دنت ، والهويئى : الرفق والراحة .

(٥) يوم ذى طُلُوح *

تَرْوَجَ عَمِيرَةَ بن طارق اليربوعي مُرَبَّة بنت جابر ، وأقام معها في قومها من بني عَجَل^(١) بن لُجَيْم ، وكان متزوَّجاً قبلها امرأة من بني يربوع تُدعى بنت النَّظْفِ تركها في قومها . وكان لمرَبَّة أخ اسمه أبحر بن جابر فأناها يوماً يزورها ، ثم وقع بينه وبين عميرة كلام قال بعه لعميرة : إني لأرجو أن أغزو قومك وآتيك بابنة النَّظْفِ ! فقال له عميرة : ما أراك تبقى عليَّ حتى تسلبني أهلي !

وندم أبحر على ما قاتل ، وقال : ما كنت لأغزو قومك ، ولكني مُتَيَأَسِر^(٢) في هذا الحي من تميم ، فقال له عميرة : قد علمتُ ما كنت لتفعل .

ولكن لم تمض مدة حتى خرج أبحر بن جابر فيمن تبعه من اللهازم^(٣) والحارث ابن شريك في بني شيبان ومعهم عميرة بن طارق ، ووكل أبحرُ بعميرة أخاه حُرْقُصَةَ ابن جابر . فقال حُرْقُصَةَ : هل تأذن لي أن أذهبَ إلى أهلي فأحتَمِلَهُمْ ؟ فقال حرقصة : ما أبالي أن تفعل ، فكرَّ عميرة على ناقته ومضى . وافتقد الناسُ عميرة فلم يجدوه ، وعلم أبحر بما وقع ، فأتى أخته مُرَبَّة فقال لها : أين هو ؟ فقالت : لا قانا ضحى فواقفنا ، ثم مضى إلى دارنا فلم نره بعد .

واستحيا حُرْقُصَةَ أن يذكر أمره لأحد حتى جنَّ عليه الليل ، وتحدث به الرجال

* لبني يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وذو طُلُوح : موضع في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد ، وهو يوم الصمد ، ويوم أود - واد .

٦ المقد الفريد ص ٤٣٣ ج ٣ ، النقاظ ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ ، ابن الأثير ص ٣٨٩ ج ١

(١) عجل بن لُجَيْم : حي من بكر (٢) التياسر : الأخذ في جهة اليسار ، ويربوع قوم عميرة : حي في تميم (٣) اللهازم : قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة ، وعنزة بن أسد ، وعجل ابن لُجَيْم .

من قِبَل النَّسَاء ، وأقبلوا إلى حُرْقُصَةَ فقالوا : ويلك ! ما صنع الرجل ؟ فقال :
ما أظنه إلا ذهب ، فقالوا : إن تكن في شك فإننا مستيقنون .
وسار عميرة يومه وليلته والغد حتى إذا لقي الصحراء وغربت الشمس قيّد ناقته
وعصّب يديها ، ثم نام حتى إذا علاه الليلُ قام فلم ير الناقة .

قال عميرة : فسمعتُ يميناً وشمالاً فإذا أنا بسواد من الليل عظيم فحسبته الجيش ،
فبتُّ أرصده أخافُ أن يأخذوني ، حتى أضاء الصبح ، فإذا خمسون ومائة نعامة ، وإذا
ناقتي تخطِرُ قائمة قريبة مني ، فأنا غضبان على نفسي . فأجدت السير يومى ذلك
حتى أُرِدَ سَفَارِ^(١) ، فأجد منازل القوم في نِسْعَةٍ^(٢) ، فسقيتُ راحلتي ، وطعمت
من تَمْرٍ كان معي وشربت ، ثم ركبْتُ مَسِيَّ^(٣) الثالثة ، فأصبحتُ فإذا أنا بناس
يَعْلُقُونَ^(٤) السِّدْرَ ، فتحرفتُ عنهم مخافة أن يأخذوني ، فناداني بعضهم : إنما نحن
صُدَّارٌ^(٥) البيت فلا تخفْ ، فنفدتُ حتى أُصْبِحَ طَلْحَ^(٥) ، وبها جماعة بنى يربوع ،
فقلت : قد غزاكم الجيشُ من بكر بن وائل برئيسين وكراع وعدد^(٦) .

فبعث بنو رِيَّاح بن يربوع فارسين ظليعة ، وبعث بنو ثعلبة^(٧) فارسين ربيثة^(٨)
في وَجْهٍ آخِرٍ ، ومكث بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمْدٍ^(٩) طَلْحَ ، فكانوا كذلك
ثلاثاً ؛ ثم إن فارسى بنى ثعلبة جاء ، فقالا : لم نُحْسِسْ شيئاً . قال عميرة :
ما تمنيتُ الموتُ قط إلا يومئذ ، حين جاء الفارسان لم يحسا شيئاً ، مخافة أن يكونوا
أرادوا غيرهم ؛ فيكون ما حدثتهم باطلا ، وليلة ذهبت ناقتي ، مخافة أن أؤخذ فيقال :
نام فأخذ .

(١) سفار : ماء لبني تميم (٢) موضع (٣) يرعونه (٤) أراد أنهم كانوا حجاجا
(٥) موضع (٦) الكراع : السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (٧) بنو ثعلبة :
بطن في يربوع (٨) الربيثة والظليعة : العين (٩) الصمد : الموضع الغليظ الصلب .

فلما تَمَّالَى النهارُ من اليوم الثالث طلع فارسا بنى رِياح ، فقالا: تركنا القومَ حين
نزولوا القَيْسُومِيَّةَ .

قال: فتلَبَّيْنَا (١) ، ثم ركبنا ، ثم أخذنا طريقاً مُخْتَلِفاً حتى وردنا اليَنْسُوعَةَ (٢)
حين غابت الشمس ، فوجدنا القومَ حين استسقوا ونثروا التمر وتخففوا للغارة ، ثم
أخذوا في السيز ، فاتبعناهم حتى وارى أثرهم عنا الليلُ ، واستقبلوا أسفل
ذِي طُلُوحِ (٣) .

قال عميرة : وكانت تحمى فرس ذريعة العنق (٤) ، فضت بي ، ففقدني عتوة بن
أرقم ، فقال : يا بنى يربوع ! إن عميرة قد مضى لِيُنْذِرَ أخواله ، فقال عتيبة (٥) بن
الحارث : كذبت ، ما يَنْفَسُ عميرة علينا النعمَ والظفرَ .

قال : فسمعتُ ما قال الرجلان ، فوقفت حتى أدركوني ، وقد خشيت لَنَطِ القومِ ،
مخافة أن يُنْذِرُوا بأنفسهم ، حتى إذا كنَّا حيث اطَّلَعَ الطريق من ذِي طُلُوحِ وقفنا
وأمسكنا بحكَّامات (٦) الخيل ؛ ثم بمننا طليعةً أخرى ، فأتانا فأخبرنا أنهم نزول
بأسفل ذِي طُلُوحِ ، فكثنا حتى إذا برق الصُّبْحُ ركبنا ، وركب القوم واستعدُّوا
لِلْغَارَةِ .

وقد كان أبحر حين مرَّوا بسَفَّارِ ، قال للحوفزان : تعلمُ أني لأظنُّ عميرة قد
دهَّانا ، وإني لأعرف هذا النوى ، قال الحوفزان : ما كان لِيَفْعَلَ .

قال عميرة : فدفعنا الخيلَ عليهم ، وهم يريدون أن يُغيروا ، فكنت أول فارس
طلع ، فناديتُ : يا أبحر ؛ هلُمَّ لِيْ ! قال : من أنت ؟ قلت : عميرة . قال : كذبت !

(١) يقال للذي لبس السلاح وتشمر للقتال متلبب (٢) اليَنْسُوعَةُ : موضع في طريق البصرة
(٣) ذِي طُلُوحِ : موضع في حزن بنى يربوع (٤) العنق : ضرب من سير الدابة والإبل ،
وفرس ذريع : سريع بعيد الخطأ (٥) كان عتيبة رأس بنى يربوع حيثئذ
(٦) الحكَّامات : جمع حكمة ، وهي ما أحاط بحسكى الفرس من لجانته .

فسفرت عن وجهي فعرفتني ، فنزل عن فرسٍ كان مركباً عليها^(١) ، وعلى ملاءةً لى حمراء فطرحتها ، ثم جلس عليها ، وقد قال لى قبل أن يجيى : إني مركب . قلت : فتمال على ذلك ، ونحى فرسى لأبي مُليل . قال : فأقبل وما نُظر إلى ذاك .

قال : وأخذ الجيـش كلهم فلم يفلت منهم أحد غير شيخ من بنى شيبان ، ثم أحد بنى سعد بن همام ؛ نجا على فرسٍ له ، وقد كان أخوه معه فأخذ ، فلما أتى الحمى سأله بنت أخيه عن أبيها ، فقال الشيخ :

تسألنى هُنيدة عن أبيها . وما أدري ، وما عبت تميم
غداة عهدتهم مُغلصمات^(٢) لمن بكلِّ مَحْنِيَّةٍ نعيم^(٣)
فما أدري أجبناً كان طيبي أم الكوسى^(٤) إذ أعدَّ الحزيم^(٥)

وأخذ الحارث بن شريك يومئذ ؛ أخذه حنظلة بن بشر ، وكان ثقيل^(٦) فى بنى بشر ، ولم يشهدا من بنى مالك غيره ؛ فاخصم عبد الله بن الحارث ، وغد عمرو ابن سنان فى الحارث ، فقال : حكمونى فى نفسى ، والله لا أخيب ذا حق . فحكّموه ، فأعطى عبد الله بن الحارث مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة ، وجمل ناصيته لحنظلة بن بشر . فقال عبد عمرو للحارث : إن بين بنى جارية بن سليط وبين بنى مرة^(٧) موادة ، وإنه لا يجلّ لى أن أرزأك شيئاً ، وردّها ، وأما عبد الله بن الحارث فكان يُسمى المايّة التى أخذها منه الجباسة^(٨) ، وأخذ سواده بن يزيد ، أخذه عتوة ابن أرقم ، فانزعه عميرة بن طارق ، وأخذ عبد الله بن عنمة الضبي ، وكان فى بنى شيبان ، فافتكّه متمم بن نويرة .

(١) المركب : الذى يركب فرس غيره ويفزو عليه ، فإصاب على ظهره فله نصف الغنيمة
(٢) مغلصمات : مشددة الأعناق (٣) نعيم : شبه الزفير (٤) الكوسى : من الكيس
(٥) الحزيم : من الحزيم (٦) الثقيل : الغريب (٧) بنو جارية بن سليط : بطن فى يربوع ، ولعلم قوم عبد عمرو ، وصره : بطن فى شيبان قوم الحارث
(٨) الجباسة : الغنيمة .

فقال ابن عَنَمَةَ يمدح متمماً ، ويتلهف على عميرة بن طارق بإنذاره قومه على أخواله

بني عجل :

عميرة فاق السهمُ بيني وبينه فلا يطعمنَ الحمرَ إن هو أصدداً^(١)
فلم أرَ جاراً وابنَ أختٍ وصاحباً تكيدَ منا قبْلَهُ ما تكيداً
رأيتُ رجالاً لم نكنْ لنبيهم يباعونَ بالبُعْرانِ مثنى وموحداً
طعامُهُمْ لحمٌ حرامٌ عليهم ويسفونَ بعد الرّئيِّ شرّاً بمصرداً^(٢)
فإن ليربوعِ على الجيشِ منةً مجللةً نالتُ سويداً وأصدداً
جزى اللهُ ربُّ الناسِ عنى مُتمماً بخيرِ الجزاءِ ؛ ما أعفَّ وأمجداً
كأنى غداةَ الصمْدِ حينَ دعوتهُ تفرّعتُ حصناً لا يرَامُ مُمرداً
أجبرتُ به أبنائنا ودماؤنا وشارك في إطلاقنا وتفرداً
أبانهشل إنى لكم غيرُ كافر ولا جاعل من دونك المال مؤصدداً^(٣)

وأمر سويد بن الحوفزان ، وسعد بن فاحس الشيباني ، فقال عميرة بن طارق :

أقلّى على اللومِ يأمُ خترِ ما يكنُ ذاك أدنى للصوابِ وأكرِ ما
ولا تعذّبيني إن رأيتِ معاشراً لهم نعمٌ دثرٌ وإن كنتِ مُصرِ ما^(٤)
متى ما نكنُ في الناسِ نحن وهم معاً نكن منهم أ كسنى جنوباً وأطعماً
مناك الإلهُ إن كرهتِ جماعتنا^(٥) بمثل أبي قرطٍ إذا الليل أظلماً

(١) يزيد أنه أفسد ما بينه وبينه ، وهذا مثل ضربه لأت السهم لا يصلح إلا بقوقه ، وفاق السهم إذا انكسر فوقه يقول : لا يطعمن الحمر إن هو أفلت وليكن على حذر (٢) الشرب : النصيب ، يقول إذا رووا سقوا أسرام شرباً قليلاً (٣) في رواية : سرمداً (٤) الدثر : الكثير . والمصرم : صاحب الصرمة ، وهى القطعة من الإبل (٥) منك الإله : مثل بلاك الله به ، وأبو قرط هذا رجل بخيل كثير المال .

إِذَا مَا رَأَى ذَوْدًا ضَنْبِيْنَ (١) الْعَاجِزِ
 يَسُوقُ الْفِرَاءَ (٢) لَا يُحْسِنُ غَيْرُهُ
 فِدَعٌ ذَا وَلَكِنْ غَيْرُهُ قَدْ أَهْمَنِي
 فَلَا تَأْمُرْنِي يَا بِنَ أَسْمَاءَ بِالْتِي
 بَأَنَّ تَمَتَّرُوا قَوْمِي وَأَجْلَسَ فِيكُمْ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ جَدَّ نَفِيرُهُمْ
 وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبٌ وَكَأَنَّمَا
 فَكَلَّمْتِ مَا عِنْدِي مِنَ الْهَمِّ نَاقِي
 فَرَبَّتْ يَجْنِبُ الزُّورَ ثُمَّتَ أَصْبَحَتْ
 كَأَنَّ يَدَيْهَا إِنِ أَحَدٌ نَجَاؤَهَا
 تَرَأَى الَّذِينَ (٦) حَوْلَهَا وَهِيَ لِبُهَا (٧)
 وَمَرَّتْ عَلَى وَحْشِيهَا وَتَذَكَّرَتْ
 فَقَامَتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُهَا

لَيْثِمٌ تَصَدَّقِي وَجْهَهُ حَيْثُ يَمَامًا
 كَفِيحًا وَلَا جَارًا كَرِيمًا وَلَا أَبْتَمَامًا
 أَمِيرُهُ أَرَادَ أَنْ أَلَامَ وَأُشْتَمًا
 تُجْبِرُ (٣) الْفَتَى ذَا الطَّعْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 وَأَجْمَلَ عِلْمِي ظَنَّ غَيْبِ مَرْجَمًا
 دَعَوْتُ نَجِيَّ مُحْرَزًا وَالْمَثَلَمَا (٤)
 يَرِي أَهْلَ أُودٍ مِنْ صُدَاءَ وَسَلْهَمًا (٥)
 مَخَافَةَ يَوْمِ أَنْ أَلَامَ وَأَنْدَمًا
 وَقَدْ جَاوَزَتْ بِالْأَقْوَانَاتِ مَحْرَمًا
 يَدَا مُعْوَلٍ جَرَفَاءَ تُسْمِدُ مَا تَمَامًا
 رَخِيٌّ، وَلَا تَبْكِي الشَّجْوَةَ فِتْنَلَمَا (٨)
 نَصِيًّا وَمَاءَ مِنْ عَيْبَةٍ أَسْحَمًا (٩)
 مِنَ الْإِيْنِ وَالنَّكَرَاءِ فِي آلِ أَرْزَمًا (١٠)

- (١) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر ، وضئ : أنسلن ، والضنء : النسل (٢) الفراء : إبل كانت له تدعى بهذا الاسم ، أى لا يحسن ضيفاً من ألبانها أى لا يشرب منها غيره . والكفيعج : الذى يأتيك فجأة (٣) الإجزار : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا نظامه لثلا يرضع . وذو الطعم : ذو الحزم والعقل (٤) هذان رجلان من البراجم ، وكانا في بني عجل ، فلما أراد أبحر الغزو شاورها يستعين برأيهما (٥) قعناب : رجل من البراجم ، وكان ممن شاوره فلم يشر عليه بخير ، وأهل أود : بنو يربوع ، وصداء في بلعارت بن كعب ، وهم لإخوتهم وعددهم فيهم ، وسلمهم من خنعم ، وسلمهم في منجج أيضاً (٦) في رواية : ترأى اللواتي (٧) يروى : بالها (٨) أراد تألم من الألم ، وهى لفته (٩) عيبة : ماء لبنى قيس يطن فليج ، والنصي : نبت عيب بن ثعلبة بن يربوع .

سَأَجْسِمُهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَمُرَّهَمْ عَدُوٌّ مِنَ الْمَوَامِ وَالْأَمْرِ مُعْظِمًا
حَلَفْتُ فَلَمْ تَأْتُمْ يَمِينِي لِأَنْتَارَنْ عَدِيًّا وَنُعْمَانَ بْنَ قَيْلٍ وَأَيْهَمَا^(١)
وَبَرَّتْ يَمِينِي إِنْ رَأَيْتَ ابْنَ فَلَاحَسْ يُجْرُّ كَمَا جَرُّوا هَدِي^(٢) ابْنَ أُصْرَمَا
فَأَفَلْتَ بِسَطَامٍ جَرِيهًا بِنَفْسِهِ وَغَادِرِنِ فِي كَرْشَاءَ لَدُنَّا مُقَوَّمَا^(٣)
أَتَمَّ أَخَذْتَ بَعْدَ ذَلِكَ تَلَوْنِي فَسَائِلُ ذَوِي الْأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا^(٤)

(١) هؤلاء قوم من بني يربوع قتلهم بنو شيان يوم مليعة (٢) الهدى : الجار هبنا ، والهدى : العروس ، والهدى : الشيء يهدى (٣) جرضه بريقه : غص به وذلك إذا كان بآخر رمق . كرشاء : رجل (٤) ارجع إلى النقائض ، فلميرة فيها قصيدة أخرى .

(٦) يوم الإياد

كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يُجبرونهم ويجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عين^(١) التمر في ثلاثمائة فارس متساندين ، يتوقفون بمحدر بني يربوع^(٢) في الحزن^(٣) ، وكان يتشتون خفاً^(٤) ، فإذا كان انقطاع الشتاء انحدروا إلى الحزن ، فاحتمل بنو عتيبة وبنو عميد وبنو زبيد من بني سليط أول الحى حتى أسهلوا ببطن مليحة^(٥) ، فطالعت بنو زبيد في الحزن حتى حلوا الحديقة^(٦) بالأفاقة ، وحلت بنو عتيبة وبنو عميد روضة التمد^(٧) ، ويقبل جيش بكر حتى ينزلوا الهضبة هضبة الحصى^(٨) .

ثم بمثوا ربيبتهم فأشرف الحصى وهو في قلة الحزن ، فرأى السواد في الحديقة ، وتمر إبل فيها غلام شاب من بني عميد بالجيش ، فعرفه بسطام بن قيس^(٩) - وكان

* لبني يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وإياد موضع بالحزن لبني يربوع ، بين الكوفة وفيد . ويسمى أيضاً يوم العظالي ويوم الإفافة ويوم مليحة ويوم أعشاش ، وإنما سمى يوم العظالي لأنه تعاطل على الرياضة بسطام وهاني بن قبيصة ومفروق بن عمرو في هذا اليوم (انظر التعليق آخر اليوم)

شعراء النصرانية ص ٢٥٩ ، النقائض ص ٥٨٠ (طبع أوربا) ، العقد الفريد ص ٣٢٧ ج ٣ ابن الأثير ص ٣٧٣ ج ١

(١) عين التمر * بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة (٢) بنو يربوع : بطن من تميم ومن قبائلهم ثعلبة وعمر والحارث وجبير ، ويلقبون الأجمال ، وأمهم السفعاء بنت غم (٣) الحزن : موضع لبني يربوع كانت تتربع فيه ، وهو من أجل مراعى العرب (٤) في النقائض خفاً وعبارة معجم ما استعجم : يتشتون خفاً فإذا انقطع الشتاء أسهلوا بنجفة مليحة ، وبالحديقة من الأفاقة وروضة التمد

(٥) مليحة : موضع في بلاد بني تميم (٦) الحديقة : موضع في قلة الحزن ، والإفافة ماء لبني يربوع (٧) روضة التمد : في بطن مليحة (٨) الحصى : موضع لبني يربوع (٩) بسطام بن قيس : فارس بكر ، وأحد من أوفده النعمان على كسرى .

قد عرف عامة غلمان بني ثعلبة حين أمره عتيبة بن الحارث بن شهاب^(١)، فقال له بسطام: إيه، أخبرني خبر حيك؟ أين هم من السواد الذي بالحديقة؟ قال: هم بنو زيد. قال: أفهم أسيد بن حنّاءة قال: نعم. قال: كم هم من بيت؟ قال: خمسون بيتا. قال: فأين بنو عتيبة؟ قال: نزلوا روضة التمد. قال: فأين سائر الناس قال: مُحْتَجِرُونَ بِجُفَافٍ^(٢).

فقال بسطام لقومه: أطيعوني؟ أرى لكم أن تملوا على هذا الحى الحر يد^(٣) من بني زبيد؟ فتصحبوا غداً غانمين سالمين. فقالوا: وما يُعْنَى بنو زبيد عنا؟ لا يردون رحلتنا! قال: إن السلامة إحدى الغنيمتين. قالوا: إن عتيبة بن الحارث بن شهاب^(٤) قد مات. وقال مفروق بن عمرو: قد انتفخ سحر ك^(٥) يا أبا الصهباء! وقال هاني بن قبيصة: أجبنا!

فقال لهم: إن أسيد بن حنّاءة لم يكن يُظله بيت شاتياً ولا قانطاً، بيت القفر لا يفارق فرسه الشقراء^(٦)، فإذا أحسّ بكم علاها فركض، حتى يشرف مليحة، فينادي يال يربوع! فيركب فيتلقأكم طمن يُنسيكم الغنيمة، ولم يُبصر أحدٌ مَصْرَعٍ صاحبه، وقد جبّتموني، فأنا تابكم، ثم قال لهم: وستعملون ما أنتم مُلّاقون غداً. قالوا نُقبِلُ فنتلقط بنو زيد، ثم بنو عبيد وبني عتيبة كما تتلقط الكمأة، ونبعتُ فارسين، فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع.

فبعثوا فارسين، فوقفا في ليلة أضحيان^(٧)، حيث أمرا، فلما هجست الشقراء بوئيد الخليل^(٨)، وقد أغاروا ثم أقبلوا، بحثت بيدها، فخال أسيد في متنها،

(١) كان عتيبة قد أسر بسطاماً يوم النبط، ثم فدى نفسه منه (٢) جفاف، وتسمى جفاف الطير: أرض لأسد وحظلة واسعة فيها أما كن يكون فيها الطير (٣) المنحى (٤) هو الذي كان أسر بسطاماً، وقال هنا سخرية بسطام (٥) انتفخ سحر ك: أي رثك، يقال ذلك للجبان (٦) اسم فرسه (٧) بكسر الهزة وضما: مقمرة (٨) بوقع حوافرها (٩) حال في ظهر دابته حولا وأحال: وثب واستوى على ظهره، قال في اللسان: وكلام العرب حال على ظهره، وأجال في ظهره.

فابتدَرهُ الفارسان ، فطمنه أحدهما ، فألقى نفسه في شِقِّ فأخطأه ، ثم كرَّ راجعا ،
 حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : يا سوءَ صباحاهُ ، يا آلَ يربوع !
 قال وديعة بن أوس : فكأنني أنظر إلى ضوء الفجر بين منسج^(١) الشقراء
 واسته ، فلم يتودّع^(٢) من أهل مُليحة أحد .
 فلم يرتفع الصُّحاح حتى تلاحقوا بمبيط الفردوس ، فقال أسيد : « لبث قليلا
 تلحق الحلابُ » فقال : بسطام : « صباحُ سوءٍ لكمُ النواصبُ » .
 وبعدت على مَعْدان وأخيه قَعْنَبِ ابني عصمة ، والأحيمر ، ونهيك ، وعفاق ،
 ووديعة ، ودَرَّاج ، وُعَمارة ، والحليس ، خيولهم ، فركبوا آخر الناس ، فلم يأخذوا
 ما أخذ مالك بن نُويرة ، وصرَد بن جَمرة ، وقَعْنَب بن سَمير ، وجزء بن سَمَد ، على
 الأفاقة ؛ فلما طلَعوا على الثنية رأوا أم دَرْداءَ السليطية عُرَيانة تَمْدُو ، فألقى قَعْنَب بن
 عَصْمَةَ عصابة كانت فوق بِيضَتِهِ^(٣) عليها ، وهو على فرسه البِيضَاءِ^(٤) وقال :
 ارفعوا خيولكم ؛ فالتقى الذين أخذوا بطن الأفاقة والحديقة ، والذين جاءوا من
 الثنية ، فعرف بسطام الأَحيمر ؛ فقال لأحيمر : أنت هو ؟ قال : نعم . قال : لقد عهدتُكَ
 بطِلاَ محذوداً^(٥) ، وإني لأَنْفَسُكَ^(٦) على الموت ؛ فأعطَ بيدك لا تُقتل . فقال :
 أبعد بُجَيْرَ ومالك بن حِطَّانَ تُوْبَسْنِي^(٧) على الحياة ، وكان الأَحيمر لم يطعن يرمح
 قطَ إلا انكسر ؛ فلما أهوى لِيَطْمَنَهُ ولى بسطام فانهمز ، وقتلت تميم جماعة من
 فرسان بكر ، وأسر جماعة^(٨) ، منهم هاني بن قبيصة فقدى نفسه ونجا .

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد
 (٢) تودع القوم : ودع بعضهم بعضاً
 (٣) البيضة : الحديد (٤) في القاموس : فرس قَعْنَب بن عتاب (٥) رجل محذود
 عن الخير : مصروف ، قال الأزهرى : المحذود : المحروم (٦) نفست عليه الشيء أنفسه
 نفاسة : إذا ضنت به ولم تحب أن يصل إليه (٧) تحرضني (٨) تراجع أسماء بعض
 القتلى والأسرى نقائص ص ٨٣

وَأَلْحَ عَلَيَّ بِسْطَامٍ فَرَسَانٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَكَانَ دَارِعًا^(١) ، وَهُوَ عَلَيَّ ذَاتَ النَّسُوعِ^(٢) ، فَكَانَتْ إِذَا أُجِدَّتْ^(٣) لَمْ يَتَمَلَّقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْ خَيْلِهِمْ ، فَإِذَا أَوْعَتْ^(٤) كَادُوا يَلْحَقُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِسْطَامٌ نَثَلَ دِرْعَهُ^(٥) ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيَّ قَرَبُوسٍ^(٦) السَّرِجِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَى بِهَا ، وَخَافَ أَنْ يُلْحَقَ فِي الْوَعَثِ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَدَيْدَنَ الْقَوْمِ حَتَّى حَمَيْتَ الشَّمْسَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ اللَّحَاقَ ، فَمَرَّ بِوَجَارٍ^(٧) ضَمِيعَ فَرَمِي بِالدَّرْعِ فِيهِ ، فَدَبَّ بِمَضْطَبَا ، حَتَّى غَابَتْ فِي الْوَجَارِ ، فَلَمَّا خَفَّ عَنِ الْفَرَسِ امْتَعَطَتْ^(٨) فَغَاتَتْ الْطَلَبَ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَتَى قَوْمَهُ بَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ .

فَقَالَ مَتَمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ فِي أُسَيْدِ بْنِ حِفَاءَةَ :

لِعَمْرِي لِنِعْمِ الْحَيِّ أُسْمَعُ غُدُوَّةً أُسَيْدٌ وَقَدْ جَدَّ الصَّرَاحُ الْمُصَدِّقُ
فَأَسْمَعُ فِتْيَانًا كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ^(٩) لَهُمْ رِيْقٌ عِنْدَ الطَّعْمَانِ وَمُصَدِّقٌ
أَخَذَنَ بِهِ جَنْبِي أَفَاقَ وَبَطْنَهَا فَارْجَمُوا حَتَّى أَرَقُوا^(١٠) وَأَعْتَقُوا

وَقَالَ الْعَوَّامُ الشَّيْبَانِيُّ فِي بِسْطَامٍ وَأَصْحَابِهِ :

إِنْ يَكُ فِي يَوْمِ الْغَيْبِطِ مَلَامَةٌ فَيَوْمُ الْعِظَالِي كَانَ أَحْزَى وَالْوَمَا^(١١)
أَنَاخُوا يَرِيدُونَ الصَّبَاحَ فَصَبَّحُوا . وَكَانُوا عَلَى الْغَازِرِينَ دَعْوَةَ أَشَامَا

(١) يقال : وجل دارع ، إذا كان عليه درع (٢) ذات النسوع : فرس بسطام

(٣) أُجِدَّتْ : سَلَكْتُ الطَّرِيقَ الْوَعْرَ (٤) أَوْعَتْ : صَارَتْ فِي الطَّرِيقِ السَّهْلَ

(٥) نَثَلَ دِرْعَهُ : أَلْقَاهَا عَنْهُ (٦) قَرَبُوسُ السَّرِجِ : حَنْوَةٌ (٧) الْوَجَارُ : جَبَلٌ

مِنْ جَبَلِ الرَّبِيعِ (٨) امْتَعَطَتْ وَأَسْرَعَتْ لَا تَتَلَوَّى عَلَى شَيْءٍ (٩) عَبْقَرٌ : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ

كَثِيرِ الْجَنِّ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : كَأَتَمُّهُمْ جَنْ عَبْقَرٍ (١٠) اسْتَرْقَ وَأَرَقَ : تَقَبَّضَ أَعْتَقَهُ .

(١١) رِوَايَةٌ لِللَّسَانِ - مَادَّةُ غَبِطٌ وَعَقْلٌ :

فَإِنْ مَكَتَ فِي يَوْمِ الْعِظَالِي مَلَامَةٌ فَيَوْمُ الْعِظَالِي كَانَ أَحْزَى وَالْوَمَا

فررتُم ولم تلوؤا على مُججِرِكُم (١) لو الحارث الحرَّابُ (٢) يدعى لأقدما
وما يُجمَعُ الغزوُ السريعُ نفيْرُهُ وإن تحرموا يوم اللقاء القنأَ الدما
ولو أنَّ بسطاماً أُطيعَ بأمره لأدَى إلى الأحياء بالنجو مَغْنَمًا
ولكنَّ مفروقَ القنأ وابن خاله ألاماً فلما يومَ ذاك وشوِّمًا
ففرَّ أبو الصهباء إذ حَمِسَ الوغى وألقى بأبدان (٣) السلاح وسَلَمًا
وأيقن أن الخيلَ إن تَلَمَّسَ به تَمَّ عرسُهُ أو يملأ البيتَ مَأْتَمًا
ولو أنها عصفورةٌ لحسبتُها مُسَوِّمَةٌ تدعو عبيدًا وأزنامًا
أبي لك قيْدٌ بالقبيط لقاءهم ويومُ المُطالَى إذ نجوت مُكَلَّمًا
فأفلتَ بسطام جريضاً بنفسه وغادرنَ في كرِّشاءَ لَدُنَّا مُقَوِّمًا (٤)

(١) الحجر: المضطر الملجأ (٢) جاء في تعليق على المخصص صفحة ٢٠٢ جزء ١٥ ؟
سمي هذا اليوم يوم العظالي لأن بسطام بن قيس وهاني بن قبيصة وثقروق بن عمرو الشيبانيين حين
خرجوا غازين بنى تميم تماطلوا على الرياسة ، وقد أخطأ شارح القاموس الزبيدي إذ عد مع هؤلاء
الثلاثة رابعاً قال إنه الحوفزان ، وذلك لا أصل له لأن الحوفزان قد مات قبل هذه الغزوة بزمان ،
ومصدق ذلك قول العوام بن شاذب الشيباني يهجو قومه ، وقد أسرته بنو يربوع يوم العظالي
إذ فر قوم عنه :

فررتُم ولم تلوؤوا على مرهقِكُم لو الحارث القدام فيها لأقدما
والحارث القدام هو الحوفزان ، وأخطأ أيضاً في تقوله على الزنجمري في أساسه : إن تيمما غزت
بكر بن وائل ، والحق أن تيمما مغزيون لا غازون ، والذي في الأساس : يوم تميم على بكر بن وائل ،
وأخطأ أيضاً كخطأ الميداني في رواية بيت العوام المذكور :

إن تك في يوم الغبيط ملامة فيوم العظالي كان أخزى وألوما
قديماً التأخر وأخراً التقدم ، (وقد روى هذا البيت في اللسان كما تقدم في صفحة ١٩٤ حاشية
رقم ٢) وأخطأ السيوطي في شرح شواهد المغني فنسب شعر العوام المذكور إلى جرير .

هذا هو التعليق مع أن صاحب اللسان والنقائض يقولان : إن الحوفزان كان من المتعاطلين - راجع
اللسان مادة عطل ، والنقائض ٥٨٠ (٣) البدن : الدرع والجمع أبدان (٤) تقدم هذا
البيت لسيرة بن طارق .

وقاظَ أسيراً هانيءً وكأئماً مفارقُ مفروقٍ تفنَّينَ عندَما^(١)
وقال :

قبحَ الإلهَ عصابةً من وائلٍ يومَ الأفاقَةِ أساموا بسطاماً
ورأى أبو الصَّهباءِ دونَ سوامهم عرَّ كما يُسَلَّى نفسه وزحاماً
كنتم أسوداً في الرِّخا فوجِدْتمُ يومَ الأفاقَةِ بالغبِيطِ نعاماً
فلما ألحَّ الموماءُ في ذلك أخذ بسطام إبله فقالت أمه :

أرى كلَّ ذِي شِعْرِ أصاب بِشِعْرِهِ سوى أن عواماً بما قال عيلاً^(٢)
فلا تنطقن شمرأ يكونُ حِوارُهُ كما شمر عوامَ أعام^(٣) وأرجلا

(١) الندم : شجر أحمر ، وقال الأصمعي : هو صبغ ، زعم أهل البحرين أن جوارهم يختصن به

(٢) عيل : صيرهم عيالا : فقراء (٣) أعام القوم : هلكت إبلهم فلم يجدوا لبناً .

(٥) يوم الغبيط*

غزا بسطام بن قيس الشيباني والحارث بن شريك - الحوفزان، ومفروق بن عمرو، في جمع من بني شيبان بلاد بني تميم، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضبة، وثعلبة بن عدى بن فزارة، وثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فلج^(١)، فاقتتلوا؛ فهزمت الثعالب، وأصابوا فيهم، واستأقوا إبلا من نعمهم، ثم امترأوا^(٢) على بني مالك^(٣)، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة، فاكتسحوا إبلهم، فركبت عليهم بنو مالك، يقدمهم عتيبة بن الحارث اليربوعي، وفرسان بني يربوع تأتف^(٤) الشيبانيين، ومعه من رؤساء تميم: الأحيمر بن عبد الله، وأسيد بن حباء، وأبو مرحب، وجزء بن سعد الرياحي، وربيع والحلييس وعمارة بنو عتيبة بن الحارث، ومالك بن نيرة وغيرهم، فأدركوهم بغبيط المدرة؛ فقاتلوهم حتى هزموهم، وأخذوا ما كانوا استأقوا من آبالهم^(٥) وانهرموا، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبه بن الحارث، وألح عتيبة بن الحارث، وأسيد بن حباء، والأحيمر ابن عبد الله على بسطام بن قيس، وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين، فوقت يد فرسه في ثبرة^(٦)، وتقدم بسطام وجعل يلتفت هل يرى عتيبة؟ وقد صار في

* لشيبان (من ربيعة) على يربوع (من تميم)، والغبيط، ويسمى غبيط المدرة: أرض لبني يربوع، ويسمى هذا اليوم أيضا يوم الثعالب، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج

القائض ص ٧٥، ١١٣٢ طبع أوروبا، ابن الأثير ص ٣٦٥ ج ١، العقد الفريد ص ٣٣٨ ج ٣

(١) واد لبني العنبر بن عمرو بن تميم، يقع أول الدهناء (٢) افتعلوا من المرور

(٣) هم بنو مالك بن زيد مائة بن تميم (٤) تأتف: يريد تبهمهم وتحوطهم مثل تأتف

الأنافي الرماد (٥) آبال وإبل بمعنى واحد (٦) هي الوهدة تكون في الأرض كالحفرة.

أفواه^(١) الغُبط ، فلحق عتيبةُ بسطاماً ، فقال له : استأسر يا أبا الصَّهباء . فقال له :
ومن أنت ؟ قال : أنا عتيبة ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش ؛ فاستأسر .
أما الأحمير بن عبد الله فإنه كان محدوداً^(٢) ، فكان فارساً ذا بأسٍ شديد ، ولا
حظَّ له في ظفر .

ولما أسر عتيبة بسطاماً نادى بنو شيبان بجادا - أخوا بسطام - كُرَّ على أخيك ،
وهم يرجون إذا أُبسوه^(٣) أن يكرُّ فياً سروه ؛ فنادى بسطام أخاه إن كرت يا بجادا
فأنا حنيف - وكان نصرانياً - فلحق بجادا بقومه .

فقاتل بنو ثعلبة : يا أبا حرزة - عتيبة - إن أبا مرَّحَبٍ قد قُتِل ، وقد أسرت
بسطاماً ، وهو قاتلٌ لمليلٍ وبجيرٍ ابني أبي مليل ، ومالك بن حِطَّان يوم قُشاوة فاقنتله .
قال : إني مُعيل ، وأنا أحب اللبَن^(٤) . قالوا : إنك لتُفاديه وتُحلى عنه فيعود
فيحمرُّ بنا^(٥) ، فأبى . فقال بسطام : يا عتيبة ؛ إن بني عبيد أكثر من بني جعفر وأعز ،
وقد قتل أبو مرَّحَبٍ ، وله في بني عبيد أثرٌ ببئس^(٦) ، وهم آخذى منك ، وإن تقدر
بنو جعفر على أن يمنوني منهم ، وأنا معطيك من المال عائرة عَيْنَيْن^(٧) ؛ فقال : لا جرم !
والله لأضعنك في أعزِّ يبتين من مُصرٍ : في بني جعفر بن كلاب ، أو في بني عمرو
ابن جندب ؛ فاختار بسطام بني جعفر ، فتحمل عتيبة بأهله وبه قاصداً بني عامر بن
صعصعة ، لثلاثاً يؤخذ فيقتل^(٨) حتى لحق بالشرِّبة^(٩) بيني جعفر فنزل به .

(١) هي مساليل المياه * (٢) المحدود : المنوع من الخير (٣) الأبس والتأبيس :
أن يعيروه حتى يفضب فيأفف من التعير فيرجع فيؤسر (٤) اللبَن : جمع لبونة ، وهي النافقة ذات
اللبن (٥) يحمرُّ بنا : مثل يطلبنا يأخذ أموالنا ويتركنا بلا شيء (٦) ببئس : شديد
(٧) يقال أحطاه من المال عائرة عينين : أي ما يذهب فيه البصر مرة هنا ومرة هنا ، فاعثر
الدين : ما يملؤها من المال حتى كاد يعورها (٨) إنما قصد بني عامر لأن عمته خولة بنت شهاب
كانت متزوجة فيهم (٩) يقال لسكل نخيزة من الشجر شرِّبة ، وجعفر بطن في عامر .

فما توسط بسطام بيوت بنى جعفر قال : واشيداناه ! ولا شيدان لى ! فبعث إليه عامر بن الطفيل إن استطعت أن تلجأ إلى قُبَيْتى فأفعل ، فإنى سأمنعك ، وإن لم تستطع فأقدف بنفسك إلى الرِّكْبِ^(١) التى خلف بيوتنا .

فأتت أمَّ حمَل^(٢) عتيبة ، فخبَّرته بما كان من أمر عامر ، فأمر عتيبة بيته فقوض وركب فرسه ، وأخذ سلاحه ، ثم أتى مجلس بنى جعفر ، وفيه عامر بن الطفيل ، فخيَّاهم ، ثم قال : يا عامر ؛ إنه قد بلغنى الذى أرسلت به إلى بسطام ، فأنا نخبرك فيه خصالاً ؛ فأختر أيتهنَّ شئت . قال عامر : ما هنَّ يا أبا حرزاة ؟ قال : إن شئت فأعطينى خِلْمَتِكَ^(٣) وخِلْمَةَ أهل بيتك حتى أطلقه لك ؛ فليست خِلْمَتُكَ وخِلْمَةُ أهل بيتك بشرٍّ من خِلْمَةِ وخِلْمَةَ أهل بيته ، فقال عامر : هذا ما لا سبيلَ إليه . فقال عتيبة : فضع رِجْلَكَ مكان رجله فلست عندى بشرٍّ منه . فقال عامر : ما كنت لأفعل . فقال عتيبة : فأخرى هى أهونهن . فقال عامر : ما هى ؟ قال عتيبة : تبعنى إذا أنا جاوزت هذه الراية فتقارعى عنه الموت ، فأما لى وإمَّا على . فقال عامر : تيك أبتضهنَّ إلى .

فانصرف عتيبة إلى عمرو بن جندب ؛ فإنه لى بعض الطريق إذ نظر بسطام إلى مركب أم عتيبة فقال : يا عتيبة ؛ أهذا مركبُ أمك ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كاليوم قطُّ مركبَ أمِّ سيِّدٍ مثل هذا ! إن حدج^(٤) أمك لرتِّ ! قال عتيبة : ألك إرث ؟ قال : نعم . قال عتيبة : أما والللات والعزى ؛ لا أطلقك حتى تأتيني أمك بكلِّ شئٍ ورتِّك قيس^(٥) بن مسعود وبجملها وحدجها^(٦) .

(١) الركب : جمع ركية ، وهى البئر
(٢) حمَل : هى تابعة كانت له من الجن (٣) يعنى بخلعته ماله ينخلع عنه
(٤) الحدج : مركب من مراكب النساء (٥) والد بسطام
(٦) كان حدج أم بسطام كبيراً ذا ثمن كثير ، وهذا الذى أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله .

فأنته أم بسطام على جملها وحديجها وبثلاثمائة بعير^(١) ، وفدى نفسه بها على أن
يجز ناصيته ويأهده ألا يفزو بنى شهاب^(٢) ، فقال عتيبة في أسره :
أبلغ سراة بنى شيبان مألكتة^(٣) أنى أبأت^(٣) بعبد الله بسطاما
إن تحرزوه بنى قار فذاقنة^(٤) فقد هبطت به بيذا وأعلاما
قاظ^(٥) الشربة في قيد وسلسلة صوت الحديد يُغنيه إذا قاه

(١) لم يكن عربي أغلى من بسطام فداء
لما خلص بسطام من الأسر أذكى العيون على عتيبة وإبله فعادت إليه عيونته فأخبروه أنها على أراب ،
فأغار عليها وأخذ الإبل كلها ، وماهم معها (٣) أبأته من البواء : وهو أن يقتل الرجل
بمن قتل (٤) ذو قار وذاقنة : موضعان (٥) قاظ بموضع كذا : أقام زمن القبط فيه .

(٨) يوم قُشاوة*

خرج بسطام بن قيس غازياً لبنى يربوع، حتى اطرد نَعْمًا لرجلين من بنى سليط^(١)، يقال لأحدهما سَعِير وللاخر حُجَيْر، وهما من بنى يربوع، فأتى المصريح^(٢) بنى عاصم بن عبيد بن ثعلبة. وكانوا أدنى الناس منهم . فركب سبعة فوارس من بنى عاصم فيهم بُجَيْر بن عبد الله ، ومليل بن عبد الله ، والأحيمر - حريث بن عبد الله، ومالك بن حطَّان بن عوف ؛ وخرج معهم قومٌ من بنى سَلَيْط ، حتى أدركوا القوم .

فلما نظروا إلى جيشِ بسطامِ هَابُوا أن يُقَدِّمُوا عليهم ، فقال مُلَيْل بن أبي مليل: يا بنى يربوع ؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الجيشِ إلا بِمِثْلِهِ ، فَأَرْسَلُوا بِجِيرًا يَسْتَصْرِخُ لَكُمْ - وإنما أمرهم بذلك مخافةً عليه أن يُقتل ؛ فقال بجير : لا والله لا ذهبتُ صريحًا بعد أن عاينتُ القومَ . فلما غلبه قال لابن عمِّه : اذهب أنت يا أَحِيمِر ! فقال: لا ، والله لا أذهب ، فقال لمالك بن حطَّان : فاذهب أنت صريحًا : فقال : وأنا لا أذهب . فقال لهم مُلَيْل بن أبي مليل : فأعطوني قولاً أثق به وأطمئن إليه ؛ لتَضِيطَنَّ لى أنفسكم ، ولا تُقَدِّمُوا على الجيشِ حتى آتِيكم ؛ ففعلوا .

وذهب مُلَيْل صريحًا ، فلما سار نظر إليه بسطام فقال لأصحابه: ذلك الذى یركض سَجِيبَ عليكم شرًّا ، فانظروا أن تفرَّغُوا من أصحابه قبل أن يأتِيكم الناسُ ؛

* لشيبان (من بكر) على يربوع (من تميم) وقشاوة : موضع قال عنه ياقوت : كانت به وقعة لبنى شيبان على يربوع ، وهو يوم نَعف قشاوة .

معجم البلدان ص ٩٢ ج ٧ ، النقائض ص ١٩ طبع أوروبا ، ابن الأثير ص ٣٦٤ ج ١

(١) سليط : فى يربوع (٢) المصريح : المستفتى .

فبرز بسطام في فرسان من أصحابه ، حتى دنا من القوم ، فكلمه بجير ، فقال له بسطام : من أنت ؟ قال : أنا بجير بن عبد الله بن الحارث . فقال : يا بجير ؛ ألم تكن تزعم أنك فتى يربوع وفارسها ؟ قال : بلى ! وأنا الآن أزعمه ، فابرز لي ؛ فأبى أن يبرز له بسطام ، وقال : ما أظن نسوة بني يربوع يظن بك هذا الظن وأنت تحجيم عن الكتبية حين رأيتها ، ثم قال لصاحبيه أحيمر ومالك مثل ذلك .

فلم يزل يشحذهم ويحضضهم كيداً منه وخديعة حتى حملوا على أفراسهم وسط القوم ؛ فأما بجير فلقبه الملبد بن مسعود - عم بسطام - فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض عكماً^(١) غير ؛ فاعتلاه بجير . فلما خشي الملبد أن يظهر عليه بجير نادى رجلا من بني شيان يقال له لقيم بن أوس : يا لقيم ؛ أغثنى ، فقد قتلتني اليربوعي ؛ فقال إليه لقيم فضربه على رأسه فقتله . وخرق أحيمر بالقنا ، وترك مطروحا ، فظنوا أنهم قد قتلوه . وضرب مالك بن حطان فأم فماش مأموماً^(٢) سنة ، ثم مات من أمته ، وانهزمت بنو سليط .

فلما انهزموا قال بسطام : يا بني شيان ؛ أيسر لكم أن تأسروا أبامليل ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه أول فارس يطلع عليكم الساعة ؛ أتاه مليل فأخبره خبرنا ، وخبر ابنه ، فلم ينتظر الناس ؛ فليتحلف معي منكم فوارس فإنكم ستجدونه مكباً على بجير حين عاين جيفته .

فكمن له بسطام في عشرة فوارس قريباً من مصرع أصحابه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى طلع عليهم على فرسه بأهاء .

فلما عاين بجير أنزل فأكب على جيفته يقبله ويمحضنه ؛ وأقبل بسطام ومن

(١) يقال : وقع المصطرعان عكماً غير ، وكعكماً غير ، وقعاما لم يصرع أحدها صاحبه

(٢) المأموم : النى أصيب في أم رأسه ، وأم الرأس : الدماغ ، أو الجلدة الرقيقة التي عليها .

كان معه يركضون ، حتى أتوه ، فوجدوه مكباً عليه ، وبنمَاء يَمُكُّ لِحَامَهُ واقفاً ، فأمرُوه وأخذوا فرسه .

فلما صار في يدي بسطام قال : يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك . قال : قد قتلت ابني ، ووددتُ أني مكانه ، أما إن طعامك عليّ حرام ما دمتُ في يدك ! فكان أبو مليل يُوتِي بالطعام فيبيتُ يطردُ عنه الكلابُ مخافةً أن تأكله ، فيظنون أنه أكله هو ، حتى جُهد ؛ فلما رأوا جهده قال بضر بن قيس لأخيه بسطامُ : إني لا آمنُ أن يموتَ أسيرك هذا في يديك هزلاً^(١) ، فتسببك به العرب ، فبِعَهُ نَفْسَهُ .

فأتاه ، وهو مجهود ، فقال له : يا أبا مليل ؛ أتشتري مني نفسك ؛ قال أبو مليل : نعم . قال : بكم ؛ قال أبو مليل : بمائة من الإبل ، فإن لك مائة بدمٍ بجير ، قال : تِلَادِي أَحَبُّ مِن تِلَادِكَ وَالذَّمُّ لَكَ . فخلني أذهب ، فخلاه بسطام بغير فداء ، وأحلفه الا يعقب^(٢) ، والألَّ يَتَّبِعَهُ بدم ابنه بجير ، ولا يبغيه غائلة ، ولا يدل له على عورة ، ولا يُغير عليه ولا على قومه ، وعاهده على ذلك ، ثم جزَّ ناصيته ، فرجع إلى قومه ، وأراد الغدر بسطام ، ولما علم بسطام حذره .

فلما أتى قومه أخبرهم خبره ، فقال متمم^(٣) بن نيرة :

أَبْلَغُ أبا قَيْسٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ نَعَامَةٌ أَدْنَى دَلْوِهِ فَظَلِمُ
بِأَنَا ذُوو جَدِّ وَأَنْ قَبِيْلَكُمُ بِنِي خَالِدٍ لَوْ تَعْلَمُونَ كَرِيْمُ
وَأَنْ الذِي آلَى لَكُمْ فِي بِيوتِكُمْ بِمَقْسَمِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ أَثِيْمُ^(٤)

(١) الهزل : الهزال (٢) أي لا يغزوم ثانية (٣) مالك بن نيرة في رواية معجم

البلدان (٤) إن الذي حلف ألا يعقب عليكم سيحنت ، ولا بد أن يغزومك ثانية .

هو الفاجع المنكى سراة صديقه
فنهجم ألياتا ونبكي نسية
كان بجيرا لم يقل لي ما ترى
ولوشنت نجاك الكميته ولم تكن
ولكن رأيت الموت أدرك تبعا
فيا المبيد حلفه إن خيركم
غدرتم ولم تر بع عليه ركابكم
وكنت كذات البوريمت فرجعت
أطافت فساتف^(٦) ثم عادت فرجعت

وذو طلب يوم اللقاء غشوم
بنسوتنا يوما لمن نعيم^(١)
من الأمرأو ينظر بوجه قسيم^(٢)
كأنك نصب للرجال رجم^(٣)
ومن بعده من حادث وقديم
بجزرة بين الوعستين مقيم^(٤)
كأنكم لم تقجموا بمظيم
وهل تنفعنها نظرة وشميم^(٥)
ألا ليس عنها سجرها بصريم

وقال مالك بن حطان - وهو في المعركة قبل أن يموت :

لمعري لقد أقدمت مقدم حاردي
ولو شهدتني من عبيد عصابة
بكل لذيذ لم يخفه ثقافه^(٨)
ولكن أقران الظهور مقاتل^(٧)
حماة لحاضوا الموت حيث أنازل
وعصب حسام أخلصته الصياقل

- (١) النعيم : البكاء والنحيب (٢) هذا البيت مكفأ ، والإكفاء : الإقواء ، والقسيم : الجليل والاسم منه القسامة (٣) الرجم : المرجوم (٤) أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع وجزرة من أرض البكرمة من بلاد اليمامة ، والوعس من الرمل : اللين الموطوء الذي وعسته السائلة (٥) يقول : كنت كالناقة التي نحر ولدها فجاءت تشمه وترأمه ، وهل ينفعها ذلك فكذلك أنا لا أسكن حتى أتأر به . (٦) سافت : شمت ، والسوف : الشم ، وسجرها : حنينها ، يقول : ليس حينها عنصرم (٧) الأقران : الأعوان ، الواحد قرن . والظهر : هو الناصر (٨) الثقاف : ما تسوى به الرماح .

وما ذنبنا أنا لقينا قبيلةً إذا واكلت فرساننا لا نواكلُ
يساقوننا كأساً من الموت مرةً وعرد غنّ القرفون الحناكلُ^(١)
فليت سميراً كان حيصاً برجلها وليت حجيراً غرقته القوايلُ^(٢)
وليتهم لم يركبوا في ركوبنا^(٣) وليت سليطاً دونها كان عاقلُ
فما بين من هاب النية منكم ولا بيننا إلا ليالٍ قلائلُ

(١) الحناكل : القصار الأفعال ، الواحد : حنكل ، وعرد : فر . (٢) إذا مات الصبي في الرحم : قيل غرقتة القوايل . (٣) ركوب : جمع ركب . وعاقل : واد ببلاد قيس .

يوم زُبَالَةَ*

خرج أبو جُمَل أخو بني عمرو^(١) بن حنظلة مغيراً ، ولحقه الأقرع بن حابس وأخوه فراس^(٢) في ناس من تميم ، فرأى سؤل عليهم الأقرع ، فأغاروا على بكر بن وائل ؛ فلقوهم بزُبَالَةَ .

فأما الأقرع وفراس فأمرهما بنو تيم الله^(٣) ، وأما أبو جُمَل فأخذه عمران بن مرة بن هند .

ثم لقي بنو تيم الله بني شيبان^(٤) ، وممهم بنو رباب ، فانتزع بسطام^(٥) بن قيس رئيس بني شيبان الأقرع وأخاه منهم ، فاختصموا فيهما ، فحكّموا عمران بن مرة ، فحكّم لبني رباب على بسطام بمائة ، وجعل الأسيرين لبسطام .
وافتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام ، وعاهداه على إرسال الفداء فأطلقهما ، فبمُدّاً ولم ير سلا شيئاً .

وكان في الأمرى إنسان من بني يربوع ، فسمّعه بسطام بن قيس في الليل يقول :
فدى بوالدة على شفيقة فكأنها حرّضت على الأسقام^(٦)
لو أنها علمت فيسكن جأشها أنى سقطت على الفتى المنعم
إن الذى ترجين ثمّ إبابه . سقط العشاء^(٧) به على بسطام

* لشيبان (من ربيعة) على تميم ، وزبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة

النفائض ص ٦٨٠ ، ابن الأثير ص ٣٦٦ ج ١ ، شعراء الصرّانية ص ٢٩٨

(١) عمرو بن حنظلة من تميم (٢) الأقرع بن حابس وأخوه فراس : يشبان الأقرعين

وهما من بني مجاشع من تميم (٣) تيم الله : من بكر (٤) شيبان : من بكر أيضاً

(٥) بسطام بن قيس الشيباني : فارس بكر ، وضرب به اللث في الفروسية ، فيقال : أفرس

من بسطام (٦) أى ذات حرّض (لسان - مادة حرّض)

(٧) يقال : سقط العشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر النافه فيقع في هلكة ،

وأصله أن دابة طلبت العشاء فهجمت على أسد .

سقط العشاء به على مُتَنَعَمٍ سَمَحَ اليدين مُعَاوِدِ الإِقْدَامِ
فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يُخْبِرُ أُمَّكَ عَنْكَ غَيْرُكَ وَأَطْلَقَهُ .
وقال أوس بن حجر^(١) في ذلك :

وَصَبَّحْنَا عَارًا طَوِيلًا بِنَاوِهِ نُسِبَ بِهِ مَا لَاحَ فِي الْأَفْقِ كَوَكَبٍ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا وَوَجْهًا تَرَى فِيهِ الْكَآبَةَ تُجْنِبُ
أَصَابُوا الْبُرُوكَ^(٢) وَابْنُ حَابِسٍ عَنُودٌ فَظَلَّ لَهُمُ بِالْقَاعِ يَوْمَ عَصَبَصَبٍ
وَإِنْ أَبَا الصَّهَاءِ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ إِذَا مَا أَزْوَرَّتِ الْأَبْطَالَ لَيْثٌ مُجْرَبٌ

(١) أوس بن حجر كان شاعر مضر في الجاهلية حتى أسقطه النابغة وزهير فأصبح شاعر بني تميم .
(٢) البروك والبرك جمع برك ، والبرك : جماعة الإبل الباركة .

(١٠) يوم مُبَايِضَ*

كان الفُرْسَان إذا كانت أيامُ عُكَاظ في الشهر الحرام ، وأمنَ بمضئهم بعضاً ،
تَقَنَّمُوا حتى لا يُعْرِفُوا ، وكان طَرِيف بن تميم العَنْبَرِي رجلاً جسيماً ، وهو فارسُ قومه
لا يَقْتَنَع كما يَقْتَنَمُونَ ؛ فَوَاقِي عُكَاظ (١) . وكان قد قَتَلَ شَرَا حَيْلَ (٢) الشيباني ؛
وجاء حَصِيصَةَ (٣) بن شَرَا حَيْل - وهو شابٌ قَوِي شَجَاعٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ . فقال : أروني
طَرِيفاً ، فَأَرَوْهُ إِياه ، فجعل كلما مرَّ به تامله ونظر إليه ، ففطن طريف ، وقال : لِمَ
تَشُدُّ نَظْرَكَ إِلَيَّ ؟ قال حَصِيصَةُ : أريد أن أُثَبِّتَكَ (٤) ، لَعَلِّي أن أُلَاقَكَ في جيش
فَأَقْتُلَكَ ! فقال طريف : اللهم لا تُحِيلِ الحَوْلَ حَتَّى أَلْقَاهُ ، ودعا حَصِيصَةَ مثله ،
فقال طَرِيف :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ (٥)
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شَاكِي سَلَاحِي فِي الحَوَادِثِ مُعَلَّمٌ
حَوْلِي فَوَارِسٌ مِنْ أَسِيدِ شَجَعَةٍ وَإِذَا نَزَلَتْ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ (٦)

* لثبيان (من بكر) على تميم ، ومبايض : ماء من مياه بني تميم .
ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، القصد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ٧١ ج ١ ، لسان
العرب (مادة خضم) ، معجم ما استعجم - مبايض
(١) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين
يوماً يجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ويتناشدون الشعر (٢) من بني ربيعة بن ذهل
ابن شيبان (٣) في معجم ما استعجم : اسمه حَصِيصَةُ (يفتح الحاء والميم) ، وقيل إن الذي
قتله : حيصَة (بالميم) بن جندل بن قتادة الشيباني ، (٤) أثبتك : أعرفك حق المعرفة (٥) القبيلة :
بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك ، والتوسم : التفرس (٦) في رواية :
حولي فواس من أسيدجة وبنو الهجيم وحولي بيتي خضم
وأسيد والهجيم : قبيلتان في عمرو بن تميم ، والخضم (وزن بقم) اسم العنبر بن عمرو بن تميم ،
وقد غلب على القبيلة ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم ، وهو المضع بالأضراس (لسان
العرب مادة خضم ، شجع) وشجعة : شجعمان .

تَحَى الْأَغْرُ وَفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرْدُ السَّيْفِ، وَهُوَ مُثَلَّمٌ (١)

فَضَى لَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنْ بَنَى عَائِدَةٌ - حُلَفَاءُ بَنِي رَيْبَعَةَ بَنِ ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَ -
خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَصِيدَانِ ، فَعَرَضَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَ ، فَذَعَرَ
عَلَيْهَا صَيْدَهُمَا ، فَوَثِبَا عَلَيْهِ فَجَتَلَاهُ ؛ فَتَارَتْ بَنُو مُرَّةَ ، يَرِيدُونَ قَتْلَهُمَا ، فَأَبَتْ
بَنُو رَيْبَعَةَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ هَانِيُ بْنُ مَسْعُودٍ -رئيس ربيعة- لِقَوْمِهِ : يَا بَنِي رَيْبَعَةَ ؛ إِنْ
إِخْوَتِكُمْ قَدِ ارْتَادُوا ظَلَمَكُمُ ، فَأَنَامُوا (٢) عَنْهُمْ ، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَقَاقَمَ الشَّرُّ
بَيْنَنَا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ وَزَلُّوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مُبَايِضٌ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ أَشْهُرًا .

وَأَبَى (٣) عَبْدُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي رَيْبَعَةَ ، فَسَارَ إِلَى بَنِي تَيْمِمْ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ حَيًّا جَدِيدًا
مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ زُؤَلٍ عَلَى مُبَايِضٍ ، فَقَالَ طَرِيفُ الْعَنْبَرِيِّ : هُوَ لَاءُ تَأْرَى
يَا آلَ تَيْمِمْ ، إِيَّاكُمْ أَكَلَةٌ (٤) رَأْسٌ ؛ وَأَرْسَلَ بِمَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : هَذَا حَيٌّ
مَنْفَرْدٌ ، وَإِنْ اصْطَلَمْتُمُوهُمْ أَوْ هَنَّمْتُمْ بَكْرَ بْنَ وَاثِلِ .

فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا عَلَى ثَلَاثَةِ رُؤَسَاءَ (٥) ، فَلَمَّا قَارَبُوا بَنِي رَيْبَعَةَ بَلَغَهُمُ الْخَبْرُ ،
فَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ ، وَخَطَبَهُمُ هَانِيُ بْنُ مَسْعُودٍ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، فَقَالَ : إِذَا أَنْوَيْتُمْ
فَقَاتِلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالِ ، ثُمَّ انْحَازُوا عَنْهُمْ ، فَإِذَا اسْتَقَلُّوا بِالْتَّهَبِ فَمُودُوا إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّكُمْ
تُصِيبُونَ مِنْهُمْ حَاجَتَكُمْ .

(١) النثرة : الدرع ، الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة الحسننة السلاسل .
(٢) لسان العرب - مادة زغف (٢) أناموا : انفصلوا (٣) الإباق : هرب العبيد
وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل (٤) أكلة رأس : أى قليل يشبعهم رأس واحد
(٥) أبو الجداء الطهورى على بنى حنظلة ، وابن فدكى النقرى على بنى سعد ، وطريف بن تميم
على بنى عمرو بن تميم .

وصبّحهم بنو تميم ، والقوم حذرون ، قد أقاموا على علم مَبَايِض ، وشرّقوا
بالأموال والسرّح ^(١) ، فقال لهم طريف : أطيعوني ، وافرغوا من هذه الأكلب
يَصِفُ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُمْ ، فقال له أبو الجداء - رئيس بني حنظلة ، وقد كَيَّ رَيْسِ
بني سَعْد : أَتَقَاتِلُ أَكْلَبًا أَحْرَزُوا نَفْسَهُمْ ، وتترك أموالهم ؟ ما هذا برأى !
وأبوا عليه .

وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ؛ ولحقت تميم بالنعم والبغال ؛
فأغاروا عليها ، ومنّ رجل منهم بابن لهاني بن مسعود صغير فأخذوه ، وقال : حَسْبِي
هذا من النسيمة ، وسار به .

وبقيت تميم مع النسيمة والسبي ؛ فمادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلواهم وأسروهم
كيف شاءوا ، ولم تُصَبْ تميمُ بِمِثْلِهَا ، لم يُفَلِتْ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ ، ولم يَلُؤْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ،
وانهزم طريف فاتبعه حصيضة فقتله ، واستردت شيبان الأهل والمال ، وأخذوا
مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هاني بن مسعود ابنه بمائة بغير ؛ فقال بمض شيبان
في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دَعْوَةَ جَاهِلٍ غرّ وأنت بمنظر لا تعلم ^(٢)
وأتيت حياً في الحروب محلهم والجيش باسم أبيهم يُستقدم ^(٣)
فوجدت قوماً يمنعون دملهم بسلاً إذا هاب الفوارس أقدموا
وإذا دعوا ببني ربيعة شمروا بكتيبة مثل النجوم تعلم

(١) السرح : المال الراعى (٢) في رواية :

* سفيا وأنت بعمل قد تعلم *

(٣) في رواية : يستهزم .

حشدوا عليك وعجلوا بقراهم
وحموا ذمار أبيهم أن يشتموا
ساموك درعك والأغر كليهما
وبنو أسيد أسموك وخضم
وقال عمرو بن سواد يرثي طريفاً :

لا تبمدن يا خير عمرو بن جندب
لعمري لمن زار القبور ليبيعدا
عظيم رماد النار لا متمبس
ولا مؤيساً منها إذا هو أوقدا

(١١) يوم الزُّورين *

كانت بكر بن وائل تَنْتَجِعُ أرضَ تميم في الجاهلية ؛ ترعى بها إذا أُجْدَبوا ،
فإذا أرادوا الرجوعَ لم يَدْعُوا عَوْرَةَ يُصَيِّبونها ، ولا شيئاً يَظْفُرُونَ به إلا اِكْتَسَحَوْه ،
ثم تفاقم الشرُّ بينهما وعَظُمَ حتى صار لا يَلْقَى بكرى تميمياً إلا قتلَه ، ولا يلقى
تميمي بكرياً إلا قتلَه .

فقال بنو تميم : امنعوا هؤلاء القومَ من رعى أرضكم . فحشَدت تميمٌ وحشَدت
بكرٌ واجتمعت ، ولم يتخلف منهم إلا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذُهَل بن
شيبان ، وكان غازياً في بني دام .

فقدمت بكر عليهم عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني ^(١) ؛ فحسده سائرُ ربيعة
على الرياسة وأتوه ، فقالوا : يا أبا مَفْرُوق ؛ إنا قد زَحَفْنَا لَتميم ، وزحفوا لنا أ كثرَ
ما كُنَّا وكانوا قَطَّ . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعلَ كلَّ حَيٍّ على حِياله ،
ونجعلَ عليهم رجلاً منهم ، فنعرفُ غناء كل قبيلة ؛ فإنه أشدُّ لاجتهادِ الناس . قال :
والله إنِّي لأُبْغِضُ الخِلافَ عليكم ، ولكن يَأْتِي مَفْرُوق ^(٢) فينظرُ فيما قلتم .

فلما جاء مَفْرُوقُ شاوره أبوه ، فقال له : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن
يَخْدَعوكَ عن رَأْيِكَ ، وحسدوك على رياستك ، والله لئن لقيتَ القومَ فظفرت
لا يزال الفضلُ لنا بذلك أبداً ، ولئن ظَفَرَ بك لا تزال لنا رياسة تُعْرَفُ بها . فقال

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والزوران : بعيان ، قال أبو عبيدة : وما بكران مجلان
قد قَبِدوها وقالوا : هذان زوراناً أى إلهانا . . كما سيأتي ، وقد سماه ابن الأثير يوم الزورين .
العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، لسان العرب (زور)
(١) كان يكنى بأبي مَفْرُوق ويلقب بالأصم (٢) مَفْرُوق هو ابن عمرو .

عمرو : يا قوم ؛ قد استشرت مقروفاً ، فرأيتُهُ مخالفاً لكم ، ولستُ مخالفاً رأيه ، وما أشار به .

وأقبلت تميم بيميرين مجلّين مقرونين مقيدين ؛ وتركوها بين الصّفين معقولين ، وسَمَوْها زورين^(١) وقالوا : لا نُؤلّي حتى يُؤلّي هذان البعيران .

فأخبرت بكرٌ عمرو بن قيس بقولهم ؛ فقال : وأنا زوركُم ، وبرك بين الصّفين ، قال : قاتلوا عني ، ولا تفرّوا حتى أفرّ . والتقى القوم فافتتلوا قتالا بشديداً ، وأسرت بنو تميم حراث بن مالك ، فركض به رجلٌ منهم ، وقد أردفه ، واتبه ابنه قتادة ابن حراث ، حتى لحق الفارس الذي أسرّ أباه فطعنه فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه .

ثم استمرّ القتل بين الفريقين ، فانهزمت بنو تميم وقتلت بكرٌ منهم مقتلة عظيمة ، وأخذت الزورين فنجروا أحدهما فأكلوه ، وافتحلوا^(٢) الآخر وكان نجيباً .

واجترفت بكرٌ أموالهم ونساءهم ، وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان - الحارث بن شريك - إلى النساء والأموال ، وقد سار الرجال عنها للقتال ؛ فأخذ جميع ما خلفوه ؛ وعاد إلى أصحابه سالماً ؛ وقال الأعشى في ذلك :

يا سلمُ إن تسألني عنّا فلا كُشف	عند اللّقاء ، ولَسْنَا بالقاريف ^(٣)
نحن الذين هزَمنا يوم صَبَحنا	جيش الزُّورين في جمع الأhalيف
ظَلُّوا وظلّت تَكَرُّ الحيل وَسَطهم	بالشيب منا وبالرُّدِ الغطاريف
تستأنفُ الشَّرَفَ الأعلى بأعينها	لمح الصَّقورِ علّت فوق الأظاليف ^(٤)
انسلّ عنها نَسيلُ الصّيف فأنجرت	تحت اللبّون مُتُونُ كالزُّخاليف ^(٥)

(١) الزوران : مثنى الزور ، وهو كل شيء يتخذ ربا ، ويبعد من دونه تعالى (٢) عبارة اللسان عن أبي عبيدة : وأخذ البكران فنجروا أحدهما ، وترك الآخر يضرب في شولهم .
 (٣) الكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لا يثبت في القتال . والكشف أيضا : الذين لا يصدقون القتال لا يعرف له واحد (اللسان - مادة كشف) (٤) الأظاليف : جمع أظلوفة ، وهي الأرض الحزنة الحشنة (٥) الزخاليف : جمع زحلوقة ، وهي آثار تزج الصبيان من فوق التل إلى أسفله .

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لا سيما الأغاب العجلى^(١)؛ فمن ذلك أرجوزته
التي أولها:

* إن سركَ العزِّ فحجِّج^(٢) بجُشم *
يقول فيها:

جاءوا بزورِهم وجئنا بالأصم
شيخ لنا معاود ضربَ بهم^(٣) يضربُ بالسيف إذا الرمح انقصم
هل غير غارٍ^(٤) صكَّ غاراً فانهزم

(٧) في اللسان بمد أن نسب الأرجوزة إلى الأغلب، قال: وقال ابن بري: قال أبو عبيدة: إن البيت ليحيى بن منصور وأنشد قبله:

كانت تميم معشراً ذوى كرم
ماجنوا ولا تولوا من أمم
جاءوا بزورهم وجئنا بالأصم
شيخ لنا معاود ضرب بهم

اللسان (مادة زور ومادة حجج)

(٢) حجج الرجل: ذكر حججاً من قومه، والجمعجج: السيد الكريم (٣) بهم: الشجاع

(٤) الغاران: بكر وتميم.

(١٢) يوم عاقل*

كان الصِّمَّةُ الجُشَمِيُّ أَعَارَ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ (١) بِعَاقِلٍ ، فَأَسْرَهُ الْجَعْدُ بْنُ الشَّمَّاحِ (٢) وَهَزَمَ جَيْشَهُ ، وَأَصِيبَ فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ الصِّمَّةَ قَدَّ أَبْطَأَ فِدَاؤُهُ ، فَكَانَ الْجَعْدُ يَأْتِيهِ كُلَّ هَلَالٍ شَهْرٍ بِأَقْبَى فَيُحِلِّفُ بِمَا يُحَافُ بِهِ لِنِّ هُوَ لَمْ يَفِدْ نَفْسَهُ لِمُعِضَنَهَا إِيَّاهُ .
فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ جَزَّ نَاصِيَتَهُ عَلَى الثَّوَابِ . ثُمَّ أَتَاهُ مُسْتَنْبِيًا ، فَقَالَ لَهُ الصِّمَّةُ :
مَالِكٌ عِنْدِي ثَوَابٌ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

فَضْرَبَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ صَرَافَانِهِ (٣) ، ثُمَّ إِنَّ الصِّمَّةَ الجُشَمِيَّ أْتَى عِكَازَ فَلْقَى ثَعْلَبَةَ بْنَ الْحَارِثِ (٤) وَهُوَ أَبُو مَرْحَبٍ ؛ وَكَانَ حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةٍ يَدْعُو النَّاسَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ ، فَيُكْرِهُمَا ، وَيُخْصُّ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ ، فَجَادَتْ دَعْوَةُ الصِّمَّةِ ، وَأَبَى مَرْحَبٌ ؛ فَكَرِهَ الصِّمَّةُ ذَلِكَ لِحِدَاثَةِ أَبِي مَرْحَبٍ ، ثُمَّ قَرَّبَ إِلَيْهِمَا حَرْبُ تَمْرًا ، فَجَعَلَ الصِّمَّةُ يَأْكُلُ التَّمْرَ ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ يَدَيْ ثَعْلَبَةَ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَبْصِرْ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّوَى ! فَقَالَ لَهُ أَبُو مَرْحَبٍ : إِنَّكَ أَكَلْتَ مَا أَكَلْتَ بَنَوَاهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَعْظَمَ بَطْنَكَ ، فَقَالَ الصِّمَّةُ : لَا ، وَلَكِنْ أَعْظَمَ بَطْنِي دِمَاءَ قَوْمِكَ ! أَيْنَ الْجَعْدُ بْنُ الشَّمَّاحِ ؟ فَقَالَ أَبُو مَرْحَبٍ : مَا ذَكَرْتُكَ رَجُلًا أَمْرًا ، وَمَنْ عَلَيْكَ ، ثُمَّ جَاءَ يَسْتَنْبِيُكَ فَفَدَّرْتَ بِهِ وَقَتَلْتَهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَلْقَاكَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ مَتَّ دُونَكَ !

فَكَتَبَ الصِّمَّةُ زَمَانًا ، ثُمَّ غَزَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَأَسْرَهُ الْحَارِثُ بْنُ بَيْبَةَ الْجَمَّاشِيِّ ،

* لَبِي حَنْظَلَةَ (مِنْ تَمِيمِ) عَلَى جِشَمِ (مِنْ رِبْعَةِ) ، وَعَاقِلٌ : وَادٌّ بِبَجْدِ .

(لِقَائِضِ ص ١٠١٩ طَبَعُ أَوْرَبَا

(١) بَنُو حَنْظَلَةَ : بَطْنٌ فِي تَمِيمِ (٢) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ (٣) أَيُّ مَرٍ مِنْ مَرُورِهِ

وَذَهَبَ بَعْضُهُ (٤) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .

وهزم جيشه ، ثم أجاره الحارث بن بنية من إيساره ذلك ؛ فقال الصِّمَّة : سرُّ بي
في قومك حتى أشتري أسراء قومي ، فسار به حتى أناخ في بني يربوع^(١) ، فأقبل
إليهما الناس ، وأقبل إليه أبو مرَّحِب ؛ فلما رأى الصِّمَّةَ عرفه ، فخنس عنه^(٢) ،
وأخذ سيفه ، ثم جاء فضرب به بطنَ الصِّمَّة ، فأثقله .

فلما رأى ذلك الحارث خرج فدعا يا آل مالك ؛ فأقبل بنو مالك إلى بني يربوع^(٣) ،
فلما خافوا القتال قام مضعب بن أبي الخير ؛ فقال : يا بني مالك ؛ هذه يدي يجاركم
فهي لكم وفاء ! فقال راجز بن مالك :

نحن أبأنا مُضْعِبا بالصِّمَّة . كلاهما شيخٌ قليل اللِّمَّة

(٣) يربوع ومالك من قبائل

(٢) خنس : تأخر

(١) بنو يربوع من بني حنظلة

حنظلة بن مالك .

(١٣) يوم الشَّيْطَانِ*

كان الشَّيْطَانُ لبِكر بن وائل ، فلما ظهر الإسلامُ ، من غير أن يكون أهلُ نجدِ والعراقِ أساموا تركت بكَرهُ الشَّيْطَانِ لأنهما أُجْدبا ، ثم ساروا إلى السَّوَادِ وأقاموا فيه . ثم أخصب الشَّيْطَانُ ، فجاءت تميم حتى نزلوا فيهما ، ثم إن بكراً لحقهم الوباءُ في السَّوَادِ .

فوتوا هارين حتى نزلوا لَمَلَع^(١) ، وهي مجدبةٌ ، وقد أخصب الشَّيْطَانُ ، فكان مَقَّاس بن عمرو^(٢) يقول : ليت بكراً في هذا الخصب .

وكان أكتل بن حيان العجلي طالبَ حاجةٍ في بني نهشل بن دَارِم ، فلم يَقْضُوها له ، فرجع من الشَّيْطَانِ إلى قومه بِأَمَلَع ، فأخبرهم بِخُصْبِ أرضِهِم الشَّيْطَانِ ؛ فأجمت بكرٌ على الإغارة على بني تميم ، وقالوا : إن في دين ابن عبة الطلب : إن من قتل نفساً قَتَلَ بها ، فنغير هذه العارية ثم نُسلم عليها .

فارتحلوا بالدراري والأموال ، ورئسهم بشر بن مسعود ، فاتوا الشَّيْطَانِ في أربع ، وما بينهم مسيرة أيام ثمانية ، فسبقوا كلَّ خبر ، حتى صبَّحوا وهم لا يشعرون

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والشيطان : واديان .

العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٩ ج ١ ، النقائق ص ١٠٢

(١) في اللسان : لعلع : موضع ، قال :

فصدم عن لعلع وبارق ضرب يشيظهم على الخنادق

وقيل : هو جبل كانت به وقعة ، وفي الحديث : ما أقامت لعلع ، فسره ابن الأثير فقال هو جبل وأثته ، لأنه جعل اسماً للبقعة التي حول الجبل ، وقال حميد بن ثور :

لند ذاق منا عاصر يوم لعلع حساماً إذا ما هز بالكف صمما

رقياً هو ما ، بإيادية معروف (٢) مفاص بن عمرو كان حليف بني شيبان ومقياً بالشيطان .

فقاتلوهم قتالا شديداً ، وأخذوا أموالهم ، وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال
رُشيد بن رميض العنزي :

وما كان بين الشيطان ولعلع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله
بأرعن دهم تشدُّ البلق وسطه
إذا حان منه منزل القوم أوقدت
طهحنا به سعداً وعمراً ومالكا
وذى حسب من آل ضبة غادروا
تقصع يربوع برة أرضنا
وقلت يربوع أيسر نصيحة
يحلوا لنا صحن العراق فإنه

فأجابه محرز بن الكمبر الضبي فقال :

فخرتم بيوم الشيطان وغيركم
وجئتم بها مذمومة عنزية
فإن يك أقوام أصيبوا بغيره
فريقان منهم من أتى البحر دونه
وما منكم أفناء بكر بن وائل
لغارتنا إلا ذلول موقع^(٤)

(١) الوريعة : اسم فرس - (٢) تيفعوا : رفعوا نارهم على يفاع من الأرض لتبصر نارهم

(٣) المرقع : الذى به الفرع وهو جدرى فيجر فى السباخ ليتفقا ما به ، وروى فى اللسان

لدى كل أخدود يغادرن دارعا يجر كما جر الفصيل المرقع

منسوبا إلى أوس بن حجر (٤) بعير موقع الظهر : به آثار الدبر .

وقال مقاس^(١) بن عمرو :

تمنيتُ بكَرَأٍ بِالْمِرَاقِ مُقِيمَةً وَأَتَى لَنَا بَكَرُؤُا كِنَافِ عَرَعْرِ^(٢)
نَهَيْتُ نَيْمًا أَنْ تَرُبَّ^(٣) نِجَاءَهَا وَتَطْوِي أَحْشَاءَ الرِّكِيِّ الْمَوْرِ^(٤)
حَلَفْتُ لَهُمْ بِاللَّهِ حِلْفَةَ صَادِقٍ يَمِينًا وَمَنْ لَا يَتَّقِ اللَّهَ يَفْجُرُ
لِيَخْتَلِفَنَّ الْعَامَ رَاعٍ مُجْتَبٍ إِذَا مَا تَلَّاقِينَا بِرَاعٍ مُعَشَّرٍ^(٥)
فَأَعْجَلْنَ ضَبًّا^(٦) بِالرَّيْمَةِ خُدْعَةً وَيَرُّوْهُا يَنْفَقْنَ فِي كُلِّ مِحْجَرٍ
وَمَا كَانَ رَوْضًا طَيِّبًا غَيْرَ شَرِّبَةٍ وَلَكِنَّمَا كَانَا لَنَا شَرِبَ اشْهَرِ
نَمَّ إِنَّ بَكَرَأَ أَتَاهُمْ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

(١) اسمه مسهر ، ومقاس لقبه (٢) عرعر : مكان (٣) رب الشيء : أصلحه
(٤) عورت الركية : إذا طمتمها وسددت أعينها التي ينبع منها الماء (٥) المجنب : الذي
لا لين في إبله ، والمعشر : الذي قد نتجت إبله فصارت عشارة . يقول : نحن لا لين لنا فنأخذ لإبلهم
ورعاتها فنخطمها بإبلنا التي لا لين لها (٦) ضبا : يعني به ضبة يقول : أعجلتها أن تجدع
فتلزم الحجر ، وإنما هذا مثل ، يقول : أغرنا عليهم قبل أن يندوا بنا .

(١٤) يَوْمَ الْوَقْبِيِّ*

كان عبدُ الله بن عامر عاملاً لعُثمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فاستعمل بشرَ بن حزنَ الساذني على الأحماء^(١) التي حَوْلَ البصرة - ومنها حَمَى الْوَقْبِيِّ - فخرج يوماً هو وأخوه خُفاف بن حزنَ إلى الْوَقْبِيِّ ، وحَفَرَ ابها رَكِيَّتَيْنِ^(٢) . ولما أَنْبَطَاهُمَا^(٣) إِذَا مَأْوَاهَا ماء الْغَادِيَةِ^(٤) عَذُوبَةٌ وَطَيِّبَةٌ ؛ فَتَخَوَّفَا أَنْ يَنْلَبَّاهَا عبدُ الله بنُ عامر على الرَكِيَّتَيْنِ ، فدَفَنَاهَا .

ورَقِيَ أمرُهما إلى عبد الله بن عامر ؛ فطلبَ منهما الرَكِيَّتَيْنِ ، فَأَيَّبَا أَنْ يَدْفَعَاهَا إِلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهُمَا مِنْهَا وقال : بِإِذْنِ مَنْ حَفَرْتُمَا هَاتَيْنِ الرَكِيَّتَيْنِ ؟ وَمَضَيَا هَارِبِينَ ، ووجدَا إِبِلًا لِعبدِ الله فَمَقَرَّاهَا .

وكان عبدُ الله قد اسْتَعْمَلَ خالَه مسعدةَ السلمي على حَفْرِ^(٥) يعرفُ بِحَفْرِ أَبِي موسى ؛ ثم إن ناسًا من أَفْنَاءِ^(٦) بكر بن وائل خَرَجُوا وعليهم شيبان بن خَصْفَةَ ورجل آخر يقال له قَبَيْصَةَ ، وَأَتَوْا ماءَ ابْنِي نَهْشَلِ^(٧) بن دارم ، فَقاتلُوهم على مائِهِمْ وظَفَرُوا بِهِمْ وقتلوا منهم أناسًا ، وَأَقَامُوا بِهِ أَيَّامًا .

* تميم على بكر (من ربيعة) ، والوقبي : ماء ملازن على طريق المدينة من البصرة . وهو من الأيام التي آثرنا أن نعدها من الأيام الجاهلية للسبب الذي أسلفنا ذكره .

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ص ٣٤ ج ١

(١) جمع حمى ، وهو المكان المحظور (٢) الركية : البئر (٣) أنبطاها : استخرجها

ماءها (٤) الغادية : مطرة الغداة (٥) الحفر (ويسكن) : البئر الموسعة

(٦) أفناء : أخلاط ، والواحد فنو ، ويقال : رجل من أفناء القبائل : أى لا يدري من أى

قبيلة هو (٧) نهشل : بطن في تميم .

ثم قالوا : ما هذا لنا بمنزل ، إنا لفي وسط بلاد بني تميم ؛ فاحتَمَلوا راجعين ، ثم نزلوا بحمَّرَ أَبِي مُوسَى ، فوجدوا الحياض مَلَأَى ، فَأَوْرَدُوا الإِبِلَ وَسَقَوْهَا ، وَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَقُوا لِيَمْلِئُوا الحياض كما كانت ، فجاء مَسْمَدَةٌ عامِلُ المَاءِ وَأَغْلَطَ لَهُمْ ، فقام إليه شيبان بن خَصْفَةَ فصر به بالسيف على وجهه فصرَّعَهُ ، وَنَقَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ .
وَأَقَامَ البَكْرِيُّونَ بِالمَاءِ أَيَّامًا ، ثُمَّ قالوا : نَنْزِلُ الوَقْبِي فَإِنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى بلاد بكر ؛ فَأَنْوَّهَوا وَنَزَلُوا بِهَا .

ثم عاد بِشْرُ بن حَزْنٍ إِلَى الوَقْبِي فوجدَ بها البكرين ، فأرسل إلى شيبان وقبيصة : إن كنتما تُريدان الثباتَ قِيطْكما هذا وَمَنْ مَعَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ فَأَقْبِيا ، وإن كنتما تريدان غير ذلك فأعلماني فإنها أَرْضِي وَمَأْنِي .

فأرسلًا إليه يُواعِدانه وَيَقُولان : إن رأيناك بالوقبي لنفعلن بك ولنصنعن
فخرج بِشْرُ وأخوه خُفَّافٌ وَحُرَيْثُ بن سلمة الشاعر وتفرَّقوا : فواحدٌ منهم ذهب إلى بني العنبر^(١) ، وواحد إلى بني يربوع بن حَنْظَلَةَ ، والثالث إلى بني مازن ابن مالك ؛ فأجاب مستصرخ بني عنبر سبعة نفر ، وانطلق بعضهم يستصرخ بني نَهْشَلٍ لما كان من البكرين إليهم . فقالت بنو نَهْشَلٍ : والله مالكم عندنا نُصرة ، وانطلق مستصرخُ يربوع حتى لقي بني رِيَّاحٍ^(٢) . فقالت بنو رِيَّاحٍ : إخوتنا بَنُو ثَمَلَةَ قَدَّامنا ولسنا نقطع أمرًا دونهم ، فمليكم بهم فنحنُ لهم تَبِعٌ ، فانطلقت بَنُو مازن حتى وَرَدُوا أَعْشاشًا على بني ثَمَلَةَ ؛ فلما وَرَدُوا المَاءَ عليهم شهرهم أهل المَاءِ ، ثم لَقُوا عبد الله بن مالك المعروف بالهَلْفِ ، فأخبروه خبرَهم ، فقال : انزلوا أيها القوم ، وسمَّعِدْ إِلَى بَكْرِ فَمَقَرَهُ وَقَرَاهُمْ إِيَّاهُ ، حتى إذا كان من العَمَشِي ، وبرز أهلُ المَاءِ لبس

(١) بنو مازن والعنبر ويربوع ورياح وثلعة بطون في تميم . (٢) رِيَّاح : بطن في يربوع وكذلك ثَمَلَةَ .

بُرْدِينٍ وَتَخَلَّقَ^(١) - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ - وَأَخَذَ قَنَاتَهُ وَرَاحَ إِلَى وَسْطِ الْمَاءِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتَهُ : يَا يَرْبُوعُ ! يَا تَلْعَلْبَةَ ! يَا لَعَاظِمَ ! فَخَصَّ وَعَمَّ ، فَتَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : « هُوَ لَاءُ بَنُو أُمَّكُمْ^(٢) ، وَبَنُو عَمِّكُمْ ، وَيَدُّكُمْ عَلَى الْعَرَبِ ، وَلَا قَرَارَ لَكُمْ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ إِنْ أَخَذَتْ دَارُ بَنِي مَازِنَ » .

فَرَكِبُوا مَعَهُ عَلَى كُلِّ صَنْعٍ وَذُلُولٍ ، حَتَّى أَشْرَفَ بِهِمْ عَلَى بَنِي رِيَّاحٍ ؛ فَلَمَّا رَأَتْهُمْ بَنُو رِيَّاحٍ رَكِبُوا مَعَهُمْ ، فَانْطَلَقَ الْقَوْمُ حَتَّى أَتَوْا الْوَقْبِيَّ ؛ فَقَالَتْ بَنُو يَرْبُوعِ : يَا بَنِي مَازِنَ ؛ دَعُونَا فَلْنَنْظُرَ لَكُمْ وَنَسْتَبْرِي الْقَوْمَ ؛ فَقَالَتْ بَنُو مَازِنَ : لَقَدْ رَشِدْتُمْ .

وَانْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْهُمْ حَتَّى وَرَدُوا الْمَاءَ عَلَى بَكْرِ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَبْعُونَ عِبِيدًا لَهُمْ أَبَاقًا^(٣) أَفْلَتُوا مِنْهُمْ ، فَقَرَوْهُمْ حَتَّى إِذَا أَخَذُوا يَرْوِحُونَ ارْتَابُوا بِهِمْ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتْرَكُوا فِي لِحَاهِمُ شِمْرَةً إِلَّا تَنَفَّوْهَا . فَقَالَ لَهُمُ الْيَرْبُوعِيُّونَ : إِنَّا تَحَرَّ مَنَا بَطْعَامَكُمْ يَا بَكْرَ بْنَ وَاثِلَ ، وَهَذَا قَرَاكُمْ فِي بَطُونِنَا وَحَقَائِبِنَا ؛ فَأَرْسَلُوهُمْ .

وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ نَحْوَ الْكُوفَةِ يَرْوِحُونَ مِنْهُمْ فِي إِثْرِ عَبِيدِهِمْ ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا رَجَعُوا فَأَتَوْا أَصْحَابَهُمْ وَقَالُوا : يَا بَنِي مَازِنَ ؛ لَمْ نَجِدْ وَاللَّهِ لَنَا وَلَكُمْ بِهِمْ يَدِينَ ، الْقَوْمُ كَثِيرٌ ! فَتَكَرَّرَ^(٤) الْقَوْمُ . فَقَالَ مَنْ تَمَّ مِنْ بَنِي يَرْبُوعِ وَبَنِي الْعَنْبَرِ : أَعْبَرُوا عَلَيْنَا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ ، فَتَكُونُ قَدْ أَخَذْنَا عَوْضًا عَمَّا صُنِعَ بِنَا .

فَوَثَبَ بِشَرِّ بْنِ حَزْنٍ وَقَالَ : يَا الْمَازِنَ ! قَوْمُوا إِلَيَّ ، وَلَا يَقْوَمَنَّ أَحَدٌ غَيْرَكُمْ . فَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَبَرَزَهُمْ ، وَقَالَ : يَا بَنِي مَازِنَ ؛ أَذْكَرَكُمْ اللَّهُ ، أَرْضَوْنَ أَنْ تُنْبِرَ يَرْبُوعُ وَالْعَنْبَرُ فَيَأْخُذُوا التَّمَّ ، وَيَكُونُ ذَهَابُ دَارِكُمْ ! فَقَالُوا : فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ

(١) تَخَلَّقَ : تَطَلَّبَ بِالْحُلُوقِ (٢) كَانَتْ جَنْدَلَةُ بِنْتُ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ الْفَرَشِيَّةِ أُمُّ يَرْبُوعِ وَمَازِنِ

(٣) جَمَعَ آبِقٍ (٤) تَكَرَّرُوا : تَرَادَوْا . وَالسُّكْرُوكَةُ : الْإِرْتِدَادُ عَنِ الشَّيْءِ .

تجمّلوا النَّارَ بالأنفُسِ ، وتقاتلوا القومَ ، فإن ظفّرتم فاللهُ أظفركم ، وإن نكن
الأخرى كنتم قد أيتّم عُدْرًا في داركم .

فتابعوه على رأيه ، وقاموا إلى مَنْ هناك من يربوع والمنبر فقالوا : جزاكم الله
خيرًا من إخوة ، فإنسكم لو كنتم دعوتنا أظفّرناكم ، ولكننا نحن دعوناكم ،
فارموا بنا في نُحُورِ القومِ ، وكونوا من ورائنا فأكبرونا ، فإن نحن هُزِمنا كنتم
على هاميتكم وانصرتكم ، وإن نحن ظفّرنا فهي التي تريدون - وكانوا قد شارطوهم
ثلث الماء - فقالوا : قد فعلنا .

وانطلقوا وأصبّحوا على مكان يُشرف على الوقي ، فقالت بكر إذ رآتهم : هذه
عير قد أشرفت عليكم ، وقالت بريقة بنت شيبان : أحلف بالله ، إنى أرى البيض
تبرق ، وإنى لأرى الأسنّة تلمع ؛ فبرز أبوها معه اللواء وهو يقول :

نحن حَفَرْنَا وبدأنا أولاً ولن نكون الحاضر المحولاً^(١)

ولما التقى الجمعان خرج عَصِيمة بن عاصم المازني على جملٍ له ، وهو محتجزٌ بملاءة له
بيضاء على الدرّع وفي يده اللواء ، فلقى شيبان أبو بريقة ، وطعن كل واحد منهما
صاحبه ؛ فاحمدت ملاءة عَصِيمة من فخذيه ، فنادى عَصِيمة رجلا من بني مازن
يقال له : حُنَيْس ، وقال : يا حُنَيْس ؛ أطاق الملاءة من فخذى ، فذهب حُنَيْس ليطلق
الملاءة من فخذيه ، فضربه رجل من بني شيبان فقتله ، وجاء شيبان أبو بريقة فضرب
عَصِيمة على يده اليسرى فقطع ثلاث أصابع ، فضربه عَصِيمة على رأسه فقتله ، فبرز
ابنه أربد بن شيبان وكرّ على عَصِيمة فقطع يده اليمنى ، ونادت بكر : يا بنى مازن ؛
البقية البقية^(٢) ، وتميّموا للصالح .

(١) الحاضر : القوم النازلون على الماء . المحول : المغلوب (٢) العرب تقول للعدو إذا

غلب : البقية : أى ابقوا علينا ولا تستأصلونا ، ومنه قول الأعشى :

* قالوا البقية والحطى يأخذهم *

ولم يكن قد علم بنو مازن بقتل صاحبهم خنيس ، ولا ما لقيت يدُ عصيمة ، فلما رأى عصيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قبيصة ، حتى إذا امتلأ القميص دماً نَضَحَ به وجوهَ مازن ثم قال : أبقيةٌ بعد هذا أو صلح ! وأراهم يده وأعلمهم بقتل خنيس ، فاقتلوا عند ذلك قتالاً شديداً .

وشد خُفاف بن حزن على شيبان بن خصفة رئيس بكر فقتله ، ثم هُرِمت بعده بكر هزيمة مُنكرة ، فأخذ رجل من بني يربوع يدي بريقة بنت شيبان ليسيها ، فقال عصيمة : لا سياء في الإسلام ، أنا جازٌ لجميع نساءهم من السياء ، وأمر النساء فِحَمَنَ وانطلقن معهن جِهان شيبان أبي بريقة ، ودفننه بالمكان الذي يقال له قارة شيبان ، وكسرن على قبره قدره وجفنته .

ولما أحرزوا الماء قالت بنو يربوع لبني مازن : إن لنا في الماء شريطةَ النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جملنا لكم الثلث ، على أن تقَاتِلُوا فلم تَدُوا شيئاً من القتال ، وما كان أصلُ الماء إلا لنا ، ولتكنفُن عنا ، أو لَتَرُدَّنْ أَرْمَاخَنَا في صدوركم .

وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بني مازن شريطةٌ تُوجِبُ لنا عليهم في هذا الماء حقاً ، وتركوهم . وأما بنو رباح فأبوا ، ونذر قَمَبَ والأحوص الرياحيان يومئذ ألا يردا الوقي إلا مُجَمِّين للقتال .

وغبروا على ذلك زماناً ؛ ثم إن بني رباح اغتَرُّوا بني مازن ، فأتوا رَكِيَّةً من ركاب الوقي ، فمقروا السَّوَانِي^(١) وألقوا جيفها فيها ، فلما نذرت بهم بنو مازن هربوا ؛ فانطلق ناسٌ منهم في إثرهم حتى أتوا ماء لهم يقال له : طَلْح ، فموروه^(٢) وألقوا فيه السَّوَانِي والحجر كما فعلوا بآبائهم .

ثم هدأ ما بينهما ، واصطلحت الناس ، وخلصت الوقي لبني مازن .

(١) السانية : الناضعة وهي الناقة التي يستقي عليها ، وجمعها السواني (٢) عورت الركبة : إذا كبستها بالتراب حتى تنسد .

وفيه قال أبو النول الطهوى :

فَدَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَاتٍ فِيهِمْ ظُنُونِي (١)
فَوَارِسَ لَا يَمْلُونُ الْمَنَابِيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُونُ (٢)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَلْظِ بَلِينِ
وَلَا تَبَلَى بِسَالَتِهِمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا حِينِ
هَمَّ مَتَعُوا حَمَى الْوَقْبِي بِضَرْبِ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
وَلَا يَرْعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ (٣)

(١) صدق (بالتشديد) مثل صدق بالتخفيف (٢) حرب زبون : تزبن الناس أى تصدمهم
وتدفعهم (٣) الهدنه والهدون والمهدنة : الدعة .

(١٥) يوم الشباك*

قَتَلَ إِيسَى بْنُ عَبْلَةَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ^(١) اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مَسْعُودَ بْنَ الْقِصَافِ - مِنْ بَنِي الْقِصَافِ ^(٢) ، ثُمَّ أُسْرَتْ بَنُو تَيْمٍ اللَّهُ وَكَيْعَ بْنَ الْقِصَافِ ، فَبَسَّوهُ عِنْدَهُمْ ، فَظَنَّ بَنُو حَنْظَلَةَ أَنَّهُمَا قَدْ قُتِلَا كِلَاهُمَا ؛ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْيَرْبُوعِيُّ يَرْتِيهِمَا ، وَيَتَوَعَّدُ بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ :

لَتَبِكَ النِّسَاءُ الرُّضِعَاتُ بِسُحْرَةٍ وَكَيْمًا وَمَسْعُودًا قَتِيلَ الْحَنَاتِيمِ
كَلَّا أَخْوِينَا كَانَ فِرْعَاوَنًا دِعَامَةً وَلَا يُلْبِثُ الْعَرْشُ انْقِضَاضُ الدَّعَائِمِ
فَلَا تَرَجُّ تَيْمٌ اللَّهُ أَنْ يَجْمَلُوهَا دِيَابَتٌ وَلَا أَنْ يُهَزِّمَانِي الْهَزَائِمِ ^(٣)

فلما أتى هذا الشعرُ بنى تيم عرفوا أن بنى القِصَافِ سيطلبونهم بدم مسعود ، فخلّوا سبيل وكيع ، فلبث بنو القِصَافِ بذلك ما شاء الله أن يلبثوا .

ثم إن فتيةً منهم خرجوا من الكوفةِ في غيرهم لهم ، حتى إذا دنوا من الشباك لقوا قومًا فسألوهم من على الماء ؟ فقالوا لهم : بنو حارثة بن لأمٍ وناسٌ من بنى تيمٍ الله بن ثعلبة .

فمعل بنو القِصَافِ راحلهم ، وخلقوا بمضهم فيها ، ومضى بعضٌ حتى انتهى إلى ابن عبلة ، فقالوا له : رحمتك الله ! إن ناقةً لنا صلت ، وهى فى إبلتك فارددها علينا ؛ فقال لفلان له : انطلق مع القوم فادفع إليهم ناقهم .

* لبنى القِصَافِ (من تيم) على بنى تيم الله بن ثعلبة (من بكر) ، والشباك : طريق حاج البصرة ، وهذا أيضاً من الأيام التى آثرنا ذكرها فى أيام الجاهلية .

النقائض : ص ٩١٨ طبع أوربا

(١) تيم الله بن ثعلبة : بطن فى بكر

(٢) بنو القِصَافِ : من تيم

(٣) يقول : ليس لهما مترك لا يد أن يطلب بهما . هزم له حقه أى وهبه له .

فانطلق غلامُ ابنِ عَبَلَةَ معهم ، فسأل راعِيَهُ عن ناقةِ القوم ، فقال : ما رأيُهَا ، وهذه الإبلُ فانظر . فنظر الغلامُ فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلى مولاه ، ورجع بنو القِصَافِ فقال لهم ابنُ عَبَلَةَ : ما صنَعْتُمْ ؟ قالوا : غيَّب راعِيكَ ناقَتَنَا ، فقمُ معنا إليه ، فقام معهم ابنُ عَبَلَةَ ، حتى إذا نحوَّه عن الماء شدَّ عليه رجلٌ من بني القِصَافِ ، ثم نادى يا ثاراتِ مسعودٍ ! فقتله ، وخضبَ عمامته بدمِهِ .

فغضب بنو حارثة^(١) بن لأمٍ ، وقالوا : قتلوا جارنا ، ولا تزال العربُ تَسُبُّنا به إن فاتونا .

وطلبوا بني القِصَافِ وهم نَفِيرٌ^(٢) ، وعلى الماء جماعةٌ من بني حارثة بن لأمٍ ، فترك بنو القِصَافِ رواحِلَهُمْ ، ومضوا بالعمامة مخضوبة بالدم حتى انتهوا بها إلى بني طَهِيَّةٍ^(٣) ، فسألوهم عن رِكابِهِمْ ، فقالوا : تركناها في أيدي بني حارثة ، فقال الأسلع بن القِصَافِ في ذلك :

فِدَى لأمري لاقى ابنَ عَبَلَةَ ناقتي	وراكبها والناسُ باقٍ وذاهبُ
عداؤُكُمْ أعداؤه على الهولِ فِتِيَّةٌ	كرامٌ وأسيافٌ رِقَاقٌ قواضبُ
ولم يحفلوا ما أحدثَ الدهرُ بعدها	وما كشف للناسِ الأمورَ الشواغبُ
ولم نرُو حتى بلَّ أسيافاً دمٌ	يُدَاوِي به قَرَحُ القلوبِ الجِوَالِبِ ^(٤)
ولا شراً حاجاتِ طَواهُنٍ بعد ما	تباعد أسبابُ الهوى المُتقاربُ
فا الناسُ أَرَدَوْهُ ولكنَّ أَقَادَهُ	يدُ الله والمستنصرُ اللهُ غالبُ

(١) بنو حارثة بن لأم : بطن في طيء
 (٢) النفير : القوم يتنافرون في القتال ، والنفير : القوم الذين يتقدمون في القتال والنفير : الجماعة من الناس
 (٣) طهية : قبيلة في تميم ومنهم بنو القِصَافِ
 (٤) الجلبة : القشرة التي تعلق الجرح عند البرء ، وقد جلب جلب وأجلب الجرح مثله : إذا علت القرحة جلدة البرء . وقال الليث : قرحة مجلبة وجالبة ، وقروح جوالب وجلب .

شَفَى سَقَمًا - إن كانت النفس تُشْتَفَى -
شفي الداء وبيضت وجهه كأعما
قَتِيلٌ مُصَابٌ بِالشَّبَاكِ (١) وطلبُ
جَلَا النَّقْسِ (٢) عنها وهي سُودٌ كَوَائِبُ
غَلِيلا فساعتُ في الحُلُوقِ الشَّارِبُ (٣)
وما شاهدُ يُدعى كمن هو غائبُ
فأبلغُ بني لَامٍ إذا ما لقيتهمُ
فهل أنتمُ إلا أخونا فتحدبوا
علينا إذا نابتُ علينا النَّوَابُ
ولو أننا كُنَّا على مِثْلِهَا لَكُمُ
لَأَبَتْ إلى أربابهنَّ الرَّكَّابُ
لَمَّا بَرَحَتْ حتى أُنيختُ إليكم
جميعًا وحتى حُلَّ عنها الحَقَائِبُ
فإن رِحَالَ القومِ وسطَ بِيوتكم
وللجارِ مَعْرُوفٌ من الحقِّ واجبُ
فلما أتى بني حارثةَ هذا الشَّمْرَ سرَّهم ، وقالوا : مالنا على رِكابكم من سبيل ،
قومٌ أدركوا بأثرهم ، ولهم جوار ، والذي بيننا وبينهم حسن ، فردوا على بني
القِصافِ رِكابهم ، وطاح (٤) ابنُ عبلة ، ولم يُدرِكْ بثأره ؛

(١) الشباك : موضع (٢) النقس : العيب (٣) الثقب : طريق

(٤) يعني ذهب دمه باطلا .

٦- أيام قيس (فيما بينها)

- ١- يوم منبج .
- ٢- « النفراوات .
- ٣- « بطن عاقل .
- ٤- « داحس والغبراء .
- ٥- « الرقم .
- ٦- « التتاءة .
- ٧- « حوزة الأول ؛
- ٨- « « الثاني .
- ٩- « اللوى .
- ١٠- حديث ابن ضبا .
- ١١- يوم هراميت .

(١) يوم منمعج *

كان زهيرُ بن جندبة العبسي سيدَ قَيْسِ عَيْلان ، فتزوَّج إليه النمان^(١) بن امرئ القيس ملك الحيرة لشرِّفه وسُوْدُده ، وأرسل إليه يوماً يستزيره بعض أولاده ، فأرسل إليه ابنة شاساً - وكان أصغرَ ولده - فأكرمه وجباه أفضلَ الحبوَّة مسكاً وكسَى وقُطفاً وطنَّافس^(٢) ، ثم خرج من عنده يريد قومه ، وسار حتى ورد منمعجا - وهو ماء لعنى^(٣) - فأناخ في يومِ شمال^(٤) ، وقرَّ على رَدَّهة^(٥) في جبل رياح ابن الأسكَّ الغنوى ، ليس على الرَدَّهة غيرُ بيته .

ثم أنشأ شاس يَغْتسل بين الناقة والبيت ، وامرأةُ رياح تنظرُ إليه ، وهو مثْلُ الثور الأبيض ، فقال رياح لامرأته : أعطيني قوسى ، فدَّت إليه قوسه وسهماً ، ثم أهوى لشاس بسهم ، وبرَّ صُلْبِهِ ، وحفَّر له حفراً فهدمه عليه ، ونحر جملة وأكله ، وأدخل متاعه بيته .

* لعبس على غنى ، وتسميته يوم منمعج لصاحب العقد الفريد ، وقال أبو عبيدة : ويقال له يوم الردهة ؛ وفي جمع الأمثال للميداني : لبنى يربوع على بنى كلاب .
الأغانى ص ٨ ج ١٠ طبعة الساسى ، ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١ ، جمع الأمثال ص ٢٦٨ ج ٢ ، مهذب الأغانى ص ٨ ج ٢

(٧) النمان ابن امرئ القيس : أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة ، وكان من أشد ملوك العرب نكايه في أعدائه وأبدم مغاراً ، كما كان صارماً حازماً ضابطاً للملك ، ولكنه في آخر عهده زهد في الملك ، وساح في الأرض فلم يره أحد (سنة ٤٣١ م) (٢) الطنَّافس : للبط والنياب ، والقطيفة : دنار مخمل ، وقيل كساء له خل ، والجمع قطائف ، وقطف مثل صحيفة وصحف كأنها جمع قטיפ وصحيف (٣) غنى : حى من غطفان (٤) الشمال (بالفتح ويكسر) : الريح التي تستبلك عن يمينك وأنت مستقبل (٥) الردهة : النقرة : يجتمع فيها ماء السماء .

وَقَدْ شَاسَ ، وَقَصَّ أَثْرَهُ وَنُشِدَ ، وَرَكِبُوا إِلَى الْمَلِكِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : حَبَوْتُهُ وَسَرَّحْتُهُ ، فَقَالُوا : وَمَا مَتَّعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكَ وَكُوسَى وَنُطُوعٍ وَقُطْفٍ .

فَأَقْبَلُوا يَقْصُونَ أَثْرَهُ فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، وَمَكَثْتَ عَبَسَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً أَرْيَاحَ بَاعَتْ بُعْكَاطَ قَطِيفَةٍ سَمْرَاءَ وَبَعْضُ مَا كَانَ مِنْ حِجَابِ الْمَلِكِ ، فَمَرَفُوا وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيحًا ثَأْرَهُمْ ثَأْرَهُمْ .

فَأَتَى زَهِيرٌ غَنِيًّا وَسَأَلَهُمْ عَنْ شَاسٍ فَقَالُوا : نَعَمْ ، قَتَلَهُ رِيَّاحٌ ، وَنَحْنُ بَرَاءَةٌ مِنْهُ ، وَقَدْ لَحِقَ بِجَالِهِ مِنْ بَنِي الطَّمَّاحِ . وَلَا تَبَيَّنْ لَزَهِيرَانَ رِيحًا ثَأْرَهُ قَالَ يَرْتِي شَاسًا :

بَكَيْتُ لَشَاسٍ حِينَ خَبَّرْتُ أَنَّهُ بَعَاءُ غَنِيٍّ آخَرَ اللَّيْلِ يُسَلَبُ
لَقَدْ كَانَ مَا نَاهُ الرِّدَاهُ (٢) لِحَتْفِهِ
قَتِيلٌ غَنِيٌّ لَيْسَ شَكْلُهُ كَشَكْلِهِ
سَابِقِي عَلَيْهِ إِنْ بَكَيْتُ بِمَعْرَةٍ
وَحَزْنٌ عَلَيْهِ مَا حَيِّتُ وَعَوَلَةٌ
إِذَا سِيمَ ضِيَا كَانَ لِلضَّمِيمِ مُنْكَرًا
وَإِنْ صَوَّتَ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مَرَّةً
فَفَرَّجَ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ وَلِيَّهُ .
فَقَلْبِي عَلَيْهِ - لَوْ بَدَأَ الْقَلْبُ - مَلْهُبُ

(١) قوم زهير

(٢) الردهاء : جمع ردهة ، وهي النقرة . يستنقع فيها الماء .

وانصرف إلى قومه ، وكان لا يرى غنوباً إلا قتله (١) .

ثم غزت بنو عبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو دية مع أخى شاس - الحصين ابن زهير - والحصين بن أسيد بن زهير ، فقبل ذلك لفتى ، فقالت لرياح : أنجُ لملنا نصالح على شيء أو نرضيهم بدية وفداء .

وخرج رياح رديفاً (٢) لرجل من بني كلاب ، وكان معهما صحيفة فيها لحم ؛

(١) هذه رواية الأغانى ، وجاء في ابن الأثير : إن زهيراً حين افتقد ابنه سار إلى غنى ، وم حلفاء في بني عامر ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فحلفوا أنهم لم يعرفوا خبره ، فقال : ولكنى أعلمه ، فقال له واحد من بني عامر : فما الذى يرضيك منا ؟ فقال : واحدة من ثلاث : إما تحيون ولدى ، وإما تسلمون إلى غنياً حتى أقتلهم بولدى ، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم ، فقالوا : ما جعلت لنا في هذه مخرجا ؟ أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله ، وأما تسليم غنى إليك فهم يمتنعون مما تمتنع منه الأحرار ، وأما الحرب بيننا فوالله إننا لنحب رضاك ونكره سخطك ؛ ولكن إن شئت الدية ، وإن شئت تطلب قاتل ابنك ، فنسلمه إليك ، أو تهب دمه فإنه لا يضيع في القرابة والجوار ، فقال : ما أفعل إلا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر تعدى زهير على أخواله من غنى . قال : والله ما رأينا كال يوم تعدى رجل على قومه ، فقال له زهير : فهل لك أن تكون طلبتى عندك وأترك غنيا ؟ قال : نعم ، فانصرف زهير وهو يقول :

فلولا كلاب قد أخذت قريبتى	برد غنى أعبدأ ومواليها
ولكن حنهم عصبه عامرية	يهزون في الأرض القصار العوالي
مساعيرى الهيجا مصاليت فى الوغى	أخوم عزيز لا يخاف الأعدايا
يقيمون فى دار الحفاظ تكريما	إذا ما فى القوم أضحت خوالي

الفتى : جمع فناء

ثم أنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها ، وأعطها لحم جزور صمينة ، وسيرها إلى غنى لتبيع اللحم بطيب ، وتسال عن حال ولده ، فانطلقت المرأة إلى غنى وفعلت ما أمرها ، فاتته إلى امرأة رياح بن الأسك ، وقالت لها : قد زوجت بنتاى وأبغى الطيب بهذا اللحم ، فأعطتها طيباً ، وحدثتها بقتل زوجها شاساً ، فعادت المرأة إلى زهير وأخبرته ، فجمع خيله ، وجعل يغير على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر (ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١)

(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب .

فَأَدْخَلَ يَدَيْهِمَا فِي الصُّحُفَةِ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَضْرَةً ^(١) لِيَأْكُلَهَا ،
مُتَرَادِفِينَ لَا يَقْدِرَانِ عَلَى النَّزُولِ ، فَمَرَّ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا صُرْدٌ فَصَرَ صَرَ ، فَأَلْقَى اللَّحْمَ ،
وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَ : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَظْمًا ؛ وَمَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا فَصَرَ صَرَ ، فَأَلْقَى الْعَظْمَيْنِ وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا
وَقَالَ : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا الثَّلَاثَةَ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِطْعَةً ، فَمَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ
رُءُوسِهِمَا فَصَرَ صَرَ ، فَأَلْقَى الْعَظْمَيْنِ حَتَّى فَعَمَلَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِذَا هُمَا بِالْقَوْمِ أَدْنَى
ظِلَامٍ ^(٢) . وَقَدْ كَانَا يَظُنُّانِ أَنَّهُمَا قَدْ خَالَفَا وَجْهَةَ الْقَوْمِ ! فَقَالَ لِرِيَّاحِ صَاحِبِهِ : أَذْهَبُ
فَإِنِّي آتَى الْقَوْمَ أَشْعَلُهُمْ عَنكَ وَأُحَدِّثُهُمْ حَتَّى تُعْجِزَهُمْ ، ثُمَّ مَاضٍ إِنْ تَرَكَونِي .
فَانْحَدَرَ رِيَّاحٌ عَنِ عَجْزِ الْجَمَلِ ، فَأَخَذَ أُذْرَاجَهُ ^(٣) ، وَعَدَا حَتَّى أَتَى ضِفَّةً فَاحْتَفَرَ
تَحْتَهَا مِثْلَ مَكَانِ الْأَرْنَبِ وَوَلَجَ فِيهِ ، ثُمَّ أَخَذَ تَعْمَلَيْنِ مِنْ سِنْتٍ ^(٤) فَجَعَلَ إِحْدَاهُمَا
عَلَى سُرَّتِهِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى صَفْنِهِ ^(٥) ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمَا الْعِمَامَةَ . وَمَضَى صَاحِبُهُ حَتَّى لَقِيَ
الْقَوْمَ ؛ فَسَأَلُوهُ فَحَدَّثَهُمْ وَقَالَ : هَذِهِ غَنَى كَامِلَةٌ ، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَصَدَّقُوهُ
وَوَخَلُوا بِسِرِّهِ ^(٦) .

فَلَمَّا وُلِيَ رَأَوْا مَرْكَبَ الرَّجُلِ خَلْفَهُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ خَلَقَكَ ؟
فَقَالَ : لَا مَكْدُوبَةَ ! ذَلِكَ رِيَّاحٌ فِي الْأَوَّلِ مِنَ السَّمَرَاتِ ^(٧) ، فَقَالَ الْحَصِينَانِ ^(٨)

(١) الوضرة : القطعة الصغيرة من اللحم (٢) أدنى ظلام : أدنى شيء

(٣) أدرج : جمع درج ، وهو الطريق ، والمعنى مضى لسبيله (٤) السنت : الجلد المدبوغ

والنعل مؤنثة (٥) الصفن : وعاء الحصى (٦) السرب : الطريق والوجه

(٧) السمرات : واحدها سمرة ، وهو شجر (٨) الحصينان : الحصين بن زهير والحصين

لن معهما : قَفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَهُ ، فقد أمَكَّننا اللهُ من تَأْرانَا ، ولم يريد أن يَشْرِكهما فيه أحد ، ومضياً ووقف القوم وخنسوا^(١) عنهما .

فلما رأها رياح رمى الأوَّلُ منهما فَبَرَّ صُلْبَهُ ، وطفنه الآخر قبل أن يرميه ، وأراد السُّرَّةَ فأصاب الرِّبْلَةَ^(٢) ، ومَرَّ الفرسُ يَهْوَى به ، فاستدَّبره رياح بسهم فرسَّقَ به صُلْبَهُ ؛ ونَدَّ فرسأها فلحقها بالقوم .

فَقالت عَبْسُ : أينَ تذهبون إلى هذا ؟ والله ليقتلنَّ منكم عدداً ، وقد جرحاه وسيموتُ .

ثم إن رياحا أخذ رُمحِي القتيل وسلبَهما وانطلق حتى ورد رَدْمَةٌ عليها بيتُ أَمّار بن بغيض ، وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لها راتع في الجبل ، وقد مات رياح عطشاً ، فلما رأته يَسْتَدْمِي^(٣) طمعت فيه ، ورجت أن يأْتِيها ابناها فقالت : استأسر ، فقال : دعيني ويحك أشرب ! فأبت فأخذ حديدَةً فجذَمَ^(٤) بها رواهشها^(٥) ، وعبَّ في الماء حتى نَهَلَ ، ثم توجه إلى قومه ، فقال فيها وفي الحصينين :

قالت لي : استأسر لِيُكْتَفِنِي حِيناً وَيملُو قولها قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو منى غداة وقفت للخيل
إذِ الحُصَيْنِ لدى الحصين كما عدل الرِّجَازة^(٦) جانب الميلا

(١) خنسوا : تأخروا (٢) الرِّبْلَةُ : أصل الفخذ (٣) استدمى الرجل : طأطأ رأسه
يقطر منه الدم (٤) الجذم : القطع (٥) الرواهش : عروق ظاهر الكف
(٦) الرِّجَازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية
الأخرى ليعتدل .

(٢) يوم النَّفْرَاوات *

كان زُهَيْرُ بْنُ جَدِيْمَةَ^(١) العَبْسِيُّ سَيِّدًا لِهَوَازِنَ^(٢) ، فَكَانَتْ لَا تَرَاهُ إِلَّا رَبِيًّا ، وَهَوَازِنُ يَوْمُنَا لِأَخِيْرٍ فِيْهَا ، وَإِنَّمَا هُمْ رِعَاءُ الشَّاءِ فِي الْجِبَالِ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ يَعْزُمُهُمْ^(٣) ، فَإِذَا كَانَتْ أَيَّامُ عُكَاظِ أَتَاهَا زُهَيْرٌ ، وَيَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فَتَأْتِيهِ هَوَازِنُ بِالْإِتَّارَةِ الَّتِي لَهَا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَيَأْتُونَهُ بِالسَّمْنِ وَالْأَقِطِ^(٤) وَالغَمِّ ، ثُمَّ إِذَا تَفَرَّقَ النَّاسُ نَزَلَ بِالنَّفْرَاوَاتِ .

فَأَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنْ هَوَازِنَ بِسَمْنٍ فِي نِجْحِيٍّ^(٥) ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ وَشَكَتَ السَّنِينَ الَّتِي تَتَابَعَتْ عَلَى النَّاسِ ، فَذَاقَهُ فَلَمْ يَرْضَ طَعْمَهُ ، فَدَعَّاهَا^(٦) بَقَوْسٍ فِي يَدِهِ عَطُلٌ^(٧) فِي صَدْرِهَا ، فَاسْتَلَقَتْ لِحْلَاوَةَ^(٨) الْفَقَا ، فَفَضِبَتْ مِنْ ذَلِكَ هَوَازِنَ وَصَمَمَتْ لَهُ^(٩) ،

* لعامر على عبس و (النفراوات) هكذا ذكره صاحب الأغاني ، وفي العقد الفريد (النفراوات) ، وفي معجم ما استعجم : النفراوات ، قال : نفرى يفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة مقصور على وزن فعلى ، وبعد : موضع في بلاد غطفان . قال السكري : هي حرة . قال مالك بن خالد الحفاعي :

ولمارأوا نفرى تسيل اكماها بأرعن جرار وحامية غلب
ورواه السكري : نفرى بالقاف . قال أبو الفتح أراد نفرى فخفض للضرورة ، قال أبو صخر فجمعها على نفرات :

فلما تفتلى نفرات سجيله ودافعه من شامه بالرواجب

يريد بالأصابع ، يصف سحابا .

العقد الفريد ص ٣٠٤ ج ٣ ، الأغاني ص ١٠ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١٠ ، بلوغ الأرب ص ١١٧ ج ١ ، معجم ما استعجم (ركة - نفر - نفر - نفراوات)

(١) من عبس ، وينتهي نسبه إلى قيس عيلان بن مضر (٢) هوازن : حى من قيس

عيلان (٣) يعزم : يغلهم (٤) الأقط : شيء يتخذ من الخبيض الغني

(٥) النحي : الرق الذي يجعل فيه السمن (٦) دعها : دفعها (٧) قوس عطل :

لا وتر فيها (٨) حلاوة الفقا : وسطه (٩) صمدت له : قصدته وانتظرت غفلته .

هذا إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن^(١) وما أوحرها^(٢) من الحسد .
وتذامرت^(٣) عامر بن صعصعة - وهم بطن من هوازن - وآلى خالد بن جعفر
فقال : والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل ، ثم قال :

أديروني أداتكم^(٤) فإني وحذفة^(٥) كالشجاعت الوريد
مقرّبة أسديها بجزّ وألحفها ردائي في الجليد
وأوصى الراعيين ليوثها لها لبن الخلية والصمود^(٦)
تراها في الغزاة وهن شعث^(٧) كقلب العاج في الرثغ الجديد

ولما سمع زهير هذا القول حقر خالدًا وسبّه ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي
هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنى عليه . فقال زهير : اللهم
أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا ، فقالت قريش - وكان
الكلام أمامهم : هلكت والله يا زهير . فقال زهير : إنكم والله الذين لا علم لكم .

* * *

ثم انتقل زهير من قومه بينيه وبنى أخويه زنباع وأسيد يرغ^(٨) الفيث في
عشراوات^(٩) له ، وبنو عامر قريب منهم ولا يشمرون بهم ، وكانت تماضر بنت
الشريد امرأة زهير بن جذيمة ، فرّ بها أخوها الحارث^(١٠) ؛ فقال زهير

(١) الهمزة : الحقد القديم ، وجمعه دمن (٢) أوحره : أوغره (٣) تذامرت :
تماحزت على القتال (٤) لكل ذي حرفة أداة ، وهي آلته التي تقيم حرفته ، وأداة الحرب
سلاحها (٥) حذفة : فرس خالد بن جعفر (٦) الخلية : الناقة تنتج فينحر ولدها
ليدوم لهم لبنها ، والصمود : الناقة يموت حوارها فتعطف على فصيلها (٧) القلب : السوار
(٨) يرغ : يطلب (٩) المشراء : الناقة التي مضى حملها عشرة أشهر ، وجمعها عشراوات
(١٠) كان الحارث قد أصاب دماً ، ثم احتسبى بنى عامر قوم خالد وكان فيهم ، ثم إن خالداً
أرسله عيناً ليأتيه بخبر زهير .

لَبْنِيهِ : إن هذا الجمار لَطَلِيمَةٌ عَلَيْكُمْ فَأَوْثِقُوهُ ، فقالت أخته لبنيها : أيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه ؟ ثم حلبوا له وطبا^(١) ، وأخذوا منه يمينا ألا يخبر عنهم ، ولا يُنذَر بهم أحداً .

فخرج يطير حتى أتى بني عامر عند ناديم ، وأتى شجرة فالتق الوطب تحتها والقوم ينظرون ، ثم قال :

أيتها الشجرة الذليلة ؛ اشر بي من هذا اللبن وانظري ما طعمه ؟ فقال أهل المجلس : هذا رجل مأخوذٌ عليه ، وهو يخبركم خيراً !

فأثوه ، وذاقوا اللبن ، فإذا هو حلوٌ لم يقرصُ بعد^(٢) ، فقالوا : إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب .

فركب خالدٌ وركب معه ستة فوارس من بني عامر لينظروا ما الخبر . واقتصوا أثر السير ، حتى إذا رأوا إبلَ بني عبس فزكوا عن الخيل ؛ فقالت نساء بني عبس : إنا لنرى حرجةً من عِضَاهُ^(٣) ، أو غابةً من رماح بركان لم نسكن نرى به شيئاً . ثم راحت الرعاة فأخبروا بمثل هذا الخبر ، وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيداً بمثل ذلك .

فأتى أسيد أخاه فأخبره بما أخبرته به الراعية وقال : إنما رأيت خيل بني عامر ورماجها . فقال زهير : كل أذب^(٤) نفوراً وأين بنو عامر ؟ أمّا كلاب فكالحية^(٥)

(١) الوطب : سقاء اللبن (٢) يقرص : يعض (٣) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، والحرجة : الجماعة منها (٤) الأذب من الإبل : كثير شعر الأذنين والعينين . قال في اللسان : ولا يكاد يكون الأذب إلا نفوراً لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نفراً ، وكان أسيد كثير الشعر . وقد ذهب الجملة مثلاً (٥) كلاب وكعب ونمير وهلال : بطون من عامر بن صعصعة .

إِنْ تَرَكْتَهَا تَرَكَتَكَ ، وَإِنْ وَطِئْتَهَا عَضَّتْكَ . وَأَمَّا بَنُو كَعْبٍ فَانْهَمُوا بِصَيْدِ بَنِي
الْأَيْ (١) ، وَأَمَّا بَنُو نَعْمِرٍ فَانْهَمُوا بِرِعْوَانٍ إِيْلَهُمْ فِي رِوَسِ الْجِبَالِ ، وَأَمَّا بَنُو هِلالٍ
فَيُصَيِّمُونَ الْمَطَرَ .

ثم آلى زهير لا يبرح مكانه حتى يُصبح ، وتحمل من كان معه غير ابنه ورقاء
والحارث . وكانت زهير مظلة دوح يربط فيها أفراسه لا تريمه حذراً من الحوادث ،
فلما أصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخليل ، وهي القمساء (٢) . فقال زهير :
مالها ؟ فقال ربيته (٣) : أحست بالخليل فصهلت إليهن ، فلم تؤذنه بهن إلا والخليل
دوائس محاضر (٤) بالقوم غدية ، فقال زهير لأخيه أسيد - وظن أنهم أهل اليمن :
يا أسيد ؟ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تعمى حديثهم منذ الليلة ، وركب أسيد
ومضى ناجياً .

ثم إن زهيراً وثب وتدثر (٥) القمساء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بدد (٦) ، وقال
لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى ؟ فقال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يُجهدها
ويكدها بالسوط قد ألح عليها . فقال زهير : شيئاً ما يريد بالسوط إلى الشقراء (٧) .
وتمردت القمساء بزهير ، وجمل خالد يقول : لا نجوت إن نجا مجدع (٨) .

ولما تمفطت (٩) القمساء بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد لماوية الأخيل

(١) الأي : الثور الوحشي (٢) القمساء : اسم فرس زهير (٣) الربيثة : الطليعة
الذي ينظر القوم لثلاييدهم العدو . وقد زعموا أن ربيثة زهير كان من الجن
(٤) دوائس : يتبع بعضها بعضاً ، والمحضار : الكثير الحضر ، والحضر : ارتفاع الفرس في
عدوه (٥) تدثر فرسه : وثب عليها (٦) بدن الرجل : أسن وضف
(٧) ذهب مثلاً ، والشقراء هي حذفة فرس خالد (٨) يعني زهيراً (٩) تمفط الفرس :
جرى حتى لا يجد مزيداً في جريه .

ابن عبادة ، وهو ممن كانوا معه : أدرك معاوية زهيراً ،
فجمل ابنه ورقاء والحارث يوطشان^(١) عنه ؛ فقال خالد : اطمن يا معاوية في
نساها^(٢) ، فطمن في أحد رجلها ؛ فأنخذت القمساء بمض الانخذال ، وهى في
ذلك تتممط ، فقال زهير : اطمن الأخرى - يكيدُهُ بذلك لىكى تستوى رجلها ،
فتتحامل . فناداه خالد : يا معاوية ؛ أفيد^(٣) طمنتك ، فشغغ^(٤) الرمح في رجلها
فأنخذت .

ولحقه خالد على حذفة ، فجمل يده وراء عنق زهير وقلبه ، وخر خالد فوقه ،
ولحق حنذج بن البكاء - وكان ممن جاء مع خالد - فوجد خالداً قد حسر الغفر عن
رأس زهير فقال : نحر رأسك يا أبا جزء^(٥) ، لم يجز يومك ! فنحى خالد رأسه
وضرب حنذج^(٦) رأس زهير ، وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ،
فلم يُغن شيئاً ، وأجهض^(٧) ابنا زهير القوم عن أبيهما فانترعا مرتين^(٨) .

فقال خالد - حين استنقذ زهيراً ابنه : وَالْهَفْتَاهُ ! قد كنت أظن أن هذا
الخرج سينفكم ، ولام حندجا . فقال حندج : السيف حديد ، والساعد
شديد ، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركائب ، وسمعت السيف قال :
قَبِّ قَبِّ^(٩) حين وقع برأسه ، ورأيت على ظبته مثل ثمر المرار . فقال خالد : قتلتَه
بأبي أنت !

-
- (١) يوطشان : يدقسان
(٢) أى أطمن مكاناً واحداً
(٣) أى جزء : كنية خالد
(٤) فى العقد الفريد : الذى ضربه هو معاوية الأخيل
(٥) أى أجهض : نحى
(٦) المرات : المحمول من المر كجرىحاً
(٧) قب قب : حكاية
وقع السيف .

ونظر بنو زهير فإذا بالضربة قد بلغت الدماغ ، ثم استسقاها فتموه الماء ،
حتى نهك عطشا ، وقال : أميتُّ أنا عطشا ! اسقوني الماء وإن كان فيه نفسي ،
ثم أخذ يتأدى : ياورقاء ؛ ولما لم يجبه جمل يتأدى : يا شاس^(١) ، فلما رأوا ذلك
سقوه ، فمات بعد ثلاثة أيام .



وفي قتل زهير يقول ابنه ورقاء :

رأيت زهيراً تحت كلكل^(٢) خالد
إلى بطلين يهضان كلاهما
فشت يميني إذ ضربت ابن جعفر
فياليت أني قبل أيام خالد
لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني
فطر خالد إن كنت تسطيع طيرة
أنتك النايان إن بقيت بضربة

فأقبلت أسعى كالمجول^(٣) أبأدر
يريفان^(٤) نصل السيف والسيف دائر^(٥)
وأحرزه من الحديد المظاهر^(٦)
ويوم زهير لم تلدني تماضر
فما الذي ردت عليك البشائر
ولا تقعن إلا وقلبك حاذر
تفارق منها العيش والموت حاضر

(١) هو شاس بن زهير الذي قتله رياح بن الأسك عند عودته من زيارة النعمان بن المنذر

(٢) الكلكل : الصدر (٣) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .

وفي معجم ما استعجم :

* فأقبلت أسعى كالمجوز أبأدر *

(٤) يريفان : يديران (٥) دثر السيف : صدى فهو دائر وفي المقد : والسيف نادر

(٦) ظاهر الدرع : لأم بعضها على بعض ، ويراد بالحديد : الدرع .

وقال خالد بن جعفر بن علي هوازن بقتله زهيراً، ويصدق الحديث :

أبلغ هوازن كيف تكفرُ بعدما أعتقهم فتوالدوا أحرارا
وقتل ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوزارا
وجعلت حزن بلادهم وجبالهم أرضاً فضاء سهلة وعثارا
وجعلت مهر بناتهم ودمائهم عقل^(١) الملوك هجائنا أبقاراً

(١) أي جعلت ذلك كدبة الملوك .

(٣) يوم بطن عاقل*

أغار خالد بن جعفر بن كلاب العامري على ذبيان - رهط الحارث بن ظالم المرّي الذُّبْيَانِي - وهم في واد يقال له حُرَاض ، فقتل الرجال حتى أسرف ، وبقيت النساء ، والحارث بن ظالم يومئذ صغير ؛ وزعموا أن ظالماً أباه هلك في تلك الواقعة من جراح أصابته يومئذ .

وكانت نساء بني ذبيان لا يحملن اللبن ، فلما تأيمنَ وصرنَ بغير رجال طَفِقْنَ يَدْعُونَ الحارث ، فيشدُّ عَصَابَ الناقة ، ثم يحملنها ويبيكين رجلهن ، ويبيكي الحارث معهن ، فنشأ على بُغْضِ خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة العبسي ؛ فاستحقَّ العداوة في غطفان^(١) .

ثم مكث خالد برهة من دهره أتى بعدها النعمان^(٢) بن المنذر ملك الحيرة ، فألقى عنده الحارث بن ظالم المرّي فأقبل النعمان يسأله ؛ فحسدهُ خالد ، ثم قال للنعمان : أبيت اللعن ! هذا رجلٌ لي عنده يد عظيمة ! قتلتُ زهير بن جذيمة العبسي - وهو سيّدُ غطفان - فصارَ هو بعد قتله سيدها ! فقال الحارث - غاضباً : سأجزيك على يدك عندي !

ثم إن النعمان دعاهما بعد ذلك ومعهما بمض القوم ، وقدم لهم تمرأ ؛ فطفق خالدُ

* لذيان على عامر ، وبطن عاقل : موضع على طريق الحاج من البصرة

الأغانى ص ١٦ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٠٥ ج ٣

(١) كان زهير بن جذيمة من عبس ، والحارث بن ظالم من ذبيان ، وعبس وذبيان : حيان من غطفان بن قيس عيلان (٢) في العقد الفريد : إن وفادة خالد ولقائه بالحارث كانا عند الأسود بن المنذر أخى النعمان ، وفي ابن الأثير : كان لقاؤهما عند النعمان بن امرئ القيس .

يَأْكُلُ وَيُلْقَى نَوَى مَا يَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ بَيْنَ يَدَيْ الْحَارِثِ^(١). فلما فرغ القوم قال خالد: أبيت اللعن! انظر إلى ما بين يدي الحارث من النوى، فما ترك لنا عمراً إلا أكله، فقال الحارث: أما أنا فأكلتُ التَّمْرَ وألقيتُ النوى، وأما أنت ياخالد فأكلته بنواه! فغضب خالد - وكان لا يُنازع - وقال: أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك^(٢)، وتركتك يقيماً في حجور النساء؟ فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده، وأنا مُنْزِعٌ اليوم بمكاني. فقال خالد: فهلاً تشكر لي إذ قتلتُ زهير بن جزيمة وجعلتُك سيِّدًا غطفان؟ قال: بلى، سوف أشكرك على ذلك.

وكان مع خالد ابن أخيه^(٣) عروة الرِّحَالِ بن عتبة بن جعفر، فقال لعمه خالد: ما أردت بكلامه وقد عرفته فتناً كما! فقال خالد: وما تخوفني منه؟ فوالله لو رأني ناعماً ما أيقظني.

ثم إن الحارث بن ظالم ذهب إلى امرأة يقال لها بنت عفرز فشرب عندها، وقال لها تعني:

تَعَلَّمْتُ آيَةَ اللَّعْنِ أَنَّ فَنَّاكَ
أَخَذْتُ نَهْتِي غَيْرَ نَأْمٍ
أَعْيَرْتَنِي أَنْ نَلْتَ مَنِي فَوَارِسًا
أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الْخُتُورُ بَخْتَرِهِ^(٤)
لَمَلِكٍ يَوْمًا أَنْ تَنُوهُ بِضَرْبَةٍ
مِنَ الْيَوْمِ أَوْ مِنْ بَعْدِهِ بَابِ جَعْفَرٍ
فَلَا تَأْمَنَنَّ فَتَكِي مَدَى الدَّهْرِ وَاحْذِرِ
وَمَنْ لَا يَبْقَى اللَّهُ الْخَوَادِثَ يَعْتَرِ
بَكَفِّ فِتْيٍ مِنْ قَوْمِهِ غَيْرِ جَيْدَرٍ^(٥)

(١) عبارة ابن الأثير: وجعل الحارث يتناول التمر لياً كله فيقع من بين أصابعه من الغضب

(٢) الحاضر والحاضرة: الحى العظيم، وهو يريد أهل حاضرتك (٣) عبارة ابن الأثير:

فقال عروة لأخيه خالد (٤) جراض: واد لرهط الحارث، وعبقر: موضع كثير الجن.

والجان من الجن جمه جنان (٥) الختر: الغدر (٦) الجيدر: القصير.

بعضُ بها عُليا هوازن ، والتمنى لقاءَ أبي جَزءٍ^(١) بأبيضٍ مُبتَرٍ
فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يَحْفَلُ به . وكان عبدُ الله بن جمدة - وهو ابن
أخت خالد - رجلَ قيسِ رَأْيَا ، وبلغه قول الحارث ؛ فأرسل ابنه إلى خالد ، وقال له :
ائمه وقل له : يا أبا جَزء ؛ إن الحارث بن ظالم سيفُه مَوْتور ، فأخفِ مِيبَتَكَ الليلة
فإنه قد غلبه انشِراب ، فإن أبيتَ فأجملُ رجلاً يجرسك .

فلم يقبل خالد أن يُخفى مِيبته ، ولكنه نام وجعل رجلاً يجرسه ، ونام عروة
وابن جمدة دون الرجل^(٢) . ولما أظلم الليل أقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جمدة
وعروة فتعدّاهما ، ثم أتى قبة خالد فهتك شرَّجها^(٣) ، ومضى إلى الرجل الحارس
يحبسه خالداً فمَجَّته بكلِّكَلِه حتى كسره ، وجعل يكلمه فلا يعقل ، ثم خلى عنه
حين عرف أنه ليس بخالد .

ومضى إلى خالد فأيقظه ، فلما استيقظ قال له : أنعرفني ؟ قال : أنت الحارث !
قال : خذُ جَزءَ يدك عندي ! وضربه بسيفه المملوب^(٤) فقتله ، ثم خرج من القبة
وركب راحلته وسار .

وانتبه عروة ، فصاح : واجوار الملك^(٥) ! ثم ذهب إلى باب النعمان فدخل عليه
وأخبره الخبر ، فبثَّ الرجال في طلب الحارث .

(١) أبو جزء : كنية خالد (٢) في ابن الأثير : ثم خرج خالد وأخوه إلى قبيهما ففصرجاها
عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يجرسه (٣) التمرج : عرا الحياء والعيبة ونحو ذلك
(٤) المملوب : سيف الحارث ، كذا كان اسمه (٥) وسمعت امرأة من بني عامر يقتل
خالد ، فشقت جيبيها ، فقال عبد الله بن جمدة الكلبي :

شقت عليك العاصرية جيبيها أسفاً وما تبكي عليك ضلالاً
في رواية ابن الأثير الجعفرية

يا حار لو نهبته لوجدته لا طائثا رعشا ولا مزالا
المزال : من لا رمح له

واغرورقت عيناى لما أبصرت
فلنقتلن بخالد سرواتكم
فإذا رأيتم عارضاً متلبياً
بالجعفرى موأسبت لاسبالا
ولنجعلن للظالمين نكالا
منا فإننا لا نحاول حالا

قال الحارث : فلما سرت قليلاً خفت أن أكون لم أقتله ، فعدت متنكراً واختلطت بالناس ، ودخات عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت أنه مقتول ، وعدت فاحقت بقوى (١) .

ولما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه (٢) ؛ فغضب لذلك قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، وهو الذي قتل خالد بن جعفر أباه ، فأرسل إلى الحارث بهدنة الأبيات :

جزاك الله خيراً من خليل
أزحت بها جوى ودخيل حزين
كسوت الجعفري أبا جزى (٤)
أبأت به زهير بن بفيض (٥)
كشفت لها القناع وكنت ممن
فأجابه الحارث بن ظالم :

أتاني عن قيس بن زهير
فلو كنتم كما قلمت لكنتم
ولكن قلمت جاور سوانا (٦)
ولو كانوا هم قتلوا أحاكم
مقالة كاذب ذكر التبول
لقاتل تأركم حرزاً أصيلاً
قد جلتنا حدثاً جليلاً
لما طردوا الذي قتلوا القتيل

(١) وفي قتل خالد يقول الحارث :

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً
عشوت إليه وابن جعدة دونه

عشوت إليه : قصده ليلاً

(٢) انظر يوم الرححان ، وسيأتي بعد في القسم الثامن (٣) النبوة : جمع تيل وهو العداوة

(٤) خالد بن جعفر (٥) هو زهير بن جذيمة وينتهي نسبه إلى بفيض (٦) وقد جاور

قيماً بعد بني تميم ، ولم يمكث فيهم بل رحل عنهم .

(٤) يوم داحس والغبراء*

— ١ —

سار قيسُ بن زهير^(١) بن جذيمة العبسي إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر ،
ويأخذ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذي قتله خالد^(٢) بن جعفر الكلبي المامري ،
فأتى أحيحة^(٣) بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة ، فقال له : لولا أن تدمني^(٤)
بنو عامر لو هبنا لك ؛ ولكن اشتراها بابن لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع - وكانت

* بين عبس وذبيان ، وكانت الحرب بينهما سجلاً وانتهت بصلح . وداحس والغبراء : اسما
فرسين لقيس بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب أيام المريقب وذى حساء واليعبرية والهباءة وفروق
وقطن .

شعراء النصرانية ص ٩١٧ ، القدر الفريد ص ٣١٣ ج ٣ ، سيرة ابن هشام ص ١٨٢ ج ١ ،
ابن الأثير ص ٣٤٣ ج ١ ، النقاظ ص ٨٣ ، الأغاني ص ٢٤٠ ج ٨ ، وص ٢٦ ج ١٦ ،
ديوان عنتر بن شداد ص ١٥١ ، معجم البلدان (أصداً - هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزي
ص ٣٩٧ ج ١ - وص ٣٧ ج ٣ ، شرح الزوزني على المعلقات السبع ص ٨٩ ، شرح التبريزي
على المعلقات العشر ص ١٠٠ ، الأمثال ص ٥٩ ج ٢ ، شرح العيون ص ٩٩

(١) قيس بن زهير سيد بني عبس ، وكان يلقب بقيس الرأي ، لجودة رأيه ، وكان أيضاً مجرباً ؛
ذكر وامن دهائه أنه سر بيلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديداً ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن
زياد : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري ؛ إن مع الثروة والنعمة
التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : أربعة
لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت (٢) انظر يوم التفراوات
(٣) أحيحة بن الجلاح : كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم
تحته ، وكانت لا تنكح الرجال إلا وأمرها يدها فتركته لعمى . كرهته فتزوجها هاشم فولدت له
عبد المطلب ، وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهم
وكانت له تسعة وتسعون بئراً كلها ينضح عليها (٤) كان لبني عامر يد عنده .

تسمى ذات الحواشي - وَوَهَبَهُ أَحِيحَةَ أَدْرَاعًا أُخْرَى^(١) ، وعاد إلى قومه ، وقد فرغ من جهازه .

واجْتَازَ بِالرَّبِيعِ^(٢) بن زياد العبسي ، ودعاه إلى مساعدته على الأخذ بئار أبيه ، فأجابه إلى ذلك . ولما أراد فراقه نظر الربيع إلى عَيْتِهِ^(٣) ؛ وقال له : ما في حقيمتك ؟ فقال : متاعٌ عجيب ، لو أبصرته لرآك . وَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، وأخرج الدرّج من

(١) هذه رواية ابن الأثير ، وأما رواية الأغاني فهي : أتى قيس بن زهير أحيجة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين عامر فقال له : يا أبا عمرو : نبئت أن عندك درعاً ليس يثرب درع مثلها فإن كانت فضلاً فبعنيها ، أو فبها لي ، فقال : يا أبا بني عبس ، ليس مثلي ببيع السلاح ولا يفضّل عنه ، ولو لا أنني أكره أن أستلم إلى بني عامر لو هبتها لك ، ولحمتك على سوابق خيلي ، ولكن ابتزها يا أبا أيوب ؛ فإن البيع مرتخص وغال . فقال له قيس : فما تكره من استئثامك إلى بني عامر فقال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العزف آل يثرب	فناد بصوت يا أحيجة أسمع
رأيت أبا عمرو أحيجة جاره	يبيت قرير العين غير مروع
ومن يأتيه من خائف ينس خوفه	ومن يأتيه من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة	وأكرم بفخر من خصالك الأربع

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلها عنه ، ثم عاد فساومه ، ففضب أحيجة وقال له :
بت عندي فبات عنده فلما شرب تفنى أحيجة وقيس يسمع :

ألا يا قيس لا تسمن دروعي	فما مثلي يساوم بالدروع
فلولا خلة لأبي حوى	وأنى لست عنها بالنزوع
لأبت بمنها عشراً وطرف	لحوق الأطل جياش نليع
ولكن سم ما أحببت فيها	فليس بمنكر غير البيوع
فاهبة الدروع أبا بغيض	ولا الخيل السوابق بالبديع

فأمسك بعد ذلك عن مساومته (ص ١٢٠ ج ١٣ طبعة الساسي) مهذب الأغاني ص ١١٥ ج ١

(٢) الربيع بن زياد : أحد زعماء عبس وكان نديماً للثعمان وله معه قصة مشهورة

(٣) العيبة : ما توضع فيها الثياب .

الحقمية ، فأبصرها الربيعُ فأعجبته ، ولبسها فكانت في طوله ، فمنها من قيس ولم يُعْطِه إياها ، وتردَّت الرسلُ بينهما في ذلك ، ولجَّ قيس في طلبها ، ولجَّ الربيعُ في منمها .

فلما طالت الأيام على ذلك سَير قيسُ أهله إلى مكةَ ، وأقام ينتظر غرَّةَ الربيعِ ؛ ثم إن الربيعَ سَيرَ إليه وأمواله إلى مرعى كثير الكلاء ، وأمر أهله فظعنوا ، وركب فرسه وسار إلى المثل .

ولما بلغ الخبرُ قيسًا سار في أهله وإخوته ، فعارض ظمآنَ الربيع ، فوجد فيها أم الربيع فاطمة^(١) ابنة الخرشب الأَنْمَارِيَّة ؛ فاقتادَ جملها ، يريد أن يرهنها بالدَّرْعِ حتى تردَّ إليه ، فقالت له : ما تريدُ يا قيس ؟ فقال : أذهب بكنَّ إلى مكةَ ؛ فأبيعُكنَّ بها بدرعى ؛ فقالت : ما رأيت كالسيومِ ففعل رجل ! أى قيس ! ضلَّ حلمك ! أترجو أن تصطَلح أنت وبنو زياد ، وقد أخذت أمهم ، فذهبت بها يمينا وشمالا ، فقال الناسُ في ذلك ما شاءوا ، وحسبك من شرِّ سماعه !

فمرف قيس ما قالت له ، فخلَّى سبيلها ، واطرَدَ الإبل ، وسار بها إلى مكةَ ؛ فباعها من عبد الله^(٢) بن جُدعان القرشي ، واشترى بها خيلاً ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ؛ فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء^(٣) .

(١) فاطمة بنت الخرشب : هي إحدى المنجيات من العرب ، وكان يقال لبنيها الكلمة وهم : الربيع وعمارة وأنس وقيس والحارث ومالك وعمرو . روى أن عبد الله بن جُدعان لقيها مرة وهي تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك برب هذه البنية : أى بينك أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عمارة ، لا بل أنس نكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، ثم كالحلقة المرغة لا يدري أين طرفاها (٢) عبد الله بن جُدعان : من أجواد العرب في الجاهلية ، وله في الكرم نوادر ، وكان يسمى حاسي الذهب لأنه كان يصرَّب في إثناء من الذهب ، وكانت له حفنة عظيمة قيمها للناس يأكل منها الراكب والقائم لعظمها ، وفي التاموس : ووربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم مكانه (٣) للرواة أقوال أخرى بشأن هذين الفرسين ، مبسولة في الأغاني وابن الأثير وشعراء النضرانية والقفاض والأمثال ، ولقد اخترنا هذه الرواية عن ابن الأثير .

ثم إن قيس بن زهير أقام بمكة ، فكان أهلها يفاخرونه - وكان فخوراً -
فقال لهم : نَحُوا كَهَبَتِكُمْ عَنَّا وَحَرِّمِكُمْ ، وهاتوا ما شئتم ، فقال له عبد الله بن
جُدعان : إذا لم نُفَاخِرْكَ بِالْبَيْتِ المَمُورِ ، وَالْحَرَمِ الأَمِينِ فِيمَ نُفَاخِرْكَ ؟

فلما قيسٌ مفاخرتهم وعزم على الرحلة ، وسر ذلك قريشاً ؛ لأنهم قد كانوا
كرهوا مفاخرته ، فقال لإخوته : ارحلوا بنا من عندهم أولاً ، وإلا تفاقم الشرُّ
بيننا وبينهم ، والحقوا ببني بدر بن فزارة ؛ فإنهم أكفأؤنا في الحسب ، وبنو عمنا
في النسب ، وأشرف قومنا في الكرم ، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم ،
ثم لحق ببني بدر (١) .

وأجاره حذيفة بن بدر ، وأخوه حمّل بن بدر ، فأقام فيهم ، وكان معه
أفراس له وإخوته لم يكن في العرب مثلها ، وكان حذيفة يمدو ويروح إلى قيس ،
فينظر إلى خيله ، فيحسده عليها ، ويكتم ذلك في نفسه .

وأقام قيس فيهم زماناً يُكْرِمُونَهُ وإخوته ؛ ولما علم بذلك الربيع بن زياد غضب
وقِيم منهم ذلك ، وبعث لبني بدر بهذه الآيات :

أَلَا أبلِغُ بَنِي بَدْرِ رَسولاً على ما كان من شئ (٢) وَوَتِوَرِ
بأني لم أزل لكم صديقاً أدافع عن فزارة كل أمر
أسالم سلمكم وأردت عنكم فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبي ابن عمك زياد صفى أيكم بدر بن عمرو

(١) بنو بدر : بطن من فزارة ، وهي إحدى قبائل ذبيان

(٢) الشئ (بفتح الشين)

وكسرهما) : البغضة .

فَأَلْجَأْتُمْ أَخَا النَّدْرَاتِ قَيْسًا قَدَّ أَفْعَمْتُمْ إِيغَارَ صَدْرِي
فَحَسْبِي مِنْ حُدَيْفَةَ ضَمُّ قَيْسٍ وَكَانَ الْبَدَأُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ
فَمَا تَرَجَمُوا أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ وَإِنْ تَابُوا فَقَدْ أَوْسَعْتَ عُدْرِي

ولكن بني بدر لم يتغيروا عن جوار قيس ؛ فغضب الربيع ، وغضبت بنو زياد
لنفسه .

ثم إن حذيفة كره قيساً ، وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجةً ، وعزم قيسٌ
على العمرة ، فقال لأصحابه : إني قد عزمتُ على العمرة ، فإياكم أن تلابسوا حذيفة
بشيء ، واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع ؛ فإني قد عرفتُ الشرَّ في وجهه ،
وليس يقدرُ على حاجته منكم إلا أن ترأهنوه على الخيل - وكان قيس ذا رأى
لا يُحطى فيما يريد - ثم سار يريد مكة .

- ٣ -

زار الورد^(١) العنسي حذيفة بن بدر فعرض عليه حذيفة خيله ، فقال :
ما أرى فيها جوداً مبرراً^(٢) ! فقال له حذيفة : فعند من الجواد المبرر ؟ فقال :
عند قيس بن زهير . فقال له : هل لك أن ترأهنني عليه ؟ قال : نعم ، قد فعلتُ .
فراهنه على ذكرك من خيله وأنتي .

ثم إن ورداً العنسي أتى قيس بن زهير وقال : إني قد راهنتُ على فرسين من
خيلك ذكراً وأنتي ، وأوجبْتُ الرهان ، فقال : ما أبالي من راهنت غير حذيفة ،
فقال : ماراهنتُ غيره ! فقال قيس : إنك - ما علمتُ لآنكد !

(١) في مجمع الأمثال : أن رجلاً من بني عيس يقال له فرواش كان يباري حمل بن بدر أخا حذيفة

(٢) اللبر : الغالب .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه ، فقال له حذيفة : ما غدا بك ؟
فقال : غدوت لأواضِمَكَ (١) الرّهان ، فقال حذيفة : بل غدوت لتُغْلِقَهُ (٢) ، فقال
قيس : ما أردتُ ذلك ، فأبى حذيفة إلا الرّهان ، فقال قيس : أُحَبِّرُكَ ثَلَاثَ خِلَالَ ،
فإن بدأتَ واخترتَ قبلي ، فلي خَلَّتَانِ ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قبلك ،
فلك خَلَّتَانِ ولي الأولى .

قال حذيفة : فأبدأ ، قال قيس : الغاية من مائة غلوة (٣) ، قال حذيفة :
فالمِضْمَارُ (٤) أربعون ليلة ، والمجرى من ذات الإصَاد (٥) . ففعلوا ووضعا السَّبِقَ (٦)
على يدي أحد بني ثعلبة بن سعد :

ثم ضمروا الخيل ، فلما فرغوا استقبل الذي ذرع (٧) الغاية بينهما من ذات
الإصَاد - وهي ردهة وسط هضب القليب - فانتهى الذرع إلى مكان ليس له اسم .
فقادوا الخيل إلى الغاية وجعلوا السابق الذي يرد ذات الإصَاد ، وأجرى قيس داحساً
والغبراء ، وحذيفة الخطّارَ والحنفاء (٨) .

ومثلوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها .

(١) في القاموس يقال : هلم أو اضعك الرأي : أطلعك على رأيي وتطلعني على رأيك
(٢) أغلقت الرهن : أوجبته (٣) الغلوة : الرمية بالنشابة (٤) قال في اللسان :
يكون الضمار وقتاً للأيام التي تضر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو ، وتضميرها : أن تشد
عليها سروجها ، وتجعل بالأجلة حتى تفرق تحتها فيذهب رهلها ، ويشدد لحمها ، ويحمل عليها غلمان
خفاف يجرونها ، ولا يعفون بها ، فإذا فعل بها ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ، ولم
يقطعها الشد ، قال أبو منصور : فذلك التضمير الذي شاهدت العرب تفعله يسمون ذلك مضماراً
وتضميراً (٥) ذات الإصَاد : ردهة بين أجبل في ديار بني عبيس (والردهة : تقيرة في حجر
يجتمع فيها الماء) ياقوت - مادة أصد (٦) السبق : الخطر الذي يوضع في الرهان فن
سبق أخذه (٧) ذرع الغاية : قدرها (٨) في اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر
قال ابن بري : هي أخت داحس لأبيه من ولد العقال ، والغبراء خالة داحس وأخته لأبيه .

وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد^(١) في الطريق ، وأمره أن يلتقى داحساً في الطريق فإن جاء سابقاً ردّوا وجهه عن الغاية .

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدنى ينظران إلى الخليل كيف خرجها منه ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك يا قيس ، فقال قيس ترك الخلداع من أجرى من مائة^(٢) . ثم ركضا ساعة ، فجملت خيل حذيفة تسبق خيل قيس ، فقال حذيفة : سبقت يا قيس . فقال قيس : جرى المذكيات غلاب^(٣) .

فلما أرسلت الخليل سبقتها داحس سبقاً بينا والناس ينظرون ، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدى فلطم وجهه فألقاه في الله ، فكاد يفرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخليل . وأما ركب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ ، ثم عاد إلى الطريق ، واجتمع مع فرسى حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وبقي الخطار والغبراء .

ثم إن الغبراء جاءت سابقة ، وتبعها الخطار ، ثم الحنفاء ، ثم جاء داحس^(٤)

(١) كان بنو أسد حلفاء لذيبيان قوم حذيفة ، ورواية البدائي : ووضع حمل حيساً في دلاء وجعله في شعب من شعاب هضبة القلب على طريق الخيل ، وكمن معه فتباناً فيهم رجل يقال له زهير ابن عبد عمرو ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية (٢) أرسلها مثلاً ، أي من مائة غلوة قال في الأمثال : وهي اثنا عشر ميلاً ، أي لو كان قصدي الخلداع لأجريت من قريب (٣) ذهب مثلاً . المذكية من الخيل التي قد آتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب المغالسة ، أي ان الذكي يغالب مجاريه فيقلبه لقوته ، يجوز أن يراد أن ثاني جريه أبدأ أكثر من بادية ، وثالثه أكثر من ثابته فسكانه يغالب بالثاني الأول ، وبالثلث الثاني لجره أبدأ غلاب ، وهذا معنى قول أبي عبيد حيث قال : فهي تحتل الجرى غلاباً ، ويروى جرى المذكيات غلاء : جمع غلوة يعني أن جريها يكون غلوات . . . (٤) عبارة النقائض : فلما مضت الخيل وأسهمت من الثانية أرسل داحساً تمطر في آثارها (أي أسرع) فجعل يديرها فرسا فرسا حتى سبقها إلى الغاية مصلياً وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الخيل سبقها ، فاستقبلها بنو فرزارة فلطموها ثم حلتوها عن البركة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاء متواليين

بعد ذلك والغلام يسيرُ به على رِسْلِهِ ، وأخبر الغلام قيسًا بما صنَّع بفرسه .
فأنكر حذيفة ذلك ، وادَّعى السَّبْقَ ظلمًا ، وقال : جاء فرساي متتاليين .
ومضى قيسٌ وأصحابه حتى فظروا إلى القوم الذين ضربوا داحسًا ، وجاءه الأُسْدِيُّ
نادمًا على ضربِ داحس ، واعترف لقيس بما صنَّع ، وبما أمرَه به حذيفة .
فرجع قيسٌ وأصحابه إلى حذيفة وأصحابه وقال : يا قوم إنه لا يأتي قومٌ إلى
قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حقَّنًا ، فأبى بنو فزارة أن يعطوهم شيئًا . وكان
الخطر^(١) عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أعطونا بعض سبقنا^(٢) ، فأبوا ،
فقالوا : أعطونا جزورًا ننجرها ونطمعها أهل الماء ؛ فإننا نكره القالة في العرب ؛
فقال رجل من فزارة : مائةُ جزورٍ وجزورٌ واحدةٌ سواء ، والله ما كنا لننقر لكم
بالسبق علينا ، ولم نسبق^(٣) .

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ؛ إن قيسًا كان كارهاً لأوَّل هذا
الرهان وقد أحسن في آخره ، وإن الظلم لا ينتهى إلا إلى شر ، فأعطوه جزوراً
من نَعَمكم ؛ فأبوا ، فقام إلى جزور من إبله ، فمقلها ليُعطيها قيساً ويرضيه ، فقام

(١) الخطر : السباق يتراهن عليه (٢) السبق : الخطر (٣) رواية الأمثال : فقال
الذي وضع السبق على يديه لحذيفة : إن قيساً قد سبق ، وإنما أردت أن يقال : سبق حذيفة ،
وقد قيل ، أفأدفع إليه سبقه ؟ قال : نعم ، فدفع إليه الثعلبي السابق . ثم إن عركي بن عميرة وابن
عم له من فزارة ندما حذيفة ، وقال : قد رأى الناس سبق جوادك ، وليس كل الناس رأى أن
جوادهم لطم ، فدفعك السابق تحقيق لدعوام ، فأسلمهم السابق ، فإنه أقصر باعا وأكل حداً من
أن يردك . قال : ويلكها ! أراجع فيما أبرمت ! فما زال به حتى ندم ! فنهى حيصه بن عمرو
حذيفة وقال له : إن قيساً لم يسبقك إلى مكرمة بنفسه ، وإنما سبقت دابة دابة ، فما في هذا حتى
تدعى في العرب ظلوماً . قال : أما إذ تكلمت فلا بد من أخذه .

ابنه فقال : إنك لكثيرُ الخطأ ؛ أتريد أن تخالف قومك ، وتلحق بهم خزية بما ليس عليهم ؟ وأطلق الغلام عقابها ، فلحقت بالنعم .
فلما رأى ذلك قيسُ بن زهير احتَمَل عنهم هو ومن معه من بني عبس .

— ٤ —

ثم إن حذيفة لَجَّ في ظلمه ، وأرسل إلى قيس ابنه ندبة^(١) يُطالبه بالسبق ، فلم يصادفه ، فقالت له امرأته : ما أحبُّ أنك صادفت قيساً . فرجع إلى أبيه فأخبره بما قالت . فقال : والله لتمودنَّ إليه . ورجع قيس فأخبرته امرأته الخبر ، فأخذت قيس زفراتٍ . ولم ينشب ندبة أن رجع إلى قيس ، فقال : يقول أبي : أعطني سبقي ، فتناول قيسُ الرمحَ فطعمه فدقَّ صُلبه^(٢) ، وعادت فرسه إلى أبيه عائرة^(٣) ، وناجى قيسُ : يا بني عبسُ ! الرحيل ! فرحلوا كلهم .

ولما أتت الفرسُ حذيفةَ علم أن ولده قُتل ؛ فصاح في الناس ، وركب فيمن معه ، وأتى منازل بني عبس فرأها خاليةً ، ورأى ابنه قتيلاً ، فنزل إليه ، وقبله بين عينيه ودفنوه .

واجتمع الناس ، فاحتملوا دية ندبة مائة عشرين ، فقبضها حذيفة وسكن الناس . وكان مالك بن زهير - أخو قيس - متزوجاً في فزارة وهو نازلٌ فيهم ، فأرسل إليه

(١) في الأمثال : ابنه أبا قرفة (٢) هذه رواية ابن الأثير ص ٣٤٨ ج ١ ، ورواية القعد الفريد ص ٣١٣ ج ٣ أن المقتول هو مالك بن حذيفة ، وأن الربيع بن زياد حمل دية مائة عشرين ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ، وأما رواية الأغاني ص ٢٦ ج ١٦ ، والنقائض ص ٨٠ ج ١ فهي أن قيس بن زهير أغار على بني فزارة ، وقتل عوف بن بدر وأخذ إبله (٣) عار الفرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

قيس : إني قد قتلْتُ نُدْبَةَ بنِ حُدَيْفَةَ ورحلت ، فالحقُّ بنا وإلا قُتِلْتُ ، فلم يُجِبْهُ
وقال : إِمَّا ذَنْبُ قَيْسٍ عَلَيْهِ ^(١) .

ثم إن قيساً أرسل إلى الربيع بن زياد يطلبُ منه العودَ إليه والمقام معه ؛ إذ همُّ
عشيرةُ وأهل ؛ فلم يجبه ولم يمنعه ، وظلَّ مفكراً في ذلك .

وعاد حذيفة بن بدر فدرسَ لِمَالِكِ بنِ زُهَيْرٍ فُرْسَانًا على أفراس من مَسَانٍ ^(٢) خَيْلِهِ
وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، فانطلق القومُ وقتلوه ^(٣) .

(١) في شرح ديوان الحماسة للبربري : أن قيس بن زهير حين قتل ابن حذيفة أرسل إلى أخيه :
أن اخرج ، ثم بعث إليه بهذين البيتين :

أمالك لا تأمن فزارة واخمشها فأناك إن تأمن فزارة هالك
أمالك إن تحسب مقامك فيهم صواباً فقد أخطأت في الرأي مالك
فرد عليه مالك بهذين البيتين :

يا قيس حسبك ما أتيت فخلني وبنى فزارة لئني متمسك
أرى حذيفة آخذني بجريرة لم تجنّها كني وأنت الفاتك

(٢) المسان من الإبل : خلاف الإفتاء ^(٣) هذه رواية ابن الأثير ، وجاء في الأغاني
والأمثال والنقائض : أن مالك بن زهير أتى امرأته بالفاطمة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدرس له
فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع
ابن زياد مجاور حذيفة بن بدر - وكانت امرأة الربيع معاذة ابنة بدر - فانطلق القوم فلقوا مالكا
فقتلوه ثم انصرفوا عنه ، وجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوققوا على حذيفة ومعه الربيع ،
فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ فقالوا نعم وعقرناه ! فقال الربيع : ما رأيت كالأيوم قط ،
أهلكت أفراسك من أجل حمار ! فقال حذيفة : لا أكثروا عليه من اللامة : إنا لم نقتل حماراً ،
ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمر الله القاتل قتل ! أما والله
إني لأظنه سيبلغ ما نكره ، ثم تراجعاً شيئاً من كلام ثم تفرقوا . وقام الربيع يطاء الأرض وطأ شديداً
قال أبو عبيدة : فرجعوا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها : اذهبي إلى
معاذة - بنت بدر وامرأة الربيع - فانظري ما يصنع الربيع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت
واندست وراء المتاع فجاء الربيع ففزع البيت حتى أتى فرسه فقبض بعمرته ثم مسح منته حتى قبض =

ولما بلغ عبساً مقتل مالك بن زهير جازعت عليه ، وأنت بنو جذيمة حذيفة
فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : ردوا علينا مالنا . فأشار سنان بن
أبي حارثة على حذيفة ألا يردّ أولادها معها ، وأن يردّ المائة بأعيانها ، فقال حذيفة :
أردّ الإبل بأعيانها ولا أردّ النسل ؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك ؛ فقال قيس بن زهير :

يودّ سنان لو يحارب قومنا وفي الحرب تفريق الجماعة والأزل (١)
يدبّ ولا يخفي ليفسد بيتنا ديباً كما دبّت إلى جحرها النمل
فيا بنى بغيض ؛ راجعاً السلم تسلماً ولا تسمتاً الأعداء يفترق الشمل
وإن سبيل الحرب وعرّ مضلّة وإن سبيل السلم آمنه سهل

وعلم الربيع بن زياد بمقتل مالك بن زهير ؛ فجزع عليه ، وأرسل إلى قيس عيناً
يأتيه بالخبر ، فسمعه يقول :

أينجو بنو بدرٍ بمقتل مالك ويخذلنا في النّائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به من الدهر إن يوم ألمّ فظيع
فقلّ لربيع يحمّدي فعل شيخه وما الناس إلا حافظ ومضيع
وإلا فإلى في البلاد إقامة وأمر بني بدرٍ على جميع

فرجع العين إلى الربيع فأخبره بما قال قيس ؛ فبكى الربيع على مالك وقال :

بسكوة ذنبة ، ثم رجع إلى البيت وورعه مركزوز بفنائه ، فهزه هزاً شديداً ، ثم ركزه كما كان .
وقال لامرأته : اطرحي لي شيئاً . فطرحت له شيئاً فاضطجع عليه وقال لها : إليك عنى فقد حدث أمر ،
ثم تفتى وقال :

فام الجلى وما انغمض حار من سيء النبا الجليل السارى

الخ فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هذا حين اجتمع أمر اخوتكم ،
ووقعت الحرب (١) الأزل (بفتح الهززة) : الضيق والشدة ، وبكسر الهززة : الداهية .

لَمَ الخَلِيءُ وما أغمضَ حار
 من مثله تُمسي النساءَ حواسراً
 من كان مسروراً بِمَقْتَلِ مالك
 يجد النساءَ حواسراً يندُبُهُ
 قد كُنَّ يخبئانَ الوجوهَ تسترًا
 يَحْمِشْنَ حُرَّاتِ الوجوهِ على امرئِ
 أقبعد مقتلِ مالكِ بنِ زهيرِ
 ما إن أرى في قَتْلِهِ لدوى الحِجَا
 ومُجَنَّبَاتِ ما يَدْفِنَنَّ عَدُوْفَةً
 ومساعراً صدأَ الحديدِ عليهمُ
 ويأربُ مسرورٍ بِمَقْتَلِ مالكِ

ولما علم قيس بقول الربيع ركب هو وأهله ، وقصدوا الربيع بن زياد ، وهو
 يُصَلِّحُ سلاحه ؛ فنزل إليه قيس ، وقام الربيعُ فاعتنقاً وبكياً ، وأظهر الجرع لمصاب
 مالك ، ولقى القومُ بعضهم بمصاً^(٨) فزلوا ، فقال قيس للربيع : إنه لم يهرب منك

- (١) ياحار : مرخم حارث (٢) أى كانت نساؤنا يخبئان وجوههن عفة وحياء
 (٣) الآن ظهروا لنا ظهري لا يعقلن من الحزن (٤) كان العرب يواقعون نساءهم عقب
 أطهارهن ، ويدعون أن ذلك أعجب للولد (٥) المجنبتات : الخليل تجنب إلى الإبل في الغزو ،
 والعدوفة : أدنى ما يؤكل في الطعام والشراب . وقوله يقدفن بالمهرات والأمهات : أى أن الإبل
 تقذف أولادها من شدة السير (٦) يعنى لسوادها من لبس المغافر وكآبة السفر
 (٧) الحار : المرجع (٨) ومما ينسب إلى قيس في ذلك قوله :

لعمرك ما أضاع بنو زياد
 بنو جنية ولدت سيوقاً
 ذمار أبيهم فيمن يصعب
 صوارم كلها ذكر صنيع
 شرى ودى وشكرى من بعيد
 لآخر غالب أبدأ ربيع

من لجأ إليك ، ولم يَسْتَنْ عَنكَ من استمان بك ، وقد كان لك شرُّ يومٍ ؛
فليكن لي خيرُ يوميك ، وإنما أنا بقوى وقوى بي ، وقد أصاب القومُ مالِكَ ،
ولست أمُّ بسوء ؛ لأنِّي إن حاربتُ بني بدر نصرتهم بنو ذبيان ، وإن حاربتني
خذلتني بنو عيس ؛ إلا أن تجتمعهم عليّ ، وأنا والقوم في الدماء سواء ، قتلتُ ابنهم
وقتلوا أخي ، فإن نصرتني طمعتُ فيهم ، وإن خذلتني طمعوا فيّ .

فقال الربيع : يا قيس ؛ إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ؛
ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك ؛ وأنت ظالمٌ ومظلوم ؛ ظلموك في جوادِك ،
وظلمهم في دماهم ، وقتلوا أخاك بابنهم ، فإن يبؤ الدمُ بالدم ، فمسي أن تلحق الحرب .
وبعث قيسٌ إلى أهله وأصحابه ، فجاؤا ونزلوا مع الربيع ، وأنشدهم عنتره
ابن شداد^(١) في مالك :

فَلِلَّهِ عَيْنًا مَن رَأَى مِثْلَ مَالِكِ	عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتها لم يجريا نصفَ غلوةٍ	وليتها لم يرسلًا لرهان
وليتها ماتًا جميعًا ببسلة	وأخطأها قيس فلا يران
لقد جلبا حينًا وحرَبًا عظيمةً	تُبِيدُ سَرَاةَ الْقَوْمِ مِنْ غُطْفَانِ
وكان إذا ما كان يومٌ كَرِيهَةٍ	فقد علموا أني وهو فتیان
وكننا لدى المهيجاء نَحْمِي نساءنا	ونضرب عند الكرب كلَّ بنان

(١) في معجم البلدان ص ٢٦٨ ج ١ ينسب هذه الأبيات لبدر بن مالك بن زهير ، مع اختلاف في الرواية . ونسب بعض هذه الأبيات في النقائض إلى ابنة مالك قال : ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب لابلا له فر على بني رواحة فرماه جنيد أخو بني رواحة بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن بدر وهو يوم المعركة :

* فله عينا من رأى مثل مالك * . . . الخ

فسوف ترى إن كنت بعدك باقياً وأمكنني دهرى وطولُ زمانى
 فأقسم حقاً لو بقيت لنظرةً لقررت بها العينان حين ترانى
 وبلغ حذيفة أن الربيع وقيسا اتفقا ، فشق ذلك عليه واستعدَّ للبلاد^(١) :
 ثم تلاقى جموع بني ذبيان^(٢) وعبس واقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت الشوكة
 في ذبيان ، وقُتل منهم عوف بن بدر ، وقتل عنتره ضَمَم^(٣) أبو الحصين المري ،
 والحارث بن بدر ، وأسرى الربيع حذيفة بن بدر ، وكان حرب بن الحارث العبسى
 قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيفٌ قاطعٌ يسمى الأصرم ؛
 فأراد ضربه بالسيف لما أسرى وفاءً بندره ؛ فهووه عن قتله ، وحذروه عاقبة ذلك ،
 فأبى إلا ضربه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقي
 حذيفة أسيراً .

(١) قال في ابن الأثير : وقيل : إن بلاد عبس كانت قد أجذبت فأتجع أهلها بلاد فزارة ،
 وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم ، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة : لى ذمتى ثلاثة أيام .
 فقال حذيفة : ذلك لك ، فاتقل الربيع من بني فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه :
 بشس الراى رأيت ! قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع ، والله ليضرمها عليك ناراً ، فركبافى طلب
 الربيع ققاتهم ، فلما أنه قد أضمر الشر ، وفي هذه الحرب يقول الربيع :

فإن تك حربكم أمست عواناً فإنى لم أكن ممن جناها
 ولكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
 فإنى غير خاذلكم ولكن سأسعى الآن إذ بلغت مداها

(٢) هذا هو يوم المريقب فى الأمثال : قاد بنى عبس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان يوم ذى
 المريقب إلى بنى فزارة ورئيسهم إذ ذلك حذيفة بن بدر (٣) وفى ذلك يقول كما فى الأمثال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم
 البشامى عرضى ولم أشتمها والناذرين إذا لم ألقهما دى
 إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح ، واصطلحوا على أن يهدروا دمَ بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ، ويَعْقِلُوا^(١) عوف بن بدر ، ويُعْطُوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حرّ مائتين من الإبل ، وأن يجعلوها عشاراً كلها وأربعة أعبد ، وأهدر حذيفة دماء من قُتِلَ من قومه ذبيان في الوقعة ، وأُطْلِقَ من الأسر .

فلما رَجَعَ إلى قومه ندم على ذلك ، فسأمت مقاتلته في بني عَبَس ، وركب قيس ابن زهير وعمارة بن زياد فضيا إلى حذيفة وتحدّثا معه ، فأجابهما إلى الاتِّفَاق ، وأن يرّد عليهما الإبل التي أخذت منهما - وكانت توالدت عنده - وبينهم في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المرّي ، فقبّح رأى حذيفة في الصلح ، وقال : إن كنت لا بدّ فاعلا فأعطيهم إبلا عجافاً مكان إبلهم ، واحبس أولادها ؛ فوافق ذلك رأى حذيفة ، وأبي قيس وعمارة ذلك .

— ٥ —

ثم إن مالك بن بدر^(٢) خرج يطلب إبلا له ، فرماه جُنْدُب أحد بني رواحة^(٣) بسهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشرُّ يَعْظُمُ بين عبس^(٤) وذبيان ؛ وهزمت بنو عبس واتبعتهم بنو ذبيان .

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يَمَّا كَرِهَ ، وخاف إن قاتلهم ألا يقوموا لهم ، وقال : إنهم ليسوا في كل حين يتجمعون ، وحذيفة لا يستنفرُ أحداً لا قنذاره وعُلُوّه ، ولكن نعطيهم رهائنَ من أبنائنا فنُدفعُ حدّهم عنا ، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن

(١) عقل القتل : وداه : أي أدى ديته (٢) أخو حذيفة بن بدر (٣) بنو رواحة : حتى في عبس ، وقد سبق اسمه جنيد (٤) كان رئيس بني ذبيان حذيفة بن بدر ، وأما بنو عبس وحلفاؤهم فكان يرأسهم الربيع بن زياد فتوافوا بنو حسي وهو وادي الهبابة في أعلاه .

يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ مَعَ الَّذِينَ نَضَعُهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَإِنْ هُمْ قَتَلُوا الصَّبِيَّانَ فَهُوَ أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ الْآبَاءِ ، وَكَانَ رَأَى الرَّبِيعَ مُنَاجِزَتَهُمْ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ؛ أَمَلًا جَمَعَهُمْ صَدْرُكَ ؟ وَقَالَ :

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِنَفْسِي نَصِيحَةَ أَرَى مَا يَرَى وَاللَّهِ بِالْغَيْبِ أَعْلَمُ
أَنْبَقَى عَلَى ذِيَّانٍ مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَقَدْ حَشَّ^(١) جَانِي الْحَرْبِ نَارًا تَضْرَمُ
وَقَالَ قَيْسُ : يَا بَنِي ذِيَّانِ ؛ خَذُوا مِنَّا رَهَائِنَ إِلَى أَنْ تَنْظُرُوا ؛ فَقَدْ ادَّعَيْتُمْ مَا نَعْلَمُ
وَمَا لَا نَعْلَمُ ، وَدَعَوْنَا حَتَّى تَتَبَيَّنَ دَعْوَاكُمْ ، وَلَا تَعْمَلُوا إِلَى الْحَرْبِ ، فَلَيْسَ كُلُّ كَثِيرٍ
غَالِبًا ، وَضَعُوا الرَهَائِنَ عِنْدَ مَنْ تَرْضَوْنَ بِهِ وَرِضَاهُ ؛ فَقَبِلُوا ذَلِكَ ، وَتَرَاضُوا أَنْ
تَكُونَ الرَهَائِنُ عِنْدَ سُبَيْعِ بْنِ عَمْرٍو (مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ذِيَّانِ) ، فَمَاتَ سُبَيْعٌ وَهُمْ
عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ مَالِكُ : إِنْ عِنْدَكَ مَكْرَمَةٌ لَا تَبِيدُ إِنْ أَنْتِ احْتَفِظْتِ
بِهَؤُلَاءِ الْأَغْيَلِمَةِ ، وَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدَّمْتُ أَنْتِ حَذِيفَةَ خَالِكِ ، فَمَصْرَ عَيْنِيهِ وَقَالَ :
هَلِكُ سَيِّدُنَا ، ثُمَّ خَدَعَكَ عَنْهُمْ حَتَّى تَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلُهُمْ ، فَلَا شَرَفَ بَعْدَهَا ،
فَإِنْ خَفْتَ ذَلِكَ فَادْهَبِ بِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ .

فَلَمَّا ثَقُلَ سُبَيْعٌ جَعَلَ حَذِيفَةَ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَلِكُ سَيِّدُنَا ؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ مَالِكِ ،
فَلَمَّا هَلَكَ سُبَيْعٌ أَطَافَ حَذِيفَةَ بِابْنِهِ مَالِكٍ فَأَعْظَمَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ ؛ إِنْ خَالِكُ ،
وَإِنِّي أَسْنُ مِنْكَ ؛ فَادْفَعِ إِلَى هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ لِيَكُونُوا عِنْدِي إِلَى أَنْ نَنْظَرَ فِي أَمْرِنَا ؛
فَإِنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ تَمْلِكَ عَلَى شَيْئًا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ بِالْيَمْعَمَرِيَّةِ^(٢) .

وَأَحْضَرَ أَهْلَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَجَعَلَ كُلَّ يَوْمٍ يُبْرِزُ غُلَامًا فَيَنْصُبُهُ غَرَضًا وَيُرِي

(٢) اليعمرية : ماء بؤاد من بطن نخلة

(١) حش الحرب يحشها إذا أسعرها وهيجهها

بالنبيل ثم يقول : نادِ أباك ، فينادى أباه ، حتى يمزقه النبيل ، ويقول لواقد بن جندب : نادِ أباك ، فجعل ينادى ياعماء - خلافاً عليهم - ويكره أن يَأْسَ (١) أباه بذلك ، وقال لابن جنيد بن عمرو بن عبد الأسلع : نادِ جُنَيْبَةَ (٢) ، فجعل ينادى : ياعمراء ! باسم أبيه حتى قُتِلَ ، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ولما بلغ ذلك بنى عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الدِّيَّات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السِّلَاح . ثم خرج قيس في جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوه ، فجمع حذيفة قومه وسار إلى عبس وهم على ماء يقال له عُرَاعِر ، فاقتتلوا وكان الظفر لدُيَّان ، ورجعت سالمة .

ثم جدَّ حذيفة في الحرب ، وكرهها أخوه سَمَلُ بْنُ حَذِيفَةَ ، وندم على ما كان ، وقال لأخيه في الصلح فلم يُجِبْ إلى ذلك ، وجمع الجموعَ من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس .

— ٦ —

ولما بلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم ، فقال قيس : أطيعوني فوالله لنن لم تفعلوا لَأَتَكِينَنَّ عَلَى سَيْفِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . قالوا : فَإِنَّا نَطِيعُكَ . فأمرهم فسرَّ حوا السَّوَامَ (٣) والضَّعَافَ بَلِيلَ ، وهم يريدون أن يَطْعَمُوا مِنْ مَنزَلِهِمْ ذَلِكَ ، ثم ارتحلوا في الصبح وقد مضى سوامهم وضِئافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل ، فقال قيس : خُذُوا غَيْرَ طَرِيقِ الْمَالِ (٤) ، فإنه لا حاجة للقوم أن يجمعوا في شؤِّكم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرًّا من ذهاب

(١) الأيس : القهر والحمل على المكروه (٢) جنيبة : لقب أبيه (٣) السوام : الإبل الراعية (٤) المال : كل ما يملك وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم ، وهي المرادة هنا .

أموالكم ؛ فأخذوا غير طريق المال . ولما رأى حذيفة الأثر قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم اتبع المال وسارت ظعن بني عبس والمقاتلة من وراءهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال ؛ فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره ، ولم يقلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرّقوا واشتدّ الجُرّ .

فقال قيس بن زهير : يا قوم ؛ إن القوم قد فرّق بينهم النعم ، فاعطفوا الخليل في آثارهم ؛ فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخليل دوائس^(١) ؛ فلم يقاتلهم كبير أحد ، إذ أن همة الرجل من بني ذبيان كانت أن يُحرّز غنيمته ويمضى بها ، ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سبيع التغلبي سيّد غطفان وكثيراً غيره حتى نأشدتهم بنو ذبيان البقية ، وانهزمت ذبيان وحذيفة معهم .

ولم يكن لبس همّ غير حذيفة ، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره ، ثم تبعه قيس ابن زهير والربيع بن زياد ، وقرواش بن عمرو ، وريان بن الأسلع ، وشداد بن معاوية وغيرهم ؛ وقال لهم قيس : كأني بالقوم وردوا جفّر الهبأة ونزلوا فيه ، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديمة^(٢) مستنقع في الماء .

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه ؛ فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره ، وعرفوا حنّف^(٣) فرسه فاتبعوه ، ومضى حتى استغاث بجفّر^(٤) الهبأة وقد اشتدّ الحرّ ، فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه ، وقد زعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ، ووقعوا في الماء ، وتمكّت^(٥) دوائهم .

(١) يقال : أتهم الخيل دوائس : أي يتبع بعضها بعضاً . (٢) الوديمة : شدة الحر
(٣) الحنّف : أن تقبل لإحدى اليدين على الأخرى
(٤) جفّر الهبأة : مستنقع في بلاد
غطفان (وهو يوم الهبأة) (٥) تمكّت : تمرغت .

ولما اقترب منهم قيس بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم : مَنْ أْبَصُُّ النَّاسِ أَنْ يَقِفَ عَلَي رءوسكم ؟ فقالوا : قيس بن زهير والربيع بن زياد . فقال : هذا قيس بن زهير قد أتانا كم ! ولم يتقص كلامه حتى وقف قيس وأصحابه وحالوا بينهم وبين الخليل ، وحمل جنيدب على خليلهم فاطردوها ، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد عليهم في الجند ، وهم ينادون : لبيكم لبيكم^(١) ! وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبة البغي ؟ فقال حذيفة :

يا بني عيس : فأين العقول والأحلام ؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس ! فضر به أخوه حمل بين كتفيه وقال : « أتق ما تور الكلام^(٢) » .

ثم قال حذيفة لقيس : بنو مالك بمالك ، وبنو حمل بندي الصبية وزد السبق ، قال قيس : لبيكم ! لبيكم ! قال حذيفة : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بعدها أبداً . فقال قيس : أبعداها الله ولا أصلحها . ثم إن قرواش بن هني جاء من خلف حذيفة ، فقال له بعض أصحابه : احذر قرواشاً - وكان قد رباه ، فظن أنه سيسكر ذلك له - قال : خلوا بين قرواش وظهري ! فزع له قرواش بمعبلة^(٣) ففصم بها صلبه ، وايتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع ، فضر به بسيفهما حتى ذفقا^(٤) عليه .

وقتل الحارث بن زهير حمل^(٥) بن بدر ، واستبقوا حصن^(٦) بن حذيفة لصباه ، ولما وقف قيس بن زهير على جثة حذيفة بن بدر قال يرثيه ويرثي أخاه حملا :

تعلّم أن خيرَ الناس ميّت على جفَرِ الهبَاءَةِ لا يريم

(١) الصبيان الذين قتلوا (٢) ذهب مثلا (٣) المعبلة : نصل طويل عريض (٤) ذفقا عليه : أجهزا عليه (٥) في الأمثال : أخذ الحارث بن زهير سيف حذيفة ورمى جنيدب بن زيد بسهم فقتله ، وكان ندر ليقتلن بانه رجلا من بني بدر فأحل به ندره . وفيه أن الذي قتل حمل بن بدر هو الربيع بن زياد (٦) في الأمثال : واستصغروا عينه بن حصن فخلوا سيده .

ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم^(١)
ولكن الفتى حمل بن بدر بنى والبنى مرثعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني شعوج على ومستقيم
وقال أيضا :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
شفيت بقتلهم لغليل صدرى ولكني قطعت بهم بناني
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان ذلك اليوم يوم دهاني

- ٧ -

ثم إن عبسا ندمت على ما فعلت بذبيان يوم الهبابة ، ولام بعضهم بمضاً .
واجتمعت ذبيان إلى سنان بن أبي حارثة المري ، وشكوا إليه ما نزل بهم ؛ فأعظمه وذم
عبسا ، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر ذبيان ، وبث رسله ؛ فاجتمع من
الخلق كثير لا يحصون ، ونهى أصحابه عن التعرض إلى الأموال والغنيمة ،
وأمرهم بالصبر ، وساروا إلى بني عبس ؛ فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس : الرأي
أننا لا نلتاقهم ؛ فإننا قد وترناهم ، فهم يطالبوننا بالذئب^(٢) والطوائل^(٣) ، وقد
رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال ؛ فهم لا يتعرضون إليه الآن ؛ والذي
ينبغي أن نفعله أننا نرسل الظمان والأموال إلى بني عامر ؛ فإن الدم لنا قبلهم ،
فهم لا يتعرضون لكم ، ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل ؛ ونمأطهم

(١) يشير إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والغبراء ، وإنكاره سبق وركوبه البغي
(٢) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر (٣) الطوائل : جمع طائلة وهي الثأر أيضا .

القتال؛ فإن أبوا إلا القتال كُنَّا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا؛ وقاتلناهم وصبرنا لهم، فإن ظفرتا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كُنَّا قد احترزنا ولحقنا بأموالنا ونحن على حامية.

ف فعلوا ذلك، وسارت ذبيان ومن معها ولحقوا بني عبس على ذات الجراجر، واقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك واقترقوا.

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الأول، وظهرت في هذا اليوم شجاعة عنترة بن شداد، فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لأموا سنان بن أبي جارثة على منعه حذيفة عن الصلح، وتطيروا منه، وأشاروا عليه بمحتمن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل، وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث، فلما رأى فتور أصحابه وركونهم إلى السلم رحل عائداً.

فلما رجع عنهم رحل قيس وبنو عبس إلى بني شيبان، وجاوروهم وبقوا معهم مدة، فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لأخذ أموالهم؛ فرحلوا عنهم، فقبعهم جمع من شيبان، فرجع إليهم بنو عبس واقتتلوا، فانهزمت شيبان، وسارت عبس متوجهين نحو اليمامة يطلبون أخوالهم، فأتوا قتادة بن مسمة، فنزلوا اليمامة زمينا^(١)، فرأى قيس ذات يوم مع قتادة فرأى قحفا فضر به برجله، وقال: كم من ضمير قد أقررت به مخافة هذا الصرع! فلما سمعها قتادة كرهها وأوجس منه، وقال: ارتحلوا عنا. فارتحلوا حتى نزلوا ببني سعد بن زيد مناة، فمكثوا فيهم زماناً؛ ثم إن بني سعد أتوا ملك هجر، فقالوا له: هل لك في مهرة شوها،^(٢) وناقاة حمراء، وفتاة عذراء؟ قال: نعم. قالوا: بنو عبس غارون، تغير عليهم مع جندك وتسهم لنا من غنائمهم، فأجابهم: وفي بني عبس امرأة من سعد، فأتاها

(١) زمنا (٢) الشوهاء من الخيل: الطويلة الرائعة.

أهلها ليضموها ، وأخبروها الخبر ، فأخبرت به زوجها ، فأتى قيسا فأخبره ؛ فأجمعوا على أن يُرحّلوا الظمائن ، وما قوى من الأموال من أول الليل ، ويتركوا النار في الرثمة^(١) ؛ فلا يُستنكر ظعنهم عن منزلهم .

وتقدّم الفرسان إلى الفروق ، فوقفوا دون الظمن ، وبين الفروق وسوق هجر نصف يوم ، فإن تبعوها قاتلوهم وشغلوهم حتى تعجّل الظمن ، ففعلت ذلك .

وأغارت جنود الملك مع بنى سعد في وجه الصبح ، فوجدوا الظمن قد أسرّين ليلهن ، ووجدوا المنزل خلاء ، فاتبعوا القوم حتى اتّهوا إلى الخيل بالفروق ، فقاتلوهم ثم خلّوا سربهم ؛ ففضوا حتى لحقوا بالظمائن فساروا ثلاثة أيام ولياليهن ، حتى قالت بنت قيس لقيس : يا أبتِ ؛ أتسير الأرض ؟ فعمل أن قد جهّدن . فقال : أنيخولها فأناخوا ، ثم ارتحل ، وفي ذلك يقول عنتره :

ونحن مَنعنا بالفروق نساءنا^(٢) نُطَرِّفُ عَنْهَا مُبْسِلَاتِ^(٣) عَوَاشِيَا
حلفت لها والخيل تَدْمِي نَحْوُهَا نفارقكم حتى تهزوا العواليا
ألم تعلموا أن الأسنّة أحرزت بَقِيَّتِنَا لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ بَاقِيَا
ونحفظ عورات النساء ونتقى عليهن أن يلقين يوماً مخازيا

ولحقوا ببني ضبّة ، فكانوا فيهم زمنا .

ثم أغارت ضبّة على بنى حنظلة ، فاستاق رجلٌ من بنى عبس امرأة من بنى حنظلة في يوم قائلٌ حتى نهركها ولهثت ، فقال رجل من بنى ضبّة : ارفق بها ،

(١) الرثمة : ردىء المتاع وإسقاط البيت من الخلقان (٢) في اللسان : نساءكم

(٣) المطرف : الذى يأتى أوائل الخيل فيردها على آخرها ، وقيل : هو الذى يقاتل أطراف الناس ، وقال الفضل : التطريف أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه ، وأبسل نفسه للموت : وطن نفسه عليه .

فقال العبسي : إنك بها لرحيم ! فقال الضبي : نعم . فأهوى العبسي لعجزها بطرف
السنان ؛ فنادت يا آل حنظلة ! فشدّ الضبي على العبسي فقتله ، وتنادى الحيان ؛
ففارقهم عبس ، ومرّت ترديد الشام .

وبلغ بني عامر ارتفاعهم إلى الشام ، فخافوا انقطاعهم من قيس ؛ فخرجت وفود
بني عامر حتى لحقتهم ، فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس ؛ يا بني عبس ؛
حالفوا قوماً في صُبابة بني عامر ، ليس لهم عدد فيينغوا عليكم بمددهم ، فإن احتجتم
أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر فحالفوا معاوية بن شكل . فكثروا فيهم .

ثم خرجوا حتى أتوا بني جعفر بن كلاب فقالوا : نكره أن تتسامع العرب
أنا حالفناكم بعد الذي كان بيننا وبينكم ، ولكنهم حالفوا بني كلاب ، فكثروا فيهم
حتى كان يوم جيلة فتهاجموا في شأن ابن الجون - قتله رجل من بني عبس - فما كان
أعتقه عوف بن الأحوص ، فقال عوف : يا بني جعفر ؛ إن بني عبس أدنى حوكم
إليكم ، إنما يجمعون كراعهم^(١) ويحذون سلاحهم ، ويأسون قروحهم ، فاطلبوا
وشدوا عليهم قبل أن يندملوا ، وقال :

ولإي وقيس كالمسمن كلبه فخدشه أنابه وأظفزه

فلما بلغ ذلك بني عبس ، أتوا أحد بني بكر بن كلاب فحالفوه ، فقال في ذلك

قيس :

أحاول ما أحاول ثم آوى إلى جار كجار أبي حواء

منيع وسط عكرمة بن قيس وهوب للطريف وللتلاد

ثم إن ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس في يوم شعواء ، فانتلوا
وهزمت عامر ، وأسر طلحة بن سنان قرواش بن هني العبسي ولم يعرفه ، فنسبه فكنتي

(١) الكراع : السلاح .

عن نفسه ، فلما قدم به إلى أهله ، وانتهى به إلى أدنى البيوت عرفته امرأة من أشجع أمها عبسية ، فقالت لزوجها : إني أرى قرواش مع طلحة بن سنان . قال : ومن أين تعرفينه ؟ قالت : يتّمت أنا وهو من أبويننا فربّانا حديفة في أيتام غطفان . فخرج زوجها حتى أتى خزيم بن سنان فقال : أخبرني امرأتى أن أسير طلحة أختك قرواش ابن هني ، فأتى خزيم طلحة فأخبره ، فقال : ومن أين عرفت ؟ فقال : امرأة فلان عرفته ، فتمال فاسمع كلامها ، فأتوها ، فقال طلحة : ما علمك أنه قرواش ؟ قالت : هو ، وبه شامة في موضع كذا . فرجعوا إليه فقتلوه ، فوجدوا الذي ذكرت . قال قرواش : من عرفني ؟ قالوا : فلانة ! قال : ربّ شر حملته عبسيّة ! ودفع إلى حصن فقتلوه .

ثم رحلت عبس عن عامر^(١) ونزلت بئيم الرباب ؛ فبغت تيم عليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وتكاثر عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة .
ورحلت بنو عبس ، وقد ملّوا الحرب ، وقتل الرجال والأموال ، وهلكت المواشي ؛ فقال لهم قيس : ارجعوا إلى إخوانكم من ذبيان ، فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم . فقالوا : سر معنا ، فقال : لا والله ، لا نظرت في وجهي ذبيانته قتلت أباهما أو أخاهما أو زوجها أو ولدها . ثم خرج على وجهه .

- ٨ -

فساروا حتى نزلوا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي ليلا - وكان عند حصن بن حديفة بن بدر - فلما عاد قيل له : هؤلاء أضيافك ينتظرونك . قال : بل أنا ضيفهم ، فحيّاهم وهش إليهم . وقال : من القوم ؟ قالوا : إخوانك من بني عبس .

(١) لذلك سبب ذكره صاحب الأمثال صفحة ٥٩ جزء ثان لم نرد ذكره هنا ، فارجع إليه

وذكروا ما لقوا ، فأقرّوا باللذّنب ، فقال : نعم وكرامة لكم ! أكلّم حصن بن حذيفة .
وعاد إليه فقيل لحصن : هذا أبو أسماء . قال : ما وِرِدَ إلا لأمر ! فدخل الحارث فقال :
طرقتُ في حاجة ، قال : أعطيتها . قال : بنو عبس ، وجدتُ وفودهم في منزلي .
قال حصن : صالحوا قومكم ، أما أنا فلا أدري ولا أتدري ؛ قد قتل أبائي وعمومتي
عشرين من عبس .

فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم إليه ، فلما رأهم قالوا له : نحن رُكبان
الموت ، قال : بل رُكبان السلم ؛ إن تكونوا اختلتم إلى قومكم فقد اختلّ قومكم إليكم .
ثم خرج معهم الحارث بن عوف حتى أتوا سناناً^(١) ، فقال له حصن : قم بأمر
عشيرتك ، وارأب بينهم ؛ فإني سأعينك . فاجتمعت بنو مرة فكان أول من سمى في
الحملة حملة بن الأشعر ، ثم مات ، فسمي فيها ابنة هاشم بن حملة .

ولما تراضى أبناء بغيض ، اجتمعت عبس وذبيان بقطن ، فخرج حصين بن
ضمضم بفرسه ، وهو أخذ بمرسها ، فقال الربيع بن زياد : مالي عهد بحصين منذ
عشرين سنة ، وإني لأحسبه هذا . قم يا بيحان فادنُ منه ، وناطقه ، فإن في لسانه
حبسة . فقام يكلمه ، فجعل حصين يدنو منه ولا يكلمه ، حتى إذا أمكنه خال في
من فَرَسه ، ثم وجهها نحوه فلحقه قبل أن يأتي القوم فقتله بأبيه ضمضم^(٢) .

فأحازت عبس وحلفاؤها . وقالوا : لا نصلحك ، وقد غدرت بنا بنو مرة ،
وتناهض الحيان ، ونادى الربيع بن زياد : من يُبارز ؟ فقال سنان - وكان يومئذ
واجداً على ابنه يزيد - ادعوا لي ابني ، فأتاه هرم بن سنان ، فقال : لا .
فأتاه ابنه خارجة . فقال : لا ، وكان يزيد يحزم فرسه ويقول : إن أبا ضمرة غير

(١) في رواية : أتوا هرم بن سنان
(٢) كان قد قتله عنتره ، وكان حصين آلي لإيس
رأسه غسل حتى يقتل بأبيه بيحان .

غافل . ثم أتاه فبرز للربيع ، وسفرت بينهم السفراء ، فأتى خارجة بن سنان أبا يعحان بابنه فدفعه إليه ، وقال : هذا وفاء من ابنك ! قال : اللهم نعم ! فكان عنده أياماً ، ثم حمل خارجة لأبي يعحان مائتي بعير ، فاصطلحوا وتماقدوا على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، ومُحِلَّتْ^(١) عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين .

وفي ذلك قال زهير بن أبي سلمى معلقته يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم ابن سنان ، ويذكر هذه الحرب :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْتَشَلَّمْ^(٢)
 وَدَارَتْ لَهَا بِالزُّوقَمَتَيْنِ كَكَاثَهَا مَرَا جِيعٌ وَتَمَّ فِي نَوَاشِرِهِ مِعْصَمٌ^(٣)
 بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ^(٤)
 وَقَفَّتْ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمٍ^(٥)
 أَتَانِي سَفْعًا فِي مَعْرَسٍ مَرَجَلٍ وَنَوِيًّا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَنْتَلَمْ^(٦)

(١) أكثر الروايات أن النبي حملها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، توفي الأمثال : وكان الذي ولي الصلح عوف ومقبل ابنا سبيع ، فقال عوف بن خارجة : أما إذا سبقني هذان الشيخان إلى الجمالة فهل لي الظل والطعام والحلن فأطعم وحمل ، وكان أحد الثلاثة يومئذ
 (٢) أم أوفى : حبيبة زهير . والدمنة : ما أسود من آثار الديار . وحومانة الدارج والنتلم : مرجوع ، ونواشر المعصم : عروقه ، والمعصم : موضع السوار من اليد . والمراد أنها كانت تحمل
 الموضوعين عند الانتجاع (٣) الرقنان : حرتان ؛ لإحداهما بالبصرة والثانية بالمدينة ، ويقال للوشم الذي يحد الطي الخالص البيضاء . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع طلاء وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية . والجنوم : البروك ، والمجم : مكان الجنوم (٥) الحجبة : السنة ، واللائى : المشقة
 (٦) الأتافي : حجارة توضع القدر عليها . والسفع : السود . والمعرس : المنزل . والمرجل : القدر ، والنوى : نهر يحفر حول البيت ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت ولا يدخل فيه ، والجنم : الأصل .

- فَلَمَّا عَرَفَتْ الدَّارَ قَاتَ لِرَبِّعِهَا (١) أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْتَلَمَ (١)
 تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ ظَمَأَيْنِ (٢) تَحَمَّانَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْهُمِ (٢)
 جَمَلَنَ القَنَانَ عَنِ يَمِينِ وَحَزَنَهُ (٣) وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحَلٍّ وَمُحْرَمِ (٣)
 عَلَوْنَ . بَأْنَمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ (٤) وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ (٤)
 وَوَرَّكُنَ فِي السُّوبَانِ يَمَلُونَ مَتْنَهُ (٥) عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِمِ (٥)
 بَكْرَنَ بَكُورًا وَاسْتَحْرَنَ بَسْحَرَةَ (٦) فَهِنَّ وَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ (٦)
 وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلصِّدِيقِ وَمَنْظَرِ (٧) أُنِيقٌ لَعِينِ النَّاطِرِ التَّوَسِّمِ (٧)
 كَأَنَّ فُتَاتَ المِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ (٨) نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ القَبَائِمِ يُحَطِّمِ (٨)
 فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرُقًا جَامُهُ (٩) وَضَمْنَ عِصَى الحَاضِرِ التَّخِيمِ (٩)
 ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ (١٠) عَلَى كُلِّ قَيْسِيٍّ قَشِيبٍ وَمُقَامِ (١٠)

تَدْكُرُنِي الأَحْلَامُ لَيْلِي وَمِنْ تُظْفِ عَلَيْهِ خِيَالَاتُ الأَحْبَةِ بِحُلْمِ

- (١) خص الصباح بالدعاء لأن الغارات والكرات تقع صباحاً (٢) التحمل : الترحل
 وجرهم : موضع (٣) القنان : جبل لبني أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، يقول :
 مرت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم (٤) أنماط : جمع نمط ، وهو ما يبسط ، والعتاق :
 السكرام . والكلبة : البئر الرقيق . وواد : جمع ورد وهو الأحمر . ومشاكهة : مشابهة
 (٥) السوبان : الأرض المرتفعة . والتوريك : ركوب أوراك الدواب . يقول : وركبت هذه
 النسوة أوراك الدواب في حال علوهن متن السوبان ، وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش
 (٦) بكر : سار بكرة ، واستحر : سار سحراً . يقول : ابتدأن السير وسرن سحراً وهن
 قاصدات لوادي الرس لا يحطنته كاليد القاصدة للقم لا تحطته (٧) الملبى : اللهب . واللطيف :
 التأتق . والتوسم : التفرس (٨) المهن : الصوف المصبوغ . والقنا : عنب التلعب
 (٩) الزرق : شدة الصفاء ، وجمام : جمع جم وهو مجتمع الماء في الحوض أو غيره . ووضع
 العصي : كناية عن الإقامة ، والتخيم : ابتناء الخيمة (١٠) جزع الوادي : قطعه ، والمراد
 بالقيسي : الرجل ، والقشيب : الجديد ؛ والمقام : الواسع .

سَعَى سَاعِيًّا غَيْظَ بِنِ مَرَّةٍ بَعْدَ مَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الشَّيْثَةِ بِالذَّمِّ
 فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ (١)
 يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ (٢)
 تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٣)
 وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكَ السَّلْمُ وَاسْمَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمِ
 فَأَصْبَحْتُمَا مَتَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ (٤)
 عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيًّا مَعَدِّ هُدَيْتَا وَمَنْ يَسْتَمِيعُ كَنْزًا مِنَ الْجَدِّ يُعْظَمِ
 نَعْفَى لِلْكُلُومِ بِالْمَثِينِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٥)
 يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يُهْرِقُوا بَيْنَهُمْ مَلَأَ مِحْجَمِ
 فَأَصْبَحَ يُحَدِّثِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمِ شَيْئِي مِنْ إِفَالٍ مُزْتَمِّ (٦)



(١) البيت : الكعبة ، وجرم : كانوا ولاية البيت قبل قريش (٢) السيدان : هرم بن سنان والحارث بن مرة . والسحيل : الحيط الفتول على قوة واحدة ، والمبرم الفتول على قوتين ، والمعنى : نعم السيدان وجدتما حين تفاجئان لأمر قد أبرمتاه وأمر لم تبرماه (٣) منشم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة ، وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر ، فقاتلوا العدو الذى تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فطير العرب بعطر منشم (٤) الضمير في منها يعود إلى السلم ، وهو يهكر ويؤنت (٥) الكلوم : الجروح ، وتعنى : تمحى ، بالثنين بالإبل ، ينجمها : يعطيها نجوماً . والمعنى : تمحى الجروح بالثنين من الإبل ، ولكن أصبحت الإبل يعطيها نجوماً من هو يرى الساحة بعيد عن الحرم في هذه الحروب (٦) التلاد : المال القديم الموروث ، والإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل ، والمزتم المعلم ، يقول : فأصبح يجرى في أولياء القتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثه غنائم متفرقة من إبل صفار معلمة ، وهو بهذا يخاطب السيدين .

ألا أبلغ الأحلافَ عنى رسالةً وذُيَّانَ هلْ أقسَمْتُ كلَّ مُقسَمٍ (١)
 فلا تكتمنَّ اللهُ ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكتم اللهُ يَعْلَمُ
 يُؤخَّرُ فيوضَعُ في كتابٍ فيدخَرُ ليومِ الحسابِ أو يُعجَلُ فينقَمُ
 وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتم وما هوَ عنها بالحديثِ الرَّجْمِ (٢)
 متى تَبَعْتُمُوهَا تَبَعْتُمُوهَا ذَمِيمَةً وتَصَرَ إِذَا صَرَيتُمُوهَا فَتَضَرُّمُ (٣)
 فتَمْرِكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى يَنْفَالُهَا وتَلْقَحُ كِشَافًا ثم تُنْتِجُ فَتُنْتَمُ (٤)
 فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلَّهُمْ كأحمرِ عادٍ ثم تُرْضِعُ فَتَنْفِطُمُ (٥)
 فَتُنْغِلُ لَكُمْ مَا لَيْسَ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٦)
 لِعَمْرِي لِنِعْمِ الْحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَى يَوْمَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بِنِ ضَمِّمْ (٧)

(١) الأحلاف : أسدوغطفان ، يقول : أبلغ ذيان وحلفاءها وقل لهم : قد حلقتم على إبرام الصلح كل حلف فتخرجوا من الحنث ، وهل أقسمت : وهل أقسمت : (٢) الحديث المرجم : الذي يرجم فيه بالظنون (٣) المعنى : أنكم إذا أوقدمت نار الحرب ذمتهم ، ومتى هُتِرتُموها ثارت (٤) ثفال الرحي : خرقة من جلد أو غيره توضع تحت الرحي ليقع عليها الطحين ، والباء : بمعنى مع ، واللقح : حمل الولد ؛ والكشاف : أن تلقح النعجة في السنة مرتين ، والإثام : أن تلد الأثني توأمين ، وتترككم الحرب عرك الرحي الحب مع ثفاله ، وخص تلك الحالة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين ، وكل هذا كناية عن كثرة الشر (٥) يريد بأشأم المعنى الصدري ، كأنه قال غلمان شؤم ، وأحمر عاد : هو عاقر ناقة صالح . قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عاقر الناقة من ثمود ، وقال المبرد : ليس بغلط لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة بدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الأولى » (٦) قال الأصمعي : يريد أنها تغل لهم دماً ، وليست تغل لهم ما تغل قرى العراق من قفيز ودرهم ، وهو تهكم (٧) قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمضم المري الدياني قبل الصلح ، فلما وقع الصلح تواری أخوه حصين لثلا يطالب بالدخول في الصلح ، ثم انتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس فقتله بأخيه ، فركبت عبس ، ثم استقر الأمر بين القبيلتين على عقل القتيل ، يقول : أقسم بحياتي نعمت القبيلة (ذيان) حتى عليها حصين بن ضمضم وإن لم يوافقوه في إضمار الغدر .

وكان طوى كسحاً على مُسْتَكِنَةٍ . فلا هو أبداها ولم يتقدّم (١)
 وقال ساقضى حاجى ثم اتقى عدوى بألفٍ من ورأى مُلجِم
 فشدّ فلم يُفزع بيوتا كثيرةً لدى حيث ألت رَحَلَهَا أم قشعم (٢)
 لدى أسدٍ شاكى السّلاح مُقذِفٍ له لبدٌ أظفاره لم تُقلم (٣)
 جرى متى يُظلم يُقابَ بظلمه سرىماً وإلا يُبد بالظلم يظلم
 رعواً ظمأهم حتى إذا تمّ أوردوا غماراً تفرى بالسّلاح وبالدم (٤)
 ففضوا منايا بينهم ثم أصدرُوا إلى كلاً مُستوبلٍ متوخّم (٥)
 لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك أو قتيل الثلم
 ولا شاركت في الموت في دم نوفل ولا وهب فيها ولا ابن المخزم (٦)
 فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه صحىحات مالٍ طالعاتٍ لمخرم (٧)
 لحيّ حلالٍ يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم (٨)

(١) طوى كسحاً : أضر ، والمستكنة : الغدرة . يقول : كان حصين أضر في صدره حقداً ، وطوى كسحه على نية مسترة ، ولم يظهرها لأحد (٢) أم قشعم : المنية ، يقول : حمل حصين على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يتعرض لغيره (٣) شاكى السلاح : تام السلاح ، والمقذف : يقذف به في الوقائع ، وهذا البيت والذى يليه من صفات حصين (٤) عاد الشاعر إلى وصف الحرب . الظم : ما بين الوردتين ، والغار : الماء الكثير ، والتفرى : التشقق . يقول : رعواً لبلهم الكلاً حتى إذا تم الظم أوردوها مياهاً كثيرة ، وهذا استعارة ، والمعنى : أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة ، ثم عاودوا الوقائع (٥) فضا : تموا . واستوبل الشيء وجده وببلا : واستوخم الشيء : وجده وخيا ، جعل اعتزامهم على الحرب بمنزلة الكلاً الويل (٦) يقول : أقسم بيقائك وحياتك أن رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المشمين ، بين براءة ذمهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بعقلهم القتلى (٧) المخرم : أنف الجبل (٨) الحلال جمع حال ، أى أنهم يعقلون القتلى لأجل حى نازلين يعصم جيرانهم أمرهم إذا أنت إحدى الليل بأمر فظيع .

كرامٍ فلا ذُو الضَّغْنِ يُدْرِكُ تَبَلَّهُ وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ (١)

* * *

سَمِتُ تَكْلِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَمِشُ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتَ النَّيَا خَبِطَ عَشْوَاءَ مَنْ تَصَبَّ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُخَلُّ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يُؤْفِ لَا يُدْمَمُ وَمَنْ يَهْدِ قَلْبَهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ النَّيَا يَنْلَنُهُ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَمِصُّ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَا يَنْدُ عَنِ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرَأٍ مِنْ خَلِيقَةٍ

ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالَكَ . يَأْسَمُ
وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدِ عَمِ
تَمَّتْهُ وَمَنْ تَخْطَى يَمْعَرُ فِيهِمْ (٢)
يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ عِنْسِمِ (٣)
يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشَمُّ (٤)
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُدْمَمُ
إِلَى مَظْمُنٍ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّعُ
وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابُ السَّمَاءِ يَسْلَمُ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيُدْمَمُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رَكِبَتْ كُلَّ لَهْدَمِ (٥)
يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ لَا يَكْرَمُ نَفْسَهُ لَمْ يَكْرَمِ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ

- (١) التَّيْلُ : الحقد ، والجارم والجاني سواء تأنيب الأعشى ، وهو الذي لا يبصر شيئاً
(٢) الحبط : الضرب باليد ، والشواء :
(٣) المنسم : للبعير بمنزلة السنك للفرس
(٤) وفرت الفىء : كثرته
(٥) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح
وتأنيب الرمح ضد سلفته ، وجمها العوالى ، والهدم : السنان الطويل . إذا التفت فثنان من العرب
سدت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبها ، وسعى الساعون في الصلح ، فإن أبنا إلا التامدى
في القتال ، قلبت كل واحدة منهما الرملح واقتلتنا بالأسنة ، والمعنى : من أبى الصلح ذلته الحرب .

وَكأن ترى من صامت لك مُعجِبِ زِيادته أو نقصه في التكلّم
 لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
 وإن سَفَاهَ الشَّيخ لا حلم بمده وإن الفتى بعد السَّفَاهة يَحلم
 سألنا فَأَعْطَيْتُم وَعُدْنَا فَعَدَّيْتُم وَمَنْ أَكْثَرُ التَّسَالِ يَوْمَ مَا سِيحَرَم

أما قيس بن زهير فقد خرج على وجهه حتى لحق بالمر بن قاسط ، فقال : يامعشر
 النمر ؛ أنا قيس بن زهير غريب حرب ، فانظروا إلى امرأة قد أدبها الفنى وأذلها
 الفقر . فزوّجوه امرأة منهم ، ثم قال : لا أقيمُ فيكم حتى أخبركم بأخلاقى ؛ إني
 امرؤٌ غير فخور أنف ؛ ولست أفخر حتى أبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آئف
 حتى أظلم . فرضوا بأخلاقه ، وأقام فيهم زماناً ، ثم أراد التحول عنهم ، فقال :
 يامعشر النمر ؛ إني أرى لكم على حقاً بمصاهرتى لكم ومقامى بين أظهركم ، وإني
 أمرؤٌ بمخصال ، وأنها كم عن خصال ؛ عليكم بالأناة فيها تدرك الحاجة ، وتسويد
 من لا تعاينون بتسويده ، والوفاء ، فيه تتعاضون ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل
 المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخط الضيف بالإلزام ، وإياكم
 والرّهان فيه نكلتُ مالكا أخى ، والبغى فإنه صرع زهير أبى ، وإياكم والسرف
 في الدماء ، فإن قتل أهل الهبَاءة أورثنى العار ، ولا تعطوا في الفضول فتمجزوا عن
 الحقوق . ثم رحل إلى عمان ، فأقام بها إلى أن مات .

(٥) يوم الرِّقْمِ*

غزت بنو عامر غطفان بالرِّقْمِ ، وعليهم عامر^(١) بن الطفيل ، شاباً لم يُرَأْسْ بعد ،
ونذير^(٢) بذلك بنو مرة بن عوف ومعهم قوم من أشجع وناس من فزارة^(٣) ،
فخرجوا إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم بنو عامر .

وجعل عامر بن الطفيل يقول : يا لقيس ! لا تقتل تموتى ، وأسرت غطفان من
بني عامر أربعة وثمانين رجلاً دفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا
فيهم ، فقتلوهم أجمعين .

وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه حتى قطع المطش أعناقهم فأتوا ،
أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يُؤسّرَ ويُمَثَّلَ به ، فجعل في عنقه حبلاً ،
وصعد إلى شجرة ، وشدّه ودلى نفسه فاختنق ، وفعل مثله رجل من بني غنى ،
فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه ومخلصوه وعيروه بجزعه ، وقال عروة بن
الورد في ذلك :

ونحن صبّحنا عامراً في ديارها علالة^(٤) أرماحٍ وضرباً مذكراً

* لغطفان على بني عامر ، والرِّقْمُ جبال دون مكة بديار غطفان

معجم البلدان (ضرغد) ، ابن الأثير ص ٣٩٣ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣١٨ ج ٣ ، خزنة
الأدب ص ٧٠ ج ٣ ، الفضليات ص ٣٠

(١) عامر بن الطفيل : كان من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسماً وشهرة ، أدرك
الإسلام ولكنه لم يسلم ؛ ولما مات نصبت له بنو عامر أنصاباً ، ميلاً في ميل حمى على قبره ؛ لا تنشر
فيه زاعية ، ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وله وقائع مشهورة في مذبح وختم وخطفان
(٢) نذير : علم (٣) مرة وأشجع وفزارة : من غطفان (٤) العلالة في الأصل : ما حلب
بعد الفيلة الأولى .

بكل رِقاقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنْدٍ وِلْدَنِ مِنَ الْخَطِيِّ قَد طَرَسَ (١) أُسْمَرَا
عجبت لهم إذ يخفقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوعى كان أجدرًا
وكان عامرُ بن الطفيل قبل الموقعة رأى امرأةً من فزارة فسألها فقالت : أنا أسماء
بنت نوفل الفزاري ، وبيننا هي تجيبه خرج عليه المهزومون من قومه وبنو مرّة في
أعقابهم ؛ فلما رأى ذلك عامر أتى دِرْعَه إلى أسماء وولى منهزمًا ، فأدتها بعد ذلك إليه ،
وفيها قال بعد الموقعة :

ولتسألنَّ أسماءَ وهي حَفِيَّةٌ نصحاءها أطردت أم لم أطردِ (٢)
قالوا لها : فلقد طردنا خيلَهُ قَلَحَ الكلابِ وكنْتُ غيرَ مطرَدِ (٣)
فلا بُمِينَكُم قنًا وعوارضًا ولا تُقبلنَّ الخيلَ لابةَ ضَرَعَدِ (٤)
بالخيلِ تمرُّ بالقصيدِ كأنها جِدًا تُتَابِعُ في الطريقِ الأَقْصَدِ (٥)
ولا تُأرَنَنَّ بِمَالِكِ وبِمَالِكِ وأخى المَرَوْرَةَ الذي لم يُسْنَدِ (٦)
وقتيل مرّةً أثارنَّ فإنه فَرَعُ وَإِن أخاهم لم يقصدِ (٧)
ياسلمُ أختَ بني فزارة إننى غانٍ وإن المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ
وأنا ابنُ حربٍ لا أزالُ أشبها سَمْرًا وأوقدها إذا لم توفدِ (٨)

- (١) طر الحديدية طرأ : أحدها (٢) هي أسماء بنت قدامة الفزاري . قال أبو محمد بن
ابن الأعرابي : كان يهواها عامر ويشبب بها (٣) القلح : صفرة تملو الأسنان ، شبه الشاعر بها
فزارة ويكون النصب على النجم وجملة (وكنت . . .) حال (٤) قنا : جبل في ديار بني ذبيان
وعوارض : جبل لبني أسد ، ولا تُقبلن الخيل : أى بالخيل ، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء
وضرعد : أرض لهذيل (٥) القصيد : جمع قصيدة ، وهو كسر القنا (٦) المرورة :
موضع بالكوفة ، ولم يسند : لم يدفن ، وترك للسباع تأكله (٧) فرغ : هدر ، ولم يقصد
لم يقتل (٨) أى أدبر أمرها وقت سمرى بالليل .

ولما بلغ شعره غطفان هجاه جماعة منهم ، وكان النابغةُ الديلمي غائباً عند ملوك
غسان ، ولما عاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل ، فأشده ما قالوا فيه
وما قال فيهم ، فقال : لقد أفحشتم ، وليس مثلُ عامرٍ يُهَجَى بمثل هذا ، ثم قال
يخطئُ عامراً في ذكره امرأةً من عقائلهم :

فإن يك عامرٌ قد قال جهلاً فإن مطيةَ الجهل الشبابُ
فإنك سوف تحلم أو تباهي إذا ما شبت أو شاب الغرابُ
فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصوابُ
فلا تذهبِ بِجِلْمِكَ ظامثات^(١) من الخيلاء ليس لهن بابُ

(١) ظامثات : فاسدات .

(٦) يوم النتاء*

خرجت بنو عامر تريد غطفان، لتدرك بثأرها يوم الرقم، فأغاروا على نعم بنى عبس وذيبيان وأشجع فأخذوها ، وعادوا متوجهين إلى بلادهم، فضلوا الطريق وسلكوا وادي النتاء ، فأعموا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع ، حتى قاربوا آخره ، وكاد الجبلان يلتقيان ؛ وإذا بم امرأة من بنى عبس تَخِيطُ^(١) الشجر لهم في قلة الجبل ، فسألوها عن المطلع ، فقالت : الكفوارس المطلع - وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على الجبل ، ولم يرها بنو عامر ؛ لأنهم في الوادي ، فأرسلوا رجلا إلى قلة الجبل ينظر لهم ، فقال : أرى قوما كأنهم الصبنيان على متون الخيل ، أسنة رماحهم عند آذان خيلهم ، قالوا : تلك فزارة . قال : وأرى قوما بيضا جمادا^(٢) كأن عليهم ثيابا حمرا ، قالوا : تلك أشجع . قال : وأرى قوما نسورا قد علوا خيولهم آخذين بموامل^(٣) رماحهم يجرؤونها . قالوا : تلك عبس^(٤) ، أنا كم الموت الزؤام^(٥) .

* لغطفان على عامر ، والنتاء نخيلات لبني عطار ، وهو النتاء كهزة في القاموس ، وفي ابن الأثير هو يوم النباء ، وفي معجم البلدان والأغاني النتاء .

المقد الفريد ص ٣١٩ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٥ ج ١ ، الأغاني ص ٣١٣ ج ١٠

(١) خبط الشجرة : ضربها بالعصا ليسقط ورقها (٢) الجعد : الخفيف من الرجال ، وقيل المجتمع الشديد وجمه جمعاد (٣) عامل الريح وعاملته : صدره دون السنان وجمعه عوامل

(٤) فزارة وأشجع وعبس : بطون في غطفان (٥) موت زؤام : عاجل ، وقيل سريع مجهم وقيل : كرية وهو أصح .

ولحقهم الطلب بالوادي، فاقتتلوا قتالا شديداً، وكان عامرُ بن الطفيل أولَ مَنْ سبق على فرسه الوَرْدُ^(١)، ففات القومَ .

وَقَتِلَ كثير من بني عامر وكانت الهزيمة عليهم ، وقتل من أشرفهم البراء بن عامر بن مالك ، ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وعبد الله ابن الطفيل .

وفي تلك الموقعة قال حراشة بن عمرو العبسي :

وساروا على أطنابهم^(٢) وتواعدوا مياهاً تحامتها تميم وعامر
قدفتهم في اليمِّ ثم خذلتهم فلا وألت^(٣) نفسٌ عليك تحاذر

(١) الورد : اسم فرس عامر
(٢) الأطناب : الطرائق
(٣) وألت : نجت .

(٧) يوم حَوْزَةَ الأوَّل *

وَأَبِي مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ السَّلْمِيِّ عُكَّازٌ فِي مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ،
فَبَيْنَاهُ وَيَسْحَى بِسَوْقِ عُكَّازٍ إِذْ لَقِيَ أَسْمَاءَ الرِّيَّةِ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ؛ فَدَعَاهَا لِنَفْسِهِ
فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي عِنْدَ سَيِّدِ الْعَرَبِ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ ^(١) ؛ فَأَحْفَظْتَهُ ،
فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَقَارِعَنَّكَ عِنْدَكَ ! قَالَتْ : شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ .

وَرَجَعْتُ إِلَى هَاشِمٍ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ مَعَاوِيَةُ وَمَا قَالَتْ لَهُ ؛ فَقَالَ هَاشِمٌ : فَلَعْمَبْرِي
لَا نَزِيمَ أَيْتَانَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْدِهِ .

ثُمَّ التَّقِيَا ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ بِظَمَائِنِ يَنْدُبُنَاكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ
هَاشِمٌ بِمَا أَحْفَظُهُ .

فَلَمَّا انْصَرَمَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْ عُكَّازٍ ، خَرَجَ مَعَاوِيَةُ غَازِيًا فِي
فِرْسَانِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، يُرِيدُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مِرَّةَ وَفِرَازَةَ ^(٢) ،
فَنَهَاهُ أَخُوهُ صَخْرٌ وَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي بِكَ إِنْ غَزَوْتَهُمْ عَلِقَ بِكَ حَسَكُ الْعُرْفُطِ ^(٣) . فَأَبَى
مَعَاوِيَةُ وَسَارَ بِقَوْمِهِ .

فَلَمَّا كَانَ مَعَاوِيَةُ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْحَوْزَةَ ^(٤) دَوَّمت ^(٥) عَلَيْهِ طَيْرٌ ، وَسَنَحَ ^(٦) لَهُ

* لسلم على ذييان ، وحوزة: واد بالهجاز .

الأغانى ص ٣٢٩ ج ٢ و ص ٢٨ ج ١٠ و ص ١٣٤ ج ١٣ ، المقد الفريد ص ٣٢٠ ج ٣ ،
التبريزى على الحماسة ص ١١٠ ج ٣ ، الحماسة ص ٤٥٥ ج ١

(١) هاشم بن حرملة من بني مرة (٢) فزازة ومرة: في ذييان (٣) العرفط:
شجر الطلح وله صنغ كرية الرائحة (٤) قال بعضهم: الجوزة ، والشك من أبي عبيدة
(٥) الدومان: حومان الطائر (٦) السانح: من الصيد ما أتى من المياصر إلى الميامن .

ظبيٌ وغرابٌ؛ فتطيرُ منهما، ورجع في أصحابه. وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال :
ما منعه من الإقدام إلا الجبن .

ولما كانت السنة القُبلة خرج لغزوهم ، نحى إذا كان في ذلك المكان سَنَحَ له
ظبيٌ وغرابٌ ، فتطيرَ ورجع ، ومضى أصحابه ، وتخلفَ في تسعةَ عشرَ فارساً
منهم لا يريدون قتالا ، ووردوا ماءً ، وإذا عليه بيتُ شعرٍ ؛ فصاحوا بأهله ،
فخرجت إليهم امرأةٌ فقالوا : يَمَنُّ أَنْتِ ؟ فقالت : امرأةٌ من جهينة أحلاف بني
مرة (١) ، ثم وردوا الماء يسقون ، فانسلت المرأة ، وأنت هاشم بن حرملة فأخبرته
بمخبر هؤلاء ، وأنهم غيرُ بعيدٍ ، وعرفته عندتهم ، وقالت : لا أرى إلا معاوية بن عمرو
في القوم .

فقال : بالكاع (٢) ؛ معاويةٌ في تسعةَ عشرَ رجلاً ! شَبَّهتْ وَأَبْطَلتْ (٣)
قالت : بلى ، قلتُ الحق ، وإن شئت لأصفتهم لك رجلاً رجلاً ، قال :
هاتى

قالت : رأيتُ فيهم شاباً عظيمَ الجمة (٤) ، جهنته قد خرجت من تحت
مغفره (٥) ، صبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرسٍ غراء (٦) . قال : نعم ، هذه
صفةُ معاوية بن عمرو وفرسه السماء .

قالت : ورأيت رجلاً شديدَ الأدمة (٧) ، شاعراً يُنشدهم ، قال : ذلك خُفَّاف (٨)
ابن عمير .

(١) قوم هاشم (٢) الكاع : الحقاء (٣) يريد : اختلط عليك الأمر وأتيت
بالباطل (٤) الجمة : مجتمع شعر الرأس (٥) المغفر : زرد من الدرع ، يلبس تحت
القلنسوة (٦) غراء : بيضاء (٧) الأدمة في الإنسان : السواد (٨) هو خفاف
ابن عمير بن عمرو بن الحارث بن عمر بن الفريد السلمي ، المعروف بابن ندبة ، وهي أمه ، وكانت
سوداء حبشية .

قالت : ورأيت رجلا ليس يَبْرَحُ وسطهم ؛ إذا نادَوْه رفعوا أصواتهم ، قال :
ذاك عباس الأصم .

قالت : ورأيت رجلا طويلا يُكَنِّونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدَّ شيء له توقيرا ،
قال : ذاك نُمَيْشَةَ بن حبيب .

قالت : ورأيت شابًّا جميلا له وَفْرَةٌ (١) حَسَنَةٌ ، قال : ذاك العباس بن مرداس
السامي .

قالت : ورأيت شيخا له ضفيرتان ، سمعته يقول لعاوية : بأبي أنت ! أطلتِ
الوقوف ، قال : ذاك عبد العزى زوجُ الخنساء أخت معاوية وصخر .

فنادى هاشم في قومه ، وخرج في مثل عدته من بني مرة ، ولم يشعر المسلمون
حتى ظلموا عليهم ، فقال لهم خُفَّاف بن عمير : لا تُنازلوهم رجلا رجلا ، فإنَّ خيلهم
تثبَّت للطراد ، وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد أنهكها الغزو وأصابها الحفا (٢) .

واقتملوا ساعة ، ولما رأى هاشمُ بن حرملة معاوية قال لأخيه دريد بن حرملة - وكان
هاشم ناقها من مَرَض أصابه : يا دريد ؛ إن هذا إن رأيتي لم آمن أن يشدَّ علي ،
وأنا حديث عهد بشيكة (٣) ، فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك ، ففعل ،
وحمل عليه معاوية ، وأردفه (٤) هاشم ، فاختلفا طعنتين ، وأردى (٥) معاوية هاشما
عن فرسه السماء ، وأنفذ هاشم سنانه من معاوية . ثم جاء دريد بن حرملة فأجهز
علي معاوية وقتله (٦) .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس (٢) الحفا : رقة القدم والحف والحافر

(٣) الشيكة : الوقوع في الشوك ، وقد شيك الرجل أيضا : أصابته الشوك ؛ وهي حمرة تظهر
في الوجه وغيره من الجسد ، وقال في اللسان : هي داء كالطاعون (٤) أردفه : تبعه

(٥) أراداه : أسقطه (٦) قال في الأغاني ص ٢٨ ج ٢ تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن
عمر ووثاقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده ، وإن قتل أن يطلب بثاره ، فلما قتل معاوية
قال دريد قصيدة يرثيه منها :

وشدّ خفاف بن عمير على مالك بن حمار الفزاري ، فقتله (١) .

ثم إن السماء فرس هاشم دخلت في جيش بني سليم ؛ فأخذوها وظنوها فرس مالك بن حمار الفزاري الذي قتله خفاف بن عمير ؛ ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية ، فقالوا : أنعم صباحاً أبا حسان ! فقال : حيتيم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قَتَلْنَا صاحبها ، فقال : إذا كنتم أدركتم ثأراً كم ، فهذه فرس هاشم بن حرملة !

فلم أسمع معاوية بن عمرو
حثيث السعي أو لأنك يجري
إذا لبس الكماة جلود نمر

فإن الرزء يوم وقت أدعو
ولو أممته لأنك يسعي
بشكة حازم لا فمز فيه
الشكة : السلاح . لبس جلد النمر : تكرر له

وأين مكان زور يا بن بكر

عرفت مكانه ففظفت زوراً

الزور : اسم جبل

وأغصان من السلمات سمير

على إرم وأحجار ثقال

الإرم : حجارة تصب علماً في المفازة

طوال الدهر شهراً بعد شهر

وبينان القبور آني عليها

(١) قال خفاف في قتل مالك بن حمار :

تأمل خفافاً لأنني أنا ذلكا
لأنني مجدأ أو لأنأر هالكا
سراعاً على خيل تؤم المسالكا
شريحين شقي طالباً ومواشكا

أقول له والرمح ياطر منته
وقت له علوى وقد خام صحبتي
لذن ذرقرن الشمس حين رأيتهم
فلما رأيت القوم لا ود بينهم

شريحين : صنفين

وجانبت شبان الرجال الصعالكا
كست منته من أسود اللون حالكا
به أدرك الأبطال قدما كذلكا
كسته نجيعاً من دم الجوف صائكا

تيمت كبش القوم حين عرفته
فجادت له يعني يدي بطعنة
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذي
فان ينبج منها هاشم فبطعنة

صائكا : لاصقا

ولما دخل رجب ركب صخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام، حتى أتى بني مرة؛ فلما رأوه قال لهم هاشم: هذا صخر فحيوه وقولوا له خيراً - وهاشم مريض من الطمئة التي طمنه معاوية، فقال: من قتل أخي؟ فسكتوا، فقال هاشم: هلم أبا حسان^(١) إلى من يخبرك، فقال: من قتل أخي؟ فقال هاشم: إذا أصبنتي أو ذريداً فقد أصبت ثأرك، قال: فهل كفتتموه، قال: نعم في بردين أحدهما بخمس وعشرين بكرة، قال: فأروني قبره فأروه إياه. فلما رأى القبر جزع عنده، ثم قال: كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزاعي، فوالله مايت منذ عقلت إلا واترأ أو موتوراً، طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية، فاذقت النوم بعده^(٢).

* * *

وقال صخر بن عمرو أخو معاوية يرثيه:

وعاذلة هبت بليلى تلومني ألا تلوميني كفى اللوم مايا
 وقالوا: ألا تهجو فوارس من هاشم ومالي وإهداء الخنا ثم ماليا^(٣)
 أبي الهجو أنى قد أصابوا كريمي وأن ليس إهداء الخنا من شماليا^(٤)
 إذا ما لهرؤ أهدي لبت تحية فحيك رب الناس عنى معاويا

- (١) أبو حسان: كنية صخر (٢) لما رجع صخر إلى قومه قالوا له: اهجم، فقال: إن ما بيننا أجل من القذع، على أننى أ كف نفسى عن هجائهم رغبة عن الخنا (٣) الخنا: الفحش، وهذه رواية الحماسة، ورواية الأغاني للبت: تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالي إذن أهجوهم ثم ماليا (٤) يريد بكريمي: حرمي، والقبال: الحصلة، وفي رواية « من سماتيا ».

لِنِعْمِ الْفَتَىٰ أَدَىٰ ابْنِ صِرْمَةَ بَزَّهٖ إِذَا رَاحَ فَحَلُّ الشُّوْلِ أَحْدَبَ عَارِيَا (١)
إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رَفَرَتْ عِبْرَةٌ وَحَيَّتْ رَمْسًا عِنْدَ لِيَّةَ ثَاوِيَا (٢)
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أُجَلِّ عَلَيْهِ بِعَالِيَا
وَذَى إِخْوَةٍ قَطَّمْتُ أَقْرَانَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا (٣)

(١) ابن صرمة: هو هاشم بن حرملة قاتل معاوية ، والبز: السلاح ، والشول: النوق التي خف
لبنها وارتفع ضرعها ، وأحدب عار: هزبل ، وقوله: « إذا راح ظرف » لما دل عليه نعم الفتى
(٢) لية: اسم موضع ، والثاوي: اللقيم (٣) أقران بينهم: وصل بينهم ، وأصل الأقران
الجمال . قال في الأغانى: قال هذا البيت بعد أن أوقع بيني قاتلي أخاه .

(٨) يوم حَوْزَةَ الثاني *

تذكر صخر^(١) بن عمرو الشريد السلمي مَقْتَلَ أَخِيهِ معاوية، وهاجت به الله كرى؛
فخرج لقتال بني مُرَّة، وركب السَّماء - وكانت غرَاءُ مُحَجَّلَةٌ، فسودَّ غُرَّهَا وتَجَلَّيْهَا -
فراثة بنت لهاشم بن حرملة، فذهبت إلى عمِّها دريد بن حرملة وقالت: أين السَّماءُ^(٢)؟
قال: هي في بني سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالسا، ولما رآها
قال: هذه فرس بهيم^(٣)، والسَّماءُ غرَاءُ مُحَجَّلَةٌ؛ وعاد فاضطجع ولم يشهر حتى
طعمته صخر.

فثارَ وتناذروا، وولى صخر، وطلبتَه غطفان عامَّةً يومها، ووقف دونه شجرة
ابن عبد العزى، فردَّ الخيلَ عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه.
ثم إن هاشم بن حرملة خرج يوماً مُمتَجِماً، فلقى عمرو بن قيس الجشمي،

* لسليم على بني مرة (من ذبيان)

الأغانى ص ١٤٠ ج ١٣، العقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣، لسان العرب مادة (غريل - نام)،
الكامل للبرد ص ٢٨١ ج ٢

(١) هو أحد بني سليم، وكان شاعراً حليماً جواداً، محبوباً في عشيرته، شريفاً في قومه، وكان
أبوه يأخذه بيده ويد أخيه معاوية ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فتعترف العرب له بذلك، وكان
أخا الحسناء لأبيها، قاسمها ماله مرات كثيرة، وكان يعطيها في كل مرة خير النصفين، ولما لامته
زوجه في ذلك قال:

والله لا أمنحها شرارها ولو هلكت قددت مخارها

وأتخذت من شعر صدرها

فلما قتل لبست عليه الصدر، وقالت فيه خير المرائي (٢) السماء: فرس هاشم بن حرملة

(٣) البهيم: الأسود، ومالاشية فيه من الخيل للذكر والأنثى.

ثم تبعه وقال : هذا قاتلُ مُعاوية ، لا وأتتُ نفسي إن وأل (١) ، ولما نزلَ كمن له بين
الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِعْبَلَةٌ (٢) ، ففلقَ قِحْفَهُ (٣) فأت (٤) ، وقال
في ذلك :

إني قتلت هاشم بن حرْملة إذا الملوك حَوَلَهُ مُغْرَبَلَهُ (٥)
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

ولما بلغ الخنساء قتلُ هاشم قالت :

فِدَاً للفراس الجشمى نفسي وأفديه بمن لي من حميم
أفديه بكلِّ بني سليم بظاعنهم وبالآنس (٦) المقيم
كما من هاشم أقررت عيني وكانت لا تنفام ولا تُنم (٧)

(١) وأل : نجا (٢) النصل : العريض الطويل (٣) القحف : ما انفلق من الجمجمة
ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء (٤) قال الأصمعي : مررت بأعرابي وهو
يخضد شجرة ويرتجز ويقول :

لو كنت إنساناً لكنت حاتماً أو الغلام الجشمى هاشماً
قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذي يقول :
وعاذلة هبت بيليل تلومني كأنني إذا أنفتت مالي أضيئها
دعيني فإن الجود لن يتلف الفتي ولن يخلد النفس اللثيمة لومها
وتذكر أخلاق الفتي وعظامه مفرقة في القبر باد رميها
سلي كل قيس هل أباني خيارها ويعرض عني وغدها ولثيمها
وتذكر قيس مني وتكرمي إذا ذمني فتياها وكريمها
قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ! هو الذي يقول فيه الشاعر :

أحبنا أباه هاشم بن حرْملة يقتل الذنب ومن لا ذنب له
تري الملوك حوله مغربله

(٥) المغربيل : القتل المنتفخ (٦) الأنس : الحى المقيمون (٧) قال في اللسان :
يقال : أصاب الثأر النميم ، أي الذي فيه وفاء طلبته ، وفلان لا ينأم ولا ينيم ، أي لا يدع أحداً
ينام ، وأنشد البيهت (مادة - نام) .

فقال الخنساء ترثيه :

أعيني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرىء الجليل ألا تبكيان الفتى السيِّداً
طويل النَّجادِ رفيع العِمَا دِ سَامَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
إذا القومُ مدوا بأيديهمُ إلى المجدِ مدَّ إليه يَدَا
فقال الذي فوقَ أيديهم من المجدِ ثم مضى مُصْعِداً
يكلفه القومُ ما عَالَمُ وإن كان أصغرهم مَوْلَا
ترى الحمدَ يهوى إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يُحمداً

ومن جيد قولها :

أبعد ابن عمرو من الِ الذِّ تريدحت^(١) به الأرض أتقالها
لعمري أبيضه لَنِمَمِ الفَتَى إذا النفسُ أعجبها مالها
فإن تك مرة أودت به فقد كان يُكبرُ تَقْتَالها
فخر الشوامخ^(٢) من فِقدِهِ وزُلزلت الأرضُ زِلزالها
أَهَمَّتْ بنفسي كلَّ الهموم فأولَى لِنَفْسِي أَوْلَى لها
لأحمل نفسي على آلة^(٣) فأما عليها وإمّا لها

وقالت ترثي معاوية :

أريق من دموعك واستتفيق^(٤) وصبر إن أطقت ولن تطيق

(١) حلت : من الحلى ، تقول : زينت به الأرض الموقى (٢) الشوامخ : الجبال
(٣) على حالة ، وعلى خطة وهي الفيصل ، فأما ظفرت وإما هلكت (٤) في الكامل :
معنى هنا : أن السمعة تذهب اللوعة .

وقولى : إن خيرَ بنى سُلَيْمٍ وفارسها بصحراءِ البقيعِ
ألا هل ترجعنَ لنا اللِيالى وأيامُنا بِلوى الشَّقِيقِ
وإذْ نحنُ الفوارسُ كلَّ يومٍ إذا حضروا وفتيانُ الحقوقِ
وإذْ فينا معاويةُ بنُ عمرو على أدماءِ كالجملِ الفَنِيقِ
فبِكَيْهِ فقد أودى حميداً أمينَ الرأىِ محمودَ الصَّدِيقِ
فلا واللهِ لا تسلاكِ نَفْسِي لفاحِشَةَ أُتَيْتَ ولا عُقُوقِ (١)
ولكنى رأيتُ الصبرَ خيراً من النَّمَلَيْنِ والرأسِ الحَلِيقِ (٢)

(١) أى لا أجد فيك ما تسلو نفسى عنك له
(٢) قال فى للكامل : تأويل النملين أن
المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جهلت فى يديها نملين تصفق بهما وجهها وصدرها .

(٩) يَوْمُ اللّوَى*

غزا عبد الله بن الصّمة^(١) - ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية بن بكر ابن هوازن - غطفان ، فظفر بهم ، وساق أموالهم في يوم يقال له : يوم اللّوى ، ومضى بها .

ولما كان منهم غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دُرَيْد : النّجاء يا أبا فرعان^(٢) ! نَسَدْتُكَ اللهُ أَلَّا تَنْزِلَ ، فَإِنَّ غُطْفَانَ لَيْسَتْ بِغَافِلَةٍ عَنْ أُمُوهَا وَقَدْ ظَفَرْتَ ؛ فَأَقْسِمُ لَا يَرِيمُ حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ بَآعِهِ^(٣) ، وَيَنْقَعُ نَقِيعَتَهُ^(٤) ، فَيَأْكُلُ وَيَطْعَمُ ، وَيَقْسِمُ الْبَقِيَّةَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ .

وبيناهم على ذلك ، وقد سطعت الدّواخُن^(٥) ، إِذَا بُغِبَّارٌ قَدْ ارْتَفَعَ أَشَدُّ مِنْ دَخَانِهِمْ ، وَإِذَا عَبَسَ وَفَزَارَةَ وَأَشْجَعَ^(٦) قَدْ أَقْبَلْتَ ، فَقَالُوا الرَّيِّثِيَّتَهُمْ^(٧) : انظر ماذا ترى؟

* لغطفان على هوازن ، واللوى : واد من أودية بني سليم

الأغانى ص ٦ ج ١٠ ، القصد الفريد ص ٣٢٣ ج ١ ، شرح التبريزى على ديوان الحماسة ص ٣٠٥ ج ٢ ، جهرة أشعار العرب ص ٢٢٦

(١) سبي الصمة ربحانة بنت معديكرب فأولدها بنو الأربعة : عبد الله وقد قتلته غطفان ، وعبد يثوث وقد قتلته بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، وفي ربحانة يقول أخوها عمرو بن معديكرب حين سبيت :

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوره إلى ما تستطيع

(٢) كان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه عبد الله وخالد ومعبد ، وكنيته أبو فرعان وأبو دفاة وأبو وفاء (٣) المربع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية

(٤) النقيعة : ناقة ينحرها الرئيس من وسط الإبل ، ويضع منها طعاماً لأصحابه

(٥) جمع دخان (٦) عبس وفزارة وأشجع : من غطفان (٧) الرّيثة : الطلعة .

فقال : أرى قوماً جعاداً^(١) كأنّ سراييلهم قد غُمست في الجادى^(٢) ، قال : تلك أشجع ، ليست بشيء ! ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أدماناً^(٣) ، كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يُخَدُّون^(٤) الأرض بأقدامهم خدّاً ؛ وهم يجرّون رماحهم جرّاً ، قال : تلك عبس والموت معهم !

ثم تلاحقوا بالمنعرج من رُميلة الأوسى ، فاقتتلوا ، فقتل رجلٌ من بني عبس عبدَ الله بن الصمّة ، فبتنادوا : قتل أبو ذُفافة ! فمطف دريد أخوه فذَبَّ عنه ؛ فلم يُغن شيئاً ، وجرح دريد وسقط ، فكفّوا عنه وهم يرون أنه قتل واستنقذوا المال ، ونجا من هرب .

فرّ زهدم العبسى وكرّدم الفزارى بدريد وهو مرث^(٥) في القتلى ؛ قال دريد : فسمعت زهدماً العبسى يقول لكردم الفزارى : إني لأحسب دريداً حياً ، فانزل فأجيز عليه ، قال : قد مات ، قال : انظر إلى سبته^(٦) هل ترمز^(٧) ؟

قال دريد : فسددت من حمارها^(٨) ، فنظره فقال : هيهات ! قد مات ! ثم مال بالشرج^(٩) في الشرج فطعن فيه ؛ فسال دم كان قد احتقن في جوفى ، فعرفت الخلفة حينئذ ، وأمهلته حتى إذا كان الليل مشيتُ وأنا ضعيف قد نَزَفنى^(١٠) الدم ، حتى ما أكاد أبصر ، وما شعرتُ إلا وأنا بين عرقوبى^(١١) بئيرِ ظمينة^(١١) ، فنفر البعيرُ ؛ فنادت :

(١) جعاد : جمع جعد ، وهو الرجل المجتمع بعضه إلى بعض ، أو الشديد
الزعفران ، منسوب إلى قرية بالشام تبت الزعفران ، اسمها جادية (٣) أدماناً : جمع آدم ،
والآدم من الناس : الأسمر (٤) يخدون : يشقون (٥) المرث : من حمل من الحركة
ويه رمق (٦) السبة : الاست (٧) ترمز : تضرب (٨) الحمار : الشرج
(٩) الزج : الحديدية في أسفل الرمح (١٠) نَزَف : نزع الدم فلاناً ، فهو منزوف ونزيف
أبى سال منه دم كثير (١١) الظمينة : المرأة ما دامت في الهودج .

نموذُ بالله منك مَنْ أَنْتَ؟ قلت : لا ، بل من أنتِ؟ ويلك ! فقالت : امرأة من هوازن .
قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دريد بن الصمة ؛ فأعلمت الحى بمكانى ؛ ففصل عنى الدم
وزوِّدتُ زاداً وسقاءً ونجوت .



وفى موت عبد الله بن الصمة قال دريد أخوه يرثيه :

أرثُ جديداً الحبلى من أمِّ معبد^(١) بعاقبة وأخلفتُ كلَّ موعدِ
وباتتْ ولم أحمَدُ إليك جوارها ولم ترَّجُ منا ردةً اليوم أو غدِ
أعاذلتى كلُّ امرئٍ وابنُ أمِّه متاعٌ كزادِ الراكبِ التزوِّدِ
أعاذلُ إن الرِّزءُ أمثالُ خالدِ ولا رزءٌ مما أهلك المرءَ عن يَدِ^(٢)
نصحتُ لعارضِ^(٣) وأصحابِ عارضِ ورهطُ بنى السَّوداءِ والقومُ شهدي
فقلت لهم : طُنُّوا بالفتى مُدججِ سرَّاتهمُ فى الفارسىِّ السردِ^(٤)
أمرتهمُ أمرى^(٥) بمنعرجِ اللوى فلم يستبينوا الرُّشدَ إلا ضحَى الفدِ
فلما عصَوْنى كنتُ منهم وقد أرى غوايتهمُ وأننى غيرُ مهتدِ
وهل أنا إلا من غزيرة^(٦) إن غوتِ عويتُ ، وإن ترَّشُدُ غزيرةً أرشدِ
دعانى أخى والحيلُ بينى وبينه فلما دعانى لم يجِدنى بقعددِ^(٧)

(١) قال فى الأغانى : كانت أم معبد امرأته فطلقها ، لأنها رأته شديد الجزع على أخيه فعانتته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فقال هذه القصيدة (٢) خالد من أسباء عبد الله
(٣) عارض : من أسباء عبد الله أيضاً ، ورهط بنى السوداء أصحاب عبد الله (٤) ظنوا :
أيقنوا ، أو ماظنكم بأنى مدجج ، والمدجج : التام السلاح ، وسرّاتهم : خباياهم ، والفارسى السرد :
الدروع (٥) أمرى أى مأمورى (٦) غزيرة : قبيلة من هوازن ، وهى رهط الشاعر
(٧) القعدد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

تنادوا فقالوا: أرَدَتِ الخَيْلُ فارساً
 فإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ
 وَلَا بَرِّمَا إِذَا الرِّيحُ تَنَافَوَحَتْ
 كَيْشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ
 قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُضِيِّاتِ حَافِظٌ
 تَرَاهُ خَمِيصَ البَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ
 وَإِنْ مَسَّهُ الإِقْوَاهُ وَالجَهْدُ زَادَهُ
 صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ
 وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَّاحُ تَنَوَّشُهُ
 فقلتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكُمُ الرَّدَى (١)
 فَلَمْ يَكُ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ اليَدِ (٢)
 بَرَطِبَ العِضَاهُ وَالهِشِيمُ العِضْدِ (٣)
 بِعِيدٍ مِنَ الآفَاتِ طَلَّاعُ أَنجِدِ (٤)
 مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ (٥)
 عَتِيدٌ، وَيَغْدُو فِي اللَقَمِيسِ المَقْدَدِ (٦)
 سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي اليَدِ
 فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلبَاطِلِ: ائْبُدِ (٧)
 كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
 كَوَقَعِ الصِّيَاصِي فِي النَسِيحِ المُدَدِ (٨)

(١) أى : أعبد الله ذلكم الهالك ؟ ولما دعاه إلى هذا القول أمران : سوء ظن الشقيق ،
 والثانى علمه لإقدامه فى الحرب (٢) خلى مكانه : مضى لسبيله ، والوقاف / : الهياة ،
 والطائش : الذى لا يصيب (٣) البرم : الضجر ، وتنافوت الرياح : هبت صبا مرة ، وشمالا
 مرة ، وذلك آية الجذب ؛ والعضاء : كل شجر يعظم وله شوكة . والهشيم : النبت اليابس المتكسر ،
 والعضد : المقطع (٤) كيش الإزار : مثل فى الجد والتشمير ، والكيش : الحقيف السريع
 الحركة ، وبعيد من الآفات : يريد أنه لا داء به ، وهو سليم الأعضاء (٥) المعنى : أنه
 لا يتألم للنوابت تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده
 (٦) يصفه بقلة الطعام ، والزهد فى اللباس ، مع اتساع الحال ، لأنه يؤثر غيره على نفسه ، والعتيد
 المد ، والمقند : المقطع (٧) « صبا » الأول من الصبي وهو صغر السن ؛ وصبا الثانى من الصباء
 بمعنى الفناء ، المعنى : تماطى للهو صغيراً ، فلما اكتهل وظهر الشيب فى رأسه ، نحى الباطل عن نفسه
 (٨) تنوشه : تتناوله ، والصياصى : جمع صيصة ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة .

وكنْتُ كذاتِ البورِ رِيعتُ فأقبلتُ
إلى جلدٍ من مَسكِ سَقَبِ مُقَدَّرٍ (١)
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَدتُ
وحتى علاني حالك اللونِ أسودى (٢)
فما رِمْتُ حتى خرقتني رِماحُهُم
وغودرتُ أكبُو في القنأ المتقصد (٣)
قتالِ امرئٍ وامي أخاه بنفسه
وأيقن أن المرءَ غيرُ مَحْدٍ
قليلِ التشكِّي للمصيباتِ حافظٌ
من اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غدٍ
وقال أيضاً :

تقول : ألا تبكي أخاك ا وقد أرى
مكان البُكا، لكن بنيتُ على الصبر
فقلتُ أعبد الله أبكي أم الذي
له الجدث الأعلى قتيلَ أبي بكر (٤)
وعبدَ ينفوث تَحجَلُ الطيرُ حوله
وعزَّ المصابُ حثو قبرٍ على قبرٍ (٥)
أبي القتلِ إلا آلُ صيمَةَ إنهم
أبوا غيرَه والقَدَرُ يجرى إلى القَدَرِ (٦)
فإنا تريننا لا تزال دماؤنا
لدى واترَ يَشقى بها آخرَ الدهرِ (٧)
فإنا للحمِّ السيفِ غيرَ نَكيرةٍ
ونلحمُه حيناً وليس بندي نُسكَر (٨)

(١) ذات البور : ناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأمه ، أى كنت من الوله عليه مثل ذلك. والجلد ما جلد من المسلوخ، وألبس غيره، لتشمه أم المسلوخ فتدر عليه ، والسك : الجلد ، والسقب : ولد الناقة (٢) أسودى : كما يقال في الأحمر أحمرى ثم خفت ياء النسب بحذف لإحداها (٣) المتقصد : المتكسر (٤) قتيل أبي بكر بن كلاب هو أخوه قيس ، أرجع إلى الأغاني صفحة ١٤ فقيه تفصيل لسبب قتله (٥) عبد ينفوث : أخوه أيضاً ، وقد قتلته بنو مرة ، وحشو بدل من المصاب ، ومفعول عز محذوف ، كأنه قال : وعز الشاعر المصيبة ، حشو قبر على قبر ، أى حصول الواحد بعد الواحد (٦) يريد : أنهم قدروا للقتل (٧) يقول : لنا أبدأ تكون دماؤنا عند من قتلنا له قتيلاً يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دماننا (٨) لحمه : أطمعه اللحم ، يقول : لنا نخطر بأنفسنا فنقتل ونقتل ، وليس ذلك فينا ومنا بمنكر .

يُقَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فَيُسْتَفَى بِنَا إِنْ أُصِبْنَا أَوْ نُفَيْرُ عَلَى وَتِرْ
قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرَ شَطْرِينَ بَيْنَنَا فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرٍ



ثم أغارَ دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ بعد مَقْتَلِ أخيه عبد الله على غَطَفَانَ ، يطالبهم بدمه ؛
فاستقرَّاهم (١) حَيًّا حَيًّا ، وقتل من بني عَبَسَ سَاعِدَةَ بن مُرَّة ، وأمرَ ذُوَابَ بن أسماء
ابن زيد بن قارب ، أسره مُرَّةَ بن عوف الجُشَمِي . فقالت بنو جُثَم : لو فادَيْنَاهُ (٢) !
فأبى ذلك دُرَيْدُ عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله . وقتل من بني فزارة رجلاً
يُقال له حِرَامٌ وإخوة له ، وأصاب جماعة من بني مُرَّة ومن بني نَعْلَبَةَ بن سَمَد
ومن أحياء غَطَفَانَ ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَنْ قُتِلَ فيه منهم
يقول :

تَأْيِدٌ (٣) مِنْ أَهْلِهِ مَعَشَرٌ فَجَوْهُ سُوَيْقَةٌ فَالْأَصْفَرُ
فَجِزْعٌ (٤) الْحَلِيفِ إِلَى وَاسِطٍ فَذَلِكَ مَبْدَى وَذَا بَحْضَرُ
فَأَبْلَغُ سُلَيْمَى وَأَلْفَا فَهَا (٥) وَقَدْ يَمِطُّفُ النَّسَبُ الْأَكْبَرُ
بِأَنِّي نَارَتْ بِأَخْوَانِكُمْ وَكُنْتُ كَأَنِّي بِهِمْ مُخْفَرٌ (٦)
صَبَحْنَا فِزَارَةَ سُمَرَ الْقَنَا فَهَلَّا فِزَارَةَ لَا تَضْجُرُوا
وَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بِنِي مَارِزٍ فَكَيْفَ الْوَعِيدُ وَلَمْ تَقْرُرُوا

(١) استقرَّاهم : تبعهم (٢) فاداه : أطلقه ، وقبل فديته (٣) تأيد : أقر ، ومعشر
وجو سويق والأصفر : أسماء مواضع (٤) الجزع : منطف إلى الوادي ، والحليف وواسط :
موضان (٥) ألفاها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف (بالكسر) (٦) أخفَّره :
تفضَّ عهده .

فَانْ تَقْتُلُوا فِتْيَةَ أَفْرَدُوا أَصَابَهُمُ الْحَيْنُ أَوْ نَظَفَرُوا
فَانْ حَزَامًا لَدَى مَعْرَكِ وَإِخْوَتَهُ حَوْلَهُمْ أُنْسَرُ
وَيَوْمَ يَزِيدٍ • بَنِي نَاشِبِ وَقَبْلُ يَزِيدِكُمْ الْأَكْبَرُ
أَثَرْنَا صَرِيحَ بَنِي نَاشِبِ وَرَهْطَ لَقِيْطِ فَلَا تَفْخَرُوا
تَجْرُ الضَّبَاعُ بِأَوْصَالِهِمْ ^(١) وَيَلْقَحْنَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُقْبَرُوا

(٧) في نهاية الأرب : إن الضبع إذا لقيت قتيلًا بالبراء وورم وانفخ غرموله تأتبه فتركبه

ثم تأكله .

(١٠) حديث ابن ضبّا*

قد كان من حديث الحرب التي وقعت بين أبي بكر بن كلاب، وبين بني جعفر^(١) أن سعد بن ضبا الأسدي كان جاراً لعُتْبَةَ بن مالك بن جعفر، وكان يُرعى^(٢) عليه - وبنو جعفر يزعمون أنه كان أسيراً عند عُتْبَةَ بن جعفر - وكانت بنو أسدٍ قد قتلت من بني أبي بكر قتيلاً، فقالت بنو أبي بكر: علام تدعون ابن ضبا وأنتم تطلبون بني أسد بما تطلبونهم، فعمدوا إليه فقتلوه، وبنو جعفر عنه غيَّب .

فلما بلغ ذلك بني جعفر غضبوا، وكان في بني جعفر رجل من بني أبي بكر يقال له مالك بن قحافة، فقال - وهو صهر بني جعفر - لا يسؤكم الله؛ إنما هذا رجل من بني أسد، وقد كنا نطلبهم بدم، وقد علمتم ذلك، فلا تسفكوا دماءنا ودماءكم فيه، فهذا ابني لكم بديته، ولا تقتلوا قومكم. قالوا: نعم؛ فأخذوا ابنه فحبسوه بالديّة .

فبيناهم كذلك إذ أقبل بعض بني جعفر فلقوا ربيعة الشر بن كعب بن عبد الله ابن أبي بكر، ومعه وطبان من لبن يريد بهما أهله، فقالوا: هل أنت ساقينا من هذا اللبن؟ قال: نعم، فنزل عن قعوده ليسقيهم، فأخذوه فشدّوه وثاقاً، وقد تروى من اللبن، ثم طردوا به فسألح، ثم شدّوه مع ابن مالك بن قحافة .

* لبني أبي بكر بن كلاب على بني جعفر بن كلاب (كلاهما من عامر) . وابن ضبا: رجل من بني أسد .

التقائص ص ٥٣٣ طبع أوربا .

(١) بنو جعفر بن كلاب، وبنو أبي بكر بن كلاب: بطنان في بني عامر (٢) يقال: أزعيت عليه؛ أي بقيت عليه ورحمته .

فلما رأى ذلك مالكُ قال لامرأته : احتملي . فاحتملت ، فلما سارت ركب فرسه ثم أقبل عليهم فقال : يا بني جعفر ؛ لا آتى قومي أبداً حتى أقتل بعضكم أو تقتلوني ، أو أرجع بأحد الأسيرين ، فمعدكم أسيرُ لبني وأسيرُ دم . فأعطوه ابنه ، وحبسوا ربيعة موثقاً أربع ليال حتى أذى بنو بكر عقْل ابن ضبا ؛ فبعث بها بنو جعفر إلى بني أسد .

فلما أدوها قال عامر بن كعب أخو ربيعة الشر : أدوا إلى يابني جعفر إيسار أخى وما صنعتُم به حتى كان منه ما كان ، أو حكموني . فأبى ذلك بنو جعفر . فقال عوف ابن الأحوص : هذا ابني دأب بن عوف ، فليس بشر من أخيكم فاصنموا به ما صنع أصحابكم !

فأبى ذلك بنو أبي بكر ، واجتمع القوم بعضهم إلى بعض ، فلما لقت الحرب بين بني جعفر وبني أبي بكر قتل رجل من بني جعفر - يقال له منيع - رجلاً من بني أبي بكر ؛ فأقبلت غني - وقد كانوا قتلوا ابناً لعروة بن جعفر قبيل ذلك - حتى نزلوا على مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ؛ فقال مالك : قد أصابت غني منكم دماً ، وأصبتُم منا دماً فبوئوا أحد القتيلين بالآخر ؛ فقالت بنو جعفر : نحن نعطيك الدم الذي أصبنا من ابنك ، وحل بيننا وبين ثأرنا من غني ؛ فإننا لا نرضى منهم بدون دية الملوك ، فأذنوا بحرب .

فسارت بنو جعفر إلى بني أبي بكر ، وسار معهم سائر بني كلاب ، حتى إذا تراءى الجمعان خذلت بنو جعفر .

فلما رأت بنو جعفر أنهم قد خذلوا ، وقد كان طفيل الغنوي قال لبني أبي بكر : ادفعوني إلى بني جعفر ، فوالله لا يتمدون علينا ولا يظلموننا حقاً هو لنا عندم ،

فإن جعفرًا لا تُقَرُّ على هذا ، فأبوا ، وخرج بنو جعفر متوجهين إلى بني الحارث ابن كعب ليحالفوهم .

فزلوا فيهم وحالفوهم وأقاموا فيهم حولا ، فقالت بنو الحارث بمضها لبعض : ما يمنع أن تزوج من بنى جعفر عشرين امرأة ، وزوجهم عشرين امرأة ، وتشترك الأرحام بيننا وبينهم ؟ فإنهم الأشراف والأكفاه ، ولا نبألى إذا فعلنا ذلك من أجلب^(١) علينا من العرب ؛ فمشوا إلى عامر بن مالك ، فذكروا ذلك له ، فرضيت بنو جعفر ، وعامر ساكت لا يتكلم .

فلما انصرف القوم نادى عامر في بنى جعفر : لا يَبْقَيْنَ أَحَدُهُمْ فرس إلا ركبهُ ولا سلاحَ إلا لبسه ، وأخذ رُمحه . ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأقوالكم ونسائلكم ، ثم قال : سيروا حتى تقطموا ثنية^(٢) القهر ، فإذا قطعتموها فأنزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر بن مالك ، حتى جازوا الثنية ، ثم أتاهم ، فقال : هل أخذت لكم ديةً أو أبيتكم على خسفٍ قط ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيعُننى أو لا تكونن على سيفى حتى يخرج من ظهرى .

ثم قال : أتندرون ما أراد القوم ؟ أرادوا أن يرتبطوكم ففكرونا فيهم أذنانا ، ويستعينوا بكم على العرب ، وأنتم سادة هوازن ورواسهم فسيروا .

فخرجوا سائرين ، وخرج عامر وطفيل وعبيدة ومعاوية - وهم بنو أم البنين - وشلى بن مالك ، وحنظلة وعامر ابنا طفيل ، ولبيد بن ربيعة ، ونزلت بنو جعفر فى ناحية أرض قشير ، ثم قصدوا إلى بنى أبي بكر يريدون مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ، فوجدوه يبيع^(٣) رَكِيًّا فزلوا حتى خرج منها .

(١) أجلب عليه : أعان عليه ، ويقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا

(٢) ثنية بالين

(٣) الميح : أن تدخل البئر فتملأ بالبلو لقلعة ماؤها . والركية : البئر .

فلما رأهم رحّب بهم ، ودعا ببلقحة^(١) ، ثم أمر حالبًا فحلبها ، فقال : اسق
سيدّ بنى عامر ، فسقى عامر بن مالك . ثم قال : اسق سيد بنى عامر ، فسقى بعده
طفيلًا . ثم قال : اسق سيد بنى عامر ، فسقى معاوية . ثم قال : اسقني ، ثم سألتهم :
ما حاجتكم ؟ فقالوا : أردنا أن نبوء بحقّكم ، ونرجع إلى قومنا ، فقال مالك :
اختاروا منى خلّتين ، ثم حُكّمي بعدها ، قالوا : قد قبلنا إحداهما وقبلنا حكّمك .
قال : إن شئتم أن تظعنوا على حرب مجليّة أو تقيموا على سلّم مخزّية ، فقالوا :
أرنا حُكّمك . قال : ما كان لكم عندي من غائلة أو خماشة^(٢) أو دم ، ما قلّ
من ذلك وما كثر فهو لكم ، ودم صاحبكم ابن عروة فهو على أفضل الديّات ديّات
أهل بيته في مالى ، وما كان لعنّى فهو على ، وبرّتم منه ؛ فذلك حيث يقول لبيد ،
وغاظه ما يرى :

• أبني كلابٍ كيف تُنفى جعفرُ . وبنو ضبيّنة حاضرو الأجباب^(٣)
قتلوا ابن عروة . ثم لَطَوْا^(٤) دونه حتى نحاكمهم إلى جواب^(٥)

(١) اللقحة : الناقة الحلوب . (٢) الخماشة : ما هو دون الدية لقطع يد أو أذن
(٣) الأجباب : منازل لبي جعفر التي نفيت عنها وأقامت بها غنى (٤) لَطَوْا : استقروا
(٥) جواب : لقب مالك بن كعب السكلابي المذكور .

(١١) يوم هَرَامِيَت*

كان بَدْهُ الجرب يوم هَرَامِيَت أن الجَلِيح بن شُدَيْد الجعْفري^(١) نزل في بئر بناحية هَرَامِيَت ليحتفرها ، فنزل عليه الأَسود بن شقيق الضَّبَابي^(٢) فتمعه ، فأنحدرا في البئر ، فضربه الأَسودُ على أذنه فحذَمها^(٣) وشجّه شجّةً ، واجتمع الناسُ برأس البئر ، فأنزلوا عليهما الرجالَ حتى خلصوا بينهما ؛ فقالت الضَّبَاب : دونكم صاحبنا فاقصّوا ، وخذوا أرش^(٤) جراحةٍ صاحبكم .

فقالَت بنو جعفر - وفيهم بَدْخ^(٥) شديد - لا نأخذُ حقناُ أبداً إلا عنوةً .
فانصرف القوم ، وكلُّ محتملٍ على صاحبه ، فقال رجلٌ من بني جعفر : يا جَلِيح ؛ أنتَ اليومَ الجَلِيح ، وغداً المَخدوم ؛ فشجذَ بنو جعفر وأحْمَشَهُم^(٦) ، وكانوا مع بني الضباب في محلة واحدة .

ثم التقوا على هَرَامِيَت فافتتلوا ، ثم تهاجروا واحتمل الحيان ، وافترقوا بعد الألفه .

فنزلت الضَّبَاب على غَوْلٍ والحِصَافَة^(٧) ، ونزل جعفر الشَّبَكَة^(٨) ومعروفًا ،

* للضبَاب علي بن جعفر (كلاهما من بني عامر) . والهرايميت : آبار مجتمعة بناحية الدهناء

معجم البلدان ص ٤٥٠ ج ٨ ، القناص ص ٩٣٧ طبع أوروبا

(١) بنو جعفر ، هم أبناء جعفر بن كلاب بن زبيعة بن عامر بن صعصعة (٢) الضباب :

ولد معاوية بن كلاب بن زبيعة بن عامر بن صعصعة ، وإنما سوا الضباب ، لأن عمرو بن معاوية

كان ولده ضبا ومضبا وضبابا وحسيلا (٣) حذمها : قطعها (٤) الأرش : الدية

(٥) البَدْخ : الكبر (٦) أحشمهم : أغضبهم (٧) الغول والحِصَافَة : ماءان للضبَاب

(٨) الشبَكَة : من مياه بني قشير ، ومعروف من مياه بني جعفر .

فكثروا يسيراً ، والضباب متوقفة للشر ، قد أذكت العيون فليست تنام ؛ ثم إن
بني جعفر سارت إلى الضباب .

وبينا الضباب في بمض الطريق إذ لقيهم يزيد بن سهم الغنوي راكباً ، فقالوا :
هذا راكبٌ فاسألوه عن بني جعفر ، فأتوه ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقال لهم الغنوي :
ما أدري ما أقول لكم إلا أن النعم منكم قريب ^(١) .

فخرجت الضباب مبادرة إلى النعم مخافة الغارة ، وخلفوا أبا لطيفة بن الخطيم
ابن الأعرى ، وهو يومئذ سيد الضباب وابن أخ له وأربعة نفر .

وأقبل جمع بني جعفر فتلقاهم زَيْنُ الضبابي في مِزْرَى له يسوقها ؛ فقال زاجر ^(٢) :
بني جعفر : يا قوم ؛ قد لقيتم زائناً ^(٣) وزاجراً وناطحاً ، فارجموا ، فوالله لا تصيبون
في وجوهكم هذه خيراً فأطيعوني ؛ فأبوا عليه .

فبينما هم في مسيرهم إذ لقيهم مالك بن الربيع وشريك بن الهيثم الضبابيان ،
فقتلوهما . فقال أهل الرأي منهم : ارجعوا فقد أصبتم بصاحبكم ، وأدركم تاركم في
عافية ؛ فأبى جمعهم إلا المسير ، وقالوا : يا بني جعفر ؛ اجعلوه يوماً من أيامكم ،
فساروا حتى انتهوا إلى محلهم ؛ فوجدوا أبا لطيفة بن الخطيم وأصحابه فقتلوه ، وفيهم
رجلان يقال لهما الأشهبان من فرسانهم ، فقتلوهما ، ونزل أبو لطيفة بن الخطيم وبه
رمقٌ فقطعوا أنفه ، وعمدوا إلى ملحفة حمراء فصَبَّوْها بدمِ أبي لطيفة ، وبعثوا بها
مع بشيرٍ إلى نساءهم .

(١) قال ذلك يكيد للضباب تعصبا لبني جعفر ؛ لأن ولادته كانت فيهم (٢) الزاجر : من
بصطنع الزجر ، وهو العيافة والتسكهن (٣) الزين : الدفع ، ومنه حرب زبون ؛ أي يدفع
عضها بعضاً كثرة .

وفي بني جعفر وَجْزَةَ بنت الخطيم أختُ أبي لطيفة ؛ فلما جاء البشيرُ بِقَتْلِ
أبي لطيفة صرخت بناتُ وَجْزَةَ على خالهن ، فقالت أمهن : اسكُنن ، فوالله لئن كان
ظنني ببني عمرو (وهم الضباب) ليبيتنَّ الليلةَ في بني جعفر نوحُ كثير .

وانتهت الضباب إلى النعم ، ثم عادوا فوجدوا أبا لطيفة ، وبه رمق وإذا القومُ
قتلى ، فقالوا له : من أصابك ؟ قال : أصابني خيشنةٌ وهو أحدُ الرذفين على الجمل
الأسود ، فاتبعتم الضباب ، فلحقهم على الثنية فاقتلوا قتلاً شديداً ، فقتل من
الفریقین من هؤلاء وهؤلاء ، وقصد هريمُ بن الخطيم - أخو أبي لطيفة - قصد
خيشنة قاتل أخيه فقتله وقطع أنفه ، وبمث به مع بشير إلى أبي لطيفة .

فلما أتاه البشيرُ قال : وصلتكم يا بني عمرو رحم ! الآن ذهب غليلي ، لست أبا لي
متى مت .

وانهزمت بنو جعفر ، وطردهم الضباب بعيداً خمسة أميال أو نحو ذلك ، وحجز
بينهم الليل ، ورجعت الضباب فاحتملت قتلاًها ، وهابت بنو جعفر أن تنقل قتلاها
حتى بعثوا النساء يحملن القتلى ؛ فمشت السفراء بينهم ، ففضل لبني جعفر على الضباب
خمساً بعد البواء .

وقال الأجلح^(١) الضبابي ، وكان فارساً شديداً ، فاتبع القوم وهو يقول :

لا تسقه حزرًا ولا حليبا إن لم تجده ساجحاً يعبوا^(٢)

(١) نسب هذا الشعر في اللسان : للخطيم الضبابي (لسان مادة جون) ، وقال في حاشية اللسان :
في الصاغاني : هوللاج بن قاسط الضبابي (٢) يصف فرساً يقول : لا تسقه شيئاً إن لم تجديه
هذه الحصال ، والحزر من اللبن : الذي أخذ شيئاً من المحوضة ، والساجح : الشديد العدو ،
والعبوب : الكثير الجري .

ذامية (١) يَلْتَهُمُ الْجُبُوبُ (٢) يتركُ صَوَانُ (٣) الصَّوَى رَهْ كُوبَا
 بَزَلَقَاتٍ (٤) قُعِبَتِ تَقْعِيماً يتركُ في آثَارِهِ لُهُوبَا (٥)
 يبادرُ. الأَثَارُ أَنْ تَوُوبَا (٦) وحاجِبَ الْجَوْنَةِ (٧) أَنْ يَنْبِيَا
 كالذئبِ يَتَلَوُ طَعْمًا قَرِيبًا (٨) على هراميتَ ترى العجيباً
 أَنْ تَدْعُوَ الشَّيْخَ فَلَنْ يُجِيبَا

فقاتل يومئذ فأبلى ، وكان ممن قتل الكرووسُ ومِعْتَرٌ ضربه ضربةً بالسيف
 أشرعت في شقه ، فنادى مِعْتَرٌ: يا بني جعفر؛ إن شددتوني ثوبٍ فلا بأسَ عليّ ،
 فلم يلبث أن مات ، فقال في ذلك الأشر بن عمارة الضبابي :

عشيةً يدَعُو مِعْتَرٌ يالَ جَعْفَرِ أَخوكم أَخوكم أَجْدَلُ الشَّقِّ مائِلُهُ
 ولحق الأجلحُ بن قاسطِ ابني مُحمِضَةَ بن بَحر ، وهما يَسْرِيانِ بأبيهما من آخر
 الليل ، فقال لها : أجزراني الشيخ ، فقالا : لقد استعرضت منذ اليوم جزراً كثيراً
 وما لهذا ربانا . وقد كان الأجلحُ لما لبس دِرْعَهُ تركَ جُرْبَانَهَا (٩) لم يُشَدَّهُ عليه من
 المجلَّة ، فقالت له ابنته : شدِّ عليك الجربان ، فقال : إن الذي يُبصرُ هذا الموضعَ لبصيرا

(١) البعة : النشاط والحدة ، وبتهم : يتلغ (٢) الجيوب : الأرض الغليظة ، وقيل الأرض
 الغليظة من الصخر لا من الطين ، وقيل هي الأرض عامة ، وقيل وجه الأرض
 (٣) الصوان : الصم من الحجارة ، والصوى : الأعلام ، والركوب : المذلل ، ورواية النقائض :
 يترك صوان الحصى ركوباً (٤) يعني جوافره ، والتعقيب : أن يكون الحافر مقبياً كالقعب
 لاستدارته (٥) اللهوب : جمع لهب ، ورواية النقائض : أهوبا (٦) الأوب : الرجوع
 يقول : يبادر آثار الذين يطلبهم ليدرهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ، ويبادر ذلك قبل مغيب الشمس
 (٧) الجونة : الشمس (٨) شبه الفرس في عدوه بذئب طامع في شيء يصيده عن قرب
 فقد تناهى طعمه (٩) جربان السيف : حده وعمده .

فلما حَمَلَ على لَهْبِي حَمِيضَةَ نَظَرَ حَاجِبُ بنِ حَمِيضَةَ إلى مَوْضِعِ الجُرْبَانِ لم يَشْده فطغنه في لَبَنَتِه فقتله ، وأخذوا فرسه فركبناه ونَجَّوا بأبيهما .

فلما قَدِمَ الحِجَاجَ المَدِينَةَ بَعدَ قَتْلِ ابنِ الزُّبَيْرِ ، واجتمعَ النَّاسُ على عبدِ المَلِكِ وَجْهَ إليهمِ عُمَانُ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سُرَّاقَةَ القُرَشِيُّ أحدَ بني عَدِي بنِ كَعْبٍ ؛ فلما قَدِمَ عليهم جمعَ الفَرِيقَيْنِ ، ثم نادى : مَنْ جَاءَ بِجُرْمَةٍ حَطَبَ فله بِمِير . فجاءَ بِحَطَبِ كَافِرٍ ، فنصَدَّ بَعْضُهُ إلى بَعْضِ حَوْلِهِمْ ، ثم أَشْمَلَ فِيهِ النَّارَ ؛ فلما لَحِقَتِ القَوْمَ النَّارُ ، وظنُّوا أَنَّهُ المَوْتُ نادى : مَنْ أَطْفَأَهَا فَلَهُ بِمِير ، فأطفأها النَّاسُ ، فأخْرَجَهُمْ ، وقد كَادُوا بِمَحْتَرِقُونَ ، ثم دعا بالصَّخْرِ لِيحطَمَ أَدْرُعَهُمْ فَضَجُّوا إِلَيْهِ ، فقال : أَنْتُمُودُونَ لِأَمْرِ الجَاهِلِيَةِ أَبَدًا ؛ فقالوا : لا تَمُودُ بَعدَ اليَوْمِ . فمَضَى الصُّبَّاءِيُّونَ لِلجَمْعِ فَرِيقَيْنِ ما يَطْلُبُونَ ، وأخذَ دَرَّاجَ بنَ زُرْعَةَ بنَ قَطَنِ بنِ الأَعْرَفِ الصُّبَّابِي فَوَجَّهَهُ بِهِ إلى عبدِ المَلِكِ ، وكان هُوَ صَاحِبَ الأَفَاعِيلِ فقتله عبدُ المَلِكِ ، فقال دَرَّاجُ فِي السَّجْنِ :

ألا يا غرابَ البينِ أَسْمَعَتَ فَارْبِعَ	وطِرُ بالذي قد حُمَّ وَيَحْكُ أَوْقَعَ
فطارَ بِتَحْقِيقِ وَجُدْتُ بِعَبْرَةٍ	أَتَاهَا رَشَّاشُ العَيْنِ مِنْ كُلِّ مَدْفَعِ
فليسَ لِيالِينَا بِطِخْفَةٍ وَالْحَمِي	بِمِرْجَمَاتِ فابِكِ شَجْوِكَ أَوْ دَعِ
إِذَا أُمُّ مِرْيَاحٍ ^(١) غَدَّتْ فِي ظَمَائِنِ	جِوَالِسِ ^(٢) نَجْدًا فَاضَتْ العَيْنُ تَدْمَعِ
فبَلِّغْ بَنِي عَمْرٍو سَلامًا وَرِحمَةً	بِآيَاتِ شِدَائِي إِذَا الحَيْلُ تُقَدِّعِ
بِأَيَّةِ أَنِي لَمْ أَكُنْ قَدْ عَلِمْتُ	أَهْلًا ^(٣) عَنِ ضَرْبِ الكَمِيِّ ^(٤) المَقْنَعِ
قَد كُنْتُ أَعْطَيْكُمْ طَرِيقِي وَتَالَدِي	وَأدْفَعُ عَنِ أَحْسابِكُمْ كُلِّ مَدْفَعِ

(١) السرياح : الجراد ، وأم سرياح : امرأة مشتق منه (٢) الجالس : الآتي نجدًا ،

ورواية التفاض : عوامد نجد كانت العين تسمع (٣) هلال : فرع وجبن

(٤) الكمي : الشجاع .

فلا تخشعوا للقوم من خشية الردى لكل امرئ يوماً حمام ومصرع
وإني لأخشى من رجال تركتهم ورأى أن يعطوا الذي كنت أمنع
فإن يك ظني بالحجازي صادق يقاتلهم فرداً ولا يتخضع
ويستقيهم كأساً من الموت مرة كما قد سقوه مثلها فتضلع
ولما دخات السجن أيقنت أنه هو البين لا بين النوى ثم يجمع
وما السوط أبكاني ولا السجن شفني ولكنني من رهبة الموت أجزع



٧- أيام قيس وكنانة

١- يوم الكديد.

٢- « برزة.

٣- حرب الفجار.

(١) يوم الكديد*

— ١ —

خرج دُرَيْدٌ^(١) بن الصَّمَّةِ في فوارس بني جُشَمِ^(٢)، يريد الغارة على بني كِنانة؛ فلما كان بوادِ لبني كِنانة رُفِعَ له رجل من ناحية الوادي ومعه ظمينة^(٣). فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صَحُّ به أَنْ خَلَّ عن الظمينة وانجُ بنفسك— وهو لا يعرفه— فانتهى إليه الرجل وألحَّ عليه، فلما أبى ألقى زمام الراحلة وقال للظمينة:

سِيرِي على رِسْلِكِ سِيرَ الآمنِ . سِيرَ رَدَاحِ^(٤) ذاتِ جَاشِ ساكنِ
إِنَّ اثْنَانِي دُونَ قَرْنِي^(٥) شَانِي أَبْلِي بِلَانِي وَاخْبِرِي وَعَايِي
ثم حمل على الفارس فصرعه، وأخذ فرسه فأعطاه الظمينة .

فبعت دُرَيْدٌ فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه؛ فرآه صريعاً، فصاح به، فتصامَّ عنه، فظنَّ أنه لم يسمع فضشيه، وألقى زمام الراحلة إلى الظمينة، ثم حمل على الفارس فصرعه، وهو يقول:

* لبني سليم (بطن في قيس عيلان) على كِنانة، والكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة القدر الفريد ص ٣٢٤ ج ٣، الأغاني ص ١٢٩ ج ١٤، الأمالي ص ٢٧١ ج ٢، سمط اللآلي ص ٩١٠ ج ٢، قصص العرب ص ٢٤٦ ج ٤، بلوغ الأرب ص ١٤٤ ج ١ .
(١) دُرَيْدٌ بن الصَّمَّةِ : سيد بني جُشَمِ وفارسهم وقائدهم، كان مظفراً ميمون النقيبة، غزا نحو مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها، وأدرك الإسلام ولم يسلم . (٢) جُشَمِ : بطن في هوازن، ودُرَيْدٌ كان من حبيهم يقال لهم بنو جداعة (٣) الظمينة : المرأة ما دامت في الهودج (٤) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق (٥) القرن : الكفء .

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ النَّمِيمَةَ إِنَّكَ لَأَقِي دُونَهَا رَيْبَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةً^(١) مُطِيبَةً أَوْ لَا فَخَذُهَا طَمَنَةٌ سَرِيعةً
فَالطَّمَنُ مَنَى فِي الْوَأغَى شَرِيعةً

ثم حمل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَعَثَ فَارِسًا آخَرَ ، لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَأَاهَا
صَرِيعِينَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِقَوْدِ طَعْمِيْنَتِهِ ، وَيَجْرُ رُمُوحَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ الطَّعْمِيْنَةِ .
فَقَالَ لَهَا رَيْبَةُ : اقْصِدِي قَصْدَ الْبَيْوتِ ، ثُمَّ اقْبَلِي عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيمِ^(٢) عَابِسٍ أَلَمْ تَرِ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرَدَا هَا عَامِلُ رَمَحِ يَآبِسِ

ثم طعنه فصرعه ، فانكسر رُمُوحُهُ .

وَلَمَّا أَبْطَأَ عَنِ دُرَيْدٍ ارْتَابَ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الطَّعْمِيْنَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحِقَ
بِهِمْ ، فَوَجَدَ رَيْبَةَ^(٣) بِنَ مَكْدَمَ لَا رَمَحَ مَعَهُ ، وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ؛ وَوَجَدَ أَصْحَابَهُ قَدْ
قَتَلُوا ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنْ مَثَلَكِ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنْ الْحَيْلُ نَائِرَةٌ بِأَصْحَابِهَا ،
وَلَا أَرَى مَمْلُوكًا رَمَحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ ؛ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمَحِ ؛ فَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَى
أَصْحَابِي فَتَبَيِّطُهُمْ عَنكَ .

(١) الرماح الخطية : تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ في بلاد البحرين (٢) الشميم : الأسد
السابس (٣) ربيعة بن مكرم : أحد فرسان كنانة المعدودين وشجعانهم المشهورين ، وهو
من قبيلة فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، وكان بنو فراس أمجد العرب ، كان الرجل منهم يعدل
بعشرة من غيرهم ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله أن لي بجمعكم وأنتم
مائة ألف ثلاثمائة من بني فارس .

وأني دُرِيدُ أصحابه ، فقال : إن فارسَ الظَّمِينَةِ قد سَاحَاها ، وقتل فرسانكم ،
وانتزع رُمُحِي ، ولا طَمَعَ لَكُمْ فيه ؛ فانصرف القومُ ، وقال دريد :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله حاي الظمينة فارساً لم يُقتل
أردى فوارس لم يكونوا نُهْزَةً^(١) ثم استمرّ كأنه لم يفعل
متهللاً تبدؤُ أَسْرَةً وجهه مثل الحسام جَلَّتْهُ أَيْدِي الصَيْقَلِ^(٢)
يُزجِي ظمِينته ويسحب رُعمه متوجِّهاً يَمْنَاهُ نحوَ المنزل
وترى الفوارس من مخافة رُعمه مثل البُغَاثِ خَشِينِ وَقَعِ الأَجْدَلِ^(٣)
يأليت شمري مَنْ أبوه وأُمُّه ؟ يا صاح مَنْ يَكُ مثله لم يُجْهَل
وقال ربيعة :

إن كان يَنْفَعُكَ اليقينُ فسائلي عنى الظمينة يوم وادى الأخرم^(٤)
إذ هي لأوّل من أناها نُهْبَةً لولا طعانُ ربيعة بن مُكَدَّم
إذ قال لي أدنى الفوارس مَيْتَةً خلّ الظمينة طائماً لا تندم
فصرفتُ راحلة الظمينة نحوه عمداً ليعلمَ بعضَ ما لم يعلم
وهتكتُ بالرُّمُحِ الطويلِ إِهَابَهُ^(٥) فهوى صريماً لليدين وللفم
ومنحتُ آخرَ بصدّه جِيأَشَةً نجلاءً فاغرةً كَشِدْقِ الأَضْجَمِ^(٦)
ولقد شَفَعْتُهُمَا بآخر ثالثٍ

(١) النهزة: الشيء الذي هو لك معرض كالغنيمة ، يقال: فلان نهزة المخلص ، أي سيد لكل أحد
(٢) الصيقل : جلاء السيف (٣) البغاث : طائر أعبر ، والأجدل : الصقر
(٤) الأخرم : جبل في طرف الدهناء (٥) إهابه : جلده (٦) الضجم : عوج في
القم ، ويشبه الجرح الواسع بالقم الأضجم .

وقام نزاع بين نفر من بني سليم^(١) ، ونفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ، ثم إنهم ودّوهما ، ثم ضرب الدهر ضربته ، وخرج نُبَيْشَةَ بن حبيب السلمي غَازِيًا ، فلحق طُعْمَنًا من بني كنانة بالكديد ، ومعهم قومهم من بني فراس بن مالك بن كنانة ، وفيهم عبد الله بن جذل الطعان والحارث ابن مكدّم ، وأخوه ربيعة بن مكدّم ، فلما رآهم الحارث قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم ، فقال أخوه ربيعة : أنا أذهب حتى أعلم علم القوم ، فأتيكم بخبرهم ، وتوجّه نحوهم .

فلما ولى قال بعض الظنن : هرب ربيعة ! فقالت أخته عزة بنت مكدّم : أين تنهى ترّة الفتى ؟ فمطف - وقد سمع قول النساء - فقال :

لقد علمن أنني غير فرق^(٢) لأطعنن طعنةً وأعتنن^(٣)

أصبحهم صالح بمحمر الحدق عَضْبًا^(٤) حُسَامًا سِنَانًا^(٥) يَأْتَلِقُ

ثم انطلق يعدّو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد^(٦) له في طريق

الظنن حتى قتله ، وتبعه نبيشة ثم رماه فلحق بالظنن يستدعي ، حتى انتهى إلى أمه أم سنان فقال : اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز :

شدى على العصب أم سيّار فقد رزيت فارسا كالدينار

يطعن بالرمح أمام الأذبار

(١) سليم : بطن في قيس عيلان ، وهم قوم دريد

(٢) الاعتناق في الحرب : مثل العناق في غيره - (٤) العصب : السيف (٥) السنان :

طرف الرمح (٦) استطرد : تعهقر ، وكأنه يمدح .

فَقَالَتْ أُمُّهُ :

إِنَّا بَنُو ثَمَلِيَّةَ بْنِ مَالِكٍ مَرُورِ أَخْبَارٍ لَنَا كَذَلِكَ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرَّزْءُ إِلَّا كَذَلِكَ

وَشَدَّتْ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ ، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً ، فَقَالَتْ : إِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ مَتًّا ؛ فَفَكَرْتُ
رَاجِعًا عَلَى الْقَوْمِ ، يَنْزِفُهُ الدَّمُ (١) ، حَتَّى أَتَخَنَ (٢) ، فَقَالَ لِلطُّعْنِ : أَوْضِعْ (٣) رِكَابِكُنَّ
حَتَّى يَنْتَهِيَنَّ إِلَى أَدْنَى الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيِّ ، فَإِنِّي لَأَبِي سَوْفَ أَفِدُ دُونَكُنَّ لَهْمٍ عَلَى الْعَقِبَةِ ،
فَاعْتَمِدْ عَلَى رِعْمِي فَلَا يَقْدَمُونَ عَلَيْكَ لِمَكَانِي . فَفَعَلْنَ ذَلِكَ (٤) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، فَاعْتَمَدَ عَلَى رُجْمِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ لَهْنٍ
عَلَى مَتْنِ فَرْسِهِ حَتَّى بَلَغَ مَا مَسَّهِنَّ ، وَمَا يُقَدِّمُ الْقَوْمَ عَلَيْهِ .

وَرَأَاهُ نُبَيْشَةَ بْنُ حَبِيبٍ فَقَالَ : إِنَّهُ لِمَارِئِلُ الْعَنْقِ ، وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ ،
وَأَمْرُ رَجُلٍ مِنْ خُرَاعَةَ كَانَ مَعَهُ أَنْ يَزِمِي فَرْسَهُ ، فَرَمَاهَا ، فَقَمَصَتْ (٥) ، قَالَ
عَنْهَا مَيْتًا .

ثُمَّ لَحِقُوا الْحَارِثَ بْنَ مُكْدَمٍ فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْا عَلَى رِييعةَ أَحْجَارًا ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ ، فَفَنَرَتْ نَاقَتَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْجَارِ الَّتِي أَهْمِلَتْ عَلَى رِييعةَ ،
فَقَالَ يَرْتِيهِ ، وَيَعْتَدِرُ إِلَّا يَكُونُ عَقْرَ نَاقَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ ، وَحَضَّ عَلَى قَتْلَتِهِ ، وَعَبَّرَ مَنْ
فَرَّ وَأَسْلَمَهُ مِنْ قَوْمِهِ :

فَنَرَّتْ قَلْوُصِي (٦) مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ (٧) بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدِينِ وَهُوْبٍ

(١) يَنْزِفُهُ الدَّمُ : يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . (٢) أَتَخَنَ : ضَعَفَ مِنَ الْجِرَاحَةِ (٣) أَوْضَعَ :
رَكَابِكُنَّ : حَثْوَهُنَّ عَلَى السَّيْرِ السَّرِيعِ (٤) قَالَ أَبُو مَهْرُونَ الْعَلَاءُ : لَا نَعْلَمُ قَتِيلًا وَلَا مَيْتًا
حَمَى الْأَطْطَانَ غَيْرِهِ (٥) يُقَالُ قَمَصَتْ الْفَرَسَ : إِذَا رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَطَرَحَتْهَا مَعًا
(٦) الْقَلْوُصُ مِنَ الْإِبِلِ : الشَّابَةُ (٧) الْحَرَّةُ : الْحِجَارَةُ السُّودَاءُ ، وَالْمُرَادُ قَبْرَ رِييعةَ .

لا تَنْفِرِي يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ سِبَاءٌ (١) خَيْرٌ مِسْمَرٍ (٢) لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبَعْدُ خَرَقٌ (٣) مَهْمَةٌ لَتَرَكْتَهَا تَحْبُو عَلَى الْمَرْقُوبِ
فَرَّ الْفَوَارِسُ عَنْ رَيْبَةَ بَعْدَ مَا نَجَّاهُمْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَكْرُوبِ
لَا يَبْعَدَنَّ رَيْبَةُ بْنُ مَكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ (٤)

وقالت أخته ترميه :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لِمُهْرَاقِ سَحًّا فَلَا عَازِبَ كِلَا وَلَا رَاقِ
أَبْكِي عَلَى هَالِكِ أَوْدَى فَأُورِثِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ حُزْنَاً حَرَّهُ بَاقِ
لَوْ كَانَ يُرْجَعُ مَيْتًا وَجُدُّ ذِي رَحِمٍ أَبْقَى أَخِي سَالِمًا وَجَدِي وَإِشْفَاقِ
أَوْ كَانَ يُبْدَى لِكَانِ الْأَهْلِ كُلِّهِمْ وَمَا أُنْتَمَّ مِنْ مَالٍ لَهُ وَاقِ
لَكِنْ سِهَامِ الْمَنَايَا مِنْ نُصْبِنَ لَهُ لَمْ يُفْنِهِ طِبُّ ذِي طَبِّ وَلَا رَاقِ
فَإَذْهَبِ فَلَا يَبْعَدَنَّكَ اللَّهُ مِنْ رَجَلٍ لَاقِيَ الَّذِي كُلُّ حَيٍّ مِثْلُهُ لَاقِ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوِوقَةٌ وَمَا سَرَيْتُ مَعَ السَّارَى عَلَى سَاقِ
أَبْكِي لِدُكْرَتِهِ عَبْرِي مُفَجَّعَةٌ مَا لَنْ يُجِيفَ لَهَا مِنْ دُكْرَةٍ مَاقِ (٥)

ثم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، ففتكوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه ..

(١) سبَاءُ خمر : مشتريها (٢) مِسْمَرُ الْحَرْبِ : موقدها (٣) الْحَرْقُ : القلاة الواسعة تتخرق فيها الرياح ، أى يشتد هبوبها ، والمهمة : المفازة المقفرة ، والسفار : السفر
(٤) الذَنُوبُ : الدلو فيه ماء ويقال : إنه لما بلغ شعره بنو كنانة قالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق (٥) هو مَأَقُ الْعَيْنِ .

وبينا هو عندهم إذ جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأةٌ مهننٌ فقالت :
هلكنم وأهلكم ، ماذا جرُّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رُمحه يوم
الظمينة ، ثم ألقته عليه ثوبها وقالت : يال فراس ؛ أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا
يوم الوادي ، فسألوه مَنْ هو؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بنِ الصَّمَّةِ ! فَمَنْ صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن
مكدم؟ قال : فافعل؟ قالوا : قتلته بنو سليم . قال : فمن الظمينة التي كانت معه ؟
قالت المرأة : ربيعة بنت جندل ، وأنا هي ؛ فخبسه القوم ، وأمروا أنفسهم ، وقالوا :
لا ينبغي أن تكفر نعمة دُرَيْدِ عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا
المخارق الذي أسره ، فانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزى دريداً عن ربيعة نعمةً وكل فتى يُجزى بما كان قدماً
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه وإن كان شراً كان شراً مذمماً
سنجزيه نعمةً لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمح السديد القوماً
فقد أدركت كفاهُ فينا جزاءه وأهلُ بأن يُجزى الذي كان أنما
فلا تكفروه حقَّ نعماء فيكم ولا تركبوا هلك الذي ملأ الفها
فإن كان حياً لم يضق بشوابه ذراعاً غنياً كان أو كان معدماً
ففسكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلماً

فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته ربيعة وجهزته ، ولحق بقومه
ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك .

(٢) يوم بُرْزة*

لما قَتَلَتْ بنو سُليمان ربيعة بن مكدّم فارس كنانة (يوم الكديد) رجعوا وأقاموا ماشاء الله؛ ثم إن مالك بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد - وكان بنو سليم قد أمروه عليهم - بداه أن يَقْرُو بنى كِنانة ، فأغار على بنى فراس بِرُزّة^(١) ، ورئيسُ بنى فراس يومئذ عبد الله بن جذل .

ولما التقى الجمعان دعا عبدُ الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر ، فقال له عبدُ الله : من أنت ؟ فقال : أنا هندُ بن خالد بن صخر ، فقال عبدُ الله : أخوك أسنُّ منك - يريد مالكا - فرجع وأحضر أخاه ، فبرز عبدُ الله ، وجعل يرتجز ويقول :

اقتربوا قِرْفَ القَمْعِ^(٢) إني إذا الموتُ كَنَعِ^(٣)

لا أتوقى بالجزع

وشدّ على مالكٍ قفتله . فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر، فشدّ عليه عبدُ الله قفتله أيضا ، فخرج إليه أخوهما عمرو بن خالد ، فتخالفا طَمَنَتَيْنِ ، فخرج كلُّ واحد منهما صاحبه ، وتماجزا .

* يوم برزة لبني فراس (من كنانة) على بني سليم ، وبرزة : موضع ، وقد اتصل به يوم الفياء ، وهو لبني سليم على بني فراس ، وأصل الفياء : المفازة لآماء فيها وأطلقت على موضع .

العقد الفريد ص ٣٢٦ ج ٣ ، معجم البلدان - بزر .

(١) برزة : ضبطه صاحب معجم البلدان (بالضم) وقال : إنه رآه (بالفتح) بخط بعض الأدباء . وقال : إنه موضع به وقعة تدكر في أيام العرب (٢) القرف في الأصل : الوسخ الذي ينتج عن اللبن ، والقمع : ما يوضع في لم السقاء والرزق ، وكأنه يقول : أنتم كذلك في الوسخ (٣) كنع : دنا .

فقال عبد الله :

تَجَنَّبْتُ هُنْدًا رَغْبَةً عَنْ قِتَالِهِ
فَأَنْفَقْتُهُ بِالرَّمْحِ حِينَ طَمَعْتُهُ
وَأَتْنِي لِكُرْزٍ فِي النَّبَارِ بَطْعَنَةً
قَتَلْنَا سُلَيْمًا غَتَهَا وَسَمِيهَا
فَإِنْ تَكِ نِسْوَانِي بَكِينَ فَقَدْ بَكَتِ
كَأَنَّ قَدْ بَكَتِ أُمَّ لِكُرْزٍ وَمَالِكِ

وقال :

قَتَلْنَا مَالِكًا فَبَكَوْا عَلَيْهِ
وَكُرْزًا قَدْ تَرَكَنَاهُ صَرِيحًا
فَإِنْ تَجْزَعُ لِدَاكِ بَنُو سُلَيْمٍ
فَصَبْرًا يَأْسِلِمُ كَمَا صَبَرْنَا
فَلَا تَبْعُدِ رَيْعَةَ مِنْ نَدِيمِ
وَكَمْ مِنْ غَارَةٍ وَرَعِيلِ خَيْلٍ^(٥)
وَهَلْ يُغْنِي مِنَ الْجَزَعِ الْبُكَاءُ
تَسِيلُ عَلَى تَرَائِبِهِ^(٤) الدَّمَاءُ
فَقَدْ وَأَيُّهُمْ غَلَبَ الْعِزَاءُ
وَمَا فِيكُمْ لَوَاحِدُنَا كِفَاءُ
أَخُو الْهَلَاكِ إِنْ ذُمَّ الشِّتَاءُ
تَدَارَكُهَا وَقَدْ تَحَمَّسَ اللَّقَاءُ

— ٢ —

ثم إن بني الشريد جرموا على أنفسهم النساء والدُّهن حتى يدركوا ثأرهم من
بني كنانة ، فَأَتَارَ^(٦) عمرو بن خالد بن صخر على بني فراس ، فقتل منهم نفرًا ؛
منهم حاصم بن المثلبي ، ونضلة ، والمبارك ، وعمرو بن مالك ، وحصن ، وشريح ، وسبي سبيًا
فيهم ابنة مكدم .

(١) أعشو : أقصد
إذا قدمت واحرت
(٢) السيف البانك : القاطع
(٣) يقال : قوس عاتكة ،
(٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) الرعيل : القطعة من الحيل
(٦) هذا هو يوم القياف .

فقال عباس بن مرداس في ذلك يردّ على ابن جندل كلمته التي قالها يوم برزة :
ألا أبلغنّ عنى ابنَ جندل ورهطه فكيف طلبناكم بكرزٍ ومالك
غداة فجعناكم بحصنٍ وبابنه وبابن الملقى عاصم والمبارك
ثمانية منهم ثارناهم به جميعاً وما كانوا بواءً^(١) بمالك
نديقكم - والموت بيني سرادقاً عليكم - شبا حدّ السيوف البوّاتك
تلوح بأيدينا كما لاح بارق تلالاً في داجٍ من الليل حالك
صبحناكم لموجٍ العناجيج^(٢) بالضحى تمرُّ بنا مرّ الرياح السواهِك^(٣)
إذا خرجت من هبوة^(٤) بعد هبوة سمّت نحو ملتفّ من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلت بمالك عمراً وحصناً وخليت القتام على الحدود
وكرزاً قد أبأتُ به شريحاً على إثر الفوارس بالكديد
جزيناكم بما انتهكوا وزدنا عليه ما وجدنا من مزيد

(١) البواء : الكفة
العناجيج في الإبل أيضا
الغبرة .

(٢) العناجيج جمع عنجوج : الرائع من الخيل ، وقد استعملوا
(٣) ريج ساهك : عاصف شديدة المرور
(٤) الهبوة :

(٣) حروب الفجار*

أيام الفجار الأول

اليوم الأول

كان بَدْرُ بن معشر الفجاري^(١) رجلاً منيعاً مستطيلاً بِمَنَعَتِهِ عَلَى مَنْ وَرَدَ عُكَاظَ . وَفِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ بُعِكَازُ اتَّخَذَ مَجْلِسًا بِهَا ، وَقَمَدَ فِيهِ ، وَجَمَلَ يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ وَيَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرَكَةَ بْنِ خِنْدِفٍ^(٢) مَنْ يَطْمَعُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُفْطِرُ^(٣) كَأَنَّهُمْ لُجَّةُ بَحْرِ مُسَدِفٍ^(٤)

ثُمَّ مَدَّ رِجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَفَن زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا بِالسَّيْفِ !
فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَصْرٍ^(٥) بِنَ مَعَاوِيَةَ ، فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رِكْبَتِهِ فَأَنْدَرَهَا^(٦) ،

* بين كنانة وقيس ، سميت الفجار ؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وهي المشهور التي يحرمونها ففجروا فيها ، وهي فجانان ؛ الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين ، وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم يوم عكاظ مع أعمامة وكان يناولهم النبل ، وانتهت سنة ٥٨٩ م

ابن الأثير ص ٣٥٩ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٨ ج ٣ ، تاريخ العرب في الجاهلية لجورجي زيدان ص ٢٤١ ، الأغاني ص ٧٤ ج ١٩ ، سرخ العيون ص ٥٨ ، شواعر العرب ص ٦١
(١) ينتهي نسبه إلى عبد مناه بن كنانة (٢) خندف : زوج إلياس بن مضر ، وإليها نسب أولاد إلياس جميعا (٣) قال في اللسان : الضطريف والظنارف : السيد المريف السخي الكثير الخير ، وأنشد :

* ومن يكونوا قومه تنطرقا *

(٤) مسدف : مظلم (٥) اسمه الأحمر بن مازن (٦) أندرها : قطعها .

ثم قال : خذها إليك أيها المخنف - وهو ماسك سيفه - ثم قام رجل من
هوازن فقال :

أنا ابن همدان ذو التغطرفِ بجر ببحور زاخر لم يُنزَفِ

نحن ضربنا رُكبة المخنفِ إذ مدّها في أشهر المرِّفِ (١)

قال أبو عبيدة: فتجاوز الحيان عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهما الدماء، ثم
تراجموا وأوا أن الخطب يسير.

اليوم الثاني *

قالوا: إن شباباً من قريش وكنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا المرأة من بنى عامر وضيئة حسانة^(١) بسوق عسكاظ جالسة ، وهي فضل^(٢) عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شبابٌ من العرب وهي يتحدثهم .

فجاء الشباب من قريش وكنانة ، وأطافوا بها وسألوها أن تسفر ، فأبت ، فقام أحدهم فجلس خلفها وحل طرف رداءها ، وشدّه إلى فوق حُجِزَها^(٣) بشوكة - وهي لا تعلم - فلما قامت انكشف درعها^(٤) عن ظهرها ؛ فضحكوا وقالوا : منمتنا النظر إلى وجهك ، وجُدت لنا بالنظر إلى ظهرك .

فنادت: يا ل عامر ! فساروا وحملوا السلاح ، وحماته كنانة ، واقتتلوا ، ووقعت بينهم دماء يسيرة ، فتوسط حرب بن أمية ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بنى عامر من مثلة صاحبهم .

* بين قريش وكنانة وقيس ، وانتهى بصلح توسط فيه حرب بن أمية

(١) الحسانة : المرأة الحسنة (٢) يقال امرأة فضل : في ثوب واحد (٣) الحجزة : معقد الإزار من السراويل (٤) الدرع : الفقيص .

* اليوم الثالث *

كان لرجل من بني جُشم بن بكر بن هوازن دَيْنٌ على رجل من كِنانة ، فَلَوَّاهُ به (١) ،
وطال اقتضاؤه إياه ، فلم يُعطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجسمي في سوق عُكاظ بِقِرْدٍ
وجمل ينادى : مَنْ يبيعي مثل هذا الرُّبَّاح (٢) بمالي على فلان بن فلان الكِناني !
من يمطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكِناني ! رافعاً صوته بذلك ؛ فلما طال
ندأؤه بذلك ، وتميرُهُ به كِنانة مرَّ به رجلٌ منهم ؛ فضرب القِرْدَ بسيفه فقتله ،
فهِتَفَ الجسمي : يا آل هوازن ! وهتف الكِناني : يا آل كِنانة ! فَتَجَمَّعَ الحَيَّانُ
حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا وقالوا : أئى رُبَّاحٍ تُرىقون دماءكم ،
وتقتلون أنفسكم ! وأصلح عبد الله بن جُدعان بينهما .

* بين كِنانة وقيس ، وتحاجز الحَيَّان ، وأصلح بينهما عبد الله بن جُدعان .

(١) لَوَّاهُ : ماطله . (٢) الرُّبَّاح : القِرْد .

أيام الفجار الثاني

١ - يوم نخلة*

كان البرّاض^(١) بن قيس الكنانى سكيراً فاسقاً ، خلعه قومُه وتبرّوا منه ، فشرب في بنى الدّيل^(٢) فخلّموه ، فأتى مكة وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أمية ، فحالفه وأحسن جواره ، وشرب بمكة حتى همّ حرب أن يخلّمه ، فقال لحرب : إنه لم يبقَ أحدٌ ممن يعرفنى إلا خلّعنى سواك ، وإنك إن خلّعتنى لم ينظرُ إلىّ أحدٌ بعدك ، فدعنى على حلفك وأنا خارج عنك ؛ وتركه وخرج .

وكان النّعمان بن المنذر قد بعث إلى سوق عكاظ إذ ذاك بلطيمة^(٣) يُجيزها له سيّد مضر ، فتباع ويشتري له بشمها الأدم والحريز والوركاء^(٤) والبرود من العصب^(٥) والوشى والسيّر^(٦) والمدنى .

وكانت سوق عكاظ في أول ذى القعدة ، فلا تزال قائمة^(٧) يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج .

* لقيس عيلان على كنانة وقريش ، ونخلة : موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم

(١) كان يضرب المثل بفتكه ، فيقال : أفنك من البراض ، قال بعضهم :

واللقى من تعرفته الليالى فهو فيها كالحية النضناض

كل يوم له بصرف الليالى فتكة مثل فتكة البراض

(٢) بنى الديل : حى من عبد قيس اللطيمة : العير التى تحمل الطيب وبز التجار

(٤) الوركاء : رباط القرية وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه (٥) العصب من الثياب :

اليامية (٦) المسير : نوع من البرود فيها خطوط تعمل من الفر (٧) كان قيامها فيما

بين النخلة والطائف ، وبها نخل وأموال لثقيف .

وجَهَّزَ النَّمَانَ لَطِيمَةً لَهُ وَقَالَ : مَنْ يُجِيزُهَا ؟ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : أَنَا أُجِيزُهَا عَلَى بَنِي كِنَانَةَ (١) . فَقَالَ النَّمَانُ : إِنَّمَا أُرِيدُ رَجُلًا يُجِيزُهَا عَلَى أَهْلِ نَجْدٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ (٢) الرَّحَالُ - وَهُوَ يَوْمئِذٍ رَجُلٌ هَوَازِنٌ - أَكَلَبُ خَلِيعٍ يُجِيزُهَا لَكَ ؟ أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَنَا أُجِيزُهَا لَكَ عَلَى أَهْلِ الشَّيْحِ وَالْقَيْصُومِ (٣) فِي أَهْلِ نَجْدٍ وَتَهَامَةَ !

فَقَالَ لَهُ الْبَرَّاضُ : أَعَلَى بَنِي كِنَانَةَ تَجِيزُهَا يَا عُرْوَةُ ؟ فَقَالَ عُرْوَةُ : وَعَلَى النَّاسِ جَمِيعًا ! فَدَفَعَهَا النَّمَانُ إِلَى عُرْوَةَ ، وَخَرَجَ بِهَا ، وَتَبِعَهُ الْبَرَّاضُ ، وَعُرْوَةُ يَرَى مَكَانَهُ وَلَا يُخَشِّاهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : أَوَارَةُ (٤) نَزَلَ عُرْوَةُ وَشَرِبَ مِنَ الْحَمْرِ ، وَغَنَمَتْهُ قَيْنَةٌ ، ثُمَّ قَامَ فَنَامَ .

فَجَاءَ الْبَرَّاضُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَتَأَشَّدَهُ عُرْوَةُ وَقَالَ : « كَانَتْ مَنَى زَلَّةً ، وَكَانَتْ الْفَعْلَةَ مَنَى ضَلَّةً » ، وَلَكِنَّ الْبَرَّاضَ قَتَلَهُ (٥) ، وَهَرَبَ عَضَارِيطُ (٦) الْإِبِلِ ، وَاسْتَنَاقَ الْبَرَّاضُ اللَّطِيمَةَ إِلَى خَيْبَرَ .

(١) يَرِيدُ أَهْلَ الْحِجَازِ (٢) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى جَعْفَرٍ فَيُقَالُ الْجَعْفَرِيُّونَ ، وَكَانَ يَعْرِفُ بِعُرْوَةَ الرَّحَالِ - لِرِحْلَتِهِ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَكَانَ مِنْ ذَوَى الْعَقْلِ وَالتَّهَامَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (٣) الشَّيْحُ وَالْقَيْصُومُ : نَبْتَانِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنَّهُ يُجِيزُهَا عَلَى الْعَرَبِ جَمِيعًا (٤) أَوَارَةُ : مَاءٌ لِبَنِي تَمِيمٍ (٥) وَقَدْ ارْتَجَزَ الْبَرَّاضُ فِي قَتْلِ عُرْوَةَ :

قَدْ كَانَتْ الْفَعْلَةَ مَنَى ضَلَّةً هَلَا عَلَى غَيْرِي جَعَلْتَ الزَّلَّةَ
فَسَوْفَ أَعْلُو بِالْحَسَامِ الْقَلَّةَ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَدَاهِيَةَ يَهَالِ النَّاسِ مِنْهَا شَدَدَتْ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي
هَتَكَتْ بِهَا بِيُوتَ بَنِي كَلَابٍ وَأَرْضَعْتَ الْمَوَالِيَ بِالرُّضُوعِ
جَمَعْتَ لَهَا يَدِي بِنَصْلِ سَيْفٍ أَفْلَ نَفْرِ كَالْجَنْدِ الصَّرِيعِ

سَيْفٌ أَفْلٌ : ذُو فُلُولٍ .

وَقَالَ :

وَكُنْتُ قَدِيمًا لَا أَقْرُ فَخَارًا نَقَمْتُ عَلَى الْمَرْءِ الْكَلَابِيَّ فَخَرَهُ
فَأَسْمَعُ أَهْلَ الْوَادِيَيْنِ خَوَارًا عَلَوْتُ بِحَدِّ السَّيْفِ مَفْرُقَ رَأْسِهِ
(٦) الْعَضَارِيطُ : الْحَدْمُ الْقَائِمُونَ عَلَى الْإِبِلِ .

وتبعه رجلان من قيس ليأخذه؛ أحدهما من غني، والآخر من غطفان، ولما
وصلا إلى خيبر كان البرّاض أول من لقيهما، فقال لهما: من الرجلان؟ قالا: من
قيس؛ واحد منا من غطفان، والآخر من غني؛ فقال البرّاض: وما شأن غطفان
وغني بهذه البلدة؟ قالا: ومن أنت؟ فقال: من أهل خيبر، قالا: ألك علم
بالبرّاض بن قيس؟ فقال: دخل علينا طريداً خليماً فلم يؤوه أحدٌ من خيبر، ولا
أدخله بيتاً. قالا: فأين يكون؟ فقال: وهل لكما به طاقة إن دلتكما عليه؟
قالا: نعم. قال: فانزلاً واعتقلا راحلتكما، ففعلا.

ثم قال: فأيكما أجرأ عليه وأمضى مقدماً، وأحد سيفاً؟ فقال الغطفاني: أنا!
قال البرّاض: فانطلق أدلك عليه، ويحفظ صاحبك راحلتكما، ففعل.
وانطلق البرّاض يمشى بين يدي الغطفاني حتى انتهى إلى خربة في جانب خيبر،
خارجة عن البيوت.

فقال البرّاض: هو في هذه الخربة وإليها أوى، فأنظرفي حتى أنظر أهو فيها
أم لا؟ فوقف له ودخل البرّاض، ثم خرج إليه وقال: هو نائمٌ في البيت خلف
الجدار عن يمينك إذا دخلت؟ فهل عندك سيفٌ فيه صرامة؟ قال: نعم، قال:
هات سيفك أنظر إليه أصرام هو؟ فأعطاه إياه، فهزّه البرّاض ثم ضربه به حتى
قتله، ووضع السيف خلف الباب.

وأقبل على الغنوي فقال له^(١): ما وراءك؟ قال: لم أر أجبن من صاحبك؛
تركته قائماً في الباب الذي فيه الرجل، والرجل نائمٌ، لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه.
فقال الغنوي: بالهفاه! لو كان أحدٌ ينظر راحلتنا؟ فقال البرّاض: هاعلى! إن ذهبنا.
وانطلق الغنوي والبرّاض خلفه، حتى إذا جاوز الغنوي باب الخربة أخذ البرّاض
السيف من خلف الباب، ثم ضربه حتى قتله، وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما وانطلق.

(١) أي للبرّاض.

ولقى البراءُ بشرَ بنَ أبي خازم فقال له : هذه القلائص^(١) لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاما والوليد ابني المغيرة فتخبرهم أن البراءُ قتل عروة ، فإني أخاف إن يسبق الخبرُ إلى قيس^(٢) أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيمًا . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنتَ ذلك القليل . قال : إن هوازن لا ترضى أن تقتلَ بسيدها رجلا خليعا مثلي .

وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان^(٣) حتى حتى يفرغوا من أسواقهم وحجَّهم ، ثم يردُّها عليهم إذا ظنوا - وكان سيِّدا حكيما متريِّبا من المال - فجاء القومُ وأخبروه خبرَ البراءُ وقتله عروة ، وأخبروا حربَ ابن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة .

وجاء حربٌ إلى عبد الله بن جُدعان فقال له : احتبس قبلك سلاحَ هوازن . فقال له ابن جُدعان : أبا العَدْرُ تأمرني يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربتُ به ، ولا رمح إلا طعنتُ به ما أمسكتُ منها شيئا ؛ ولكن لكم فائدة دِرْع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها . ثم صاح ابنُ جُدعان في الناس : مَنْ كان له قِبلُ سلاحٍ ، فليأت ليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جُدعان وحربُ بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء زعيم هوازن : إنه قد حدث في قومنا بحكمة حدِّث أئانا خبره ، وقد خفنا تفاقمَ الأمر ، فلا تنكروا خروجنا ولا يرد عنكم تحمُّلنا . وساروا على كل صعب ودلُّول راجعين إلى مكة .

(١) القلائص : جمع قلوص ، وهي الشابة من الإبل (٢) قيس : قوم عروة وهو ينتهي إلى عامر فهوازن قيس عيلان (٣) كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، وربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم طعامه .

فلما كان آخر النهار أتى عامر بن مالك مُلأعِبَ الأَسِنَّةَ الخَبْرُ ، فقال : غَدَرَتِ قريش ، وخذعني حرب بن أمية ، والله لا تنزل كنانةُ عكاظَ أبداً ، ثم ركبوا في إثرهم حتى أدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنَّ عليهم الليل ؛ فكفوا .

ونادى أحد بني عامر^(١) : يامعشر قريش ؛ ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بمُكاظ .

(١) اسمه الأدرم بن شعيب .

٢ - يوم شَمْطَةَ*

تجمعت قريش وكنانة بأسرها والأحابيش^(١) ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمعة ؛ وسلح يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي^(٢) بأداة كاملة ، سوى من سلح من قومه ، وجمت سليم وهوازن^(٣) جموعها وأخلافها غير كلاب وبني كعب^(٤) ؛ فإنهما لم يشهدا يوماً من أيام الفجار غير يوم نَحْطَةَ .

فاجتمعوا بشَمْطَةَ من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها على قرْن الحَوْل ؛ وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها ، وكذلك على قبائل هوازن وسليم ؛ غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية . وعلى إحدى مُجَنَّبَتَيْهَا^(٥) عبد الله بن جدعان وعلى الأخرى هشام بن الغيرة ، وأمر هوازن وسليم كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي . وتناهض الناس ، وزحف بمضهم إلى بعض ؛ فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن ؛ حتى إذا كان آخر النهار نداعت هوازن ، وصارت ، وانقضت كنانة ، واستحرج^(٦) القتل في قريش ، ولما رأى ذلك أبو مساحق بلعاء بن قيس

* لقيس على كنانة وقريش ، وشَمْطَةَ : موضع قريب من عكاظ

(١) الأحابيش : يسمون أحابيش قريش ، وسموا كذلك لأنهم تحالفوا بالله أنهم ليد على غيرهم ، مسجاليل وما وضع نهار ، ومارسا حبشي (جبل بأسفل مكة) (٢) الكمي : الشجاع

(٣) كان علي بن عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، وعلي بن نصر وسعد وثيف سبيع بن ربيع . وعلي بن جشم الصمة (والد دريد) وعلي غطفان عوف بن أبي حارثة . وعلي بن سليم عباس بن زغل . وعلي فهم وعدوان كدام بن عمرو ، وجميعهم من قيس عيلان (٤) كعب وكلات :

حيان في بني عامر (٥) الحنجة اليمنى : هي ميمنة العسكر ، والحنجة اليسرى : هي الميسرة ، وما مجنبتان بكسر النون ، وقيل : هي الكنتية التي تأخذ إحدى ناحيتي الطريق ، قال في اللسان :

والأول أصح (٦) استحرج : اشتد .

قال لقومه : الحقوا برحِم^(١) ؛ ففعلوا وانهزم الناس ، وفي ذلك يقول خِداش^(٢)
ابن زهير :

ألا أبلغ إن عرضت به هشاماً	وعبد الله أبلغ والوليداً
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ	فإن لديهم حسباً وجوداً
هم خيرُ العاشر من قريش	وأوراها إذا قدحت زنوداً
بأنا يوم شمطة قد أقمنا	عمود المجد إن له عموداً
جلينا الخيل ساهمة إليهم	عوايس يد رغن النقع قوداً ^(٣)
فيتنا نعقد السيام ^(٤) وياتوا	وقلنا صبجوا الأانس ^(٥) الجددا
فجاءوا عارضاً برداً وجثنا	كما أضرمت في الغاب الوقوداً ^(٦)
ونادوا بالمير ولا تفرؤا	فقلنا لا فرار ولا صدوداً ^(٧)
فما ركنا الكمة ^(٨) وطاركونا	عراك النمر عاركت الأسودا
فولوا نضرب المهامات منهم	بما انتهمكوا المحارم والحدودا

(١) رخم : موضع قريب من مكة (٢) هو خداس بن زهير بن عمرو ، من عامر بن
صمصمة (٣) قود : جمع أقود ، وهي الخيل السلسلة القيادة . والنقع : الفبار الساطع . والخيل
الساهمة : التي تتغير ألوانها مما بها من الشده ، ومنه قول عنترة :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما يسقى فوارسها تقيع الخنظل

(٤) السيام : العلامات (٥) الأانس : الحى القيمون (٦) العارض : السحاب ، والبرد : المطر ،
كأنهم أمطروا سهاماً (٧) لاصدودا : لا يصدم أحد (٨) الكمة : جمع كمي وهو الشجاع .

٣ — يوم العَبْلَاءِ*

عادت هَوَازَنُ وكنانة إلى الحرب ، والتقوا على قرن الحَوْلِ في اليوم الثالث من أيام عُكَاظ ، واقتتلوا وكانت الهزيمةُ على كِنانة^(١) ، فقال خِدَاشُ بنُ زهير :
ألم يبلنك بالعبلاء أنا ضربنا خندفا حتى استقادوا
نبني بالمنازل عزّ قيس وودّوا لو تسيخُ بنا البلاد
وقال أيضا :

ألم يبلنك ما قالت قريش وحيّ بني كنانة إذ أُثيروا
دهنهم بأرعن مكفهر فظلّ لنا بمقوتهم زئير^(٢)
نقوم مَارِنِ الخَطَى فيهم يجيء على أسنتنا الخريزُ

* لقيس على كنانة وقريش ، والعبلاء : علم على صخرة بيضاء إلى جنب عكاظ
(١) وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) ، قتله مرة بن معتب الثقفي
وفي ذلك يقول رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا تتناب الطير لهما بين أحجار
(٢) الأرعن : الأنف العظيم من الجبل ، وشبه به الجيش ، يقال : جيش أرعن ، أي له فضول
كرعان الجبل ، والمكفهر : السحاب الغليظ السود الراكب بعضه بعضا ، شبه به الجيش ، والعقوة :
الساحة والحلّة .

٤ — يوم عُكَاظ*

التقت كِنانةُ قَيْسُ على رأسِ الحولِ منَ اليومِ الرابعِ منَ أيامِ عُكَاظِ ، وقد جمع بعضهم لبعض ، واحتشد الرؤساءُ بهم (١) ؛ وحملَ عبدُ اللهِ بنُ جدعانِ يومئذُ ألفَ رجلٍ منَ بني كِنانةِ على ألفِ بَعرٍ ، وخشيت قريشُ أن يجرىَ عليها ما جرى يومَ القَبلاءِ ، فقيدَ حربَ وسفيانَ وأبو سفيانَ (٢) بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرحَ حتى نموتَ مكاننا ، أو نظفر !

واقْتتل الناسُ يومئذُ قتالا شديداً ، وثبتَ الفريقانِ حتى هَمَّتْ بنو بكرٍ بن عبدمناهٍ وسائرُ بطونِ كِنانةِ بالهَرَبِ ، وكانت بنو مخزومٍ تَلِي كِنانةَ فحافظت حفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذُ بنو المغيرة ؛ فإنهم صبروا وأبْلَوْا بلاءً حسناً ؛ فلما رأت ذلك بنو عبدمناهِ بن كِنانةِ تَدَامَرُوا (٣) فرجعوا ، وحملت قريشُ وكِنانةُ على قيسِ من كلِّ وَجْهٍ حتى انهزمت .

* لِكِنانةِ وقريشِ على هوازن

- (١) لما خرجت قريش للموعد ، كان على كل بطن رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاخوته أبو طالب وحزرة والعباس ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى بني عبد المبارك عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد خويلد ابن أسد ، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة (والد أبو جهل) ، وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان ، وعلى بني جمح عمر بن خبيب ، وعلى بني سهم العاص بن وائل ، وعلى بني عدى زيد بن عمرو ، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة) ، وعلى بني بكر بن عبد مناه بلعاء بن قيس ، وعلى بني أسد بشر بن أبي خازم ، وعلى بني فراس بن غم عمير بن قيس (٢) في ابن الأثير : أبو العاص (٣) تَدَامَرُوا : تلاوموا على ترك الفرصة . وقد تكون بمعنى تخاصوا على القتال .

ولما رأى أبو السيد النصرى (١) ما تصنع كِنانةً من القتل نادى : يامعشر بنى كِنانة ؛ أسرفتم في القتل . فقال ابن جُعدان : إنا معشر يُسْرِف . ولما رأى سبيع بن ربيع هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال : يامعشر بنى نصر ؛ قاتلوا عني أو ذرُّوا ؛ فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان (٢) ، وانهزم باقي قبائل قيس ، وقاتل هؤلاء ولكنهم لم يفتنوا شيئاً .

وكان مسعود بن معتب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناه خِباء ، وقال لها : مَنْ دَخَلَهُ من قریش فهو آمن ، فجعلت توصل في خبائها ليتسع ؛ فقال لها : لا يتجاوزني خبائك ، فإني لا أمضي إلا من أحاط به الخِباء . فأحفظها ، فقالت : أما والله إني لأظنُّ أنك ستودُّ أن لو زدت في توسعته .

فلما انهزمت قيس دخلوا خبائها مستجيرين بها ؛ فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها : ياعمة ؛ من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فقبل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المشل ، فتغضب قيس (٣) .



وفي هذا اليوم قال ضرار بن الخطاب الفهري :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يُبَيِّتِ الأمرَ كالتحابر
غداة عكاظ إذ استكملت هوازن في كفها الحاضر

(١) من قيس ، وهو عم مالك بن عوف (٢) قبائل في قيس (٣) كان مسعود بن معتب قد أخرج معه يومئذ بنيه : عروة ولوحة ونويرة والأسود ، فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليحبروهم فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

وجاءت سليم تهزُّ القنا على كل سلهبة^(١) ضامر
وجئنا إليهم على المضمرات بأرعن ذي لَجَبٍ زَاخِر^(٢)
فلمَّا التقينا أَدَقْنَاهُمْ طِيعَانَا بِسُمْرِ الْقِنَا^(٣) العائِرِ
ففرَّتْ سليم ولم يصبروا وطارت شِمْعَا^(٤) بنو عامر
وفرت ثقيف إلى لَآئِهَا^(٥) بمنقلب الخائب الخامر
وقالت المنس^(٦) شطر الهما رشم تولت مع الصادر

(١) السلهبة : الفرس الجسيمة ، والضاامر : الفرس الدقيق الحماجين (٢) الأرعن : الجيش ، واللجب : الصياح (٣) السهم العائِر : الذي لا يدري من أين يأتي (٤) شِمْعَا : متفرقين (٥) اللات : صنم (٦) المنس : قبيلة .

٥ — يوم الحريّة*

ثم جَمَعَ هؤلاء وأولئك ، والتقوا على رأس الحول بالحريّة ، والرؤساء بمحلم
إلا بلعاء بن قيس فإنه قد مات ، فصار أخوه جُثامة بن قيس مكانه على عشيرته ،
واقْتتلوا ؛ فانهزمت كنانة .

ثم كان الرجلُ بعد ذلك يَلْقَى الرجلَ ، والرجلان يلقيان الرجلين ؛ فيقتل
بعضهم بعضاً .

ثم تداعروا إلى الصلح على أن يعدّوا القتلى ، فأبى الفريقين فضل له قتلى أخذ
ديتهم من الفريق الآخر ، فتعادوا القتلى فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد أفضلوا على
قيس عشرين رجلاً .

فرهن حرب بن أمية ابنة أبا سفيان، ورهن الحارث بن كلدة العبدي ابنة النضر،
ورهن سفيان بن عوف ابنة الحارث . ولما رأت قيس رهائن قريش بأيديهم رغبوا
في العفو فأطلقوهم ، وانصرف الناس بعضهم عن بعض ، ووضعوا الحرب .

وفي تلك الوقعة قال خدّاش بن زهير :

لقد بلوكمُ فأبلوكم بلاءهمُ يوم الحريّة ضرباً غير تكذيب
إن توعدونى فإنى لأبئن عمكمُ وقد أصابوكمُ منه بشوئوبِ
وإنّ ورقاء قد أودى أبا كنفِ وابنى إياس وعمرا وابن أيوب
وإنّ عثمان قد أودى ثمانيةً منكم وأنتم على خبيرٍ وتجريب

(*) لقيس على كنانة وقريش ، والحريّة موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة .

وقالت أميمة بنت أمية بن عبد شمس ترى أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل

من قوما :

أَبِي لَيْلِكَ لَا يَذْهَبُ وَرَيْطُ الطَّرْفِ بِالْكَوْكَبِ^(١)
وَنَجْمٌ دُونَهُ النَّسْرَانُ بَيْنَ الدَّلُوِّ وَالْمَغْرِبِ^(٢)
وَهَذَا الصُّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ
يُفْقِرُ عَشِيرَةٌ مَنَّا كَرَامِ الْحَيْمِ وَالنَّصَبِ^(٣)
أَحْمَالُ^(٤) عَلَيْهِمْ دَهْرٌ حَدِيدُ النَّابِ وَالْمَخْلَبِ
فَلَّ بِهِ وَقَدْ أَمِنُوا وَلَمْ يُقْصَرْ وَلَمْ يُشْطَبْ^(٥)
وَمَا عَنْهُ إِذَا مَا حَلَّ مِ مِنْ مَنجَى وَلَا مَهْرَبُ
أَلَا يَاعِينُ فَايَكِيهِمْ بِدَمْعِ مَنَّاكَ مُسْتَغْرِبِ^(٦)
فَإِنْ أَبْكَى فَهَمْ عَزَى وَهُمْ رَكْنِي وَهُمْ مَنَكِبِ^(٧)
وَهُمْ أَصْلِي وَهُمْ فَرَعِي وَهُمْ نَسْبِي إِذَا أُنْسَبُ
وَهُمْ مَجْدِي وَهُمْ شَرَفِي وَهُمْ حِصْنِي إِذَا أُرْهَبُ
وَهُمْ رُمْحِي وَهُمْ تَرْسِي وَهُمْ سَيْفِي إِذَا أُغْضَبُ
فَكَمْ مِنْ قَاتِلٍ مِنْهُمْ إِذَا مَا قَالَ لَمْ يَكْذَبُ

(١) تريد أن ليها قد طال لفرط حزنها على القتلى
والنسران ما : النجم الطائر والنجم الواقع وما اسمان لنجمين ، وهي تزعم أن النجم لا يبرح مكانه
كناية عن طول الليل (٢) التقدير : أبكى لعمر ، والحيم : الطباع (٤) أحال عليهم :
اتابهم (٥) أقصره : كفه . وشطبه : قطعه ؛ تقول أصابهم الدهر بضرباته حين كانوا
يؤمنون منها فلم يدهفها عنهم دافع (٦) استغوب الدمع : سال (٧) تريد أنهم فخرى
وسندى .

وكم من ناطقٍ فيهم خطيب مصفغ مُعَرَّبٌ (١)
وكم من فارسٍ فيهم كميّ معلّمٌ محَرَّبٌ (٢)
وكم من مدرّءٍ فيهم أريبٍ حوّلٍ قلبٌ (٣)
وكم من جحفلٍ فيهم عظيم النَّارِ وَالْمَوْكِبِ (٤)
وكم من خضرمٍ فيهم نجيبٍ ماجدٍ مُنَجَّبِ (٥)



وقالت فاطمة (٦) بنت الأحجم ترثي الجراح (٧) زوجها :

يا عين بكى عند كل صباح (٨) جودي بأربعة (٩) على الجراح
قد كنت لي جبّلا ألوذُ بظله فتركتني أضحى بأجرَد ضاح (١٠)
قد كنت ذات حمية ما عشت لي أمشي البرازَ وكنت أنت جناحي (١١)
فاليوم أخضع للذليل وأتقى منه وأدفع ظلمي بالراح (١٢)

(١) العرب : الفصيح ، المعلم : الفارس الذي يجعل نفسه علامة الشجعان في الحرب . والحرب : الكثير الحروب (٢) الكمي : الشجاع ، والمعلم : الفارس الذي يجعل نفسه علامة والأريب : الماهر الخادق ، والحوّل : الشديد الاحتيال (٣) المدره : السيد المتولى أمر قومه ، والجحفل : الجيش الكبير ، والموكب : الجماعة (٤) الخضرم : السيد الجواد (٥) أمها خالدة بنت هاشم بن عبدمناف نبغت في أواخر القرن السادس للمسيح (٦) حتى أن فاطمة الزهراء كانت تتمثل بهذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٧) اختصت الصباح لأنه كان وقت نكاته بأعدائه (٨) لعلها تريد الوقين والحاظين (٩) قال في التبريزي عند شرح هذا البيت : الأجرد : الأملس والضحى : البارز للشمس ، أى انكشفت بعد أن كنت في ستر (١٠) يقال : فلان حمى الأنف ، أى لا يحتمل الضم ، والبراز : القضاء ، وهى تريد أن حياتك كانت تشد أزرى (١١) تريد أنه لا ناصر لها ، ولا سلاح عندها تدفع به عن نفسها من يظلمها ، وتكفى برد من يظلمها بدفعه بالراح (١٢)

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي (١)
 وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجِنًا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنِ دَعْوَتِ صِبَاحِي (٢)
 أَمَسْتُ رِكَابَكَ يَا بَنَ لَيْلِي بَدَنًا صَنَفَيْنِ بَيْنَ مَوَاحِضٍ وَلِقَاحِي (٣)
 وَلَقَدْ تَظَلَّ الطَّيْرُ تَخَطَفُ جُنْحًا مِنْهَا لُحُومٌ غَوَارِبٍ وَصِفَاحٍ (٤)
 وَمَطْوُوحٌ قَفِرَ دَعْوَتُ نَمَامِهِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِضَمْرٍ أُطْلَاحٍ (٥)
 وَخَطِيبٌ قَوْمٍ قَدَمُوهُ أَمَامَهُمْ تَقَةً بِهِ مُتَخَمِّطٌ (٦) تِيَّاحٍ (٧)
 جَاوَبَتْ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا نَطَقَتْ مَمْلَحٌ بِمِلَاحٍ (٨)



(١) بان : بعد ؛ تقول : احتمل الظلم وأحتمل الضيم للملئ بأن قد ابتعدت أسنة الرماح التي كان يدافع بها الفرسان عنى (٢) قال التبريزي في شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه ! والمواخض : المقرب من النوق ، ونصب شجنا لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على الدعاء ، والشجن معناه : الحزن (٣) الركاب : الإبل لا مفرد لها من لفظها ، وليلى أمه ، والبدن : جمع بادن وهو عظيم البدن ، واللقاح : الإبل بأعيانها ، الواحدة لقوح ، وهى الحلوب ، تمدحه بسعة ثروته (٤) الجنح : جمع جناح ، أى مائل ، ومنها تعود لى الركاب ، والغوارب : جمع غارب وهو الكاهل ويستنام البعير والصفاح : جمع صفح وهو الجنب ، تريد : أنه يضحي لضيفه وللمحتاجين ضحايا ، ولكثرتها ينال منها الطيور (٥) المطوح : المفازة الواسعة يتيه بها السالك فيها ، والاطلاح : جمع طلع ، وهو المهزول كالضامر ، تقول لأنه يسلك فى الصحارى القفرة ويسير فيها غدوة قبل النعام ، لرباطة جأشه ، ويركب خيلا خفيفة قليلة اللحم ، أهزها بكثرة ركوبها (٦) المتخبط : التكبر (٧) التياح : من يتعرض للآلا يعنيه (٨) الملاح : جمع ملح ، تمدحه بالبالغة واللسن ، تقول فى البيتين : ربما أتاك خطيب مدره اختاره قومه ، واثقين بفصاحته ، وهو يعظم نفسه ، ويتعرض لأمرور ليست من شأنه ، فأخفته بجوابك له ، فكان أمامك كأنه تفه لا طعم له ، فلتحته بملاح ، أى عمل كلامك فيه فين قصه .

وقالت ترى إخوتها :

إخوتي لا تبعدوا أبداً وبلى والله قد بَعِدُوا^(١)
لو تملّتهم عشيرتهم^(٢) لاقتناء العزّ أو ولدوا
هان من بعض الرزية أو هان من بعض الذي أجد^(٣)
كل ما حى وإن أمروا واردوا الحوض الذي وردوا^(٤)

(١) لا تبعدوا : أى لا تهلكوا ، وهى فى ههنا البيت تنحسر وتتوجع (٢) تملّتهم : تمتعت بهم
تمتعت بهم (٣) هان : جواب لو ، والرزية : المصيبة ، ومعنى البيتين : لو تمتعت بهم عشيرتهم
زمناً طويلاً حتى حازت العز ، أو خلفوا أولاداً لحف بعض المصيبة ، أو بعض ما أجده من الحزن
(٤) ما : زائدة وأمروا : عمروا ، والضمير فيه يرجع إلى كل ، والمعنى كل الأحياء ، وإن عمروا
طويلاً لا بد أن يردوا الحوض الذى وردوه لإخوتي .

٨- أيام قيس وقيم

- ١- يوم زحر حان .
- ٢- « شمع جبلة .
- ٣- « ذى نجب .
- ٤- « الصرائم .
- ٥- « الرغام .
- ٦- « جزع ظلال .
- ٧- « المروت .

(١) يوم رَحْرَحان*

لما قتل الحارثُ بن ظالم المرِّي خالد بن جعفر الكلبي غدراً عند النعمان^(١) تشاءم قومه به ، ولاموه ، فكره أن يكون لهم عليه منة ، فهرب ونبت به البلاد . ثم لحق بتميم واستجار بهم فأجاروه ، وأبوا أن يسلموه أو يُخرجوه من عندهم ، وعل بهذا بنو عامر^(٢) ، فخرجوا إليه ، وفيهم كثيرٌ من وجوههم يزعمهم الأخص ابن جعفر الكلبي أخو خالد بن جعفر ؛ ولما صاروا بأدنى مياه بني دارم^(٣) رأوا امرأةً منهم تجني الكمأة^(٤) ، ومعها جمل لها ، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر ، فأخبرته بكان الحارث بن ظالم عند حاجب^(٥) بن زُرارة ، وما وعده من نصره ومنته .

فلما كان الليل نام ، وقامت المرأة إلى جملها فركبتهُ ، وسارت حتى صبحت بني دارم ، وقصدت سيدهم حاجب^(٦) بن زُرارة بن عدس ، فأخبرته الخبر ، وقالت : أخذني أمس قومٌ لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : أخبريني ، أي قوم هم ؟ قالت : قوم يُقبلون بوجوه الظباء ، ويُدبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر ، فصفيهم لي .

* لعامر على تميم ، ورحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ ، خلف عرفات
ابن الأثير ص ٣٤١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٠ ج ٣ ، النقااضي ص ٢١٤ ج ١ ، الأغاني ص ٣٠ ج ١٠ ، معجم البلدان (رحرحان) .
(١) ارجع إلى يوم بطن عاقل صفحة ٢٤٢ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : قوم خالد ابن جعفر الكلبي (٣) دارم : حي من تميم (٤) الكمأة : نبات (٥) هو حاجب ابن زُرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم (٦) رواية ابن الأثير أن هذا الحديث كان مع زُرارة ، وأسنده إلى حاجب صاحب الأغاني .

قالت : رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بحرقفة ، صغير العيين ، وعن أمره يصدرون . قال : ذاك الأحوص ، وهو سيّد القوم .

قالت : ورأيت رجلا قليل المنطق ، إذا تكلم اجتمع القوم كما يجتمع الإبل لفحلها ؛ أحسنُ الناسُ وجهاً ، ومعه ابنان له يلازمانه . قال : ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل .

قالت : ' ورأيت رجلا جسيما كأنّ لحيته مُعَصْفَرَةٌ ؛ قال : ذاك عوف بن الأحوص .

قالت : ورأيت رجلاً هلقاماً^(١) جسيماً ، قال : ذاك ربيعةُ بن عبد الله .

قالت : ورأيت رجلاً أخنس^(٢) قصيراً ، قال : هذا ربيعة بن قرط .

قالت : ورأيت رجلاً أقرن الحاجبين ، كثيرَ شعرِ السبلة^(٣) ، يسيل لعابه على

لحيته إذا تكلم . قال : ذاك جندج بن البكاء .

قالت : ورأيت رجلاً صغيرَ العيين ضيقَ الجهة ، يقود فرساً له ، معه جفير^(٤) له

لا يكاد يفارق يده ، قال : ذاك ربيعة بن كعب .

قالت : ورأيت رجلاً معه ابنان أصهبان ، إذا أقبلا رماهما الناسُ بأبصارهم ،

وإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصّعق بن عمرو بن خويلد ، وابناه يزيد وزرعة .

قالت : ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلا وهي أحدٌ من شفرة^(٥) ، قال : ذاك

عبد الله بن جمدة بن كعب . ثم أمرها حاجب فدخلت بيتها .

ودعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره بخبرِ القوم ، وقال : يابن ظالم ؛ هؤلاء

(١) الهلقام : الضخم الطويل (٢) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في

الأرنية (٣) السبلة : ما على الشارب من الشعر (٤) الجفير : الجعبة من الجلد

(٥) الشفرة : السكين العظيم أو جانب النصل .

بَنُو عَامِرٍ قَدْ أَتَوْكَ، فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ؟ قَالَ الْحَارِثُ: ذَاكَ إِلَيْكَ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَقْتُ
فَقَاتَلْتُ الْقَوْمَ وَإِنْ شِئْتَ تَنْحَيْتُ، قَالَ حَاجِبٌ: تَنْحَ عَنِّي غَيْرَ مَلُومٍ! فَغَضِبَ الْحَارِثُ
مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ:

لِعَمْرِي لَقَدْ جَاوَرْتُ فِي حَيٍّ وَائِلٍ وَمِنْ وَائِلٍ جَاوَرْتُ فِي حَيٍّ تَغْلِبُ
فَأَصْبَحْتَ فِي حَيِّ الْأَرَاقِمِ (١) لَمْ يَقُلْ لِي الْقَوْمُ يَا حَارِ بْنَ ظَالِمٍ أَذْهَبُ
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي إِذْ عَدَلْتُ إِلَيْكُمْ بَنِي عُدُسٍ (٢) ظَنِّي بِأَصْحَابٍ يَتَرَبَّبُ
غَدَاةً أَنَاهُمْ تُبَعُّ فِي جَنُودِهِ فَلَمْ يُسَلِّمُوا الرَّأَيْنَ مِنْ حَيٍّ يَحْضِبُ
فَإِنْ تَكُ فِي عَلِيَا هَوَازِنَ شَوْكَةً تُخَافُ فَفِيكُمْ حَدٌّ نَابٍ وَمُخَلَّبُ
وَإِنْ يُسَلِّمُ الْبَرَاءُ الزُّرَّارِي جَارَهُ فَأَعْجِبْ بِهَا مِنْ حَاجِبٍ ثُمَّ أَعْجِبْ
فَغَضِبَ حَاجِبٌ وَقَالَ:

لِعَمْرٍ أَيْكَ الْخَيْرِ يَا حَارِ إِنِّي لَأَمْنَعُ جَارًا مِنْ كَلِيبِ بْنِ وَائِلٍ
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْمَعْدَى أَنَّنَا عَلَى ذَاكَ كُنَّا فِي الْخَطُوبِ الْأَوَائِلِ
وَأَنَا إِذَا مَا خَافَ جَارٌ ظِلَامَةً لِبِسْنَا لَهُ ثَوْبِي وَفَاءً وَنَائِلِ
وَأَنْ تَيْمَأَ لَمْ تَحَارِبْ قَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَعْتَ بِالْكَوَاهِلِ
وَلَوْ حَارَبْتَنَا عَامِرُ يَا بِنَ ظَالِمٍ لَمَضَتْ عَلَيْنَا عَامِرٌ بِالْأَنْمَائِلِ
وَلَا سَتَيْقَنْتُ عَلِيَا هَوَازِنَ أَنَّنَا سَنُوطِئُهَا فِي دَارِهَا بِالْقَبَائِلِ
وَلَكِنِّي لَا أَبْتُ الْحَرْبَ ظَالِمًا وَلَوْ هَجَّئُهَا لَمْ أَنْفَ شَحْمَةَ آكِلِ

(١) الأرقام : حي من تغلب . (٢) عدس : جد حاجب .

فتفتحنى الحارث^(١) عن بنى تميم، ولحق بمروض اليمامة .

ثم أرسل حاجب إلى الرعاء يأمرهم بإحضار الإبل ففعلوا ، وأمرهم فحملوا
الأهل والأثقال وساروا نحو بلاد بنى بغيض، ولبث هو مع بعض القوم ينتظر بنى عامر
وأصبح بنو عامر - وقد علموا حال المرأة وخبرها وهربها - فسقط في أيديهم ،
واجتمعوا يدبرون الرأى . قال بعضهم : كأنى بالمرأة أتت قومها ، فأخبرتهم الخبر ،
فخذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بنى بغيض ، وباتوا ممدنين لكم في السلاح .
فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم ؛ فإنهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا ،
وننصرف . وركبوا يطلبون ظن^(٢) بنى تميم .

فلما أبطأ بنو عامر عن حاجب قال لقومه : إن القوم قد توجهوا إلى ظمنكم
وأموالكم ، فسيروا إليهم ؛ فساروا مجدين حتى التقوا برحرحان ؛ فاقتتلوا قتالا
شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك
ابن جعفر بن كلاب .

فوفد لقيط بن زرارة في فداءه^(٣) فقال لهما : لكما عندي مائتا بغير .
فقالا : يا أبا نهشل ؛ أنت سيد الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا تقبل فيه إلا
ذية ملك . فأبى أن يزيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أو صانا ألا يزيد أحداً في ديتة على
مائتي بغير .

فقال معبد للقيط : لا تدعنى بالقيط ، فوالله لن تركتني لا ترانى بعدها أبداً .

(١) كذا في الأغاني ، وزواية النفاض : أن الحارث قاتل مع بنى تميم ، ولكن لم يكن له بلاء
يذكر (٢) الظن : جمع ظئنة ، وهو الهودج ، فيه المرأة أم لاه والمراد هنا الإبل
(٣) في فداء معبد أقوال كثيرة للرواة ، والثبت هنا رواية العقد الفريد .

فقال لقيط : صَبْرًا أبا القمقاع ؛ فأين وَصَاةُ أَيْنَا : أَلَا تَوَأَّكُلُوا العَرَبَ أَنفُسَكُمْ ،
وَلَا تَزِيدُوا بِفِدَائِكُمْ عَلَى فِدَاءِ رَجُلٍ مِنْكُمْ فَتَذُوبٌ ^(١) بِكُمْ ذُوبَانُ العَرَبِ .
وَرَحِلَ لَقَيْطٌ ^(٢) عَنِ القَوْمِ ؛ وَمَنَعَ بَنُو عَامِرٍ مَعْبِدًا عَنِ المَاءِ وَضَارَوْهُ حَتَّى مَاتَ
هَزَالًا ^(٣) .

(١) ذُوبٌ: خبث وصار كالذئب (٢) وقد غير لقيط بتهاونه في افتدائه أخيه . قال شريح
ابن الأحوص :

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن حلمك لا يهتدى

ألمأ أمنت وساخ المرا ب واحتل بيتك في همد

همد : اسم موضع .

رفعت برجلك فوق القرا ش تهدي القوائد في معبد

وأسلمته عند جد القتال وتبخل بالمال ألا تقتدى

(٣) وفي بعض الروايات : إن معبدًا أبى أن يطعم شيئًا أو يشرب حتى مات هزالًا ، وفي بعضها
إن بني عامر بعثوه إلى رجل بالطائف كان يعذب الأسرى ، فقطعه لربا لربا حتى قتله .

(٢) يوم شَعْبِ جَبَلَة*

— ١ —

لما نشبت المداوة بين عبس وذبيان ابني غطفان في حرب داحس^(١) والغبراء ،
خرج بنو عبس من ديارهم ، وعلى رأسهم الربيع بن زياد العبسي وأخوه عامر^{تلا} وقيس
ابن زهير بن جذيمة ؛ وفيما هم سائرون قال لهم الربيع : أما والله لأرمينّ العرب
بمحجرها ، أقصدوا بني عامر^(٢) .

وساروا حتى نزلوا مَضِيقًا من وادي بني عامر ، ونزلوا على ربيعة بن شكل بن
كعب - وكان المقدم من بني عامر إلى كعب^(٣) بن ربيعة - فقال ربيعة بن شكل :
يا بني عبس ؛ شأنكم جليل ، ودخلكم^(٤) الذي يُطلب منكم عظيم ، وأنا والله أعلم
أن هذه الحرب أعزّ حرب ، ما حاربتها العرب قط ، ولا بدّ من بني كلاب ،
فأمهلوني حتى أستطلع طلع^(٥) قومي .

* لعمار (من قيس) وخلفائهم من عبس ، على تميم وخلفائهم من ذبيان وأسد وغيرها . وجبله :
جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبله . ويوم جبله من أعظم أيام العرب
وأشدّها ، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة

معجم البلدان ص ٥٠٠ ج ٣ ، النقاظ ص ١١٥ ج ٢ ، الأغاني ص ٣٣ ج ١٠ ، المقد الفريد
ص ٣٠٧ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٥٥ ج ١ ، شواعر العرب ٤٨ ص

(١) ارجع إلى صفحة ٢٤٦ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : من قيس عيلان وفيهم بطون
كثيرة : منهم كعب وكراب وعمر والحريش وجمدة وقد شهدوا جميعاً جبله إلا هلال بن عامر وعامر
ابن ربيعة (٣) بطن في بني عامر (٤) الذحل : النار (٥) أطلعتة طلع أمري : أبنته سري .

وخرج في قومٍ من بني كعب حتى جازوا^(١) بني كلاب ، فلقبهم عوف^(٢) بن الأحوص ، فحدثوه في أمر بني عيس ، فقال : يا قوم ؛ أطيعوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقطعوهم واغتموهم لا تفلح غطفان بعهه أبداً ، والله لا تزيدون علي أن تسمئوهم وتمنئوهم ؛ ثم يصيروا لقومكم أعداء .

فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر ، فذكروا له من أمر عيس ، فقال الأحوص لربيعة بن شكل : أظلمتكم ظلك ، وأطممتهم طعامك ؟ قال : نعم ، قال : قد والله أجزت القوم !

ثم جاء الربيع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص - وكان رجلاً شيخاً - فتقدم إليه قيس وأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام المائد بك ، قتلتم^(٣) أبي فما أخذت له عقلاً^(٤) ، ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌ مما أجير منه نفسي .

ولما سمع عوف بذلك - وكان غائباً - أتى الأحوص - وعنده بنو جعفر - فقال : يا مشر بن جعفر ؛ أطيعوني اليوم واعصوني أبداً ، وإن كنت والله فيكم ممصياً ؛ إن عيساً والله لو لقوا بني ذبيان لو لؤوكم أطراف الأسنة فابدموا بهم فاقتلوهم ، واجملوهم مثل البرغوث دماغه في دمه ، فأبوا عليه وحالفوهم ، وأنزلوهم ببجوحة دارهم .

وكان لقيط بن زرارة سيد بني تميم قد عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه

(١) يقال : جاز الموضع ، أي سار فيه (٢) عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب ابن عامر (٣) قتله خالد بن جعفر العامري في يوم النفراوات (٤) العقل : الدية .

مَعْبَد (١) ، وبينما هو يتجهزُ إذ أتاه الخَبْرُ بِحِلْفِ بَنِي عَمْسٍ وَعَامِرٍ .

وكان لقيطٌ وجيهًا عند الملوك ، فذهب إلى النعمان بن المنذر يستنجده ، وأطمعته في الفئام فأجابه ؛ ثم ذهب إلى الجون الكلبي ملك هَجْر ، فقال له : هل لك في قومٍ قد ملئوا الأرضَ نعمًا وشاءً ، فترسل معي ابنيك ، فإصَبْنَا من مللٍ وسببٍ فلهما ، وما أصبنا من دمٍ فلي ؟ فأجابه الجون إلى ذلك ، وجعل له موعداً رأس الحول .

ثم أرسل إلى كلِّ من كان بينه وبين عبسٍ ذحل ، يسأله الحول والتظاهر على غزو عبسٍ وعامرٍ ؛ فاجتمع إليه بنو ذبيان لعداوتهم لبني عبسٍ بسبب حربٍ داحسٍ والقبراء ، وبنو أسدٍ لحلفٍ كان بينهم وبين بني ذبيان .

ولما كان على رأس الحول من يوم رَحَرَ حَانَ انهَلَّت الجيوش على لقيط : أرسل الجون جيشًا وعليه ابناه عمرو ومعاوية ، وأرسل النعمان جيشًا وعليه أخوه لأُمِّه حَسَّان بن وبرة الكلبي ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حِصْنُ بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار في جمع من بني كندة .

وسار بنو تميم في رؤسائهم : حاجب بن زرارة ، ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث بن شهاب ؛ ومعهم أحلافهم ، وتبهم غُثَاء (٢) من الناس يُريدون الغنيمة ، وتم لهم جمعٌ لم يكن في الجاهلية أكثر منه ؛ فلم تشكَّ العرب في هلاك بني عامر .

(١) قتله بنو عامر يوم رحرحان (٢) الغناء : ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالي ، يريد أُرْدَال الناس وسقطهم .

ولا سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص - وهو يومئذ شيخ كبير ،
قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس ، وكان مجرباً
حازماً ميمون النقيية^(١) ؛ فأخبروه الخبر ، فقال لهم الأحوص : قد كبرت فما أستطيع
أن أجيء بالحزم ، وقد ذهب الرأي مني ؛ ولكن إذا سمعتُ عرفت ، فأجمعوا آراءكم ،
ثم يبتوا ليلتكم هذه ، ثم اغدوا علي ، فأعرضوا على آراءكم .

ففعلا ، فلما أصبحوا غدوا عليه ، فوضعت له عباءة بفنائنه فجلس عليها ، ورفع
حاجبيه عن عينيه بمصابة ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ، فقال قيس بن زهير العبسي :
بات في كنانتي اليوم مائة رأي . فقال له الأحوص : يكفيننا منها رأي واحد حازم
صليب مصيب ؛ هات فأنشر كنانتك . فجعل يعرض كل رأي رآه حتى أنفد^(٢) .
فقال له الأحوص : ما أرى أنه بات في كنانتك الليلة رأي واحد .

وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً ، وقد صرتم إلي ؛
اجمعوا أئفالكم وضمفاءكم . ففعلا ، ثم قال : حملوا طعنكم ؛ فحملوها . ثم قال :
انطلقوا حتى تعلقوا في اليمين ؛ فإن أدر لكم أحدٌ كررت عليه ، وإن أعجزتموهم
مضيتم . فسار الناس حتى أتوا وادي نجر^(٤) ضحوة .

ثم رُئي الناس يرجع بعضهم على بعض ، فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا
عمرو بن عبد الله بن جمعة ، قدم في فتیان من بني عامر يمدون بمن أجاز بهم ، فقال
الأحوص : قد منوني ، فقدّموه حتى وقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟
فقال عمرو : أردت أن تفضحننا وتخرجنا هارين من بلادنا ، ونحن أعزُّ العرب ،

(١) ميمون النقيية : محمود المختبر (٣) يريد حتى انتهى ، ويقال : أنفد القوم ؛ إذا نفذ
زادهم أو ما لهم (٤) نجر : موضع في ديار بني تميم .

وأكثرُ عدداً وجلداً وأحدُ شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً .

قال : فكيف أفعل وقد جاءنا مالا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نرجع إلى شعبِ جبلة ، فنحزِرُ النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ، ونكون في وسطه فقيه نمل^(١) ، فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مقام لهم ، وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رءوسهم بالحجارة ، فكنت في حِرْز ، وكانوا في غير حِرْز ، وكنت على قتلهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ! فأين كان هذا حين استشرتُ الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن ، فقال الأحوص للناس : ارجعوا ، فرجعوا^(٢) .

ودخلوا شعبِ جبلة ، وحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبيل ، وحلّثوا^(٣) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشعب بالقداح والقرع بين القبائل في شظاياها^(٤) ؛ ثم عمى عليهم الخبر ، فجملوا لا يدرون ما قرب القوم من بُدْهِم .

— ٤ —

وأقبلت تميم وأسَد وذيبيان ولِفْهُم نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كَرِب بن صفوان

(١) الثمل : الحصب والماء (٢) وفي ذلك يقول النابغة الجعدي ، وهو أحد شعراء بني عامر :

ونحن حبسنا الحى عبساً وعامراً
وقد صعدت وادى نجار نساؤم
لحسان وابن الجون لاذ قيل أقبلا
كإصعاد نسر لا يرومون منزلا
عطفناهم عطف الضروس فصادفوا
من الهضبة الحمراء عزاً ومقلا

الضروس : الناقة العضوض

(٣) حلّثوا الإبل : منعوها (٤) الشظايا : القطع من رؤوس الجبال .

السعدى - وكان شريفاً - فقالوا له : ما منعك أن تسيرَ معنا في غزاتنا ؟ قال :
أنا مشغول في طلب إبلٍ لى ، فقالوا : لا ، بل تريد أن تُنذرَ بنى عامر ، ولا تترك
حتى تعطينا عهداً وموثقاً ألا تفعل ؛ خلف لهم .

ثم خرج عنهم وهو مُغضب ، ومضى مُسرعاً على فرس له عُري^(١) ، حتى إذا
نظر إلى مجلس بنى عامر نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ، فأرسلوا إليه يدعونه ، فقال :
لست فاعلاً ؛ ولكن إذا رحلت فأتوا منزلى فإنَّ الخبرَ فيه .

فلما جاءوا منزله ، إذا تراب في صُرّة وشوك قد كسّرَ رهوسه ، وفرغى جهته ،
وإذا حنظلةٌ موضوعة ، وإذا وطبٌ معلقٌ فيه لبن ؛ فقال الأحوص : هذا رجل
قد أخذت عليه الموائيق ألا يتكلم ، وهو يخبركم أن القوم مثلُ التراب كثرةً ، وأن
شوكتهم كلبية ، وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب ، فاصطبوه^(٢) ، فإذا فيه
لبن قارص^(٣) . فقال : القوم منكم على قدر حلاب اللبن إلى أن يحزُر^(٤) .

(١) فرس عرى : لا سرج عليه (٢) اصطبوه : أراقوه (٣) قارص : حامض
(٤) هذه رواية الأغاني ، وفي ابن الأثير : لني لقيط في طريقه كرب بن صفوان - وكان شريفاً -
فقال : ما منعك أن تسيرَ معنا في غزاتنا ؟ فقال : أنا مشغول في طلب إبلٍ لى ، فقال : لا ، بل تريد
أن تنذرَ بنا القوم ، ولا أتراك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ، فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ،
فلما دنا من عامر أخذ خرقةً فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة
أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون . ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فأتى بها بن الأحوص
ابن جعفر ، وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون ، فقال الأحوص لقيس بن زهير : ما ترى في هذا
الأمر ؟ قال : هذا من صنع الله لنا ، هذا رجل قد أخذ عليه عهد على ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم
قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرقتان
اليمانيتان فهما حيان من البين معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار =

ثم دعا الأحوص قيس بن زهير العبسي ، فقال له : ما ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يعرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما الفرج ؟ فقال قيس : فإذا قد رجعت إلى رأي فأدخلوا نَمَمَكُم شِعْبَ جَبَلَة ، ثم أَظْمِئُوهَا هذه الأيام ولا تُورِدُوهَا الماء ، فإذا هجاء القوم فإن لقيطاً فيه طيش وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأنحسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مَدَاعِيرَ عِطَاشًا ، فتشغلهم ، وتفرق جمعهم ؛ واخرجوا أنتم في آثارها ، واشفوا نفوسكم .

فقال الأحوص : نعم ما رأيت ؛ وأخذوا برأيه .

وعاد كرب بن صفوان لقيطاً ، فقال له : أأنذرت القوم ؟ فأعاد الحلف له أنه لم يكلم أحداً منهم ؛ فحلى سبيله ، فقالت له ابنته دختنوس - وكان لقيط يصحبها في غزواته ، ويرجع إلى رأيها : رُدْنِي إلى أهلي ، ولا تُعرِّضْنِي لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة ، فاستحمقها ، وساء كلائمها ، وردّها .

وفياهم سائرون قابلهم غلامٌ أعسر^(١) ؛ فتشاءمت بنو أسد ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا عنهم ، فرجعوا ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفيراً يسيراً .

— ٥ —

ولما وصل بنو تميم وأحلافهم إلى شعبِ جَبَلَة حيث بنو عامر وعبس قال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصعدوا إليهم ؛ فقال شاس بن أبي ليلي : لا تدخلوا

فهي عشر ليال يأتيكم القوم إليها . قد أنذرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام (ابن الأثير ص ٣٥٦ ج ١) .

(١) الأعسر : الذي يعمل يده الشمال خاصة .

على بنى عامر ؛ فإنى أعلمُ الناسَ بهم ، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزمونى ؛ فسا رأيت قوماً فقط أقلقَ بمنزلٍ من بنى عامر ، والله ما وجدتُ لهم مثلاً إلا الشُّجاعُ (١) فإنه لا يقرُّ فى جُحره قلعا ، وسيخرجون إليكم ، والله لئن نمتُ هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم .

فقال لقيط : لندخننَّ عليهم ، فأتوهم وقد أخذوا حذرهم ؛ وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تسمية الناس .

وأقبل لقيط وأصحابه مدلين (٢) ، فاستدوا (٣) إلى الجبل حتى ذرت الشمس ، ثم أخذوا فى الصمود . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك ، فقال : دعوهم ؛ حتى إذا أنصفوا (٤) الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص : حلوا عُقل الإبل ثم اتبعوا آثارها ، ولتتبع كل رجل منكم بغيره حجرتين أو ثلاثة .

ففعلوا ، ثم صاحوا بها فخرجت تحطمُ كلَّ شيءٍ مرَّت به وخبّطت تيماً ومن معها وانحطوا منهزمين فى الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحدٍ همّةٌ إلا أن يذهب على وجهه ، وجمعت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف فى آثارهم ، وانهمزوا شرَّ هزيمة (٥) .

(١) الشجاع : الحية الذكر (٢) مدلين : مجرتين (٣) استدوا : صعدوا فى الجبل

(٤) أنصفوا الجبل : وصلوا إلى نصفه (٥) وفى ذلك يقول أحد بنى أسد :

زحمت أن العير لا تقاتل بلى إذا ما قفع الرحائل

واختلف الهندى والدوابل وقالت الأبطال من ينارل

بلى وفيها حسب ونائل

وجعل لقيط لا يمرُّ به أحدٌ من الجيش إلا قال : أنت والله قتلتنا ! فجعل
يقول :

يا قوم قد أحرقتُموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم تقدموا وقدّموني للقوم
فقال له شاس بن أبي ليلي :

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم إذ كنت لا أتعصى أموري في القوم
ثم ركب لقيط فرسه ، وزج بنفسه للمراك ، قطعنه شريح ، وأرثَّ ذبه طعنات ،
وبقي يوماً ثم مات^(١) .

وأما حاجبُ بن زُرارة فقد ولَّى منهزماً ، فتبعه زهدم وقيس ابنا حزن
العبسيان ، وجعللا يطرُذانه ، ويقولان له : استأسر - وقد قدرا عليه - فقال :
من أنتم؟ فقالا : نحن الزهدمان^(٢) ، فقال : لا أستأسر اليوم لموليين .

وبينا هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقيبة العاصري . فقال لحاجب : استأسر ،
قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرقيبة . فقال : افعلْ لعمري ، ما أدركتني حتى
كِدْتُ أن أكون عبداً ، وألقى إليه رُمحه ، واعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه . فصاح

(١) قيل إن لقيطاً أرث وحمل وهو مجروح ، وبقي يوماً ومات ، فلما أحس بالموت أشد قائلاً :

يأليت شمري اليوم دخنوس إذا أناها الحسير الرموس

تخلق القرون أو تميس لا بل تميس إنها عروس

دخنوس : بنته

الحبر الرموس : الذي يستر عنها ويكتم . والقرون : الدواب .

(٢) الزهدمان : زهدم وقيس ابنا حزن ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه

حاجب : يا غوثاه ! وجمل زهدم يُراوغ قائم السيف ، فنزل مالك واقتلع زهدما
عن حاجب .

فشي زهدم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير فقالا : أَخَذَ مالِكُ أُسِيرَنَا مِنْ أَيْدِينَا .
فقال : وَمَنْ أُسِيرُكُمْ ؟ قالوا : حاجب بن زرارة .

فخرج قيس حتى وقف على بنى عامر فقال : إِنْ صاحِبِكُمْ أَخَذَ أُسِيرَنَا . قالوا :
مَنْ صاحِبِنَا ؟ قال : مالك ذو الرقية أخذ حاجبا من الزهدمين .

فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ؛ ولكنه استأمر لي وتركهما ؛ فلم يبرحوا
حتى حكموا حاجبا في ذلك - وهو في بيت ذى الرقية - فقالوا : مَنْ أَمَرَكَ يا حاجب ؟
فقال : أَمَا مَنْ رَدَّنِي عَنْ قَصْدِي وَمَنْعَنِي أَنْ أَنْجُوَ وَرَأَى مَنِي عَوْرَةَ فَتَرَكَهَا
فأزهدمان^(١) ، وأما الذى استأمرت له فمالك ؛ فحكّمونى فى نفسى .

فقال له القوم : قد جعلنا إليك الحكم فى نفسك ، فقال : أما مالك فله أنفُ ناقة ،
وللزهدمان مائة .

— ٧ —

قال الراوى : وزعم علماؤنا أنه لما انهزم الناسُ خرجت بنو عامر وحلفاؤهم فى
آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ، فلحق قيس بن المنتفق^(٢) عمرو بن^(٣) عمرو
التميمي فأسره ، فأقبل الحارث بن الأبرص فى سرعان^(٤) الحيل ، فراه عمرو مُقْبِلًا ،
فقال لقيس : إِنْ أدركنى الحارث قتلنى ، وفاتك ما تلتمسُ عندى ؛ فهل أنت محسنٌ
إلىّ وإلى نفسك ؛ تجزّ ناصيتى فتجعلها فى كِنانتك ، ولك العهدُ لأفِينَّ لك ! ففعل ،

(١) الزهدمان : زهدم وقيس ، كما فى اللسان (٢) قيس بن المنتفق من بنى عامر

(٣) هو عمرو بن عمرو بن عدس من تميم ، وهو زوج دخنوس بنت لقيط (٤) سرعان

الحيل : أوائلها .

وأدرکہما الحارث وهو ینادی قیساً ویقول : اقتل ، اقتل ! ولکن قیساً أطلق عمرآ ، ولحق عمرو بقومه (١) .

ونزل حسانُ بن عامر بن الجون وصاح : یا آل کنفدة ! فحمل علیه شریح ابن الأحوص ، فاعترض دون ابن الجون رجلٌ من کنفدة ، فضربه شریح فی رأسه فانکسر السیف ، فخرج یعدو بنصف السیف .

(١) روى صاحب الأغاني أنه لما كان الشهر الحرام خرج قيس بن المنتفق إلى عمرو بن عمرو يستنبيه، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه أمينة وقال لها : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة - وقد كان الحارث قتل أباهما زيدا يوم جبلة - فجاءت بالقبة فرأت الحارث أحياء وأجملها ، فظنته قيساً ، فضربت القبة وهي تقول : هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به علي .

فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا بنة أخي ، على من ضربت القبة ؟ فنعنت لعت الحارث ، فقال : ضربتها والله على رجل قتل أبائك ، وأمر بقتل عمك ، فجزعت مما قال عمها ، فقال الحارث :

أما تدرين يا بنة آل زيد أمين بما أجن اليوم صدى

أمين : يا أمينة

فكم من فارس لم ترزئيه فتى الفتيان في عيص وقصر

رأيت مكانه فصدت عنه فأعيا أمره وشدت أزرى

أمرت به لتخمش حنتاه فضيع أمره قيس وأمرى -

الحنة : الزوجة

ثم إن عمرآ قال : يا حار ما الذي جاء بك ؟ فوالله مالك عندي نعمة ، ولقد كنت سيء الرأي في ، وقتلت أخي ، وأمرت بقتلي . فقال : بل كفت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . قال : مالك عندي من يد ، ثم تدمم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب .

ولما جاء قيس عمرآ أعطاه عمرو إبلا كثيرة ، فخرج قيس بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارث بن الأبرص ، فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس ، فأخذ ما كان معه ، فلما أتى قيس بني أبيه من بني المنتفق اجتمعوا إليه ، وأرادوا الخروج ، فقال : ميلا ! لا تقاتلوا اخوتكم فإنه يوشك أن يرجع ، وأن يؤول إلى الحق ، فإنه رجل حسود . فلما رأى الحارث أن قيساً قد كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وشدّ طفيل بن مالك، فأسر حسان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون، فأسرَه وجزَّ ناصيته وأعتقه على الثواب^(١).

وانصرف سنان بن أبي حارثة المرّمي في بني ذبيان على حاميته، ومعه مالك بن حمار الفزاري، فلحق بهم معاوية بن الصموت الكلّابي ومعه حرّمة العكلى ونفر من الناس؛ ولما رآهم سنان قال لمالك: يا مالك؛ بكرّ وأحمنا، ولك خولة ابنتي أزوجكها؛ فكرّ مالك فقتل معاوية، ثم قتل حرمة واثنين من قيس. ومضى بعد ذلك مالك وهو يقول:

ولقد صدّدتُ عن النعمة حرّمةً
وأقبلته صدرَ الأغرِّ وصارماً
وابن الصموت تركت حين لقيته
في صدر مارنة^(٢) يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعة في النبار كلاهما
وابنا غنى عامر والأسود
حتى تنفس بعد نكظ^(٣) مُججراً
أذهبتُ عنه والفرائض تُرعدُ

(١) حدث بعد هذا أن قيس بن زهير العبسي لقي معاوية فقتله، فأتى عوف بن الأحوص بنى عيس فقال: قتلتم طليق فأحبوه أو ائتوني بملك مثله، فتخوفت بنو عيس شره - وكان مهيباً - فقالوا: أمهلنا، وانطلقوا حتى أتوا أبا براء وعامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه، وكان في سلمى حياة فقال: سأ كلم لكم طفيل بن مالك أخاه ليسلم إليكم حسان بن جون، وانطلقوا إليه، فقال طفيل لسلمى: قد آتوني بك، ما أعرفني بما جئتم له: أنيتموني تريدون مني حسان بن الجون - وكان قد أسره - وتسلمونه لي عوف. خذوه، فأعطاهم إياه، فأتوه، فجز ناصيته وأعتقه، ولذلك سمى عوف الجزاز.

(٢) اللد: الخصومة (٣) يقال: رمح مارن؛ صلب ابن (٤) النكظ: الجهد، والمجهر: المضطر الملجأ، والمضيق عليه.

يعدو بيزى سايح ذو ميمة نهْد المراكل ذو تليل أقود^(١)

- ٨ -

وفي ذلك اليوم قالت دختنوس ترثي أباه لقيط بن زرارة ، وقد ضربه بنو عبس

بعد موته :

ألهالها الويلات ويلة من بسكى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة^(٢)
فلو أنكم كنتم غداة لقيم^(٣)
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب^(٤)
فاناره فيكم ولكن ناره^(٥)
لضرب بنى عبس لقيطاً وقد قضى^(٦)
ولا تحفل الصم الجنادل من نوى^(٧)
لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا^(٨)
أضاءت لها القناص من جانب الشرا^(٩)
شريح أردته الأسنة أم هوى^(١٠)

(١) البز : السلاح ، يريد يعدو بى سايح - فرس - يمد يديه فى الجرى ، والميمة : أول الجرى وأنشطة ، ونهد : مرتفع ، والمركل من القرس : حيث تصيب برجلك ، والتليل : العنق ، وأقود سلس القيادة (٢) الضمير فى لها يعود إلى بنى عبس ، تقول : لتعل بنى عبس الويلات ، ويريد من بسكى : نفسها (٣) تحفل : تضم ، والصم الجنادل : الصخور العظيمة ، ونوى : مات ، يريد : أن الصخور التى تغطى جسمه فى قبره ، لا تكاد تضمه لعلوشأته (٤) جواب الشرط محذوف تقديره : لو قاتلتم لقيطاً بالأسنة والرماح لرأيتم بأسه وفرتم من وجهه (٥) الخضب : كأنه جمع خاضب ، وهى النعامة ، وفى اللسان أن جمعه خواضب ، والقناص : جمع قانص وهو الصياد ، وأضاءت له : أوقدت ناراً . والقرى : مكان . تقول : غلبتموه بالغدر ولكنكم قد فررتم قبل ذلك من وجهه كالنعام متى أحس بالصيدين ، وهم قد أوقدوا له ناراً ليقنصوه (٦) أرداه : أهلكه ، والثأر هنا : المطلوب بدم القتيل ، وشريح بن الأحوص العامرى : قاتل لقيط ، وهوى : سقط ومات ؛ تقول : ليس لكم الفخر يابنى عبس ، فإنما قاتله والمطلوب بدمه هو شريح بن الأحوص العامرى ، سواء قتل لقيط بالأسنة فى حياحة الحرب ، أو حمل وبه طعنات فمات بعد ذلك .

فإن تمعب الأيام من فارسٍ تكن
لنجزِيكم بالقتل قتلاً مُضْعَفًا (٢)
عليكم حريقاً لا يُرام إذا سَمَا (١)
ولو قَتَلْتَنَا غَالِبٌ كَانَ قَتْلُهَا
لقد صبرتُ للموت كعبٌ وحافظت
وقالت أيضاً :

لمعري لقد لاقت من الشق دارم
فاجبنوا بالشعب إذ صبرت لهم
عصوا بسيف الهند واعتقلت لهم
وقالت في لقيط أيضاً :

بكر النعمي بخير خندف كهلها وشبابها (٨)

(٧) تقول : إذا دارت الأيام فأمكنتنا من شرح وقومه فسترونا لسعر نار حرب لا تطفأ إذا ما علا ضرامها وانتشر سعيها (٢) تريد بالحس ، أشرف بني تميم الذين قتلوا ، ومال : ترخيملك . البوا : السواء والكفء ، تقول : سوف تقتل منكم أضعاف ما قتلتم ، ولا نجد منكم يمالك أحدا يساوي بالقدر والشأن الخمسة الذين قتلوا منا فقتلهم بهم (٣) بنو غالب بن من بني عامر وهم أنذلهم ، والمجبع للعلا : الفاطم له ، المانع من الوصول إليه ، تقول : يسرنا أن القتلى لم يقتلهم أحد من بني عامر ، ولو كان ذلك لحل بنا حار لا يمحي (٤) تخاطب بني غالب فتقول : إنا رأينا بني كعب وبني كلاب يلبون في الحرب البلاء الحسن ، ولكننا لما طلبناكم لم نجدكم هناك (٥) تريد بالشق مدخل جبله ، ودارم : حبي من تميم وهو قوم دختنوس ، وحديد قوم من بني عامر (٦) تقول : لم يفشل بنو دارم لما تأب عليهم بنو ربيعة ، وربيعة أبو كعب وكراب . وتريد بالشعب شعب جبله (٧) عصوا : دافعوا عن أنفسهم بسيف مهندة قاطعة وبراكاه : الثبيات في الحرب والجد ، ويقال للرجل إذا وقع في خطب : لا يطير غرابه ، وهي تريد أن سعدهم المعتاد في الحروب اعتقل لهم ، أي امتنع عنهم في هذه الواقعة . (٨) بكر : أتى باكرأ . وخندف : أم مدركة بن إلياس ، وإليها تنسب قبائل مضر ، ومنها تميم قوم الشاعرة .

- وبخيرها نسباً إذا عُدَّتْ إلى أنسابها (١)
وأضرَّها لعدوِّها وأفكَّها لرقابها (٢)
وقريمها ونجيبها في الطبقاتِ ونابها (٣)
ورئيسها عند الملو كوزنِ يومِ خطابها
فرع عمود المشيرة رافعاً لنصابها (٤)
فيمولها ويحوطها ويدبُّ عن أحسابها (٥)
ويطا مواطئاً للمدِّ وكان لا يمشي بها (٦)
فعل المدلِّ من الأسو د لحبيها وتبأها (٧)
كالكوكب الدرِّيِّ في الظلِّماء لا يخفى بها (٨)
عبث الأغرَّ به وكلَّ منية لكتابها (٩)
فرت بنو أسد فرّاً ر الطير عن أربابها (١٠)
وهو آزن أصحابهم كالقار في أذانبها (١١)
لم يحفظوا حسباً ولم يأووا لفي ععقابها (١٢)

(١) رواية ابن الأثير : وأتمها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها (٢) أي أنه يحرق رقاب قومه من الأسر (٣) الفرع : السيد ، وأصله الغالب في المقارعة . والطبقات : الشدائد ، والسنون المجذبة ، وناب القوم : سيدهم (٤) الفرع : الابن . والعمود : السند (٥) ذب عن الأمر : دافع عنه (٦) تريد أنه يتعقب آثار العدو في مسالك لم يعود أن يجري فيها (٧) المدل : الواثق من نفسه . والحين : الهلاك ، والتباب : الفساد (٨) الدرِّي : الشبيه بالدرة (٩) الأغر : السيد ، تسكني به عن قاتل لقيط وهو شريح بن الأحوص ، وكتابها : لبانها ووقتها ، كما قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (١٠) بنو أسد : من حلفاء تميم يوم شعب جيلة ، وهي بهذا تهجوم (١١) وهو آزن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالقار لجنهم (١٢) تريد بالمقاب لقيطاً ، والمعنى : أنهم بفرارهم فقدوا شرفهم ، ولم يجتمعوا بليقطة على العدو ، بل تركوه يقاتل وحده .

وقالت تهجو النعمان بن قهوس التيمي ، وكان حاملا- في يوم شعب جيلة- لواء
بني تميم ، وهو من أشرفهم ، ففرّ هاربًا :

فَرَّ ابْنُ قَهْوَسِ الشَّجَا عُ بَكَفَهُ رُمْحٌ مِثْلُ (١)
يَعْدُو بِهِ خَاظِي البَضِيعِ كَأَنَّهُ سَمْعٌ أَزْلُ (٢)
إِنَّكَ مِنْ تَمِيمٍ فَدَعَّ غَطْفَانَ إِنْ سَلُّوْا وَحَلُّوْا (٣)
لَا مِنْكَ عَدُوٌّ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوْا (٤)
فَخَرُّ البَنِيِّ بِمَحْدِجِ رَبَّتَيْهَا مَ إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوْا (٥)
وَلَقَدْ رَأَيْتَ أَبَاكَ وَسَطْرَ القَوْمِ يَبْزُوْا أَوْ يَجِئِلُ (٦)
مَتَلَدًّا رِبْقِ الفَرَا رَكَأَنَهُ فِي الجِيدِ غَلُّ (٧)

(١) التل : الشديد (٢) الخاطي : المكنز ، والبضيع : ما انحاز من لحم الفخذ الواحد
بضיעة ، والسمع : ولد الضبع ، تقول : نحابه فريس مكنز اللحم يشبه السمع ، والأزل : السريع
(٣) تيم : فرغ من تميم ، تقول : إنك من قوم جبناء ، فلا تسرع غطفان أصحاب الشدة
(٤) تقول : لو حل الذل بغطفان فإنهم يستغنون عنك وعن آباءك (٥) البني : المرأة
الفاجرة ، والحديج من مراكب النساء ، واستقل الناس : ذهبوا ، ضربت هذا مثلا ، وأرادت
بالبني بني التيم ، وعنت برية الحديج- وهي السدق- غطفان (٦) يبزو : كناية عن الجبن ،
ويجئل : يجمع الجلة وهي البر (٧) الربق : القود ، تريد : أن أباه لا يصلح إلا لرعاية
الغنم حين يضع حبالها في عنقه كأنها أغلال تغلها .

(٣) يوم ذى نجب *

لما كان العامُ التابع من يوم جَبَلَة خرج ناسٌ من بني عامر بن صعصعة إلى حسان ابن كَبِشَة الكندي (١)؛ منهم عامر بن مالك بن جعفر مَلَاعِبُ الأَسَنَة ، وطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمر وهب الأحوص بن جعفر ، ويزيد بن الصمق ، وقَدَامَة بن سلمة ابن قُشير ، وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ؛ واستنجدوه على بني حَنْظَلَة (٢) ابن مالك ، وقالوا : هل لك في إِبِلِ عَكْر (٣) ، ونساء كالبقر ، وتسير مُبْرَدًا (٤) ، وترجع سالماً غانماً من قوم قد أوقَعْنَا بهم حديثاً ، وقتلنا فرسانهم ورؤسائهم ! فأقبل معهم بصنائعهم ومن كان معه ، ومرّ على بني عامر ؛ فسارمعه من خفّ منهم . وبلغ الحسبر بني حَنْظَلَة فقال عمرو بن عمرو بن عدس (٥) : يا بني مالك ؛ إنه لا طاقة لكم بهذا الملك ومنّ معه ؛ فحَفِّقُوا من مكانكم هذا - وكانوا يومئذ في أعلى الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بنو يربوع في أسفله - ودعُوا بني يربوع فاتهم حتى مُصْرِمٌ نَكِد (٦) ، فإنّ ظهرَ الملكُ عليهم سالمٌ ؛ فبَقِيَّةُ السَّلْمِ خيرٌ من بقية الحرب ، وإن ظهرت يربوع عليهم كنتم مع إخوتكم . ففعلوا .

* لبي تميم على بني عامر (من قيس) . وذو نجب ذكره ياقوت فقال : موضع كانت فيه وقعة لبي تميم على بني عامر بن صعصعة . وكان هذا اليوم بعد مرور عام على يوم جَبَلَة .
النقاظ ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ (طبع أوربة) ، ابن الأثير ص ٣٦٣ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٨

(١) حسان بن كبشة ملك من ملوك اليمن (٢) بنو حنظلة : حى في تميم
(٣) المسكر : ما فوق خمسمائة من الإبل (٤) يقال : أبرد : دخل في آخر النهار
(٥) عدس في بني تميم بضم الدال ، وفي سائر العرب بفتحها (٦) نكد الرجل فهو منكود : إذا كثرت سؤاله وقل خيره ، ورجل نكد : أى عسر .

وأقبلَ حسانٌ ومَنْ معه من الجيش في وجه الصبح ، والتقوا بيني يربوع ،
فاقتتلوا ، ففُضِرَ حُشيشٌ ^(١) بن عمران الرِّياحى حسان بن كبشة الملك على رأسه
فقتله ، وانهزم أصحابه .

وأسر ثعلبة بن الحارث اليربوعى يزيد بن الصَّمق ، فأبصره في يده ثعلبة بن
الحارث بن عمرو، فضربه على رأسه فأمته، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قُرْزُل ^(٢)،
وضرب زنباع بن الحارث أحد بنى رياح عبيدة بن مالك على هامته فسات في يده ؛
فقال في ذلك سُحَيْم بن وَثِيل الرِّياحى :

ونحنُ ضربنا هامةَ ابنِ خُوَيْلِد ^(٣) يزيد وضررنا عبيدةَ بالدم
بذى نَجَبٍ إذ نحن دون حريمنا على كلِّ جِيَّاشٍ الأجارى ^(٤) مرَّجَم ^(٥)



وقتل خالد بن مالك النهشلى - رئيس بنى عامر - عمرو بن الأحوص ، وقد كان
بعضُ أصحابه قال له : ياخالد ؛ اقتلْ بأبيك ^(٦) ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن
كبشة ، فقال أوس بن حُجر :

كان بنو الأبرص ^(٧) أقرانكم فأدرَ كوا الأحدثَ والأقدمَا
إذ قال عمروُ لبني مالكٍ لا تُعجلوا المِرةَ أن تُحَكِّمَا

(١) في رواية : جيش بالجميم (٢) اسم فرسه ، وقال ابن الأعرابي : هو اسم فرس عامر
ابن الطفيل . وقال أبو عبيدة : كانت فرس الطفيل ، وكذلك قال الجوهري
(٣) ابن خويلد : يزيد بن الصمق (٤) الأجارى : ضروب من الجرى
(٥) مرجم : شديد (٦) كان عمرو بن الأحوص قتل أبا خالد يوم جيلة
(٧) بنو الأبرص : بنو يربوع بن حنظلة .

والله لولا قُرْزُلُ^(١) إِذْ نَجَا لَكَانَ مَثْوَى خَدِّكَ الْأَخْرَمِ^(٢)
نَجَاكَ جِيَاشُ^(٣) هَزِيمٌ كَمَا^(٤) أَحْمِيَتْ وَسَطَ الْوَبْرِ الْمَيْسَمَا

-
- (١) فرس طفيل بنى مالك بن جعفر وقد فر به من بنى يربوع كما سبق (٢) الأخرم :
الجليل : وهو منقطع أنفه وهو يريد : لثوى خدك في الأرض . وأخرما الكتفين أيضاً : رءوسهما
من قبل العضدين مما يلي الوابلة ، وقيل : هما طرفا أسفل الكتفين اللذان اكتنفا كعبرة
الكتف ، فالكعبرة بين الأخرمين ، والمعنى : لقتلت فسقط رأسك عن أخرم كتفك
(٣) الجياش : الشديد الجرى السريع كأنه مشتق من القدر إذا جاشت بالغي والهزيم كذلك ،
يقول : يجيش وهزيم يعني يصوت صوتاً كغلي الرجل (٤) كما أحميت : يعني به السرعة .
يقول هذا الفرس يلهب في عدوه كما يلهب الميسم وهي الحديدية ترمى بالنار حتى تصير كالجمرة ثم
توضع على جلد البعير علامة ، والأصمعي يقول معناه : إنه سريع الجرى ، فسرعة هذا الفرس
كسرعة ممر هذا الميسم في جلد البعير ووبره .

(٤) يوم الصرائم*

أغارَت بنو عَبَسَ على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريحُ بنى يربوع ، فركبوا في طلب بنى عَبَسَ ، فأدركوهم بذات الجرف^(١) ، فقتلوا شريحاً وجاراً ابني وهب ، وأسروا فروة وزنباعا ابني الحكم بن مروان بن زنباع ، وأسرَ أُسيد بن حنّاءَ الحكم ابن مروان بن زنباع العبسي . وقتل عَصْمَةَ بنَ حَذْرَةَ الرياحي سبعين رجلاً من بنى عبس - وقد كان العفّاق بن التّلاق بن قيس خرج في طلب إبل له ، فمَرَّ ببني عبس ، فأخذه شريح وجابر إبناه وهب فقتلاه ، فنذر عَصْمَةَ ألا يطعم خمرآ ، ولا يأكل لحمآ ، ولا يقرب امرأة ، ولا يفسل رأسه ، حتى يقتل به سبعين رجلاً من بنى عبس ، فقال لما قتلهم :

اللهُ قد أمكنني من عَبَسَ سماعَ شرابي وشَفَيْتُ نفسي
وكنْتُ لا أقربُ طَهْرَ عُرْمِي ولا أشدُّ بالوَخافِ^(٢) رأسي
ولم أكنْ أشربُ صَفْوَ الكاشِ

وقال سُحَيْمُ بنُ وُتَيْل :

وإني ابنُ زنباعٍ وفروةٌ عقَدْنَا وفيهم دماهُ الحَيُّ لما تُصَرِّمُ

* بين عبس و يربوع ، ويسمى يوم بنى جذيمة وذات الجرف أيضاً ، والصرائم : اسم موضع كما في معجم البلدان

النقائض ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ (طبع أوردية)

(١) الجرف : موضع في نواحي البجامة (٢) الوخف : ضربك الخطمي في الطشت يوخف ليختلط ، وتقول : أما عندك وخيف أغسل به رأسي ، والوخيف والوخيفة : ما أوخفت به ، ويقال : أتاه بلبن مثل وخاف الرأس .

وفي هذا اليوم قال الخطيئة ، وقد كان في الجيش فهرب :

ما أدرى إذا لاقيتُ عمراً أكلبي^(١) آلُ عميرٍ وأمِ صحاحُ
لقد بلفوا الشفاء فأخبرونا بقتلى من قتلنا رباحُ
حوتنا منهم لما التقينا رماحُ في مراكزها رماحُ
وجرد في الأعنة ملجعاتُ خفاف الطرف كأمها السلاحُ
إذا ثار الغبارُ خرجن منه كما خرجت من الغدر^(٢) السراحُ
وما بأبوا كبأ وهم^(٣) علينا بفضلهم دماهم حتى أراحوا

وفي هذا اليوم قال : شُمَيْثُ بن زُبَيعِ بن الحارثِ بن ربيعةِ الرياحي :

سائلُ بنا عبساً إذا ما لقيتها على أي حى بالصراحم دلتِ
قتلنا بصبراً شريحاً^(٤) وجاراً وقد نهت منها الرماحُ وعلتِ
جزينا بما أمت أسيدة حقة خويلة إذ آذنها فاستقلتِ
فأبلغ أبا حمران أن رهأحننا قصت وطراً من غالب وتغلت^(٥)
فدنى لرياح إذ تدارك ركضها ربيعة إذ كانت بها النعل زلتِ
فطرونا بحالي للصریح ولا ترى لنا نعماً من حيث يفزع شلت^(٦)
وما كان دهرى إن فخرت بدولة من الدهر إلا حاجة النفس سلَّتِ

(١) كلب الرجل : عضه الكلب الكلب ، فأصابه مثل ذلك ، ورجل كلب من رجال كلبين ، وكنيب من قوم كلب
(٢) الغدر : الحجارة والشجر وكل ما وارك ، والسراح : جمع سرحان وهو الذئب ، قال الأزهري : وأما السراح في جمع السرحان ، فقير محفوظ عندى
(٣) البأو : الكبر (٤) شريح وجابر : ابنا وهب ، وهما من بني عوذ بن غالب (٥) تغلت : يريد من الغلو وهو الزيادة ، وأبو حمران : عروة بن الورد العبسي (٦) شلت : يريد لا يهون طرد لبلهم إذا فزعوا ولكنهم يقيمون ثقة منهم بأنفسهم والشلل والطردي سبوء .

(٥) يوم الرغام*

أغار عُنَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب في بني ثَمَلَةَ^(١) بن يربوع على طوائف من بني كلاب^(٢)؛ فطردوا^(٣) إبلهم ، وكان أنس بن عباس الأصم أخو بني رِغَل^(٤) مُجَاوِرًا في بني كلاب ، وكان بين بني ثَمَلَةَ بن يربوع ، وبين بني رِغَل عَهْدٌ أَلَا يُسْفِكُ دَمٌ ، وَلَا يُؤْ كُلُّ مَالٍ .

فلما سمع السكلابيون الدَّعْوَى يا آل ثَمَلَةَ ، يا آل عُيَيْد ، يا آل جَمْفَر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن عباس : قد عرفت ما بين رِغَل وبين بني ثَمَلَةَ بن يربوع ، فأدركهم فأحبسهم علينا حتى نَلْحَق .

فخرج أنس في آثارهم حتى أدركهم ، فلما دنا منهم قال عُنَيْبَةُ لأخيه حَنْظَلَةَ ابن الحارث : أَعْنِ^(٥) عَنَّا هَذَا الْفَارِسَ ؛ فاستقبله حَنْظَلَةَ فقال له أنس : إنما أنا أخوك وعقيدكم^(٦) ، وكنت في هؤلاء القوم ؛ فأغرستم على إبلي فيما أغرستم عليه ، فهي معكم .

فرجع حَنْظَلَةَ إلى أخيه فأخبره الخبر ، فقالوا : حَيَّاكَ اللَّهُ ! هَلُمَّ فَوَالِ إِبِلِكَ . قال : والله ما أغرِفُهَا ، وبنو أخي وأهل بيتي معي ، وقد أمرتهم بالركوب في أثرى ، وهم أعرف بها مني .

* لبني يربوع (من تميم) على كلاب (من قيس) . والرغام : اسم رملةً بينهما من نواحي اليمامة .
النقاض من ٤١٠ طبع أوربة

- (١) بنو ثَمَلَةَ بن يربوع : حتى في تميم (٢) بنو كلاب : حتى في عامر (٣) يقال : طرد الإبل : إذا ضمها من نواحيها (٤) رِغَل : بطن في سليم ، وسليم فرع من قيس عيلان (٥) يقال : أَعْنِ عني شرك أي اصرفه وكفه ، ومنه قوله تعالى : « لن يفتنوك عنك من الله شيئاً » ، وفي حديث عثمان أن علياً رضي الله عنهما يمث إليه بصحيفة فقال للرسول : أغننا عنا ، اصرفها وكفها (٦) العقيد : المعاهد (٧) اعزلها .

ثم جاء فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث ، فقال أنس : إنا هم
بنى وبنو أخى - وإنما كان يرئهم^(١) لتلحق جماعة فوارس بنى كلاب - فلتحقوا ،
فحمل الحوثره بن قيس^(٢) على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة على الحوثره هو وابن
مزنة فأسراه ، ودفعاه إلى عتيبة فقتله صبأ^(٣) ، وهزم الكلابيون .

ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، فلم تقر أنسا نفسه حتى
اتبعهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسرون في سخواء^(٤) .

ثم تحلف عتيبة في قضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فاشعر إلا بأنس
قد مر في آثارهم فتغفله عتيبة حتى وثب عليه فأسره وأتى به أصحابه ، فقال له
بنو عبيد : قد عرفت أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثره ؛ فدفعاه إليك
فضربت عنقه ، فأعقبهما منه أنس بن عباس ؛ فهو خير منه ، فأبى عتيبة أن يفعل
ذلك ، حتى افتدى أنس نفسه بمائتي بعير ، فقال العباس بن مرداس^(٥) يعير عتيبة
أخذه أنسا وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كُر الضجَّاج^(٦) وما منيتُ بغادرٍ كعتيبة بن الحارث بن شهاب
جللت حنظلة^(٧) المخانة والحنأ ودنست آخر هذه الأحقاب
وأجرتم أنسا فاحاولتم بإسار جاركم بنى الميقاب^(٨)
فخجوا^(٩) بأطراف الأنوف وأمهلوا عنكم قوادم صرمة الأعراب

(١) يرئهم : يبطئهم (٢) الحوثره بن قيس : من بنى كلاب (٣) صبأ : يقال للرجل يقدم
فيضرب عنقه: قتل صبأ (٤) السخواء : الأرض السهلة الواسعة (٥) العباس بن
مرداس : من بنى سليم قوم أنس ، شاعر جاهلي وأدرك الإسلام ثم أسلم ، وهو أحد أغربة العرب
وقد جملة ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء (٦) الضجَّاج : الصياح
(٧) حنظلة : قوم عتيبة إذ هو من يربوع بن حنظلة (٨) الميقاب : التي تلد الحمى ، والوقب
الأحمى (٩) الفخ : أن ينام الرجل وينفخ في نومه ، وفخ التأم ينفخ (بكسر الفاء)

فقال عتيبة :

غدرتم غدرهً وغدرتُ أخرى فليسَ إلى توافينا سبيلُ
كانكم غداةَ بني كلابٍ تفأقذتم^(١) عليّ لكم دليلُ
وقال مالك بن نويرة^(٢) لما أبى عتيبة أن يدفعَ إليهم أنسا ، يئنُّ عليه بدفع
بني عبيد الحوثره إليه حتى قتله :

ونحن نأزنا قبلها بابن أمه
فجئنا به صبراً إليك تقوده
قيادَ دليلٍ لا يُنازعُ رأسه
غداة الكلابيين والحيلُ تشهدُ
وأنتَ ضيفُ الصوتِ قلبك يُرعدُ
وقلنا لك اقتله وقد كدت تبُدُّ

(١) يقال تفأقذ القوم ؛ أى فقد بعضهم بعضاً (٢) مالك بن نويرة : من ثعلبة بن يربوع
أحد الشعراء المخضرمين ، قتله خالد بن الوليد في حروب الردة .

(٦) يوم جزع ظلال *

أغارت بنو فزارة ، ورئيسهم عُمَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، ومعه مالك ابن حِمَارِ الشَّمَخِيِّ مَتَسَانِدَيْنِ ؛ هذا من بني عدي بن فزارة ، وذلك من بني شَمَخِ بْنِ فَرَازَةَ^(١) ، على التَّيْمِ وَعَدِيّ وَثَوْرٍ أَطْحَلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ^(٢) ، فَلَثُوا أَيْدِيَهُمْ غَنَامًا وَإِبِلًا ونساء ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حُدَيْفَةَ أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنَ التَّيْمِ وَعُكْلٍ فَأَطْلَقَهُنَّ وَرَدَّهُنَّ ، وَأَخَذَ خَارِجَةَ بِنَ حِصْنِ نَفْرًا مِنَ التَّيْمِ فَأَطْلَقَهُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ .
فَادْعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو يَرْبُوعِ أَنَّ عَتَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابِ وَبَنِي يَرْبُوعِ أَدْرَكَوهُمْ بِحَقِيلِ^(٣) فَاسْتَنْقَذُوهُمْ^(٤) .

ثم إنه ضرب الدهر من ضربانه^(٥) ، فبلغ بني فزارة أن النعمان بن حسان التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم - وهم سادة التيم - وابن المخيط ، وهو سيد بني عدي تيم^(٦) انطلقوا إلى بني سعد بن زيد مناة^(٧) وضبة^(٨) يستمدونهم ،

* لفزارة (من قيس) على تيم . وجزع ظلال : موضع

معجم البلدان ص ٣٠٨ ج ٣ ، القفاض ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ (طبع أوربة)

(١) فزارة : حى فى ذبيان ، وذبيان فرع من قيس عيلان (٢) يسمى بعض النساءين هذه الأحياء بالرباب (٣) حقييل : واد فى ديار بني عكل (٤) فى ذلك يقول جرير وهو يفخر على التيم :

تداركنا عينة وابن شمخ وقد مرا بهن على حقييل

فردوا المردقات بنات تيم ليربوع فوارس غيرمائل

(٥) ضرب الدهر من ضربانه وضربه : مر من مروره وذهب بعضه (٦) عدي تيم :

حى فى تيم (٧) بنو سعد : حى فى تيم (٨) ضبة : تنسب إلى ضبة بن أد بن طابخة

ابن الياس .

وَيَسْأَلُونَهُم النَّصْرَ ، فَرَكِبَتْ بَنُو فِزَارَةَ وَرَأْسُهُمْ أَيْضًا عَيْنَةَ بَنِي حِصْنٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى التِّيمِّ ، فَقَتَلُوهُمْ قِتْلًا لَمْ يَقْتُلُوهُ أَحَدًا ، وَأَخَذُوا مِائَةَ امْرَأَةٍ مِنَ التِّيمِّ ، فَقَسَمْنَهَا عَيْنَةُ بَيْنَ بَنِي بَدْرِ (١) ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا فَقَتَلُوهُمْ .

فَلَمَّا نَزَلُوا اشْتَرَتْ بَنُو فِزَارَةَ الْخُمُورَ لِيشربوا ، فَقَالَ عَيْنَةُ : ابْعَثُوا بَنَاتِ تِيمِّ فَلْيَنْقَلْنَ زِقَاقَكُمْ . فَانْطَلَقَ نِسَاءُ تِيمِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ يَنْقَلُونَ زِقَاقَ الْخَمْرِ إِلَيْهِنَّ ، ثُمَّ أَسْرَوَهُنَّ فَجَعَلْنَ يَمْزُجْنَ فَيْشْرِبُونَ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مَحْقَرَةً لَهُمْ ، فَآتَى كَذَلِكَ زَمَانَ .

ثُمَّ إِذْ عَيْنَةُ سَأَلَتْ قَوْمَهُ أَنْ يَرُدُّوا بَنِي تِيمِّ ففعلوا ، فَرَدُّوا السَّبْيَ إِلَى تِيمِّ ، وَأَطْلَقُوا الرِّجَالَ بِغَيْرِ فِدَاءٍ (٢) .

ثُمَّ إِذْ بَنِي مَرَّةٍ (٣) أَغَارُوا عَلَى التِّيمِّ وَرَبِيسُ بَنِي مَرَّةٍ يَوْمَئِذٍ سَنَانُ بْنُ سَنَانَ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، فَقَتَلُوا التِّيمِّ وَعَدَبُوا وَعُكَلَاءَ ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا ، فَلَمْ يُنْتَقُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَعْدَمُوهُمْ .

(١) بدر : قوم عينة (٢) فذلك قول جرير :

خُذْنِي بِنِي غَيْظِ بْنِ مَرَّةٍ بِمَدْمَا خُذْنِي النَّدَى مِنْ شُرُوبِ بَنِي بَدْرِ
إِذَا مَا اشْتَرَوْا خَمْرًا قَلَمَ زِقَاقَهُمْ إِلَيْهِمْ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مِنَ الْخَمْرِ

(٣) مرة : حي في ذبيان .

(٧) يوم المروت*

كان من حديث هذا اليوم أن قَعْنَبَ بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع التقي هو وُبَجِير^(١) بن عبد الله العامري بمكاظ ، والناس متواقفون ، فقال بُجِير : يا قَعْنَب ما فعلت البيضاء فرسك؟ قال : هي عندي . قال : فكيف شُكرك لها؟ قال : وما عَسَيْتُ أن أشكرها به؟ قال : وكيف لا تشكرها وقد نجتك مني! قال قَعْنَب : ومتى كان ذلك؟ قال : حيث أقول :

لو أمكنتني من بشامة^(٢) مُهَرَّتِي لَلآقِي كما لاقت فوارسُ قَعْنَبِ

تَمَطَّت^(٣) به البيضاء بمداختلاسه على دَهَشٍ وخِلْتَنِي لم أُكْذِبِ

فأنكر ذلك قَعْنَبُ ، وتلاعنا وتداعيا أن يقتل الصادقُ منهما الكاذب ، ونذَرُ قَعْنَبُ أن لا يراه بعد هذا الموقف إلا قتله أو مات دونه .

فضرب الدهرُ من ضربانِه ، ثم إن بُجِيرَ أغار على بني العنبر يوم إزمِ الكلبية^(٤) وهم خلوف؟ فأصاب منهم ناساً ، وانفكت منهم مُنْفَلِتُونَ ، وأتى الصريحُ بنى حنظلة ، وبني عمرو بن تميم وبني العنبر فركبوا في أثرِ بُجِيرِ ، وقد سارَ بِمَنْ أخذ من بني العنبر فكان أول من لحق بنو عمرو بن تميم ، فقال بُجِيرُ لأصحابه من بني عامر : انظروا ما ترون؟ قالوا : نرى خيلاً عارضةً رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئك بنو عمرو

* تميم على عامر (من قيس) والمروت : موضع في ديار بني تميم
ابن الأثير ص ٣٨٦ ج ١ ، النقااض ص ٧٠ (طبع أوربة) ، بلوغ الأرب ص ١٠٨ ، هجيم
البلدان (المروت)

(١) في النقااض : بجير بفتح الباء وكسر الحاء ، وهذا الضبط عن اللسان - مادة نكد
(٢) بشامة : اسم رجل (٣) تمطت به : سارت سيراً ممدوداً (٤) موضع بين
البصرة والحجاز .

ابن تميم، وليست بشيء. فلحقوا بجبير وهو بالروت، فاقتتلوا شيئاً من قتال؛ ثم لحق بنو مالك بن حنظلة، فقال بجبير لأصحابه: انظروا ما ترون؟ قالوا: نرى خيلاً ناصباً الرماح. قال: أولئك بنو مالك بن حنظلة، وليست بشيء. فلحقوا وقاتلوا شيئاً من قتال، ثم لحقت خيل شَمَاطِيط^(١)، فقال بجبير: ما ترون؟ قالوا: نرى خيلاً شَمَاطِيط ليس معها رماح وكأنا عليها الصبيان. قال: أولئك بنو يربوع، رماحهم عند آذان الخيل، إياكم والموت الزؤام! فاصبروا، وما قوتلتم منذ اليوم إلا الساعة.

فكان أول من لحق من بني يربوع نعيم^(٢) بن عتاب، فظمن الثمام بن قرط أخا بني قشير فصرعه وأسرته، ثم لحق قعنّب بن عصمة بجيرا فظمنه فأرداه عن فرسها، فوثب عليه كدّام بن بجيلة^(٣) المازني، فأبصره قعنّب بن عتاب، وهو في يد كدّام فحمل عليه، فأراد كدّام منعه، فقال قعنّب: ماز^(٤) رأسك والسيف! فضلى عنه كدّام، فصر به قعنّب بن عتاب فأطار رأسه، وانهزم بنو عامر. واستنقذت بنو يربوع أموال بني المنبر وسيهم من بني عامر وعادوا.

(١) متفرقة أرسالا
بالتون والحاء (٤) أي يمازني رأسك والسيف. قال في اللسان: ولم يكن اسمه مازناً وإنما كان اسمه كدّاماً، وإنما سماه مازناً لأنه من بني مازن، وقد تفعل العرب مثل هذا في بعض المواضع.

٩- أيام ضيعة وغيرهم

- ١- يوم النصار.
- ٢- « الشقيقة .
- ٣- « بزاحة .
- ٤- « دارة ماسل .
- ٥- « النقيمة .

(١) يوم النَّسَار*

أَجْدَبَتْ أَرْضُ مُضَرَ وَأُخْصَبَتْ بِلَادُ بَنِي سَعْدِ (١) وَالرَّبَابِ (٢) وَجَادَهَا الْغَيْثُ ؛
فلما وقع ذلك الغيثُ أَقْبَلَتْ عَامِرُ بْنُ صَعْمَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ إِلَى بَنِي سَعْدِ ،
وَكَانُوا يُوَاصِلُونَهُمْ بِالنَّسَبِ ؛ فَسَأَلُوهُمْ أَنْ يُرْعَوْهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ ،
فَفَعَلُوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرَّبَابِ وهَوَازِنَ وَمَنْ مَعَهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ
مَا اجْتَمَعَ مِثْلَ عِدَّتِنَا قَطُّ إِلَّا كَانَتْ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثٌ ؛ فَلْيَضْمَنْ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ
مَا كَانَ فِيهِمْ ، وَلْيَضْمَنْ رَجُلٌ مِنْ سَعْدِ وَالرَّبَابِ مَا كَانَ فِيهِمْ ؛ فَكَانَ الضَّامِنُ لِمَا
كَانَ فِي سَعْدِ وَالرَّبَابِ الْأَهْتَمَ (٣) ، وَكَانَ الضَّامِنُ عَلَى هَوَازِنَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ صَعْمَةَ ؛ فَرَعَوْا ذَلِكَ الْغَيْثَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثم إن رجلاً من بني ضَبَّةَ يُقَالُ لَهُ الْخَنْتَفُ أَغَارَ عَلَى خَيْلِ لِسَالِكِ ذِي الرُّقَيْبَةِ بْنِ
سَلْمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ (٤) ، فَلَسْتَوَدَعَهَا رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَمْرِو ،
وَكَانَ غِيْبَهَا قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ عَوْفِ بْنِ عَطِيَةَ التَّمِيمِيِّ (٥) .

* لضبة وتيمم على بني عامر . والنسار: جبال صغار ، وقال بعضهم : هو ماء لبني عامر
ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٦ ج ٣ ، النقاظ ص ٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤ ،
(طبع أوربة) ، شرح المفصلات صفحة ٣٦٤
(١) بنو سعد أحياء في تميم (٢) الرباب: أحياء ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ؛ سموا
كذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (الفاموس) (٣) الأهتَم : اسمه سنان بن
سُمي بن خالد ، وهو من بني سعد بن زيد بن مناة بن عمرو بن تميم ، وقف خلاف بينه وبين
قيس بن عاصم النخري يوم الكلاب الثاني ، فرقع قيس قوسه فضرب فم الأهتَم بها ، فهتَم
أسنانه ، فسُمي بالأهتَم من يومئذ (٤) من بني قشير ، وقشير : بطن في بني عامر ، ومالك
هذا هو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جيلة (٥) من ضبة .

فلما فقد مالك ذو الرُقَيْبِيَّةَ خَيْلَهُ أَقْبَلَ هُوَ وَقُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ إِلَى الْأَهَمِّ فَقَالَا :
ضمانك . قال : وما ذاك ؟ قال : عُدِي عَلَى خَيْلِنَا فَذُهِبَ بِهَا . فقال : هل تدرُونَ
مَنْ أَحَدَهَا ؟ قالَا : لا . قال : فَاطْلُبُوا وَاسْأَلُوا وَاطْلُبْ وَنَسْأَلْ ، فَإِنْ يَكُنْ أَصَابَهَا
رَجُلٌ مِنْ سَعْدِ الرَّبَابِ فَأَنَا لَهَا ضَامِنٌ حَتَّى أُرَدَّهَا .

وَاطْلُبُوا وَاسْأَلُوا فَذَكَرَ لَهُمْ رَجُلٌ أَنَّهَا رُئِيتُ عِنْدَ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةِ التَّمِيمِيِّ ، فَسَأَلُوهُ
فَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ رَأَاهَا أَوْ عِلِمَ مِنْهَا عِلْمًا ، وَسَأَلَ الْأَهَمَّ فَوَجَدَهَا قَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ ،
فَاحْتَبَسَ إِبِلَ عَوْفٍ حَتَّى أَرْضَى ذَا الرُقَيْبِيَّةَ مِنْ خَيْلِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَرَوَاهَا (١) .
فَانْطَلَقَ عَوْفٌ إِلَى الْحَنْتَفِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَردَّ عَلَيْهِ عِدَّةً مَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَرَغِبَ الْحَنْتَفُ
فِي الْخَيْلِ فَأَمْسَكَهَا ، فَقَالَ عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ فِي ذَلِكَ :

يَاقُرَّةُ يَا بَنَ هُبَيْرَةَ بِنَ قُشَيْرٍ يَاسَيِّدَ السَّلَامَاتِ إِنَّكَ تَظْلُمُ
يَاقُرَّةُ إِنْ تَشْمُرُ فَإِنِّي شَاعِرٌ أَوْ إِنْ تُكَارِمُنِي فَغَيْرُكَ أَكْرَمُ
هَلْ أَغْرَمَنِّي لِعَامِرٍ مِنْ عَامِرٍ وَلَمْ أَلَا قِهِمُ وَلَمْ أُنْكَلِمُ
أَوْ أَغْرَمَنِّي لِدِي الرُقَيْبِيَّةِ خَيْلَهُ إِنْ كَانَ دَلَّهُمْ عَلَى الْأَهَمِّ

ثُمَّ أَظْهَرَ الْحَنْتَفُ الْخَيْلَ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ يورِدُهَا عَدِيرًا يَسْقِيهَا إِذْ لَقِيَهِ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي قُشَيْرٍ فَنَازَعَهُ فِيهَا ؛ فَضْرَبَ الْقُشَيْرِيُّ الْحَنْتَفَ عَلَى سَاعِدِهِ وَضْرَبَهُ الْحَنْتَفُ قَتْلَهُ
وَوَقَعَ الشَّرُّ ؛ وَجَاءَتْ بَنُو عَامِرٍ (٢) إِلَى بَنِي سَعْدٍ فَقَالُوا : نَحْنُ إِخْوَتُكُمْ وَفِي جَوَارِكُمْ ،
وَقَدْ فَعَلْنَا مَا تَرَوْنَ ، فَخَذُوا لَنَا نَحْمَقْنَا . فَكَلَّمُوا بَنِي ضَبَّةَ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا أَقْبَلَ
رَجُلَانِ فَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَاتَ صَاحِبُهُمْ وَخَطِيءٌ عَنِ صَاحِبِنَا ، فَنَحْنُ
نُعْطِيهِمُ الدِّيَةَ :

(١) شَرَوَى الشَّيْءُ : مَثَلَهُ . (٢) قَوْمُ الْقُشَيْرِيِّ الْمَقْتُولِ .

فأبى العامريون أن يقبلوا الدية ، وقالوا : نقتلُ بصاحبنا ، فأبى بنو ضبة ،
 ووقعت الحرب ، وغضبت بنو سعد فاجتمعوا مع بنى عامر ، وتواعدوا أن يلتقوا بالنسار ،
 واستمدوا بنى أسد فأمدوهم ؛ فالتقوا بالنسار فاقتلوا ، فصبرت عامر واستحرج بهم
 الشر ، وانقضت بنو سعد فوالت (١) لم يُصَبْ منهم كبير . أما بنو عامر فهزموا
 وقتلوا وسبوا ؛ فقتل شريح بن مالك القشيري رأس بنى عامر ، وصارت سلمى
 بنت الملق لمروة بن خالد بن نضلة ، وصارت المنقاء بنت هام من بنى أبي بكر بن
 كلاب لزياد بن زبير الأسدي ، وصارت أم خازم بنت كلاب لأرطاة بن مُنقذ
 الأسدي ، ورملة بنت صبيح للحارث بن جزء الأسدي ، وهند بنت وقاص لقيس
 ابن عبد الله القمعي ، وأمامة بنت الداء لأسامة بن عمير الوالي ، فقالت سلمى
 الملق تميم مالك بن كعب بفرته والطفيل :

لَحَى الْإِلَهُ أَبَا لَيْلَى بِفِرْتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَقُبَّ الْعَيْرِ جَوَاباً (٢)
 كَيْفَ الْفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمَعْرَكِهِ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابَا
 لَمْ تَنْمَعُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سِوَاهُمْ وَلَا النِّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَابَا

فبعثت بنو كلاب إلى القوم فشاطروهم سبيهم ، فقالت الفارعة بنت معاوية من
 بنى قشير تميم كلاباً بمشاطرتهم الأحاليف سباياهم يومئذ :

مَنَا فَوَارِسُ قَاتَلُوا عَنْ سَبِيهِمْ يَوْمَ النَّسَارِ وَلَيْسَ مَنَا أَشْطَرُ
 وَلَيْسَ مَانَصْرُ الْعَشِيرَةِ ذُو لِحَى (٣) وَحَفِيفٌ نَافِجَةٌ بَلِيلٌ مُسَهْرٌ (٤)

(١) هربت ، وفي النقائض : فانقضت بنو تميم (٢) جواب : لقب مالك بن كعب ؛ لأنه كان يجوب
 الأبواب يحفرها ويتخذها لنفسه (٣) ذو لحي : أى ذو اللحية بن عامر بن عوف بن أبي بكر بن
 كلاب ، وشجعت الريح إذا جاءت بقوة (٤) مسهر بن عبد قيس بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب .

زَعِمَتْ بَرُوحٌ^(١) بِنِي كِلَابٍ أَنَّهُمْ
كَذَبَتْ بَرُوحٌ بِنِي كِلَابٍ إِهْمَا
حَاشَى بِنِي الْمَجْنُونِ إِنْ أَبَاهُمْ
لَوْلَا بِيوتُ بِنِي الْحَرِيشِ تَقَسَّمَتْ
مَنَعُوا النِّسَاءَ وَأَنْ كَمَبًا أُدْبِرُوا
تَمَشَى الضَّرَاءُ^(٢) وَبِوَلَهَا يَتَقَطَّرُ
صَاتٌ^(٣) إِذَا سَطَعَ الْغَبَارُ الْأَكْدَرُ
سَبَى الْقَبَائِلَ مَازَنُ وَالْمَغْبِرُ

(١) البروخ: التي تدخل ظهرها وتخرج بطنها (٢) الضراء: ما سترك وواراك
(٣) صات: له صوت في الناس وذكر، والصيت: الشديه الصوت، وفي رواية: لولا بنو نبت،
ريطة بنت الحريش، وبنوها بنو خويلد بن نفييل، وبنو المجنون: من بني أبي بكر،

(٤) يوم الشقيقة*

قال بسطامُ بنُ قيسٍ سميْدُ بنِي شيبان (١) لأمه ليلي بنت الأحوص : إني قد أخذمتك من كلِّ حيٍّ أمةٌ ، ولستُ منتهيًا حتى أخذمك أمةٌ من بني ضبة (٢) ، فقالت له أمه : يا بني لا تفعل ؛ فإن بني ضبة حتى لا يسلم ولا يغم منهم من غزائم .

ولكنه خرج لغزوم ، ومعه رجلٌ يزجر الطير من بني أسد بن خزيمه يسمى قيذاً .

فلما دنا من نقا (٣) يقال له نقا الحسن في بلاد بني ضبة صعدَه ليربأ (٤) ، فإذا هو بنعمٍ قد ملأ الأرض فيه ألفُ بعيرٍ لمالك بن المنتفق الضبي قد فقأ عينَ خلفها - وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية إذا بلغت إبلٌ أحدهم ألف بعير ، فقأ عينَ أحدها ليردَّ عنها الحسد - وإبلٌ من تبعة وجميعها إبلٌ مرتبعة ، ومالك بن المنتفق على فرسٍ له جواد .

فلما أشرف على النقا تخوف أن يروه فيندروا (٥) به ، فاضطجع بطنه لظهره ،

* لُبة على شيبان . والشقيقة : كل جمد بين حبلِي رمل ، وقيل الشقيقة : فرجة في الرمال تثبت المشب ، وهو يسمى أيضاً نقا الحسن ، والحسن اسم رمل بعينه

النفاض ص ١٩٠ ، ٢٣٣ طبع أوربة ، المقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ معجم البلدان (مادة حسن) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٥٢ ج ٣

(١) شيبان : بطن في بكر (٢) ضبة : حي في مضر (٣) النقا : القطعة من الرمل المحدودة (٤) يقال : ربأهم وربأ لهم ؛ صار ربيثة لهم ، أي طليعة (٥) يندرون : يهلون .

وأنحدَرَ حتى أسهل بمستوى من الأرض ، وقال : يا بني شيبان ؛ لم أركاليوم في الفِرة وكثرة النعم .

فلما نظر نقيد الأسدى إلى لِحِيَةِ بسطام مُعَفَّرَةٌ بالتراب حين أسهل تطير له ، وقال :

والذى يُحَلِّفُ به ؛ لئن صدق طائرُك لتعفرنك بنو ضبَّة اليومَ بالتراب ، فأطِنِّي وانصِرَف .

فقال له بسطام : أ أرجع وقد بلغتُ غايَتِي وأُشرفْتُ على الغنيمة ؛ فقال الأسدى : إني لستُ لك بصاحب ، وأنا منصرفُ عنك وتاركُك ، ثم أخذته رعدةً تهيبًا لفراقه ، وقال له : ارجع يا أبا الصَّهْبَاء ؛ فإني أَخوِّفُ عليك القتل ، فعصاه ، وركب نقيد الطريق وفارقه .

وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الإبل وطردوها ، وفيها فحل مالك يقال له أبو شاغر - وكان أعمى - ونجا مالك بن المُتَفَقِّق على فرسه إلى قومه من ضبَّة ، واستصرخهم قائلاً : يا صباحاه (١) ؛ فأجابوه ، ثم عاد ومعه فوارس منهم أذركوا القوم وهم يطردون النعم ، فجعل فحله أبو شاغر يشدُّ من النعم ليرجع ، وتبعه الإبل ، فكلما تبعته ناقةٌ عقرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ماذا السَّفَهُ يا بسطام ! لا تعقرها لا أباك ! فإما لنا وإما لك .

ثم إن رجلاً من بني ثعلبة يقال له أرطاة بن ربيعة لحق بني ضبَّة ومعه قوسه وأسهمه وقال : يا بني ضبَّة ؛ بأبي أُنتم وأُمِّي ! مروني بأمركم وما تريدون أن أصنع ،

(١) يا صباحاه : كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما يفعلون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ؛ فكان القائل : يا صباحاه ! يقول : قد غشينا العدو (لسان العرب - مادة صبح) .

فقالوا : عليك براوية^(١) القوم فإنما هي أنفُسهم ، وقد اشتدَّ الحر - وكانوا قد جمعوا ما كان معهم من ماء على جبل لهم - فأهوى أرطاة للجمل الذي عليه الماء بسهم ، فوضعه في سالفته^(٢) فقطع نخاع الجمل ، فتجعب^(٣) الجمل على جرانه^(٤) ، وانقذت المزدتان اللتان عليه .

فلما رأى أصحاب بسطام من شيان أن الماء قد هُرِق سَقَط في أيديهم ، واستأثروا ثم أقوا السلاح .

وكان عاصم بن خليفة الصَّبَاحي أحد بني ضبة رجلاً طُرُفة^(٥) ، وكان يضع حديدة له قبل الغزو ، فيقال له : ما تصنعُ بها يا عاصم ؟ فيقول : أقتلُ بها بسطاماً ، فيهزءون منه . فلما جاء الصريخُ بني ضبة أسرج أبو عاصم فرسه ، ثم جعل يشدُّ أزرار الدرع عليه ، فبادره ابنه عاصم وركب فرس أبيه فناده أبوه مراراً ، فجعل لا يلتفت إليه ولا يجيبه ، وسار حتى لحق الفرسان ، ثم سأل رجلاً من فرسان بني ضبة : أيهم الرئيس ؟ بأبي أنت ؟ فقال : حاميتهم صاحب الفرس الأدهم - وكان بسطام يحمي قومه في أخريات الناس على فرس يقال له الزعفران - فعارضه عاصم حتى حاذاه ، ثم حمل عليه فظمنه بالرمح في صمخ أذنه ، وأنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر ، وهو مُعْتَجِر بملاءة صفراء ، ثم نزل إليه عاصم ليسلبه ، فقال له بسطام : إنك قد أحرزت سلبى فمليكٌ غيرى . ثم وقع رأسه على الآءة^(٦) من شجر الرمل فات .

فلما رأت ذلك بنو شيان خلّوا سبيل النعم ، وولّوا الأدبار ، فمن قَتيل وأسير .



(١) براوية : المزادة فيها الماء ، والبعر والبغل والحمار يستقى عليه (٢) السالفة : ما تقدم من المتق (٣) تجعب : انقلب (٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره (٥) طرفة : أحمق (٦) الآلاء : شجر مر .

وكان عبدُ الله بن عَنَمَةَ الضَّبِّي مُنْقَطِعًا إِلَى بنِي شَيْبَانَ بِمَدِينَتِهِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَخْوَالَهُ
وكان يَمْرُؤٌ مَعَهُمُ الْغَازِي ، فَلَمَّا مَاتَ بِسَطَّامٍ خَافَ أَنْ يُقْتَلَ ، فَقَالَ يَرِيئِهِ :

لَا مُمْ الْأَرْضِ وَيْلٌ ، مَا أَجَنَّتْ ؟ بِحَيْثُ أَضْرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ (١)
يُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ (٢)
أَجْدَكَ لَنْ تَرِيهِ وَلَنْ نَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُدَا فِرَّةَ ذَمُولِ (٣)
حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَمَارِضُهَا مُرَبِّبَةٌ ذَمُولِ (٤)
إِلَى مِعَادِ أُرْعَنَ مُكْفَهَرٍ تُضْمَرُ فِي جَوَانِبِهِ الْخِيُولُ (٥)
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ (٦)
أَفَاتُهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرِو وَلَا يُوفِي بِسَطَّامٍ قَتِيلِ (٧)

(١) ما : استفهامية ، وأجنت : سترت ، أضر : دنا ، والحسن : جبل رمل . والمعنى : وييل
للأرض كيف سترت رجلا عظيما بمكان قرب فيه الطريق من الجبل المسمى الحسن
(٢) أبا الصهباء : كنية بسطام ، والأصيل : العشية ، وهو وقت الأضياف (٣) أجذك :
أجد منك ، وتخب : تسمى الحب ، والعدا فرة : الغليظة ، والذمول : السريعة ، والنقى الأول
لرؤيته في السلم ، والثاني لرؤيته في الحرب (٤) الحقيبة : ما يجعل وراء الرجل ، والبدن :
الدرع ، والمرية : السمينة ، والدمول : من الدولان ، وهو نوع من السير . والمعنى : وراء رجل
هذه الناقة درع وسرج ، تمارضها ناقة سمينة (٥) الأرعن : الجيش الكثيف لأنه أنف
في الجبل ، والمكفهر : الكربة النظر ، وتضم : تعلق القوت القليل بعد السن ، والمعنى تسيير
الناقة به إلى معاد جيش كثيف (٦) المرباع : ربع الغنيمة ، وكان الرئيس يأخذه حقا له عند
الغزو ، والصفايا : جمع صفية ، وهي أشياء كان يصطفها الرئيس لنفسه من خيار ما يغم ، والنشيطه :
ما أصابه الجيش في طريقه من قبل أن يصل إلى مقصده ، والفضول : ما فضل ولم ينقسم ، والمعنى أن
المفقود كانت له إمامة تسوغ له مالا تسوغ لغيره (٧) أفات : متعد إلى مفعولين ، واحدهما
مخروف ، كأنه قال : أفات الناس بنو زيد بن عمرو بسطاماً ، أى الاتضاع به ، وكانهم ضيعوا
دمه ولا يوفى بدمه دم قتيل .

وخرَّ على الألاءِ لمَّ يوسدُ كانَّ جبينه سيفُ صَفيلٍ^(١)
 فإنَّ تجزَع عليه بنو أبيه فقد فجموا وقاتهم جليلُ
 بمطَّامٍ إذا الأشوال^(٢) راحتُ إلى الحجراتِ ليس لها فصيلُ

* * *

وقالت شَمَعلة بنت الأَخضر بن هبيرة :

ويومَ شقيقة الحسنين^(٣) لاقَتُ بنو شيان آجالاً قصارا
 شكنا بالأسنة وهي زور^(٤) صماخي كبشهم حتى استدارا
 وأوجرناه^(٥) أسمرَ ذا كُوبٍ يشبه طوله مسداً^(٦) مغارا
 فخرَّ على الألاءِ لمَّ يوسدُ وقد كان الدماء له خمارا

وقال مُحَرِّز بن المَكَمَر الضبي ، يفخر بفعال بني ضبة :

أطلقتُ من شيبانَ سبعينَ رعائياً فأبوا جميعاً كلَّهم ليس يشكرُ
 إذا كنتَ في أفناءِ شيانٍ مُنمما فجزَّ الحى إنَّ النواصي تُكفرُ
 فملَّ تيماءُ أن تُغيرَ عليكم بجيشٍ وعلى أن أُغيرَ فأقدِرُ
 فلا شُكرُكمُ أبغى إذا كنتُ مُنمماً ولا ودُّكمُ في آخرِ الدهرِ أضمرُ

(١) الألاءة : شجرة ، وشبهه جبينه لصفائه وانحسار الشعر عنه بسيف مصقول ، أى لم يكن أغم ،
 والقسم عندهم منموم (٢) الأشوال : الشول من التوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها ، وآى
 عليها سبعة أشهر من يوم تاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن : أى بقية مقدار
 ثلث ما كانت تحلب حدثان تاجها ، واحدها شائلة والأشوال جمع الجمع (٣) الحسنان : تقوان
 من رمل بنى سعد ، وهذه رواية اللسان ، ورواية النقائص : ويوم شقائق الحسين (٤) رواية
 النقائص : * شكنا بالرمح وهن زور * وهي زور : يعنى الخيل ، وزور : جمع
 أزور من الزور ، وهو الميل (٥) أوجره الرمح : طعنه به فى فيه (٦) مسدا مغارا :
 جبلا شديد الفتل .

وقالت أم بسطام :

لبيك ابن ذى الجدين بكر بن وائل
إذا ما غدا فيهم غدوا وكانهم
فله عيناً من رأى مثله فتى
عزيز الكرم لا يهد جناحه
وحال أُنقال وعائد مُججِر^(١)
سبيك عان لم يجد من يفكه
وتبيك أسرى طالما قد فككتهم
مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ

فقد بان منها زينها وجمالها
نجوم سماء بينهم هلالها
إذا الخيل يوم الرقع هب زوالها
وليت إذا الفتيان زلت نعالها
تحمل إليه كل ذاك رجالها
وببيك فرسان الوغى ورجالها
وأرمله ضاعت وضاع عيالها
حروب إذا صالت وعز صيالها

(١) المحجر : المضطر اللجأ .

(٣) يوم بزّاعة *

أغار مُحَرِّقُ الفِئسَانِي ، وأخوه في إِيَادٍ (١) وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضَبَّة بن أدِّ بَزْأَخَةَ ، فاستاقوا النِّعَمَ ، فأتى الصريحُ بني ضَبَّةَ فركبوا فأدر كوه ، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ ثم إن زَيْدَ الفوارس حمل على مُحَرِّقٍ فاعتنقه وأسرّه ، وأمَّروا أحاه (٢) حُبَيْشُ بن دَافِ السَّيْدِي ، فقتلتهما بنو ضَبَّةَ ، وهُزِمَ القومُ ، وأصيب منهم ناسٌ كثيرٌ ، فقال في ذلك ابنُ القَافِ أخو بني ثعلبة ، ثم أحد بني معاوية بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضَبَّةَ :

نِعْمَ الفوارسُ يومَ جَيْشِ مُحَرِّقٍ لِحَقْوَاهُمْ يَدْعُونَ بِأَلِ ضِرَّارِ
زَيْدُ الفوارسِ كَرَّ وَابْتِغَا مُنْذِرِ وَالخَيْلُ أَوْجَفَهَا (٣) بنو جَبَّارِ
حَتَّى سَمَوْا لِمُحَرِّقٍ بِرِمَاحِهِمْ بِالطَّمَنِ بَيْنَ كِتَابِ وَعُبارِ



يَرْمِي بِنُفْرَةٍ كَامِلَةٍ وَبِنَحْرِهِ خَطَرَ النُّفُوسِ وَأَيَّ حِينِ خِطَارِ
لَمَّا رَأَوْا يَوْمًا شَدِيدًا بِأَسْهُ كَرِهَ الحَيَاةَ وَشَقَّةَ الأَسْفَارِ
وَكَانَ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضِرَّارِ لَيْثٌ بِكَفْيِهِ النَّمِيَةَ ضَارِ

* لضبة على إياد ، وبزّاعة : ماء

القائض ص ١٩٥ طبع أوربة

(١) أياد : شعب عدنان ، أبوم إياد بن معد بن عدنان ، وليست لهم قبائل مشهورة

(٢) كان يقال لأخي محرق فارس مردود (٣) أوجف دابته : إذا خنها .

وَكأن آثارَ الفربِ عليهمُ ومكرههُ يوماً مُطافُ دُوارِ
جعلوا لِمافى الطيرِ منهم وقمةً صرعى تَصَوَّرُ في قنأ أُكسارِ (١)
لو لا فوارسُهُنَّ قطنَ عواطلاً في غير ما نَسَبِ ولا إصهارِ

(١) العوار: الضعيف الجبان السريع الفرار.

(١) يوم دارة مأسل *

غزا عُتْبَةَ بنِ شُتَيْرِ بنِ خَالِدِ الْكِلَابِيِّ بنِي ضُبَّةَ ، فاستاقَ نَعْمَهُمْ ، وَقَتَلَ حَصْنَ
ابنِ ضَرَّارِ الضُّبِيِّ زَيْدًا^(١) الْفَوَارِسَ - وَكَانَ يَوْمَئِذٍ حَدَثًا لَمْ يُدْرَكَ .

فَجَمَعَ أَبُوهُ ضَرَّارٌ قَوْمَهُ ، وَخَرَجَ نَائِرًا عَلَى بَنِي عَمْرُو بنِ كِلَابٍ ، فَأَفَلَّتْ مِنْهُ عُقْبَةُ
ابنِ شُتَيْرٍ ، وَأَسْرَ أَبَاهُ شُتَيْرٌ^(٢) بنِ خَالِدٍ - وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا - فَأَتَى بِهِ قَوْمَهُ وَقَالَ :
يَا شُتَيْرُ ؛ اخْتَرْتُ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ ، قَالَ : اعْرِضْهَا عَلَيَّ ، قَالَ : إِمَّا أَنْ تَرُدَّ ابْنِي حَصِينًا
قَالَ : فَإِنِّي لَا أُثَرُّ الْمَوْتِ ، قَالَ : وَإِمَّا أَنْ تَدْفَعَ لِي ابْنَكَ عُتْبَةَ أَقْتَلُهُ بِهِ ، قَالَ :
لَا تَرْضَى بِذَلِكَ بَنُو عَامِرٍ أَنْ يَدْفَعُوا فَارِسَهُمْ شَابًّا مُقْتَبِلًا بِشَيْخٍ أُعْوَرٍ ، هَامَةً^(٣)
الْيَوْمِ أَوْ غَدًا . قَالَ : وَإِمَّا أَنْ أَقْتَلَكَ ، قَالَ : أَمَا هَذِهِ نَفْسِي . فَأَمَرَ ضَرَّارُ ابْنَهُ أَنْ يَأْتِيَ
بِقَتْلِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَهُ لِيضْرِبَ عُنُقَهُ ، نَادَى شُتَيْرٌ : يَا آلَ عَامِرٍ ؛ صَبْرًا^(٤) بَصْبِي ! كَأَنَّهُ
أَرَفَ أَنْ يُقْتَلَ بِبَصِي .

فَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْلَةٌ :

وَخَيْرُنَا شُتَيْرًا مِنْ ثَلَاثٍ وَمَا كَانَ الثَّلَاثُ لَهُ خِيَارًا
جَعَلْتَ السِّيفَ بَيْنَ اللَّيْتِ مِنْهُ^(٥) وَبَيْنَ قُصَّاصِ لَمْتِهِ عِدَارًا^(٦)

* لضبة على بني عامر ، ودارة مأسل : ماء لعقيل

العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، معجم البلدان (مادة دارة مأسل) .

(١) زيد الفوارس : شاعر جاهلي ، وكان فارساً رئيساً على قومه ، شهد يوم الفرتين ،
ومعه ثمانية عشر من ولده يقاثلون معه ، وزيد الفوارس كان فارسهم ، ولذا قيل : زيد الفوارس
(٢) في اللسان : شتير بن خالد رجل من أعلام العرب كان شريفاً قال :

أوالب لا فانه شتير بن خالد عن الجهل لا يفرركم بأثام

(٣) يقال : فلان هامة اليوم أو غد ؛ إذا أشرف على الموت (٤) أي أقتل صبراً بصبي

(٥) الليت بالكسر : صفح العنق ، (٦) وفي ذلك يقول عمرو بن لجا :

لا تهيج ضبة يا جريز فإنهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل

قتلوا شتيراً بان غول وابنه وابني هشيم يوم دارة مأسل

(٥) يوم النقيعة*

كان المُثَلَّم بن المشخّرة العائذي الضبي^(١) مجاوراً لبني عبس، فتقاصر^(٢) هو وعمارة ابن زياد المبسي بالقداح^(٣)، فقمره^(٤) عمارة، حتى حصل عليه عشرة بكار^(٥)، فقال له المثلّم: هلمّ أزيدك في المقارة حتى تريد عليّ، أو أخطّ بعض ما عليّ! فقال له عمارة: ما أنا بفاعلٍ؛ ما أريدُ أن أزيدَ عليك، وقد عجزت، وما أريدُ أن أخطّ عنك شيئاً قد ركبته عليك.

فقال له المثلّم: خلّ عنّي حتى آتني قومي فأبعث إليك بالذي لك عليّ؛ فأبى عمارة إلا أن يرتهنه. فرهنه ابنه شرخاف، وخرج حتى أتى قومه، فأخذ البكار فأتى بها عمارة، وافتك ابنه.

فلما انطلق بابنه قال له في الطريق: يا أبتاه؛ من ممّضال؟ قال: ذلك رجلٌ من بني عمك ذهب فلم يوجد إلى الساعة، ولم يحسس له أثر. قال شرخاف: فإني قد عرفتُ قاتله. قال أبوه: ومن هو؟ قال: هو عمارة بن زياد المبسي،

* لضية على عبس، والنقيعة: أرض تنبت الشجر، بين بلاط سليط وبني ضبة، ويسى هذا اليوم أيضاً يوم أعيان.

النقائض ص ١٩٣ طبع أوربة، ابن الأثير ص ٣٩٤ ج ١

(١) من ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مدركة

(٢) تقاصر: تراهن

(٣) القداح: جمع فِدْح وهو ما كان يلعب به الليسر

(٤) قمره: غلبه

(٥) البكار: جمع بكرة، وهي الفنية من الإبل.

سمته يحدث القوم يوماً - وقد أخذ فيه الشراب - أنه قتله ثم لم يكن له ناشد .

ولبثوا بعد ذلك حيناً ، وشبَّ شرحاف ؛ ثم إنَّ عمارة بن زياد جمع جمعاً عظيماً من بني عبس ، فأغار بهم على بني ضبّة ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم بنو ضبّة ، فأدركوهم في المرعى ؛ فلما نظر شرحاف إلى عمارة قال : يا عمارة ؛ أتترقى ! قال : ومن أنت ؟ قال : أنا شرحاف بن المثلّم ، أد إلى ابن عمي معضالا لا مثله يوم قتلته .

قال عمارة : يا شرحاف ؛ اذكر اللبّن (١) ، قال شرحاف : الدم أحب إليّ من اللبّن ، ثم حمل عليه فقتله ، وهزم جيشه واستنقذ الإبل .

ففي ذلك يقول المثلّم بن المشخّرة :

إن تُنكروني فأنا المثلّم
فارسٌ صِدقي يوم تنضّاح الدم
بشكّتي (٢) وفرسٌ مُصمّم (٣)
طعننا كأفواه الزاد (٤) المصمّم .

وقال شرحاف :

ألا أبلغ سراة بني بنيض (٥)
وما لاقت جذيمة إذ تحاي
بما لاقت سراة بني زياد (٦)
وما لاقى الفوارس من بجاد (٧)

(١) اللبّن : إبل لها لبن ، وهو يريد الدية ، وفي حديث أمية بن خلف لما رآهم يوم بدر يقتلون قال : أما لكم حاجة في اللبّن ، أي تأسرون فأخذون فداهم إبلهم (٢) الشكّة : السلاح (٣) المصمّم : الفرس الشديد الصلب ، والذكر والأبني فيه سواء (٤) الزاد : جمع مزادة ، وهي الراوية ، ولا تسكون إلا من جلد (٥) بنيض بن ربيعة ابن غطفان (٦) بنو زياد : الربيع بن زياد العبسي وإخوته ، ويسمون الكملة (٧) جذيمة وبجاد : بطنان في عبس .

تَرَكْنَا بِالنَّقِيعَةِ آلَ عَبَسَ ۖ شِعَاعًا يُقْتَلُونَ بِكُلِّ وَادٍ
وَمَا إِن فَاتَنَا إِلَّا شَرِيدٌ ۖ يَوْمَ الْقَفْرِ فِي تَيْهِ الْبِلَادِ
فَسَلُّ عَنَا عُمَارَةَ آلِ عَبَسَ ۖ وَسَلُّ وَرَدًا وَمَا كُلُّ بَدَادٍ (١)
تَرَكَتَهُمْ بَوَادِي الْبَطْنِ ۖ وَهَنَا لِسَيِّدَانِ الْفَرَارَةِ وَالْجِلَادِ (٢)

(١) بداد : أى متبددين (٢) السيدان : جمع سيد وهو الذئب . والقرارة : المظن من الأرض . والجلاد : جمع جلد ، وهى الأرض الصلبة المستوية المتن .



١٠ - أيام متفرقة

١ - يوم جديس .

٢ - « ذات الأثل .

٣ - « صوءر .

(١) يوم جَدِيس*

كانت منازلُ طَسَمٍ في موضع اليمامة ، وكان يملكهم عمليق ، وكانت معهم جَدِيس ، ولكن عمليقاً في أول مملكته قد تَمَادَى في الظلم والغشْم (١) والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأة من جَدِيس يقال لها هَزِيلَة ، ولها زوج يقال له ماشق ، فطلقها وأراد أخذ ولدٍ لها منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : « يا أيها الملك ؛ إنى حملته نسماً ، ووضعته دفماً ، وأرضعته شفماً ؛ حتى إذا تمت أوصاله ودنا فصّاله ، أراد أن يأخذه مني كرهاً ، ويتركني من بعده ورها (٢) » .

فقال لزوجها : ما حُجَّتْكَ ؟ قال : « حُجَّتِي أيها الملك أنى قد أعطيتها المهر كاملاً ، ولم أصب منها طائلاً ، إلا وليداً خاملاً ، فافعل ما كنت فاعلاً » . فأمر بالانلام أن يُنزع منهما جميعاً ، ويجعل في غلمانة . فقالت هزيلة :

أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأَنْفَذَ حُكْمًا فِي هَزِيلَةَ ظَالِمًا

لِعَمْرِي لَقَدْ حُكِّمْتَ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتَ فِيمَا يُبْرِمُ الْحُكْمَ عَالِمًا

نَدِمْتَ وَلَمْ أُنْدِمِ وَأَنْتَ لِعَثْرَقِ وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحُكُومَةِ نَادِمًا

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جَدِيس وشهدى إلى زوجها حتى يراها هو قبل زوجها ، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً ، فلم يزل يفعل هذا حتى

* جَدِيس علي طسم ، وطسم وجيس ؛ من العرب البائدة

قصص العرب ص ٢٣٤ ج ٤ ، ابن الأثير ص ٢٠٣ ج ١ ، خزائن الأدب ص ٢٣٥ ج ٢ ،

مذهب الأغاني ص ١ ج ١

(١) الغشم الظلم (٢) وره - كفرح : حق .

زُوجت الشَّموس ، فلما أرادوا حَمَلها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ومعها القيان
يَمَعْنين :

أبدى بمعليق وقوى فاركي وبأدري الصبح لأمرٍ مُعجب
فسوف تلقين الذي لم تطلي وما ليكرٍ عنده من مهرٍ
فدخلت عليه، ثم خلج سليلها ، فخرجت إلى قومها شاقّةً درعها وهي في أقبج
منظر ، وهي تقول :

لا أحدٌ أذلّ من جديس
يرضى بهذا يا قوى حرّ
لأخذة الموت كذا لنفسه
وقالت تحرض أهلها فيما أتى إليها :

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم
وتصبحُ تمشي في الدماء عُفيرة (١)
ولو أننا كنا رجالاً وكنتم
فوتوا كراماً أو أميتوا عدوكم
ولا فخلوا بطنها ، وتحملوا
فللبين خيرٌ من تمارٍ على أذى
وإن أتم لم تفضبوا بعد هذه
ودونكم طيبُ العروس فإنما
فبمداً وسحقاً للذي ليس دافماً

فلما سمع أخوها الأسود - وكان سيّداً مطّاعاً - قال لقومه : يامعشر جديس ؛

(١) قد كان يقال لها الشَّموس أيضاً .

إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلك صاحبهم علينا
وعليهم، ولولا عجزنا وإدهاننا^(١) ما كان له فضلٌ علينا، ولو امتنعنا لكان لنا منه
النصف؛ فأطيعوني فيما أمركم به، فإنه عزُّ الدهر، وذهاب ذلِّ العمر، واقبلوا رأيي.
وقد أحمى جديسًا ما سمعوا من قولها، فقالوا: نُطيعك، ولكنَّ القوم أكثرُ
وأحمى وأقوى. قال: فإني أصنعُ للملك طعاما، ثم أدعوهم له جميعا، فإذا جاءوا
يرفلون في الحلل تُرنا إلى سيوفنا، فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل.

وصنع طعامًا كثيرًا، وخرج به إلى ظهر بلدهم، ودعا عمليقا، وسأله أن يتغدَّى عنده
هو وأهل بيته، فأجابه إلى ذلك، وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلي والحلل،
حتى إذا أخذوا مجالسهم، ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم؛
فشدَّ الأسود على عمليق قفتله، وكلَّ رجلٍ منهم على جلسه حتى أماتوهم؛ فلما فرغوا
من الأشراف، شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحدا، وقال الأسود في ذلك:

ذوق ببنيك يا طسم مجللةً فقد أتيت لعمري أعجب العجب
إننا أتينا فلم ننفك نقتلهم والبقى هيج منا سورة الغضب
ولن يمود علينا بنهم أبداً ولن يكونوا كذي أنف ولا ذنب
وإن رعيتم لنا قربي مؤكدة كنا الأقارب في الأرحام والنسب

(١) الإدهان: إظهار خلاف ما يضرو الفس.

(٢) يوم ذات الأئمل

غزا صخر بن عمرو بن الشريد السلمي بنى أسد بن خزيمه ، واكتسح إبلهم ، فأتى الصريخ (١) بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأئمل (٢) فاقتتلوا قتالا شديداً ، وطمعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرآ في جنبه وفات القوم بالغنيمه ، وجوى (٣) صخر من الطعنة ، فسكران مريضاً قريباً من الحول ، حتى مله أهله .

وفي أحد الأيام سمع امرأة من جارائه تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ قالت : لا حتى فيرجى ، ولا ميت فينسى ؛ لقد لقينا منه الأمرين (٤) . ثم سمعها تسأل أمة كيف صخر ؟ فتقول : أرجو له العافية ، فقال في ذلك :

أرى أمَّ صخر لا تمل عيادتي . وملت سُلَيْمَى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة (٥) عليك ومن يمتز بالحدثنان ؟
أهمُّ بأمرِ الحزم لو أستطيعه . وقد حيل بين العيرِ والنزوان (٦)

* لأسد على سليم ، وذات الأئمل : موضع في بلاد تميم الله بن ثعلبة

العقد المفريد ص ٣٢٢ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٠ ج ١٣ ، خزانة الأدب للبغدادى ص ٣٩٣

(١) الصريخ : المستغيث (٢) ذات الأئمل : موضع في بلاد تميم الله بن ثعلبة وقد عناها الشاعر بقوله :

فإن ترجع الأيام بيني وبينكم بنى الأئمل مثل صيفي ومربعي
أشد بأعناق النوى بعد هذه مرائر إن جاذبتها لم تقطع

(٣) الجوى مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقيل هو داء يأخذ في

الصدر - جوى (كفرح) / (٤) الأمران : السر والأمر العظيم ؛ كما في اللسان (مادة مر)

(٥) إذا أتمل المريض على قومه يقال : هو جنازه عليهم ، جاء هذا المعنى في لسان العرب مادة

(خبز) وأورد هذا البيت شاهداً على ذلك المعنى (٦) العير : الحمار الوحشي والأهلي .

والنزوان : الوتب .

لمعري لقد نهبتُ من كان ناعماً وأسمعتُ من كانت له أذنان
وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها مَحَلَّةٌ يَمْسُوبُ برأسِ سنان^(١)
وأى امرئٍ ساوى بأمِّ حليمة^(٢) فلا عاش إلا في شقاءٍ وهوانٍ
فلما طال عليه البلاء - وقد نتأت قطعة مثل الكبد في جنبه في موضع الطمعة -
قالوا له : لا قطعتما لرجوتَ أن تَبْرَأَ ، فقال : شأنكم ، فأشفق عليه بعضهم ؛ فنهوه
فأبى . وقال : الموتُ أهونٌ عليّ مما أنا فيه ؛ فأحموا له شفرةً ، ثم قطعوها من نفسه ،
ثم جاءت أخته الخنساء فقالت : كيف صبرُهُ ، فقال صخر في ذلك :

أجارتنا إن الخطوب تنوب على الناس كل المخطئين تصيب
فإن تسأليني هل صبرتُ فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليبُ
كأنى وقد أدنوا إلى شِفَارِهِم من الصبر دأى الصَّفْحَتَيْنِ^(٣) رَكُوبُ
أجارتنا لست الفسادة بظاعنٍ ولكنى مقيم ما أقام عسيب^(٤)
ثم لم يلبث أن مات ، ودفن بعسيب .

(١) اليسوب السيد والرئيس . قال في اللسان : المعنى أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان
يعنى : إن العيش إذا كان هكذا فهو الموت (٢) الحليلة : الزوجة (٣) الصفحة من
الرجل : جنبه . والركوب : كثير الركوب (٤) عسيب : اسم جبل بعلية نجد .

(٣) يوم صوءر

أجدبت بلاد بني تميم ، وأصابت بني حنظلة (١) سنة ، فبلغهم خصب بلاد
كلب (٢) بن وبرة ، فانتجما بنو حنظلة ، فنزلوا صوءر ، وكانت بنو يربوع قدام
الناس ، فنزلوا أقصى الوادي ، وتسرع غالب (٣) بن صعصعة فيهم وحده ، دون بني
مالك بن حنظلة ، فلم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب ، فلما نزلوا وردت
إبل غالب فحبس منها ناقة كوماء (٤) فنحرها وأطعمها .

فقال أناس: ليس فينا من بني مالك غير رجل واحد وقد نحر ولم ننحر ؛ فقالوا
لسحيم بن وثيل (٥) الرياحي: انحر ، فلما وردت إبل سحيم حبس منها ناقة فنحرها
من الغد فأطعمها .

* لبني حنظلة على بني رباح (كلاهما من تميم) . وصوءر: ماء لكلب فوق الكوفة هما بلي الشام ،
وهو من الأيام التي آثرنا ذكرها في هذا الجزء ، وإن كانت متصل من حيث الزمن بالإسلام .
خزانة الأدب ص ٢٤٣ ج ١ و ص ٥٢ ج ٣ ، الأغاني ص ٥ ج ١٩ ، النقااض ص ٤١٤ ،
١٠٧٠ طبع أوربة ، ذيل الأمالي ص ٥٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠ ج ٣ ، قصص العرب ص ١١٦
ج ٣ ، معجم البلدان ص ٣٩٥ ج ٥ .

(١) بنو حنظلة بن مالك بن زيد مائة (من تميم) (٢) كلب بن وبرة : قبيلة في قضاة ،
وقضاة من حمير في رأى بعض النساين (٣) غالب بن صعصعة أبو الفرزدق الشاعر ، من
بني مالك بن حنظلة ، وأبوه صعصعة محي الموءودات ، وخبره فيها مشهور ، وقد وفد غالب على
النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمر حتى لحق على بن أبي طالب بالبصرة ، ومات في إمارة يزيد وملك
معاوية (٤) الكوماء : الناقة الضخمة السنام (٥) رباح : قبيلة في يربوع ، وسحيم
ابن وثيل : شاعر معزوف في الجاهلية والإسلام ، وعده ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء
الإسلام ، وقال عنه : شاعر خنذيد شريف مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع
في قومه .

قَبِيل لُغَالِب : إِنَّمَا نَحَرَ ^(١) سُحَيْمَ مَوَاءَمَةَ ^(٢) ؛ فَضَحِكَ غَالِبٌ ، وَقَالَ : كَلَاهُ ،
وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ كَرِيمٌ ، وَسَوْفَ أَنْظُرُ .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَتَيْنِ فَنَحَرَهُمَا فَأَطْعَمَهُمَا ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ
سُحَيْمٍ نَحَرَ نَاقَتَيْنِ فَأَطْعَمَهُمَا ، فَقَالَ غَالِبٌ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُوَأْتِمُنِي .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا عَشْرًا فَمَقَلَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَعَلَ يَنْحَرُهَا
فَانْفَلَتَتْ نَاقَةٌ مِنْهَا ، فَنَاشَمَتْ ^(٣) فِي بَنِي يَرْبُوعَ ، فَرَكِبَ غَالِبٌ فَرَسَهُ ، فَأَدْرَكَهَا عِنْدَ
بَيْتِ الْخُرْمَاءِ ^(٤) ، وَكَانَتْ أَمْرَأَةُ الْهَيْذَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عُثَيْبَةَ ، فَمَقَرَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ ^(٥)
فِي سَبَلِهَا ، فَقَالَتْ الْخُرْمَاءُ : مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ؟ فَقَالَ : دُونَكَ فَاحْتَرَبْتُهَا ، فَإِنِّي
لَأَشْتُمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ أَجْزُرُهَا ، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا غَالِبُ بْنُ
صَمَّصَةَ . فَقَالَتْ : وَاسْوَأُ نَاهُ !

وَرَجَعَ غَالِبٌ فَنَصَبَ قُدُورَهُ ، وَغَاطَ ذَلِكَ بَنِي يَرْبُوعَ ، فَأَتَوْا سَيِّدَهُمُ الْهَيْذَلِيَّ ،
فَتَجَمَّعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا تَرَى ؟ قَدْ فَضَّخْنَا هَذَا ، وَصَنَعَ مَا تَرَى ، فَمَا الرَّأْيُ ؟
قَالَ الْهَيْذَلِيُّ : أَرَى أَنْ تَأْتُوهُ فَنَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كَمَا نَحَرُ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ
صُنْعِهِ . قَالُوا : لَا ، بَلْ إِذَا فَرَّغَ مِنْ قُدُورِهِ عَدَوْنَا فَكَفَأْنَاهَا بِمَا فِيهَا فَفَضَّخْنَاهُ ؛
وَإِنِ بَنِي مَالِكٍ حُلَمَاءُ رُجِحُ فَنَأْتِيهِمْ ، فَتَقَرُّ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ فَيَغْفِرُونَ لَنَا .

قَالُوا ذَلِكَ بِسَمْعٍ مِنَ الْخُرْمَاءِ ؛ فَتَقَقَّعَتْ بِمَلْحَفَتِهَا ، وَخَرَجَتْ مِنْ كِسْرِ بَيْتِهَا ،

(١) روى أن امرأة من بني رباح نذرت إن زوجت ابنها مجرداً أن تنحر جزورين فزوجته
فنحرت جزورين لنسرها ، فوافق ذلك نحر غالب فظن أنه موأمة فنجح الأمر . وفي ذلك يقول
الأحوس :

فكنا ببحر قبل قبة عجرد وقبل جزوري أمه يوم صوءر
(٢) موأمة : مباحاة (٣) انشامت : دخلت (٤) هي أسماء بنت عوف بن القعقاع
(٥) كتب وجأر ، والسبلة : موضع النحر وذلك المكان لا يخلو من شعرات هناك .

فأنت غالباً ، فقالت له : قد سير بك وأنت لا تشعر ! ثم أخبرته بما يريدون به .
قال : ومن أنت ؟ قالت : أسماء بنت عوف ، وإنهم يريدون أن يكفنوا قُدورَكَ
بما فيها ، فيقنموك خزياً . فقال : هل شعركُ أجدهُ ؟ قالت : لا . قال : فارجمي
بأبي أنت وأمي !

فحمل ابنه وابن أخيه له على فرسين ، ثم قال لهما : خذا أعداء^(١) الوادي ، فانظرا
أولَ صرَم^(٢) تزيانه من بني مالك ، فعلىَّ به ، واحشرا من نقيمتهم منهم ، فلقى
أحدهما صرماً من بني فقيم ، ولقى الآخر صرماً من بني سبيع ، ثم من بني طهية ،
فحشراهم ، فأقبلوا على كل صممٍ وذلول ، حتى نزلوا حول غالب ، واستيقظ الهدلقُ
فقام من آخر الليل ، فإذا آياتٌ ورجالٌ لم يكن عهدهم من أول النهار ، فقال : إني
لأتعرفُ وجوهاً لم أرها أول الليل وأبنيةً ورجالاً ؛ فبحث إلى بني يربوع ، فقال :
أترون ما أرى ؟ قالوا : نعم . قال : جاءكم قومٌ ينعنون قُدورهم ؛ أليس هذا فلان ؟
وهذا فلان ! أفترَوْنَ أن تقتلوا هؤلاء في غير جرمٍ ! قالوا : فما الرأي ؟ قال : أرى
أن تأكلوا من طعامه ، وتنجروا كما ينجر ، وتصنعوا مثل ما يصنع .

فقعدهوا فأكلوا من طعامه ، ثم قالوا السُّحيم : اعقر . فقال : والله إني ما أقوم
لنحاري بني مالك ، إنما أقومُ لنوِّكاهم ، قالوا : إنا نرُفدُك^(٣) . قال : فعلى بني مالك
نمُولون بالرِّفْد ، وهم أكثرُ منكم أموالاً .

ثم وردت إبلُ سُحيم ، فمقر منها خمسَ عشرة أوعشرين فضحك غالب ؛ وكانت
إبل غالب تردُّ الخنس^(٤) ، فجاء غلمته قد جبوا^(٥) في حياضهم أنصافها ، فقال لهم :

(١) أي ناحيته أي أنت عن يمين وأنت عن شمال هاهنا وهاهنا (٢) الصرم : الجماعة
(٣) أرفده : أعانه (٤) الخنس : من أظاء الإبل ، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع
(٥) قال في اللسان : الجبا ؛ أن يتقدم الساق للإبل قبل ورودها يوم فيجي لها الماء في الحوض
ثم يوردها في الفد .

قَدْ كُمْ^(١) الْآنَ ، قَدْ أَرَوَيْتُمْ . قَالُوا لَهُ : وَكَيْفَ أَرَوَيْنَا ؟ وَإِنَّمَا جِئْنَا فِي أَنْصَافِ
الْحِيَاضِ وَكُنَّا نَمَلُّوْهَا نَمًّا لَانْضِيطَاطُهَا حَتَّى نَأْخُذَ عَلَيْهَا قَبْلًا^(٢) سَقِيًّا عَلَى رُءُوسِهَا فَتَسْقِيهَا ؛
فَقَالَ : لَيْ قَدْ أَرَوَيْتُمْ فَحَسْبُكُمْ .

فَلَمَّا حَانَ وِرْدُهَا لَبَسَ حُلَّتَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَانْطَلَقَ مَعَهُ الْفَرَزْدَقُ .

قَالَ الْفَرَزْدَقُ : فَعَلَوْنَا صَوْرًا ، وَجَاءَتِ الْإِبِلُ فَأَمْهَلُ حَتَّى إِذَا أُدْبِرْتَ فَلَمْ يَبْقَ
مِنْهَا شَيْءٌ ائْتَضَى سَيْفَهُ فَأَهْوَى لِمَرْقُوبِي آخِرِهَا ، فَفَرَّغَ لَمَّا رَأَى الدَّمَ ، وَوَجَدَنَّ
رِيحَهُ ؛ فَذَعِرَنَّ فَأَقْبَلَنَ حَتَّى أَطْفَنَ بِالْحِيَاضِ نَوَافِيرَ عِطَاشًا ، وَأَقْبَلَ فِي أَثَرِهَا ؛ فَلَمَّا
لَحِقَهَا جَمَلٌ يَقُولُ : عَقْرَاءُ عَقْرَاءُ ، وَيَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ : رَدَّهَا يَا هُمَيْمُ^(٣) ، فَجَمَلَ الْفَرَزْدَقُ
يَقُولُ : إِيَّاهُ عَقْرَاءُ ! إِيَّاهُ عَقْرَاءُ !

فَجَمَلَ يَجُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحِيَاضِ ، فَسَكَلَهَا وَرَدَّ بَعِيرُ عَقْرَهُ ، حَتَّى اضْطَرَّهَا إِلَى
بَيْتِ أُمِّ سُحَيْمٍ - لَيْلى بِنْتِ شَدَّادٍ - فَعَقَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، حَتَّى قَطَعَتْ
أُطْتَابَهُ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ فَسَدَّتْهُ وَدَعَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَاغَالِبُ ؛ إِنْ عَقَرَكَ
لَنْ يَذْهَبَ لَوْمُكَ ، فَقَالَ : إِنْى لَا أَشْتَمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ كَلُّوا مِنْ هَذَا شَحْمًا وَلِحْمًا .
وَجَمَلَ يَمْقَرُهَا وَيَرْتَجِزُ :

خَدَلْتَنِي قَوْمِي وَحَانَ وِرْدِي أَسَوْفُهُ بَنَى حُسَامٍ فَرْدِي
هَلْ أَنْتَ يَا سُحَيْمٌ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدَ كَالْفَلْدِ^(٤) مِنَ الْمُنْدِ

(١) حَسْبُكُمْ (٢) القبل : أن تشرب الإبل الماء وهو يصب فيه فيصيبها شيء منه ،
ومنه قول الشاعر :

بالرث ما أرويتها لا بالعجل وبالجبأ أرويتها لا بالقبيل

(٣) : تصغير هام ، وهو اسم الفرزدق (٤) الفلد في الأصل : القطعة من الكبد ، وغد
البعير فأغد فهو مغد ، أى به غدة ، والأنتى مغد أيضاً بغير هاء .

وقال :

آل رِيَّاحٍ إِنَّهُ الْفِضَّاحُ وَإِنِّهَا الْمَخَاضُ وَاللَّقَاحُ
قَدْ شَاعَ فِي أَسْوَاقِهَا^(١) الْجِرَاحُ فَلَا تَضِجِي وَاصْبِرِي رِيَّاحُ
قَالَ سُحَيْمٌ^(٢) : فَلَمْ أَزَلْ أَطْمَعُ أَنْ يَكْفَ حَتَّى مَرَّ بِفَحْلٍ مِنْهَا نَمْنَهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ
دِرْهَمٍ فَمَعَّرَهُ ؛ فَلَمَّا عَقَرَهُ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَبِقَ شَيْئًا .
فَذَهَبَ سُحَيْمٌ بِكَيْفِهِ عَنْهُ فَأَهْوَى إِلَيْهِ السِّيفُ فَأَصَابَ رِكْبَتَهُ ، فَفَطَعَ إِحْدَى
رِجْلَيْهِ .

فَمَعَّرَ أَرْبَعًا مِائَةَ بَعِيرٍ ، فَطَلَبَهُ عُمَانُ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَمَاقِبَهُ ، فَرَكِبَ إِلَى أَبِيهِ
صَمِصِمَةَ فَرَحَّبَ بِهِ ، وَقَالَ : حَاجَتُكَ ! قَالَ : جِئْتُ تُخْخِيفُ عَلَيَّ مَا عَقَرْتُ ، فَقَدْ
رَحَضْتُ^(٤) عَنْكَ الذَّمَّ وَالْمَارَ ، فَأَخْلَفَ لِي . قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةٌ ! أَخْلَفَ مَا عَقَرْتُ ،
وَأَشْتَرْتُ عَلَيْكَ أَلَّا تَمَعَّرَ بَعِيرًا وَلَا بَهِيمَةً وَلَا نَهْدِيهَا وَلَا تَمَثَّلَ بِهَا . قَالَ غَالِبٌ :
لَا أُعْطِيكَ هَذَا الشَّرْطَ أَبَدًا . قَالَ : فَلَا ، إِلَّا عَلَى هَذَا الشَّرْطِ .

فَلَحِقَ بِالْبَصْرَةِ فَأَتَى مَنْزِلَ الْحُتَاتِ بْنِ زَيْدٍ فَأَلْتَزَمَهُ وَقَبَلَهُ ، وَقَالَ : أَرِمَ تَخْرُجُ
أَعْطِيَةُ الْحَيَّ ، وَفِيهِمْ ثَمَانُونَ عَلَى أَلْفَيْنِ ، فَتَقَاسَمُكَ مِنْ أَعْطِيَتِهِمْ ، فَفَعَلَ ، فَأَخَذَ
مَا أَعْطَاهُ ، فَارْتَحَلَ بِجَمَلٍ وَرَقٍ^(٥) ، فَأَتَى الْمَوْسِمَ بِرَاحِلَةٍ دَرَاهِمٍ ؛ فَلَمَّا قَضَى نُسُوكَهُ
زَارَ الْبَيْتَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بَيْنَ خَرْجِيَّتِهِ بَعِيرًا نَجِيمًا لَا يُجَارَى ، ثُمَّ نَادَى

(١) أسوق : جمع ساق (٢) غلام لغالب كان أبصر الناس بالإبل وأرعاها

(٣) وفق خزانة الأدب : إنه لما اتقضت المجاعة ، ودخل الناس الكوفة قالت بنو رياح لسحيم :
جررت علينا عار الأبد ، هلا نحررت مثل ما نحر غالب ، وكنا نعطيك مسكان كل ناقة ناقتين ؛
فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحر نحو ثلاثمائة ناقة ، وكان في خلافة علي بن أبي طالب ، فنع
الناس من أكلها وقال : إنها مما أهل لغير الله به ، ولم يكن الغرض منه إلا الفاخرة والمباهاة ،
فجمعت لحومها على كيناسة الكوفة ، فأكلها العقبان والرخم (٤) رحضت : غسلت

(٥) الورق : الدراهم المضروبة .

بالبطحاء يأبها الناس ؛ أنا غالبُ بنِ صعصعة ، فن أخذ شيئاً فهو له ، ثم فتح
الخرجين ، ثم حثاً أمامه ، وعن يمينه وعن شماله ووراءه ، حتى إذا فرغ الخرجين من
الورق أحال السوط في بطن البعير ثم نجأ .

فقيل لثمان : عتبت على غالب في المقر وأخفته وطلبت له لتعاقبه ، فهاهو ذلك
قد أمهّب ماله ، فبعث في طلبه ، فهرب ، فأعجزهم .
فقال في ذلك ذو الخرق الطهورى :

ورهُطَ المِحْلُ شِفَاةَ الكَلْبِ	أبلغ رياحاً على نأبها
قصير الرِّشَاءِ صغيرَ الغَرَبِ ^(١)	فلا تبتشوا منكمُ فارطاً
تَصُكُّ أواذِيَهُ ^(٢) بالخسبِ	يُمارضُ بالدَّلْوِ فيضَ الفُرَاتِ
بأن سُبَّ منهم غلام فسب	فما كان ذنبُ بنى مالكِ
نَخَرُهُ بوائِكُهَا ^(٣) للركبِ	عراقيبَ قومِ طِوَالِ الدَّرَى
يَقُطُّ ^(٤) المِظَامَ ويبرى المَصَبِ	بأبيضَ بهتٍ في كفه
يُسَامِي لَهُمُ غالباً قد غلب	يُسَامِي قرومِ ^(٥) بنى دارمِ
وهاب السُّؤالِ وخاف الهرب ^(٦)	فأبقى سحيمِ ^(٦) على مالِهِ

(١) الغرب : الدلو ، والفارط : المتقدم السابق لى الماء ، يتقدم الواردة فيهم لهم الأرسان
والدلاء وعلا الحياض ويستقى لهم ، فرطت القوم أفرطهم فرطاً : سبقتهم لى الماء ، فأنا فارط والقوم
فراط (٢) الأواذى : جمع الآذى : الموج (٣) بوائك الإبل : سماتها
(٤) القط : القطع عامة ، وقيل : قطع النوى الصلب (٥) القرم : الفحل الذى يترك من
الركوب والعمل ويودع للفحلة وجمعه قروم ، والقرم من الرجال : السيد المعظم على المثل بذلك
(٦) هو سحيم بن وثيل الرياحى (٧) فى رواية : الحرب .

ملحق

في أنساب العرب

أنساب العرب*

العرب العاربة

ويقال فيهم العرب العرباء - وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .! والمشهور منهم شَمْبَانِ : الشَّعْبُ الْأَوَّلُ : جُرَّهُمْ (١) ، والشعب الثاني يَمْرُبُ (٢) .

ويعرب هو أصلُ عرب اليمن - ومنه تناسلوا - ووُلد له يَشْجُبُ ، وولد يشجب سبأ - ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى جين عظيمين : حَمِيرٌ (٣) وكَهْلَانٌ (٤) :

١ - حمير

هو حَمِيرُ بن سبأ ، وله عشرة أولاد من عقبه ، ولكن النسب يرجع إلى اثنين

* رجعا في تحرير هذه الأنساب إلى المعارف لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ونسب قحطان وعدنان للبرد ، وصبح الأعمى للفلقشندی ، ونهاية الأرب للنورى ، وقد أثبتنا هذه الأنساب هنا تسهيلا لقارىء هذا الكتاب حتى يستطيع متابعة تفرع القبائل ، وإن كنا قد أشرنا في كل مناسبة إلى فروع هذه القبائل لإشارات مختصرة في حواشى الكتاب

(١) وهناك جرم المذكورة في العرب البائدة ، وقد كانت منازلهم باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فأقاموا به حتى كان نزول إسماعيل على أبيه بمكة (٢) يقال إن العرب سموا عربا ، مشتقا من يعرب (٣) ويقال إن اسمه الرنيح ، وكانت بلادهم مشارف الشام ، فظفار وما حولها (٤) كانت كهلان في أول أمرها قد تداولت الملك مع بني حمير ، ثم انفرد بنو حمير بالملك وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت حكمهم ، ثم تناصر ملك حمير .

منهم : الهميسع ومالك ، ومن مالك كان قضاة^(١) ، وإلى قضاة ينسب جبل قبائل
يحير . . .

والشهور من قضاة سبعة أحياء : بلي^(٢) ، « ومن بطونهم بنو ناب » ،
وجهينة^(٣) ، وكلب^(٤) ، وعذرة^(٥) ، وبهراء^(٦) ، ونهد^(٧) ، وجرم (ومنهم
بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف) .

٢ - كهلان

هو كهلان بن سبأ ، وحيد من أعظم أحياء اليمن ، وأكثرهم قبائل ، والشهور
منهم إحدى عشرة قبيلة :

١ - الأزدي ، وهم ثلاثة أقسام : أزد شنوءة^(٨) وأزد السراة^(٩) ، وأزد
عمان^(١٠) .

(١) ذهب بعض النسائيين إلى أن قضاة من قبائل عدنان وحقق السهيلي فقال : الصحيح أن
أم قضاة مات عنها زوجها مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير وهي حامل ، فزوجها
معد بن عدنان ، فولدت له قضاة على فراشه ، فتبناه ، فنسب إليه . قال بعض رجاؤهم :

قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير النكر

(٢) والنسب إلى بلي بلوى (٣) والنسب إلى جهينة جهني (٤) ثم بنو كلب بن وبرة
ومنهم حارمة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) إلى عذرة هذه ينسب المشق
والتيم ومنهم عروة بن حزام صاحب غفراء ، وجميل صاحب بئينة (٦) كانت منازلهم من
ينبع إلى عقبة أيلة ، ومنهم المقداد بن الأسود صاحب رسول الله (٧) كانت منازلهم باليمن ،
والإيهم كتب رسول الله كتابه المشهور (٨) ثم بنو نصر بن الأزدي ، وشنوءة لقب
لنصر غلب على بنيه (٩) السراة : موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به
(١٠) عمان : مدينة بالبحرين ، نزلها قوم منهم فعرفوا بها .

وبطونهم كثيرة: منهم غَسَّان^(١) والأوس والخزرج^(٢)

وفي الأوس والخزرج بطون كثيرة ، فن بطون الأوس : بنو النبيت ،
وبنو عمرو^(٣) بن عوف وبنو السَّمِيعَة وبنو عبد الأشهل وبنو ظَفَر وبنو جَجَجَبِي .
ومن بطون الخزرج : بنو النجار وبنو بِيَاضَة وبنو ساعدة^(٤) وبنو سالم ، وبنو عوف^(٥)
ابن الخزرج .

٢ — طي^(٦) : ومن بطونهم بنو تيم^(٧) بن ثعلبة ، وبنو نَبْهَان
ابن عمرو ، وثل^(٨) بن عمرو ، وجرم بن عمر ، وجديلة ، وبولان وهناء^(٩) ،
وسدوس^(١٠) ، ومجتر^(١١) ، وزبيد ، وسنيس ، وغزبة ، ولأم^(١٢) ، والفوث .

(١) غسان : ماء نزلوا عليه فتمروا منه ، فسما به ، ولغسان كان ملك العرب بالشام
بعد سليح لى أن انتهى بإسلام آخر ملوكهم جيلة بن الأيهم ، ثم ارتداده ولحوقه ببلاد
الكفر (٢) الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقيبا بن عامر ماء السماء
ابن حارثة الظريف ؛ ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وكانت منازلهم
يترب ومنهم كان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أهل قباء (٤) قوم سعد
ابن عباد (٥) رهط عبد الله بن أبي بن سلول (٦) كانت منازل طي في اليمن ،
ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسبل العرم فنزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا
بني أسد على جبلى أجا وسلمى من نجد ونزلوها ، ثم عرفا بعد ذلك بجبلى طي^{*}
(٧) فيهم يقول امرؤ القيس :

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصايح الظلام

(٨) منهم عمرو بن عبد المسيح ؛ كان أرى العرب ؛ وإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بني ثعل مجرح كفيه من ستره

(٩) منهم لإياس بن قبيصة الذي ملك بعد النعمان بن المنذر (١٠) بضم السين

(١١) ومنهم أبو عبادة البحرى الشاعر (١٢) منهم أوس بن حارثة سيد طي^{*} .

٣ - مَذْحِجٌ ^(١) ؛ ومن بطونهم خَوْلَانٌ ، وَجَنْبٌ ^(٢) (وهم بنو منبّه والحارث
والفليّ وسَيْحَانٌ وَشَمْرَانٌ وَهِفَّانٌ) وَسَعْدٌ ^(٣) العشيّة (وهم أَوْذٌ ^(٤) وَجُعْفِيٌّ ^(٥)
وَزُبَيْدٌ ^(٦)) وَالنَّخَعُ ^(٧) وَعَنْسٌ ^(٨) وبنو الحارث ^(٩) ، وَصُدَاءٌ .

٤ - مُرَادٌ ^(١٠) .

٥ - هَمْدَانٌ ^(١١) .

٦ - كَنْدَةٌ ، ومن بطونهم بنو مُعَاوِيَةَ ^(١٢) وَالرَائِثُ ^(١٣) وَالسَّكُونُ وَالسَّكَّاسِكُ
وَبَنُو جُجْرٍ ^(١٤) وَبَنُو الْجُونِ .

٧ - جُدَامٌ ^(١٥) .

(١) سموا بمذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج (٢) قيل : سموا جنباً لأنهم
جانبوا أحام صداء وحالفوا سعد العشيّة ، وحالفت صداء بنو الحارث بن كعب ، ومنهم معاوية
الخير الجنبى صاحب لواء مذحج في حرب ابني وائل ، ولهم يقول المهلهل :

أنكحها فقدما الأرقام في جنب وكان الجباء من آدم

(٣) سمي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ؛ فكان إذا سئل
عنهم يقول : هؤلاء عشيرتي - دفعا للعين عنهم - فقيل لهم سعد العشيّة (٤) منهم الأفوه

الأوذى الشاعر (٥) لإليهم ينسب الإمام البخارى (٦) منهم عمرو بن معديكرب

(٧) منهم الأشتر النخعى والى على بن أبي طالب على مصر (٨) منهم عمار بن ياسر

الضحبان ، والأسود العنسى المتنبئ (٩) منهم عبد يفيوت الشاعر قتيل يوم السلاب الثانى

(١٠) يقال : اسمه يحارب فتورد فسمى مراداً (١١) وكان شيعة على بن أبي طالب ،

وفيهم يقول يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته . ومنهم مالك بن حريم الذى يقول :

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذياك همدان ظالم

مضى يجمع القلب الذكى وصارماً وأنفاً حياً تجتنبك المظالم

(١٢) ويسمون معاوية الأكرمين ، وفيهم يقول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمام

(١٣) رهط شريح القاضى (١٤) هم ملوك كندة ، وفيهم امرؤ القيس الشاعر

(١٥) هم في كهلان على المشهور ، وبعضهم يردم إلى معد ، وبعضهم ينسبهم إلى مدين .

- ٨ - أنمار^(١) ، وولد له بجيلة^(٢) وخشم^(٣) .
٩ - نخم^(٤) .
١٠ - عاملة .
١١ - الأشعريون^(٥) .

العرب المستعربة (المدنانية)

ويقال لهم العرب المتعربة^(٦) ، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -
والموجودون من العرب من ولد إسماعيل ، وكلهم من بني عدنان بن أدد ؛ والباقون
قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ، ولذلك عرف هؤلاء العرب بالمدنانية .
وولد لعدنان : عكّ ومعدّ ، والنسب فيه يتحدّر من معد ، وولد لمعد ثمانية منهم
قنص^(٧) ، وزار^(٨) ، والنسب في ولده إلى زار .

(١) بعضهم ينسب أعمار إلى عدنان ويقول : إن زار بن معد بن عدنان ولد له مضر وربيعة
ولاد وأعمار ، وولد لأعمار بجيلة وخشم ، فصاروا إلى الين (٢) منهم جرير بن عبد الله
الجلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم يقول الشاعر :

لو لا جرير هلكت بجيلة

نعم الفتي وبئست القبيلة

(٣) منهم حمران الذي يقول :

أقسمت لا أموت إلا حراً

ولإن وجدت الموت طعماً مرا

أخاف أن أخدع أو أغرا

(٤) منهم ملوك الحيرة اللخميون رهط النعمان بن المنذر (٥) الأشعريون : رهط أبي موسى
الأشعري (٦) سموا بذلك لأن لسان إسماعيل - عليه السلام - كان العبرانية أو السريانية فلما
نزلت جرمهم (وهم من القحطانيين) عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية منه
(٧) في المعارف لابن قتيبة : يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم (٨) وفي المعارف
ذكر منهم قضاة وأنها صارت إلى حيدر ، والصحيح ما ذكرناه أنها في حيدر نسباً ووطناً ، وذكر
أيضاً بإدائها منهم .

وولد نزار أربعة : إياد وأثمار وربيعة ومضر ، وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار وهو الصريح من ولد إسماعيل - عليه السلام -

وأما إياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون إلى القبيل الأكبر^(١) .
وأما أثمار فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صاروا إلى اليمن .

ربيعة

هو ربيعة^(٢) بن نزار بن معد بن عدنان ، والمشهور من أولاده ضبيعة وأسد .
وضبيعة قبيلة لم تكثر بطونها ، ومنها بنو أحمس^(٣) وبنو الحارث وبنو دوفن^(٤)

وأسد قبيلة تمددت بطونها وأفضاها ، ومنها بنو عنزة وعميرة وجديلة .
ومن جديلة عبد القيس ، وبنو النمر بن قاسط ، ووائل بن قاسط .
فن عبد القيس : صباح^(٥) بن لكيز ، وبنو غم بن ودبة ، وعجل بن عمرو^(٦)
ومحارب بن عمرو^(٧) ، وجديمة بن عوف^(٨) .

(١) يذكر قوم أن تقيفاً منهم ، والأرجح أنه من قيس غيلان كما سيأتي . ومنهم قس بن ساعدة
وكعب بن مامة ؛ وقد جعله ابن قتيبة ابناً لمعد كما سبق . (٢) ويعرف بريعة الفرس ؛
لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالجيل (٣) لى بنى أحمس ينسب المسيب بن علس الشاعر
(٤) منهم للتاسع الشاعر والحارث بن عبد الله الأضجم ، وكان سيد ضبيعة في الجاهلية
(٥) منهم كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبي عليه الصلاة والسلام . (٦) منهم
صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب (٧) منهم عبد الله بن همام ،
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) رهط الجارود العبدي .

وعصر^(١) بن عوف ، وشن بن أفضى ، وثلعة بن أنمار ، ونكرة^(٢) بن لكيز
والدليل^(٣) بن عمرو .

وأما النمر بن قاسط فن ولدته تيم^(٤) الله ، وأوس^(٥) مناة ، وعبد مناة ،
وقاسط ، ومنبه .

وأما وائل فقد ولد له بكر وثلث ، وعنهما تفرعت بطون كثيرة .



فن بكر : يشكر بن بكر ، وعجل بن لجيم بن صعب ، وخيفة بن لجيم بن صعب
وقيس وعائذ (تيم الله) ، وذهل وشيبان [بنو ثعلبة بن عكابة بن صعب]

فيشكر : من بطونهم بنو غبر بن غم ، وبنو كنانة بن يشكر ، وحرب^(٦) بن
يشكر ، وذبيان^(٧) بن كنانة بن يشكر .

وعجل بن^(٨) لجيم : من بطونهم بنو حاطب بن جذيمة ، وسيار بن الأسعد ،

وكعب بن الأسعد ، وبنو دلف بن جشم ، وعبد العزى بن دلف ، وضبيعة بن عجل
وسعد بن عجل

(١) هم رهط الأشج ، وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إن فيك لحصلتين يجبهما
الله : الحلم والأناة (٢) منهم الثقب العبدى والمزق العبدى الشاعران (٣) منهم سحيم بن
عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعيد بن أبي وقاص (٤) منهم
الضحى بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبيل بني شيبان ، وسمى الضحيان لأنه كان يجلس لهم وقت
الضحى فيقضى بينهم (٥) منهم صهيب بن سنان بن مالك ، صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم . كان أصابه سباه في الروم ، ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه
(٦) رهط ابن الكواء (٧) رهط سويد بن أبي كاهل (٨) منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار ،
وكان سيدهم يوم ذي قار ، ومنهم الأغلب وأبو النجم الراجزان ، والمدليل بن الفرخ الشاعر .

وحنيفة^(١) بن لجم : ومن بطونهم الدول بن حنيفة ، وعبد الله بن الدول ،
وسحيم بن مرة بن الدول ، وعدى بن حنيفة ، وعامر بن حنيفة .

وقيس بن ثعلبة : من بطونهم ، تيم وسعد (وهما الحرقتان) وبنو جحدر^(٢)
(ربيعة بن ضبيعة) ومنهم المسامعة وعُباد بن ضبيعة ، وسعد بن ضبيعة وسعد
ابن مالك .

وتيم الله بن ثعلبة^(٣) : من بطونهم عامر ، والحارث بن تيم الله وعائش بن مالك ،
وبنو زمان بن تيم الله ، وبنو هلال بن تيم الله وبنو حنم .

وذهل بن ثعلبة : من بطونهم سدوس ومازن بن شيان وبنو رقاش^(٤) وبنو عامر
ابن ذهل وبنو عمرو بن شيان بن ذهل .

وشيان بن ثعلبة^(٥) : من بطونهم بنو محلم ، وبنو الحارث وربيعه ، وبنو مرة ،
وبنو الورثة ، وبنو هند ، وبنو الشقيقة ، وبنو أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث
ابن ذهل .



(١) منهم هودبة بن علي ، ممدوح الأعشى ، وشعر بن عمرو قاتل النذر بن ماء السماء يوم
عين إبلاغ . ومنهم مسيلة الكتاب ، ونجدة الحروري (٢) منهم الأعشى . يمون بن قيس
وربيعة الجحدري فارس بكر يوم تجلان اللم ، والحارث بن عباد فارس النعام ، وكان علي جماعة
بكر يوم قضة وطرفة الشاعر (٣) يطلق عليهم اللهازم ، وكانوا حلفاء بني عجل
(٤) رهط الحصين بن النذر والقفقاع بن شور ودغفل النسابة (٥) منهم بسطام بن
قيس فارس بن شيان في الجاهلية ، وقد ربح الدهليين واللهازم اثني عشر مرباعاً ، وهاني بن
قيصة الذي أجاز عيال النعمان بن النذر وماله عن كسرى ويسببه كانت وقعة ذي قار ، وعوف
ابن محلم وفيه يقال : لا حر بوادي عوف ، وجباس بن مرة قاتل كليب ، وهمام بن مرة ،
والضحاك بن قيس ، والثني بن حارثة ، والحوفزان .

تغلب : وأما تغلب فن بطونها الأرقام^(١) [وهم جشم^(٢) ومالك وعمرو وثملبة
ومعاوية والحارث] وعكب^(٣) ، وبنو عدى بن أسامة ، وبنو فدوكس^(٤) وبنو عتاب
ابن سعد بن زهير^(٥) .

قيس عيلان

من مضر بن نزار محمد حيان عظيمان : خندف^(٥) وقيس^(٦) عيلان .
وولد قيس عمراً وسعداً وخَصَفَةَ^(٧) .

١ — عمرو بن قيس عيلان

ولد له فهم^(٨) وعدوان^(٩) .



٢ — سعد بن قيس عيلان

ولد له أعصر وغطفان .

- (١) سموا الأرقام ؛ لأن عيونهم كميون الأرقام (٢) منهم كليب سيد ربيعة كلها ،
وأخوه البهل ، وهو الذي هاج الحرب بين بكر وتغلب (٣) رهط الأخطل الشاعر
النصراني (٤) منهم عمرو بن كلثوم الشاعر ، أحد أصحاب الملققات
(٥) خندف هي امرأة إلياس بن مضر ، وقد نسب ولد إلياس إليها وهي والدتهم
(٦) في نسب قحطان وعدنان للبرد أن قيساً هو الناس بن مضر ، وأن عيلان كان عبداً لمضر
حضن ابنه الناس ، فنسب إليه قيس ، وذكر ابن قتيبة أن اسمه قعة (٧) زاد ابن قتيبة
عكرمة وأعصر (٨) منهم تأبط شرأ العداء (٩) منهم عامر بن الظرب حاكم العرب .

مومن أعصر : غنى وباهلة والطفاوة .

فغنى : من بطونها عبيد وزبان ، وصريم وصيّنة ، وبنو عتريف ، ومعظم
النسب إلى الأب الأكبر .

وباهلة^(١) : من بطونها بنو قتيبة (ومنهم بنو سهم وبنو أصمع) ووائل بن معن
وقرّاص بن معن ، وأبو عليم بن معن ، وبنو أود بن معن ، وبنو جآوة بن معن ،
وهلال بن معن .

والطفاوة : منهم بنو جسر وبنو سنان .

ومن غطفان : عبس بن بغيض ، وذبيان بن بغيض ، وأنمار^(٢) بن بغيض ،
وعبد الله بن غطفان ، وأشجع^(٣) بن ريث .

فعبس^(٤) : من بطونهم بنو جذيمة ، وبنو جرّوة ، وبنو هرّم وبنو بجاد .

وذبيان^(٥) : من بطونهم ثعلبة وفزارة (ومنهم شَمخ وهديّ وبنو غراب
ومازن) ومرة (ومنهم غَيْط وسهم ومالك وبنو صرمة) .

* * *

(١) هم بنو مالك بن أعصر؛ نسبوا إلى أمهم باهلة؛ منهم قتيبة بن مسلم والأصمعي وحي بنت قرط؛
أم الأحنف بن قيس (٢) عددهم قليل ، ومنهم فاطمة بنت الحرشب أم الربيع بن زياد؛ وإخوته
الكلمة (٣) منهم بنو دهمان ، وكانوا ممن أعان على عثمان يوم الدار ، ومنهم فروة بن نوفل
(٤) هي لإحدى جمرات العرب ؛ منهم زهير بن جذيمة ، وكان سيد عبس ، وابنه قيس بن زهير
فارس داحس والغبراء ، وعنصرة الفوارس ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، وزياد بن الربيع
وإخوته الكلمة ، وحذيفة بن اليمان (٥) منهم الحارث بن ظالم وزياد النابغة الشاعر ،
وهاشم بن حرملة ، وحذيفة بن بدر ، والشماخ الشاعر وأخوه مزرد ابنا ضرار ، وسنان بن
أبي حارثة وابنه هرم ، وعامر بن ضبارة والحصين بن هام ومسلم بن عقبة صاحب جيش الحرة .

٣ - خَصَفَةَ بن قيس عيلان

ولد خَصَفَةَ محارباً وعكرمة .

فمن محارب بنو جَسْر^(١) وبنو طريف (ومنهم بنى الخَضْر) .

ومن عكرمة سليم وهوازن .

سليم^(٢) : من بطونهم بنو حرام بن سَمَّال ، وبنو عميرة بن خفاف ، وبنو عصبية

ابن خفاف ، وبنو يربوع بن سَمَّال ، وِرْعَل ومطروود وقَنْفَدُ (بنو نُشْبَةَ بن مالك)

وبنو بَهْرَز بن امرئ القيس ، وبنو الحارث بن بُهْشَه (ومنهم بنو رفاعة وبنو ذكوان

ابن ثعلبة ، وبجيلة بن ثعلبة) وبنو الشريد .

هوازن : من عقبه ثقيف وبكر .

ثقيف^(٣) : من بطونهم بنو مُعْتَب ، وبنو غيرة ، وبنو عُقْدَةَ ، وبنو حبيب

ابن الحارث ، وبنو اليسار بن مالك .

وبكر بن هوازن : من بطونهم سعد^(٤) بن بكر ، ومعاوية بن بكر .

ومن معاوية بن بكر : جشم (ومنهم^(٥) غزيرة) ، ونصر^(٦) ، وصمصمة .

(١) حلفاء بني عامر بن صعصعة (٢) منهم العباس بن مرداس الشاعر ، وصخر ومعاوية

ابنا عمرو ، والحنساء أختهما ، وخفاف بن عمير ، وبيشة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكرم ، وعتبة

ابن غزوان مؤسس البصرة (٣) منهم عروة بن مسعود الصحابي عظيم القرين ، والحارث

ابن كلدة طبيب العرب ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الفقيه ، والحجاج بن يوسف

(٤) هم أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيت هوازن فجاءته أخته من الرضاة ،

فأعتقهم أجمعين (٥) منهم دريد بن الصمة فارس العرب (٦) منهم مالك بن عوف

وكان على هوازن يوم حنين .

ومن صمصمة : مرة (ويعرفون ببني ^(١) سلول) وعامر .

* * *

ومن عامر بن صمصمة : نير وربيعة ، وهلال وسواءة .

فنير : من بطونهم قريع بن الحارث ، وعبد الله ^(٢) بن الحارث ، وجعمونة ابن الحارث ، وبنو قطن ^(٣) بن ربيعة ، وبدر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن نير .
وربيعة : من ولده كلاب وكعب بن ربيعة وعامر بن ربيعة ^(٤) .

فن كلاب بن ربيعة ^(٥) : الوحيد بن كعب ، وبنو أبي بكر بن كلاب (ومنهم بنو هسان) وجعفر بن كلاب ، وكعب بن كلاب ، وربيعة بن كلاب ، والضباب ^(٦) ووبر بن الأضبطة ، وعبد الله بن كلاب ، ونفائة بن عبد الله ، ورؤاس بن كلاب ، وعمرو بن كلاب ، وجميعهم ينسبون إلى الأب الأكبر .

ومن كعب بن ربيعة ^(٧) : عقيل (ومنهم خفاجة والأخيل) ، وقشير (ومنهم عطيف وعطفان وبنو ضمرة) والحريش وجمدة ، وعبد الله بن كعب (ومنهم بنو المجلان) وحبيب .

(١) سلول أمهم ، ومنهم العجير وعبد الله بن هام الشاعران (٢) كان فيهم العدد والشرف
(٣) رهط عبيد الراعي الشاعر (٤) من ولده عمرو بن عامر فارس الضخياء ، وخدش
ابن زهير الشاعر ، وخرقاء صاحبة ذى الرمة (٥) منهم عامر ملاعب الأستة ، ولعيد بن ربيعة
الشاعر ، ووكيع بن الجراح الفقيه ، ويزيد بن الصق ، وزفر بن الحارث ، والطفيل فارس قرزل
(٦) هم حسيل وحسيل وضب (٧) منهم ابن مقبل الشاعر ، ومالك ذو الرقية وليلى الأخيلية
وتوبة بن الحمير صاحب ليلي الأخيلية والمجنون الشاعر ، والنايفة الجعدي الشاعر .

خندف

في خندف فرعان كبيران : طابخة ومدركة .

طابخة

من قبائل بني طابخة : بنو أد بن طابخة ، وهم بنو عمرو بن أد ، وضبة بن أد ،
وعبد مناة بن أد ، وبنو مر بن أد .

فبند مناة بن أد : من بطونهم (تيم ، وعدى ، وعكل ، وثور أطحل)^(١) .
وضبة^(٢) بن أد : من بطونهم (نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ، وعائدة ،
وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشييم) .
وعمر بن مناة هم مزينة^(٣) .



تيم

تيم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس . ولد عمرا وزيد مناة والحارث^(٤) .
فعمرو بن تيم^(٥) : من بطونهم العنبر ، وأسيّد والهجيم ، والقليب ، وكعب ،

(١) في رأى بعضهم هم الرباب ، سموا كذلك لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم في جفنة فيها رب
(٢) منهم زيد القوارس ، وسعد بن ضبة قاتل بسطام (٣) منهم النعمان بن مقرن ومنهم
مقل بن سنان ، ومنهم زهير بن أبي سلمى ، ومومن بن أوس ، وإلياس بن معاوية
(٤) يلقب أبا شقرة (٥) منهم أكرم بن صيني حكيم العرب ، وأبو هالة زوج خديجة قبل
النبي صلى الله عليه وسلم وأوس بن حجر الشاعر ، وحنظلة بن الربيع الصحابي

ومالك والحارث الحبيط^(١) .

وزيد مناة : منهم مالك وسعد .

فمالك بن زيد مناة : من بطونهم ربيعة^(٢) الجوع ، والبراجم (وهم عمرو وقيس وكلفة والطليم وغالب) ويربوع^(٣) بن حنظلة (ومن يربوع الأحمال^(٤) ، وبنو غُدانة ، وكليب بن يربوع وحرام بن يربوع ورياح بن يربوع والمنسب بن يربوع) وبنو دارم ابن مالك (ومن دارم عبد الله بن دارم^(٥) ، ونهشل ومجاشع ومناف وأبان وُقَيْمٌ وجريز) وبنو المَدَوِيَّة^(٦) . (وهم زيد والصدّي ويربوع) وبنو طهية^(٧) (وربيعة^(٨) ابن مالك .

وسعد بن زيد مناة : من بطونهم عوافة بن سعد ، وعمرو بن سعد ، وعبشمس

ابن سعد وهبيرة بن سعد وكعب بن سعد (ومنهم مقاعس وعبيد وصريم وُعْمَيْر^(٩) ورَيْبَع ، وبنو مَفْرَ^(١٠) ، وبنو مَرَّة^(١١) بن عبيد ، وعوف وعامر^(١٢)) وعبد عمرو^(١٣) وعوف بن سعد (ومنهم بهذلة^(١٤) وقريع^(١٥) وآل عطارذ وآل صفوان) والأحارب (وهم حرام وربيعة وعبد العزى ومالك وجشم والحارث الأعرج) .

-
- (١) يقال لولده الحبطات ، رهط عباد بن الحصين ، وكان يعدل بأف فارس (٢) رهط علقمة بن عبيدة الفعل وعلقمة الحصى (٣) منهم الأحوص الشاعر وسجاح التنبئة ووكيع بن أبي الأسود (فانل قنبية بن مسلم) وعتاب بن ورقاء أحد أجواد الإسلام ومالك ومتمم ابنا نويرة وعتيبة ابن الحارث وجريز بن الحظفي الشاعر (٤) هم ثعلبة وعمرو والحارث أبو سليط وحجير وأمهم السفهاء كانت الردافة فيهم (٥) رهط حاجب بن زرارة (٦) نسبة إلى أمهم من بني عدى (٧) هم بنو عوف ومالك ، وأمهما طيبة بنت عبيد شمس (٨) رهط الحنظف بن سجع صاحب جيش الرنذة وقاتل جيش بن دجلة القيني . (٩) رهط السليك (١٠) منهم قيس بن عاصم (١١) منهم الأحنف بن قيس (١٢) رهط زيد بن جلبة وكان شريفاً ، كان الأحنف يقول : كنا نخرق النعال في طلب المروءة من بيت زيد (١٣) رهط سلامة بن جندل الشاعر (١٤) منهم الزبيرقان بن بدر (١٥) رهط المخبل وبني أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة .

مُدْرِكَةٌ

من مدركة هذيل وخزيمة .

فهذيل^(١) : من بطونهم لحيان بن هذيل ، وسعد بن هذيل ، وخزاعة بن سعد ابن هذيل ، وتميم بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وحريث بن سعد بن هذيل ، وجهامة ابن سعد ، وغنم بن سعد ، وكاهل بن سعد بن هذيل ، وصاهلة بن كاهل ، وكعب ابن كاهل .



ومن خزيمة : أسد ، والهون ، وكنانة .

• فأسد^(٢) : من بطونهم دودان^(٣) بن أسد ، وكاهل بن^(٤) أسد ، وعمرو بن أسد ، وحلمة بن أسد^(٥) ، ومنهم أيضاً بنو الصيدا^(٦) ، وبنو نصر بن قمين ، وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعامة .

(١) منهم عبد الله بن مسعود الصحابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر ، وثابت بن عبد شمس الشاعر
(٢) منهم الصامت بن الأقفم قاتل ربيعة بن مالك أبا لييد الشاعر ، ودواب بن ربيعة قاتل عتبية
ابن الحارث اليربوعي ، وبصر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص الشاعران ، وعمرو بن شأس
أبو عرار ، والكميت بن زيد الشاعر ، والحساس بن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحساس ،
وزين بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وأيمن بن خزيم والأقيصر الشاعران
(٣) فيهم يقول امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العسا ما غرّم بالأسد الباسل

(٤) منهم علباء بن الحارث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأفتن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

(٥) أفتانهم امرؤ القيس بأبيه (٦) وفيهم يقول الشاعر :

يا بني الصياد ردوا فرسى إنما يفعل هذا بالدليل

والهون : من بطونهم القارة^(١) (ومنهم عضد والديش) .



وكنانة : من بطونهم ملكان^(٢) ، وعبد مناة^(٣) (ومنهم غفّار^(٤) ، والدئيل^(٥))
وبنوليث^(٦) ، وبنو الحارث^(٧) ، وبنو مدلج^(٨) ، وبنو ضمرة^(٩) ، وبنو عريج ،
وبنو جذيمة^(١٠) ، وعمرو بن كنانة ، ومالك^(١١) بن كنانة (ومنهم بنو فراس^(١٢))
ابن غم ، وبنو ققيم^(١٣)) والنضر .



ومن النضر (وهو قريش^(١٤)) : الصلت^(١٥) ومالك .



(١) هم أرمي العرب (٢) قال ابن قتيبة في المعارف : لهم بقية ، وليس فيهم شرف بارع
(٣) اسمه على وربما قالوا مسعود (المعارف) (٤) رهط. أبي ذر الغفاري ، وفي الحديث
غفار غفر الله لها (٥) رهط. أبي الأسود الدؤلي (٦) منهم عبيد بن عمير وعبد الله
ابن شداد (٧) ويقال فيه بلعارث (٨) هم قافة العرب ، ومنهم سراقاة بن جشعم
المدلجي (٩) رهط. عمرو بن أمية الضمري الصحابي (١٠) منهم خالد بن الوليد
بالقيصية فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) منهم ربيعة بن مكرم
(١٢) وفيه يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله لو أن لي بمائة ألف منكم
ثلاثمائة من بني فارس بن غم (١٣) هم نساء المشهور (١٤) قيل في تسميته بذلك
أنه كان في سفينة يبحر فارس فخرحت عليه دابة عظيمة يقال لها قريش ، فخافها أهل السفينة
على أنفسهم فأخرج سهماً من كنانته فأثبتها ، ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها
معه إلى مكة فسمي باسمها (صبح الأعشى ١ : ٣٥٢) (١٥) صاروا إلى اليمن ، وقيل
إنه أبو خزاعة .

ومن مالك : بنو الحارث^(١) بن مالك (ومنهم بنو الجراح^(٢)) وفهر بن مالك .



ومن فهر^(٣) : محارب^(٤) بن فهر وغالب بن فهر .



ومن غالب : تيم (ويطلق عليهم بنو الأدرم^(٥)) ولؤى^(٦) .



ومن لؤى : عامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وسعد بن لؤى ، وخزيمة بن لؤى

والحارث بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، وكعب بن لؤى .



(١) في صبح الأعتى : هم بنو الحارث بن فهر وهم من المطيين . ويقال إن الخليج منهم ، ويقال كانوا من عدوان فألفهم عمر بن الخطاب بالحارث ، وسماوا خليجاً لأنهم اختلجوا من عدوان .
(٢) منهم أبو عبيدة بن الجراح الصحابي المشهور وسهيل بن صفوان (٣) منه تفرقت قبائل قريش فقتل لهم بنو فهر : (٤) منهم ضرار بن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية ، والضحاك ابن قيس الذي قتله مروان يوم مرج راهط. وبنو الحارث بن مالك وبنو محارب بن فهر يطلق عليهم قريش الطواهر ؛ لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم ، وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة (٥) هم من أعراب قريش ، ولم يكن بمكة منهم أحد ، وفيهم يقول الشاعر :

إن بني الأدرم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد

ولا توفاهم قريش في السدد

(٦) إلى لؤى ينتهي عدد قريش وشرها .

- فعامر بن لؤى^(١) : من بطونهم معيص^(٢) ، وحسل (ومنهم سهل وسهيل
والسكران بنو عمرو ، وبنو مالك^(٣) بن حسل) .
وسامة بن لؤى : من بطونهم بنو ناجية^(٤) .
وسعد بن لؤى : من بطونهم بنو بُنَّانة (وهم عمار ، وعماري ، ومخزوم^(٥)) .
وخزيمة بن لؤى : من بطونهم عائذة^(٦) .



- وكعب بن لؤى : من بطونهم هصيص (ومنهم سهم^(٧) ، ومُجَجَّح^(٨) ،
وعدي^(٩) ، ومرة .



-
- (١) منهم سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى (من المؤلفة قلوبهم) ، وعبد الله بن
أبي سرح ، ونوفل بن مساحق وعبد الله بن مخزومة (٢) منهم ابن قيس الرقيات ، وابن
العرقة الذي رمى سعد بن معاذ يوم الخندق فأصاب أكعله فقال : خذها وأنا ابن العرقة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرق الله وجهك في النار (٣) رهط سودة بنت زمعة
زوج الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) رهط عباد بن منصور قاضي البصرة
(٥) ينسبون إلى أمهم بنانة ، ومنهم أبو الطفيل الصحابي (٦) اندمجوا في شيبان ومقاس
العائدي الشاعر منهم (٧) منهم الحارث صاحب حكومة قريش ، وعمرو بن العاصي ، وقيس
ابن عدى ، وحبيش بن حذافة (٨) منهم صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم ، وأمّية بن
خلف قتل يوم بدر وأبو عزة الجمحي وعثمان بن مطعون وأبو محذورة مؤذن الرسول عليه الصلاة
والسلام (٩) منهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن
مطعم ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حذافة ، وكان قاضياً لعمرو بن العاص ، فقتله الحارثي
يظنه عمراً ، وفيه قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة .

ومن مرة : تيم بن (١) مرة ، وبنو مخزوم (٢) بن يقظة بن مرة ، و كلاب بن مرة

* * *

ومن كلاب بن مرة : بنو زهرة (٣) بن كلاب ، وبنو قصي بن كلاب .

* * *

ومن قصي (٤) بن كلاب : عبد العزى (ومنهم بنو أسد (٥)) ، و عبد الدار (٦) ،
(ومنهم آل أبي طلحة بن عثمان) و عبد مناف .

* * *

ومن عبد مناف : الطلب (٧) ، و نوفل (٨) ، و عبد شمس ، و هاتم ،

(١) منهم أبو بكر الصديق ، و عبد الله بن جدعان ، و طلحة بن عبيد الله ، و عبيد الله بن معمر
(٢) منهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، و خالد بن الوليد ، و المغيرة بن عبد الله ، و عمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة (الشاعر) ، و إسماعيل بن هشام بن المغيرة ، و سعيد بن المسيب (الفقيه)
(٣) منهم عبد الرحمن بن عوف ، و سعد بن أبي وقاص ، و آمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة
والسلام (٤) كان قصي عظيما في قريش ، وهو الذي جمعهم بعد التفرق ، وفي ذلك يقول الشاعر :
أبوكم قصي حين يدعى مجما
به جمع الله القبائل من فهر

وارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة بعد أن كانوا انتزعوها من بني إسماعيل (٥) منهم ورقة
ابن نوفل ، و يزيد بن زمعة ، و الزبير بن العوام ، و العاص بن هشام . و خويلد بن أسد أبو خديجة
بنت خويلد وحزام بن خويلد (٦) كانت يدهم مفاتيح الكعبة دون سائر بني قصي . ومنهم
عثمان بن طلحة صاحب الحجابة ، و شيبه بن عثمان بن طلحة ، و الحارث بن علقمة ، و النضر بن الحارث
قتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأثيل (٧) منهم عبيدة بن الحارث المقتول يوم بدر والإمام
الشافعي (٨) منهم لافع بن طرب الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، و جبير بن مطعم
و الحارث بن عامر صاحب الرقادة ، و مسلم بن قرظة ؛ قتل يوم الجمل .

ومن عبد شمس : حبيب^(١) بن عبد شمس ، وربيعة^(٢) بن عبد شمس ،
وعبد^(٣) العزى بن عبد شمس ، وأمّية بن عبد شمس الأكبر ، وأمّية بن عبد شمس
الأصغر .

ومن أمّية الأكبر : العاص وأبو العاص والميص وأبو الميص (ويسمون
الأعياص^(٤)) ، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو (ويسمون
العنابس^(٥)) .

ومن أمّية الأصغر : العبلات^(٦) .

* * *

ومن هاشم بن عبد مناف : نضلة ، وأسد وصيفى ، وأبو صيفى^(٧) ، وعبد المطلب

* * *

وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً منهم : أبو طالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ،
والعباس وضرار ، وحجّل ، وأبو لُهب ، وقمّ ، والنخيدان^(٨) ، وعبد الله
(أبو النبي ﷺ) .



(١) منهم عامر بن كريز (٢) هو أبو عتبة وشيبة ابني ربيعة (٣) رهط أبي العاصي
ابن الربيع ، وزوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من الأعياص هثم بن عوفان ،
وعتاب بن أسيد عامل النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وآل سعيد من العاصي (٥) ومن
العنابس آل سفيان بن حرب : معاوية وولده وإخوته (٦) منهم الثريا بنت عبد الله التي كان
يحبب بها عمر بن أبي ربيعة (٧) نضلة وأسد وصيفى وأبو صيفى لم يشتهروا
(٨) لقبه الحارث .



فهرس الأعلام

الأحيمر بن عبدالله : ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١
الأخيل بن عبادة : ٢٣٩
أرطاة بن ربيعة : ٣٨٣
أرطاة بن منقذ الأسدي : ٣٨٠
أسمع بن عمرو بن لأم : ٦٠
الأسلع بن القصاف : ٢٢٧
أسماء المرية : ٢٨٣
أسود بن بجير العجلي : ٣٣
الأسود بن شقيق الضبابي : ٣٠٤
الأسود بن المنذر : ١١
أسيد بن جذيمة : ٢٣٧
أسيد بن حنادة السليطي : ١٨٢، ١٩٢،
١٩٧، ٣٦٨
الأشتر بن عمارة الضبابي : ٣٠٧
أعشى قيس : ٣٤، ٣٨، ٩٩، ٢١٣
الأعيمر بن يزيد المازني : ١٢٤
الأغلب العجلي : ٢١٤
الأقرع بن حابس : ٢٠٦
أكتل بن حيان العجلي : ٢١٧
أكثم بن صيفي : ١٢٤
أمامة بنت العداء : ٣٨٠

(١)

أبجر بن جابر العجلي : ١٧٢، ١٨٤
ابن الرعاء الضبابي : ٥٢
أبو دؤاد الرؤاسي : ١٣٥
أبو مسرودة السنبسي : ٦٠
أبو سفيان بن أمية : ٣٣٤
أبو السيد النصري : ٣٣٥
أبو عامر الراهب : ٧٨
أبو عمرو بن الملاء : ٣٦
أبو الغول الطهروي : ٢٢٥
أبو قيس بن الأسات : ٦٥
أبو كلبة التيمي : ٣٧
أبو لطيفة بن الخطيم بن الأعرف : ٣٠٥
أبير بن عصمة التيمي : ١٢٤
أبين بن عمرو السعدي : ١٢٤
أبي بن زيد : ١٦
الأجاج الضبابي : ٣٠٦
الأحوص بن جعفر السكلابي : ٣٤٤، ٣٥٠
أحيحة بن الجلاح الأوسى : ٦٣، ٦٩
٢٤٦

بشر بن أبي خازم : ١٣٨ ، ٣٢٩
بشر بن حزن : ٢٢٠
بشر بن العوراء : ١٧٢
بشر بن مسمود : ٢١٧
بكر بن يزيد : ٣٢
بكير (أصم بن الحارث بن عباد) : ٣٩
بلاء بن قيس : ٣٣١ ، ٣٣٧

(ت)

تماضر بنت الشريد : ٢٣٦

(ث)

ثابت بن المنذر بن حرام : ٦٦
ثعلبة بن الحارث : ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٦
ثعلبة بن يربوع : ٣٧٠

(ج)

جابر بن وهب : ٣٣٦
جبلة بن باعث اليشكري : ٢٩
جثامة الذهلي : ١٧٦
جزء بن سعد : ١٩٣ ، ١٩٧
جساس بن مرة : ١٤٣
جشم بن ذهل : ١١١
الجعد بن الشماخ : ٢١٥
جعفر بن علبة : ٨٥
الجليح بن شديد الجعفرى : ٣٠٤
جليلة بنت مرة : ١٤٣

امرؤ القيس بن أبان : ١٦٠
امرؤ القيس بن حجر : ٤٩ ، ١١٥
أميمة بنت أمية بن عبد شمس : ٣٣٨
أنس بن عباس الأصم : ٣٧٠
أنس بن مرة : ٢٨٢
أنوشروان (ملك الفرس) : ٢٠
أنيف بن جبلة الضبي : ١٨٢
الأهتم بن سنان : ١٢٨ ، ٣٧٨
أوس بن حارثة الطائي : ١٣٧
أوس بن حجر : ٢٠٧ ، ٢٣٦
أوس بن خالد : ٦٠
أوس بن قلام الحارثي : ٦
إياس بن عبلة : ٢٢٦
إياس بن قبيصة : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦
أيوب بن محرف : ٦

(ب)

بإذان (عامل كسرى) : ٢٧٢
بجير (ابن أخي الحارث بن عباد) : ٣٩
بجير بن عبد الله : ٢٠١ ، ٣٧٥
بدر بن معشر التفاري : ٣٢٢
البراض بن قيس : ٣٢٦
بريقة بنت شيدان : ٢٢٣
بسطام بن قيس الشيباني : ١٩١ ، ١٩٧ ،
٣٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠١
للبيسوس بنت منقذ : ١٤٤

حبيش بن دافع : ١٠٩
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٠٨
حجر بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
حجر بن عمرو الكندي : ٤٢
حذيفة بن بدر : ٤٩
حرب بن أمية : ٢١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩
٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
حر بن الحارث العبسي : ٢٥٩
حرقصة بن جابر : ١٨٤
حرملة المكي : ٣٦٠
حريث بن سلمة : ٢٢١
حزيمة بن طارق : ١٨٢
حسان بن ثابت : ٦٨
حسان بن عامر بن الجون : ٣٥٩
حسان بن كبشة الكندي : ٣٦٥
حسان بن وبرة السكبي : ٣٥١
حسيم بن عمرو السكبي : ١٣٤
حشيش بن نمران الرياحي : ٣٦٦
حصن بن حذيفة : ٢٦٤ ، ٣٥١
حصن بن ضرار الضبي : ٣٩٠
حصيصة بن شراحيل : ٢٠٨
الحصين بن أسيد بن زهير : ٢٣٢
الحصين بن زهير : ٢٣٢
الحصين بن يزيد الحارثي : ١٣٢
حضير بن سماك : ٧٢ ، ٧٥

جندب بن حصن السكبي : ١٣٨
الجون السكبي : ٣٥١

(ح)

حاتم الطائي : ٦٠ ، ١٣٧
حاجب بن حميصة : ٣٠٨
حاجب بن زرارة : ٩٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥١
الحارث بن الأبرص : ٣٥٨
الحارث بن بدر : ٢٥٩
الحارث بن بنية المجاشعي : ٥٤ ، ٢١٥
الحارث بن جبلة : ٢٠ ، ٥٤ ، ٥١ ، ٦٠
١٢٢
الحارث بن ربيعة : ٢٩
الحارث بن شريك (الخوفزان) : ٣٢
١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢١٣
الحارث بن الثريد : ٢٣٦
الحارث بن عباد : ١٥٤
الحارث بن عمرو (المقصور) : ٤٦ ،
١١٢
الحارث بن قراد : ١٨٢
الحارث بن كادة : ٣٣٧
الحارث بن مكدم : ٣١٥
الحارث بن همام : ١٦٢
الحارث بن ولاة : ٢٥ ، ٢٩
حاطب بن قيس الأوسي : ٧٢
حبيب بن عتيبة : ٤٧

خفاف بن عمير : ٢٨٤

خفاف بن ندبة ٧٨

الخنساء بنت عمرو (الشاعرة) : ٢٨٥

٢٩٠

خيرى بن عبادة : ٤

(د)

دختنوس بنت لقيط : ٣٦١

دراج بن زرعة بن قطن : ٣٠٨

درهم بن زيد : ٦٥

دريد بن حرملة : ٢٨٥ ، ٢٨٩

دريد بن الصمة : ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٧

(ذ)

ذؤاب بن أسماء : ٢٩٨

(ر)

الربيع بن زياد : ٢٤٧ ، ٢٤٩

ربيعة بن شكل : ٣٤٩

الربيع بن ضبع الفزاري : ١٢٢

ربيعة بن طريف : ١٧٦

ربيعة بن الطفيل : ١٧٦

ربيعة بن عبد الله : ٣٤٥

ربيعة بن غزالة : ٣٠

ربيعة بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٤٥

الحطيئة (الشاعر) : ١٣٧ ، ٣٧٨

حليمة بنت الحارث النسائي : ٥٤

الحكم بن الطفيل : ٢٧٨

الحمراء بنت ضمرة بن جابر : ١٠٧

حمران بن عبد عمرو : ١٦٧ ، ١٧٨

حمل بن بدر : ٢٤٩

حماد بن زيد بن أيوب : ٧

الحننفة الضبي : ٢٧٨

حنديج بن البكاء : ٢٣٩ ، ٣٤٥

حنظلة بن بشر : ١٨٧

حنظلة بن ثعلبة : ٢٩ ، ٣١

حنظلة بن الطفيل : ١٨٧

حنظلة بن عمار : ٣٠٢

حنظلة بن المأمون : ١٧٣

حنابزين : ٢٧

الحوثرية بن قيس : ٣٧١

(خ)

خارجة بن سنان : ٢٧٠

خارجة بن حصن : ٣٧٣

خالد بن جعفر : ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٤٤

خالد بن مالك النهشلي : ٣٦٦

خالد بن يزيد الهرازي : ٢٧

خداش بن زهير : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧

خريم بن سنان : ٢٦٩

خفاف بن حزن : ٢٢٠

سبيع بن ربيع : ٣٣٥
 سبيع بن عمرو : ٢٦١
 سبيعة بنت عبد شمس : ٣٣٥
 سحيم بن وثيل : ٤٠١ ، ٣٦٨
 سدوس بن شيان : ٤٣ ، ١١١
 بسري بن عبد الله الهاشمي : ٨٧
 سعد بن صبا الأسيدي : ٣٠٠
 سعد بن فلحس الشيباني : ١٨٨
 سعد بن مالك : ١٥٤
 سعد بن مرة : ١٤٥
 سعدي زوج (أوس بن حارثة) : ١٣٨
 سفيان بن أمية : ٣٣٤
 سفيان بن عوف : ٣٣٧
 سلامة بن جندل السعدي : ١٨١
 سلامة بن طلب : ١٧٥
 سلمة بن الحارث : ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢
 سلمة بن خالد : ١١١
 سلمى بنت عمرو : ٧٠
 سلمى الحلقي : ٣٨٠
 سمير بن يزيد : ٦٣
 السموءل بن عدياء : ١٢١
 سنان بن سُمَيّ : ١٧٥
 سنان بن أبي حارثة : ٢٥٦ ، ٣٦٠
 سنان بن سنان بن أبي حارثة : ٣٧٤
 سواده بن يزيد : ١٨٧
 سوار بن حيان : ١٨٠

ربيعة بن مكدم : ٣١٣ ، ٣١٩
 رشيد بن رميص : ٢١٨
 رملة بنت صبيح : ٣٨٠
 رياح بن الأسك : ٢٣٠
 ريان بن الأسلع : ٢٦٣
 (ز)
 الزبرقان بن بدر : ١٢٤
 زرارة بن عدس : ١٠٠
 زرعة بن الصعق : ٣٤٥
 زنباع بن الحارث : ٣٦٦
 زنباع بن الحكم : ٣٦٨
 زهير بن أبي سلمى : ٢٧١
 زهير بن جذيمة : ٢٣٠
 زهدم بن حزن العبسي : ٢٩٤ ، ٣٥٧
 زياد بن نير الأسيدي : ٢٨٠
 زياد بن الهبولة : ٤٢
 زيد بن أيوب : ٧
 زيد الخليل : ٦٠
 زيد بن عدى : ١٨
 زيد بن عمرو : ٢٢٦
 زيد الفوارس : ٣٩٠
 (س)
 ساعدة بن مر : ٢٩٨
 سبيع بن الحطيم : ٣٧٣

(ص)

- صخر بن أعلى الهندى : ١٣٤
صخر بن عمرو : ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩
صرد بن حمزة : ١٩٣
صریح بن ربيع : ١٧٨
الصمق بن عمرو : ٣٤٥
صلبع بن غنم : ٤٣
الصمة الجشمي : ٢١٥
الصمبل بن الأعور السكلابي : ١٣٣

(ض)

- ضرار بن الخطاب : ٣٣٠
ضرار الضبي : ٣٩٠
ضرار بن عمرو : ١٠٩
ضرار بن الأفقعاع : ١٧٢
ضمرة بنت ائيب الجاني : ١٢٧
ضمضم (أبو الحصين الرى) : ٢٥٩

(ط)

- طارق بن ديسم : ٩٦
طريف بن عيم العنبرى : ٢٠٨
طريف بن عمرو : ١٠٨
طريف بن مالك : ١٠٨
طفيل الفنونى : ٣٠١
طفيل بن مالك : ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦
٣٨٠

سويد بن الحوفزان : ١٨٨

سويد بن ربيعة الدارمي : ١٠٢

سويد بن صامت الأوسى : ٦٦

(ش)

- شاس بن زهير بن حذيفة : ٣٣١
شأس بن عبدة : ٥٥
شتير بن خالد السكلابي : ٣٩٠
شداد بن معاوية : ٢٦٣
شراحيل الشيداني : ٢٠٨
شرحاف بن المنم : ٣٩٢
شرحبيل بن أخضر بن الجون : ٣٥١
شرحبيل بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
شريح بن الأحوص : ٣٥٩
شريح بن الحارث اليربوعى : ٩٦
شريح بن وهب : ٣٦٨
شريك بن عمرو : ٣١
شريك بن مالك : ٣٧٣
شريك بن الهيثم : ٣٠٥
شمر بن عمرو الحنفى : ٥٢
شمعة بنت الأخضر : ٣٨٦
شميث بن زنباع الرياحى : ٣٦٩
شهاب بن عبد قيس اليربوعى : ٩٥
شيدان بن خصفة : ٢٢٠

عبد الله بن الطفيل : ٢٨٢
 عبد الله بن عامر : ٢٢٠
 عبد الله بن عنمة الضبي : ١٨٧ ، ٣٨٥
 عبد الله بن غطفان : ٣٩٨
 عبد الله بن مالك : ٢٢١
 عبد الملك بن مروان : ٣٠٨
 عبد يفيث بن صلاة الحارثي : ١٢٦
 عبيد بن الأبرص : ١١٣
 عتبة بن جعفر : ٣٠٠
 عتبة بن شتير : ٣٩٠
 عتاب بن هرمي بن رباح : ٩٤
 عتوة بن أرقم : ١٨٧
 غنيبة بن الحارث : ١٧٨ ، ١٩٢ ،
 ٣٧٣ ، ٣٧٠ ، ١٩٧
 هنجل بن أناموم : ١٧٢
 عثمان بن عبد الله بن مرارة القرشي :
 ٣٠٨
 عثمان بن عفان : ٢٢٠ ، ٤٠٦
 عديل بن الفرخ : ٣٧
 عدى بن حاتم : ٦١
 عدى بن زيد : ١٧
 عدى بن مربيثا : ١٤
 عروة بن جعفر : ٣٠١
 عروة بن خالد : ٣٨٠
 عروة الرجال : ٢٤٣ ، ٣٢٧
 عروة بن الورد : ٢٨٧

طلحة بن سنان : ٢٦٨

طليسة بن زياد المجلي : ١٧٣

(ع)

عاصم بن خليفة الصباحي : ٣٨٤

عاصم بن عمرو : ٦٩

عاصم بن النملی : ٣٢٠

عاصم بن جوين : ١٢١

عاصم بن الطفيل : ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٧٨

٣٠٢ ، ٢٨٢

عاصم بن كعب : ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥

عاصم بن مالك : ١١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥ ،

٣٦٥

عباس الأصم : ٢٨٥

عباس بن مرداس : ٢٨٥ ، ٣٢١ ،

٣٧١

عبد عمرو بن سنان : ١٨٧

عبد الله بن أبي : ٧٤

عبد الله بن جدعان : ١٠٩ ، ٢٤٨ ،

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

عبد الله بن جنبل الطمان : ٣١٥ ، ٣١٩

عبد الله بن جمدة : ٢٢٤

عبد الله بن الحارث بن عمرو : ١١٢

١٨٧

عبد الله بن الزبير : ٣٠٨

عبد الله بن الصمة : ٢٩٣

عمرو بن عبد الله بن جمدة : ٣٥٢
عمرو بن عمرو : ٣٦٥ ، ٣٥٨
عمرو بن قيس : ٢١٢ ، ١٧٢ ، ٢٨٩
عمرو بن مالك : ١٦٧ ، ٣٢٠
عمرو المزدلف بن أبي ربيعة : ١٢٤
عمر بن ماقط الطائي : ١٠٥
عمرو بن الهمان البياضي : ٧٢
عمرو بن هند : ١٠٠ ، ١٣٧
عمران بن مرة : ٢٠٦
عميرة بن طاري : ١٨٤
عنتر بن شداد : ٢٥٨ ، ٢٦٧
العنقاء بنت هام : ٣٨٠
عوف بن الأخوص : ٢٦٨ ، ٣٠١ ،
٣٤٥ ، ٣٦٠
عوف بن بدر : ٢٥٩
عوف بن جيل : ٤٩
عوف بن عتاب : ٩٤
عوف بن عطية : ٣٧٣ ، ٣٧٨
عوف بن عمرو : ١١١
عوف بن القمقاع : ١٧٣
عوف بن محلم : ٤٢ ، ١١١
العوام الشيباني : ١٩٤
عينة بن حصن : ٧٢ ، ٣٧٣
(غ)
غالب بن صعصعة : ٤٠١

عصمة بن أبي التيمي : ١٢٩
عصمة بن حدرة : ٣٦٨
عصيم بن مالك الجشمي : ٤٦
عصيمة بن عاصم : ٢٢٣
المقاق بن الفلاق : ٣٦٨
علياء بن الحارث : ١١٥
علبة بن جعفر : ٨٧
علقمة الفحل : ١٠٥ ، ٥٥
علي بن جنذب : ٨٧
عمارة بن زياد العبسي : ٢٦٠ ، ٣٩١
عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل : ٤٢
عمرو بن الأخوص : ٣٦٦
عمرو بن امرئ القيس الخزرجي : ٦٤
عمرو بن بشر : ٢٩
عمرو بن جبلة : ٣١
عمرو بن جنذب : ١٩٩
عمرو بن الجون : ٣٥١
عمرو بن جوين : ٩٦
عمرو بن الحارث بن ذهل : ١٤٦
عمرو بن حوط : ٩٦
عمرو بن خالد : ٣١٩
عمرو بن سنان : ١٢٨
عمرو بن سواد : ٢١١
عمرو بن شماث الطائي : ١٠١
عمرو بن صبيح الهندي : ١٣٣

قيس بن عبد الله القعسي : ٣٨٠

قيس بن قبيصة : ٣٣

قيس بن مسمود : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ،

٢٩٩ ، ٥٣

قيس بن مقلد : ١٧٨

قيس بن المنتفق : ٣٥٨

(ك)

كدام بن بجيلة : ٣٧٦

كرب بن صفوان : ٣٥٣

كردم الفزاري : ٢٩٤

كرز بن خالد : ٣١٩

كسرى أبو شران : ٢ ، ١٢٤ ، ١٩١ ،

كعب بن أسد القرظي : ٧٤

كعب التعلبي : ٦٣

كعب بن عمرو المازني : ٦٩

كعب الفوارس بن معاوية : ١٣٤

الكاحبة اليربوعي : ١٨٢

كليب بن أعبد الأشهل : ٧٨

كليب بن وائل : ١١١ ، ١٤٢

(ل)

لأم بن سلامة : ٣٧١

لبيد بن ربيعة : ٣٠٢

لبيد بن عمرو الفسائي : ٥٤

لقيط الأيادي : ٣٩

لقيط بن زرارة : ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

(ف)

الفارعة بنت معاوية : ٣٨٠

فاطمة بنت الأحجم : ٣٣٩

فدكي بن أعبد : ١٧٦ ، ٢١٠ ،

فراس بن حابس : ٢٠٦

فروة بن الحكم : ٣٦٦

فروة بن مسمود : ٥٣

(ق)

قابوس بن المنذر : ٩٥

قباد بن فيروز : ٤٦

قبيصة بن نعم : ١١٧

قتادة بن مسلمة : ٢٦٦

قدامة بن سلامة : ٣٦٥

قرة بن قيس بن عاصم : ١٧٦

قرة بن هبيرة : ٣٧٨

قرواش بن عمرو : ٢٦٣ ، ٢٦٨ ،

قعنب بن الحارث : ٣٧٥

قعنب بن سمير : ١٩٣

قعنب بن عصمة : ١٩٣

قيس بن جحندر : ١٠٢

قيس بن حزن العبسي : ٣٥٧

قيس بن الخطيم : ٦٧ ، ٧٩ ،

قيس بن زهير بن جذيمة : ٢٤٥ ،

٣٤٩ ، ٣٤٦

قيس بن عاصم النقرى : ١٢٤ ، ١٧٥

مرثد بن الحارث : ٣٣
مرثد بن ذى جدين : ١٢٠
مرة بن ذهل بن شيدان : ١٤٣
مزة بن عمرو : ٢٨
مرة بن عوف الجشمي : ٢٩٨
مربة بنت جابر : ١٤٣
مزيد بن مهمم : ٣٠٥
مسعدة السلمي : ٢٢٠
مسعود بن معتب النقي : ٣٣٥ ، ٣١٦
مسهر بن ذى جدى الجيرى : ١٢٠
معاوية بن الجون : ٣١٥ ، ٣٦٠
معاوية بن شكل : ٢٦٨
معاوية بن الصموت : ٣٦٠
معاوية بن عمرو السلمي : ٢٨٣
معيد بن زرارة : ٣٤٧
معدان بن عصمة : ١٩٣
معدى كرب بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
مفروق بن عمرو : ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٢
مقاس بن عمرو : ٢١٧
مكسر بن حنظلة : ٢٥
الملبيد بن مسعود : ٢٠٢
مليل بن عبد الله : ١٩٨ ، ٢٠١
المنذر بن ماء السماء : ٤٦ ، ٥١ ، ٩٤
١٢٠ ، ١٠٢ ، ٩٩
المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ٥٤

للى بنت الأحوص : ٣٨٢
(م)
الأمور الحارثي : ١٢٥
مالك بن بدر : ٢٦٠
مالك بن جعفر : ٣٤٥
مالك بن حطان : ١٩٨ ، ٢٠١
مالك بن حمار الفزاري : ٢٨٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣
مالك بن خالد : ٣١٩
مالك بن الربيع : ٣٠٥
مالك بن زهير : ٢٥٤
مالك بن سلمة (ذو الرقية) : ٣٧٨
مالك بن المجلان : ٦٢
مالك بن حقافة : ٣٠٠
مالك بن قيس : ١٧٣
مالك بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٨٠
مالك بن المنتفق : ٣٨٢
مالك بن المنذر بن ماء السماء : ١٠٢
مالك بن نويرة : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٣٧٢
متمم بن نويرة : ٩٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٣
الثلم بن قرط : ٣٧٦
الثلم بن الشخرة : ٣٩١
محرز بن مكعب الضبي : ٢١٨ ، ٣٨٦
محرق النساني : ٣٨٨
محمد بن هشام : ٩٠

- المنلق بن ربيعة : ٤٠٢
هذيل بن الأحنس : ١٧١
هريم بن الخطيم : ٣٠٦
هزار بن مرة : ٢٨٢
هشام بن عبد الملك : ٩٠
هشام بن المغيرة : ٣٢٩ ، ٣٣١
همام بن بشامة : ١٧١
همام بن مرة : ١٤٤
هند بنت جربول : ١٠٧
هند بن خالد : ٣١٩ ، ٣٢١
هند بنت ظالم : ٤٢
هند بنت النعمان : ٢٧
هند بنت وفاض : ٣٨٠
هند بنت يزيد بن معاوية : ١٢١
هوزة بن علي الحنفي : ٢

(و)

- وبرة السكابي : ١٠٩
وحزة بنت الخطيم : ٣٠٦
وديمة بن أوس : ١٩٣
الورد العبسي : ٢٥٠
ورقاء بن زهير : ٢٣٨
وكيع بن القصاص : ٢٢٦
الوليد بن المغيرة : ٣٢٩
الوليد بن يزيد : ٩٢

المهلل بن وائل : ١٤٩

(ن)

- النابغة الذبياني : ٢٨٠
ناشب بن بشامة : ١٧٠
نافع بن حجر : ١١٥
نبيشة بن حبيب : ٢٨٥ ، ٣٩٥
ندبة بن حذيفة : ٢٤٥
النضر بن مضارب : ٨٧
النعمان بن حساس اليمى : ١٠٢ ،
١٢٤ ، ٣٧٣
النعمان بن زرعة : ٢٦
النعمان بن فهدوس التميمي : ٣٦٤
النعمان بن المنذر : ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ،
٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥١
نعمة بنت ثعلبة المدوية : ٧٨

- نميم بن عتاب : ٣٧٦
نميم بن القمقاع : ١٧٣
نمشل بن مرة : ٢٨٢
نوفل بن ربيعة : ١١٤

(ه)

- هاشم بن حرملة : ٢٨٣
الهامرز : ٢٧
هاني بن قبيصة : ١٩٢
هاني بن مسمود : ٩٣ ، ٢٠٩

يزيد بن عمرو : ١١٠
يزيد بن مسهر : ٣٢
يزيد بن معاوية : ١٢١
يزيد بن المحرم : ١٢٥
يزيد بن هوبر : ١٢٥
يزيد بن اليكسوم : ١٢٥
يوسف بن عمر النفق : ٩٢

(٥)

يزيد بن حارثة : ٣١
يزيد بن حمار السكوني : ٣٣
يزيد بن حنظلة : ٤١
يزيد بن شرحبيل : ٩٩
يزيد بن الصمق : ٣٦٥
يزيد بن عبد المدان : ١٢٥



الأئمة والقبائل

بنو البكاء : ١٣٤

بياضة : ١٠٦ ، ٩٥

(ت)

تغلب : ١١٢ ، ٩٩ ، ٤٦ ، ٤٢ ، ٢٧

١٤٥

تميم : ٢ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ١٠٩ ، ١٢٤

١٧٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٢

٢١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥٠ ، ٤٠١

بنو تميم اللات : ١٧٤

بنو تميم الله : ٢٠٦ ، ٢٢٦

(ث)

الثعالب : ١٩٧

بنو ثعل : ١٢١

بنو ثعلبة : ١٩٧

(ج)

بنو جحجحي : ٦٣ ، ٦٩

جديس : ٣٩٦

جديلة : ٦٠

(١)

بنو آكل المرار : ١٢٠

أبو بكر بن كلاب : ٣٠٠

الأحارب : ١٧٥

الأحاييش : ٣٣١

الأزد : ١٢٠ ، ٦٢

أسد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٣٨ ، ٢٦٢

٣٠٠ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٩٩

أشجع : ٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٣

أكلب : ١٣٢

الأوس : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

إياد : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٨٨

(ب)

بنو بدر بن فزارة : ٢٤٦ ، ٣٧٤

البراجيم : ١٠٦ ، ٩٥

بكر بن عبد مناة : ٣٣٤

بكر بن كلاب : ٢٦٨

بكر بن وائل : ٦ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٦

٩٩ ، ١١٢ ، ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٧٨

١٨٥ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٠

بنو ذهل بن ثعلبة : ١٧٨ ، ١٧٥

(ر)

الرباب : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٦

بنو ربيع بن الحارث : ١٧٨

ربيعة : ٤٢ ، ١١١

بنو ربيعة بن ذهل : ٢٩

بنو رعل : ٣٧٠

بنو رواحة : ٢٢

الروم : ١٢٢

بنو رياح بن يربوع : ١٨٥ ، ٢٢١

(ز)

زيد : ١٣٢ ، ١٩١

بنو زباد بن الربيع : ٢٥٠

بنو زيد (بطن في الأوس) : ٦٣

(س)

سعد بن بكر : ٣٣٥

سعد بن زيد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٥

٣٧٨ ، ٣٧٣ ، ٢٦٦

سعد المشيرة : ١٣٢

سليم : ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣١٥ ، ٣١٩

٣٣١ ، ٣٩٩

بنو سليط بن يربوع : ١٧٨ ، ٢٠٩

بنو سنان : ٢٧

بنو حشم : ١٤٤ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ،

٣٣٥ ، ٣٢٥ ، ٣١٧

بنو جملة : ١٣٣

بنو جعفر بن ثعلبة : ١٩٩

بنو جعفر بن كلاب : ٢٦٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٥٠

جهينة : ٧٣ ، ٢٨٤

(ح)

بنو الحارث بن الخزرج : ٦٤ ، ٧٢

بنو الحارث بن كعب : ٨٥ ، ٨٩ ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ٣٠٢

بنو حازمة بن لأم : ٢٢٦

حمير : ١٢٠

بنو حنظلة : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٧٢

٢١٥ ، ٢٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠١

(خ)

حشم : ١٣٢

الخزرج : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

(د)

الدؤل : ٣٢٦

بنو دارم : ١٠٦ ، ١١٢ ، ٣٤٤

(ذ)

ذبيان : ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٥١

بنو عامر بن صعصعة : ١٠٩ ، ١٣٢ ،
١٩٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ،
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ،
٣٦٥ ، ٣٧٦

عيس : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٨١ ،
٢٩٣

عبد القيس : ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٤٩ ،
٣٩١ ، ٣٩٨

بنو عبيد : ١٩١

بنو عثيبة : ١٩١

بنو عجل : ٣١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ،
عدوان : ٣٣٥

بنو عدى (رهط خاتم الطائي) : ١٠٢

بنو عدى بن جندب : ١٧٤

بنو عدى بن كعب : ٣٠٨

بنو عقيل بن كعب : ٨٥ ، ٨٩

بنو عمرو بن تميم : ١٧١ ، ٣٧٥

بنو عمرو بن جندب : ١٩٨

بنو عمرو بن حفظة : ٢٠٦

بنو عمرو بن عوف : ٦٣

بنو العنبر : ١٧٠ ، ٢٢١ ، ٣٦٥

بنو عنزة بن أسد : ١٧٥

(غ)

غسان : ٥٤

مذنبس : ٦٠

(ش)

شهران : ١٣٢

بنو شهاب : ٢٠٠

شيبان : ٢٣ ، ٤٣ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،

٢٦٦ ، ٣٨٢

(ص)

صداء : ١٣٢

الصنائع : ١١٢

(ض)

ضبة : ١٠٩ ، ٢٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٣ ،

٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١

(ط)

طسم : ٣٩٦

بنو الطماح : ٢٣١

طبي : ٢٢ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٣٧

(ع)

بنو عائدة : ٢٠٩

بنو عاصم بن عبيد : ٢٠١

بنو كعب: ٣٥٠، ٣٣١، ٢٣٨
بنو كلاب: ٣٣١، ٢٣٧، ٢٣٢
٣٦٨، ٣٤٩
كلب: ١١٦
بنو كلفة: ١٠٦
كفانة: ٣٢٤، ٣٢٢، ٣١٢، ١١٣
٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٣
٣٣٧، ٣٣٤
كندة: ٣٥٩، ٣٥١، ٤٢

(ل)

لخم: ٥٥
اللهازم: ١٨٤، ١٧٨، ٢٧٥، ١٧٠

(م)

بنو مازن: ٢٢١
بنو مازن بن فزارة: ٢٥٣
بنو مالك بن حنظلة: ١٧٢، ٢١٦
٤٠١، ٣٧٦
بنو مالك بن زيد: ١٩٧
بنو مالك بن كفانة: ٣١٧
بنو مجاشع: ٩٤
مخزوم: ٣٣٤
مدحج: ١٣٢، ١٢٥، ١١١
مراد: ١٣٢
بنو مرة: ٢٠٩، ١٤٤
بنو مرة بن عوف: ٢٨٣، ٢٧٨

غطفان: ٢٧٨، ٢٦٥، ١١٢، ٤٦
٣٥٠، ٢٩٣، ٢٨١
غني: ٢٤٢، ٢٣١
غوث: ٦٠

(ف)

بنو فراس بن غم: ٣١٩، ٣١٥
الفرس: ١٩١، ٣٣
فزارة: ٢٩٣، ٢٨٣، ٢٧٨، ٢٥٣
٣٧٣
فهم: ٣٣٥

(ق)

قريش: ٣٣٠، ٣٣٤، ٢٣٦، ١٠٩
٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣١
بنو قريظة: ٧٣، ٦٥
قشير: ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٠٢
بنو القصاب: ٢٢٦
قضاة: ١٢٥، ١١١، ٢٧
آل قلام: ٧
قيس بن ثعلبة: ١٧٠، ٩٩
قيس عيلان: ١٢١، ١١٢، ٤٦
٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣١، ٣٢٤، ٢٣٠
٣٠٧

(ك)

بنو كاهل: ١١٥

بنو نمير بن عامر : ١٣٣

نهد : ١٣٢

نهل : ١٠٨ ، ٣١٧ ، ٢٢٠

بنو نوفل بن عبد مناف : ١٠٥

(ه)

هلام بن عامر : ١٣٣

هوازن : ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

(ي)

يربوع : ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦

٢٢١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣

٤٠١

يشكر : ٣٢ ، ١٥٤

يهود : ٦٢

بنو مريتا : ١١

مزينة : ٧٥

مضر : ١١١

معد : ١١١ ، ١٤٢

مقاعس : ١٧٥

بنو منقر : ١٧٩

(ن)

ناهس : ١٣٢

بنو النبيت : ٧٤

بنو النجار : ٦٤ ، ٦٩

نزار : ٤٦ ، ١١٢

بنو نصر : ٢٩٣ ، ٣٢٢

بنو النصير : ٦٥ ، ٧٣

النمر بن قاسط : ٤٦ ، ١١٢* ، ١٥٤

الأماكن

(ت)

تباله : ١٢٠
تهامة : ٦٢ ، ١١٣
نيمياء : ١٢١

(ث)

ثبتل : ١٧٥

(ج)

جيلة : ٣٤٩
جدود : ١٧٨
جذع ظلال : ٣٧٣
جفاف : ١٩٢
ذات الجفر : ٣٦٨
جفر الهباءة : ٢٦٣

(ح)

الحديقة : ١٩١
الحريرة : ٣٣٧
الحزن : ١٩١
حوزة : ٢٨٩ ، ٢٨٣
الحيرة : ٤٦ ، ٢٥

(ا)

الأبلة : ٢٥
ذات الأتل : ٣٩٩
أجأ : ٦١
إرم الكلبة : ٣٧٥
الأفاقة : ١٩١
أنقرة : ١٢٣
أواره : ٩٩ ، ١٠٠ ، ٣٢٧
إياد : ١٩١

(ب)

البحرين : ٤٢
بردان : ٤٢
برزة : ٣١٩
بزاحة : ٣٨٨
البصرة : ٢٢٠
بطن الجريب : ١٤٦
بطن عاقل : ٢٣٢
بمات : ٧٣

شبيث : ١٤٥

شمطة : ٣٣١

الشیطان : ٢١٧

(ص)

الصراثم : ٣٦٨

الصان : ١٧١ ، ١٣٨

صوعر : ٤٠١

(ط)

طخفة : ٩٤

طلح : ١٨٥

ذو طولوح : ١٨٤

(ع)

عاقل : ٢١٥

عسيب : ٤٠٠ ، ١٢٣

عكاظ : ٢٣١ ، ٢١٥ ، ٢٠٨ ، ١٠٩

٣٣١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٢ ، ٢٨٣ ، ٢٣٥

عين اباغ : ٥١

عين التمر : ٢١٥ ، ٣٣

(غ)

غبيط المدرة : ١٩٧

غول : ٣٠٤

(ف)

فروق : ٢٦٧

فلج : ١٩٧

فيف الريح : ١٣٢

(خ)

خزار : ١١١

الخصافة : ٣٠٤

خصي : ١٩١

خورتق : ٣٣

(د)

الدهناء : ١٧١ ، ١٣٧ ، ١٢٦

دومة الجندل : ٤٣

(ذ)

الذئائب : ١٤٦

(ر)

الرحابة : ٦٩

رحران : ٣٤٤

الرقم : ٢٧٨

روضه التمد : ١٩١

(ز)

زبالة : ٢٠٦

زرود : ١٨٢

(س)

سحيل : ٧٥

السلان : ١٠٩

سلمي : ٦١

(ش)

الشبكة : ٣٠٤

التناوة : ٢٨١

ذو نجب : ٣٦٥

نخلة : ٣٢٦

النسار : ٣٧٨

نسة : ١٨٥

ذات النسوع : ١٩٤

الذفرلوات : ٢٣٥

نقا الحسن : ٣٨٢

النهي : ٥٥

(هـ)

هراميت : ٣٠٤

هجر : ٤٣

(و)

واردات : ١٥٥

الوقفي : ٢٢٠

الوقيط : ١٧٠

(ي)

اليحامي : ٦٠

اليعمرية : ٢٦١

الييامة : ١٠٠

اليمن : ٦٢ ، ١٢٠

الينسوعة : ١٨٦

(ق)

ذوقار : ٣٣

قدة : ١٢٥

قشاوة : ٢٠١

القصيدات : ١٥٦

(ك)

الكديد : ٣١٢

الكلاب : ٤٦ ، ٩٩ ، ١٢٤

الكوفة : ٢٢٢ ، ٢٢٦

(ل)

لمع : ٢١٧

اللدى : ٢٩٣

(م)

دارة مأسل : ٣٩٠

مبايض : ٢٠٨

المدنية : ٦٢

مرج حليلة : ٥٤

المشقر : ٢

مليحة : ١٩١

منمعج : ٢٣٠

(ن)

النباج : ١٧٥

استدراك

وقع في أثناء الطبع غلطات مطبعية ، نذكرها هنا ليستدر كما القارى قبل أن يمضى في قراءة الكتاب :

الصواب	الخطأ	الخطأ	الصفحة	الصواب	الخطأ	الخطأ	الصفحة
الأمن	الأمن	٢	٣٩	يكبر	يكبر	١١	٣
(تحذف)	فيها	١٢	٣٩	أسارى	أسرى	١٢	٥
أناس	إناس	٢٠	٤٢	مخروف	مخروف	٢	٦
صرعه	ضرعه	٥	٤٥	القيمة	القيمة	٢١	٦
٣٣١	٢٣١	١٦	٤٦	١٢	١١٢	١	١٢
عمرو	حرب	١٦	٤٨	عن	من	١٢	١٣
القباب	التياب	٦	٤٨	زينب	زينت	١٧	٢٢
عمرو	عمر	١٧	٤٩	ولاحقنك	ولاحقنك	٦	٢٤
دمن	دمن	١١	٥٦	فوطته	فوطنته	١٤	٢٤
امرى القيس	قيس	١٠	٦٦	مخالبه	مخاطبة	١٦	٢٤
غربة	غربة	١١	٦٨	بكل	بطل	١٩	٢٤
واراساه	وراساه	١	٧١	امرا	امرا	٢١	٢٤
فليت	فليت	٥	٨٢	مطالبهم	مطالبهم	١٧	٢٦
جر	جر	٥	٨٢	مساحة	مسلمة	١٩	٢٧
الهفى	الهفى	١٠	٨٦	يزجى	يرجى	١٨	٢٨
لقاح	لقاح	١٥	٩٧	ذراع	دراع	١٣	٣١
هيجوا	هيجوا	١٥	٩٧	فاهوى	فاهدى	٩	٣٣
اللقاح : الذين	اللقاح : ذوات الخ	١٩	٩٧	المهر	المهر	٢٠	٣٣
لم يدينوا للملوك				لقوا	لقوا	٨	٣٤
جازكم	جازكم	١١	١٠١	الهامرز	الهامرز	٣	٣٦

الصواب	الخطأ	الرقم	الرقم	الصواب	الخطأ	الرقم	الرقم
بني تميم	بني بني تميم	٣	١٩٧	كان	كَانَ	١٥	١٠٧
حياة	حياءة	٩	١٩٧	ورواية الأمثال نساء	حاشية يضاف:	١٩	١٠٧
لا مكذبة	لا مكذوبة	١٥	٢٣٣	إن الشر	وإن الشر	٧	١٠٨
بالإناوة	بالإنارة	٥	٢٣٥	لِقَاحًا	لِقَاحًا	٢	١٠٩
فقصم	فقصم	١٣	٢٦٤	شَفَرَات	شَفَرَات	١	١١٨
فرجعت	فرجب	١٣	٢٦٦	الحجا	الحجى	١	١٢٤
وِرَادٍ	وِرَاد	٤	٢٧٢	الأمالي	الآمال	٢٠	١٢٤
ينج	ينجح	٢٥	٢٨٦	بنت	بن	١١	١٤٣
غيب	غيب	٥	٣٠٠	ما وراءك	مادراك	١١	١٤٩
أبقيت	بقيت	٢٠	٣٠٠	تفتلى	تفتلى	٢٠	١٤٩
مخائض ولقاح	مواخض ولقاحى	٣	٣٤٠	٢	١	١٨	١٥٢
سنام	كسنام	١٤	٣٤٠	١	٢	١٨	١٥٢
ورده	وردوه	١٠	٣٤١	هَمِلْتِنِي	هَمِلْتِنِي	٢٠	١٦٦
حنديج	حنديج	١١	٣٤٥	وليرعوا	وليرعوا	١	١٧١
خلفائهم	خلفائهم	١٠	٣٤٩	سربه	سربه	١١	١٧٢
عانيا	رعانيا	١٠	٣٨٦	المحل	المحسل	١٥	١٧٣
إياد	أياد	١٥	٣٨٨	غادرنا	غادرن	٢١	١٧٣
جنز	خنز	٢٠	٣٩٩	وزار	وزر	١٠	١٧٤
محلّة	محلّة	٢	٤٠٠	من ربيعة	بن ربيعة	١٣	١٧٥
فلج في الأمر	فلج الأمر	١٨	٤٠٢	كهنوة	كهنوة	٨	١٨٠

تنبيهات

١ — وضع « يوم سحبل » في الباب الثاني صفحة ٨٥، والصواب أن يوضع في

الباب الثالث .

٢ — ذكرت قصيدة للنخساء في رثاء صخر في يوم حوزة الثاني صفحة ٢٩١،

والصواب ذكرها بعد الأثل صفحة ٤٠٠

٣ — وقع اضطراب في شرح البيت الثاني صفحة ٣٤٠ والصواب هكذا :

قال التبريزي في شرح هذا البيت : أي أقول : واسوء صباحاه . ونصب

شجناً ؛ لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على الدعاء ؛ هذا إذا جعلت

الشجن الحزن والحاجة ، وإن جعلته الحبيب نصبته لأنه مفعول به .

٤ — سقط من قصيدة ابن القائف في يوم بزاحة صفحة ٣٨٨ البيت الرابع وهو :

ولعمركم جارك ما الرقاد بطائش رعش بديهته ولا عوار

وإليه يرجع شرح رقم ١ صفحة ٣٨٩

كتاب «قصص العرب»

لمؤلفي هذا الكتاب

فيه عرض شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وذكر لمواندئهم وشمائلهم . ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المكانة ، وما أثمر عنهم من أخبار صوروا بها جهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وما كان لهم من محاورات ومساجلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك وطرف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب . وقد جمع خير ما حوته أسفار التاريخ والأدب من قصص ؛ فهو سلوة الأديب ، وصديق الأريب ، ومعجم كامل للقصة العربية في كل أطوارها ، مرتب على نظام لم يسبق إليه ، قابلته الدوائر العلمية والصحف في مصر والبلاد العربية باحتفال لم يقابل به كتاب .

وقد بذلت دار « إحياء الكتب العربية » غاية جهدها فأخرجته آية في حسن التنسيق ، وجمال الطبع ، وجودة الورق .

وهو في أربعة أجزاء ، في كل جزء طرف من هذه الأخبار في أسلوبها الجيد وجمالها الرائع : وثمنه ٦٠

ويطلب من

مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

دار الحياء الكتب العربية

العام العربي

في الجاهلية

تأليف

محمد أبو الفضل إبراهيم
المدرس بالهدى الأميرية

علي محمد البجاوي
المدرس بالمدارس الأميرية

محمد أحمد جاد المولى بك
الفتش الأول للغة العربية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

مراجع الكتاب

الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
بلوغ الأرب في أحوال العرب	: للألومي
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
تاريخ العرب قبل الإسلام	: لجورجي زيدان
تاريخ العرب القدامى	: للشبح محمد فخر الدين
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي
خزانة الأدب	: للبيضاوي
ديوان امرئ القيس	:
ديوان الحماسة	:
ديوان علقمة الفحل	:
رغبة الأمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح العيون	: لابن نباتة المصري
شرح ديوان الحماسة	: للبرزلي
شرح المصليات	: لابن الأنباري
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
شعراء النصرانية	: للويس شيخو
شواعر العرب	: »
المقد الفرزدق	: لابن عبد ربه
الممددة	: لابن رشيق
قصص العرب	: للمؤلفين
الكامل (في الأدب)	: للمبرد

: لابن الأثير	الكامل (في التاريخ)
: لابن منظور	لسان العرب
: للميداني	مجمع الأمثال
: لمحمد بن أحمد الأنباري	المختار من نوادر الأخبار
: للسيوطي	المزهر
: للشمالي	المضاف والنسوب
: لياقوت الحموي	معجم البلدان
: لأبي عبيد البكري	معجم ما استمعجم
: لأبي عبيدة معمر بن المثنى	تقائض جرير والفرزدق

الفهرس

١ - أيام العرب والفرس

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم الصفقة .	١	١
يوم ذى قار	٦	٢

- أيام القحطانية فيما بينهم

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم البردان	٤٢	١
« الكلاب الأول	٤٦	٢
« عين أباغ	٥١	٣
« حليلة	٥٤	٤
« اليجاميم	٦٠	٥
حروب الأوس والحزرج	٦٢	٦
١ - حرب سمير	٦٢	—
٢ - حرب كعب بن عمرو	٦٩	—
٣ - حرب حاطب	٧٢	—
٤ - يوم بُمات	٧٣	—

٣ — أيام القحطانيين والمدنانيين

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم طخفة	٩٤	١
« أوازة الأول	٩٩	٢
« أوازة الثاني	١٠٠	٣
« الشلان	١٠٩	٤
« خزاز	١١١	٥
« حُجْر (لسان)	١١٢	٦
« الكلاب الأول	١٢٤	٧
« قَيْف الريح	١٣٢	٨
« ظَهْر الدهناء	١٣٧	٩

٤ — أيام ربيعة فيما بينها

العنوان	الصفحة	الرقم
حرب البسوس وتشتمل على:	١٤٢	١
يوم النهى		
« الدنائب		
« واردات		
« عنيزة		
« القصصيات		
« تحلاق اللم		

٥ - أيام ربيعة وتيمم

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم الوقيط	١٧٠	١
» يُدْمَلُ	١٧٥	٢
» جَدُود	١٧٨	٣
» زَرُود	١٨٢	٤
» ذِي طُلُوح	١٨٤	٥
» الإِيَاد	١٩١	٦
» الغَمِيْط	١٩٧	٧
» قَشَاوَة	٢٠١	٨
» زُبَالَة	٢٠٦	٩
» مُبَايَض	٢٠٨	١٠
» الرُّورِين	٢١٢	١١
» عَاقِل	٢١٥	١٢
» الشَّيْطِين	٢١٧	١٣
» الوَقْصِي	٢٢٠	١٤
» الشَّبَاك	٢٢٦	١٥

٦ - أيام قيس فيما بينها

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم منبج	٢٣٠	١
» الذفراوت	٢٣٥	٢
» بطن عاقل	٢٤٤	٣

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم داحس والغبراء	٢٤٦	٤
« الرِّقَمِ »	٢٧٨	٥
« النَّفَاةِ »	٢٨١	٦
« حَوْزَةَ الْأَوَّلِ »	٢٨٣	٧
« حَوْزَةَ الثَّانِي »	٢٨٩	٨
« الْأَوَّلِيِّ »	٢٩٣	٩
حديث ابن ضبأ	٣٩٠	١٠
يوم هَرَامَيْتِ	٣٠٤	١١

٧ - أيام قيس وكنانة

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم الكديد	٣١٢	١
« بُرْزَةَ »	٣١٩	٢
حروب الفجار	٣٢٢	٣
يوم الفجار الأول	٣٢٢	٤
« يوم الفجار الثاني »	٣٢٤	٥
« الفجار الثالث »	٣٢٥	٦
« نَحْلَةَ »	٣٢٦	٧
« شَمَطَةَ »	٣٣١	٨
« العباء »	٣٣٣	٩
« عكاظ »	٣٣٤	١٠
« الحريرة »	٣٣٧	١١

٨ - أيام قيس وتيم

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم الرخرحان	٣٤٤	١
« شنب جبلة »	٣٤٩	٢
« ذى نجب »	٣٦٥	٣
« الصرائم »	٣٦٨	٤
« الرعام »	٣٧٠	٥
« جزع ظلال »	٣٧٣	٦
« المرؤت »	٣٧٥	٧

٩ - أيام ضبة وغيرهم

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم النسار	٣٧٨	١
« الشقيقة »	٣٨٢	٢
« برآخة »	٣٨٨	٣
« دارة مأسل »	٣٩٠	٤
« النقيمة »	٣٩١	٥

١٠ — أيام متفرقة

العنوان	الصفحة	الرقم
يوم جديس	٣٩٦	١
« ذات الأئبل »	٣٩٩	٢
« صوءر »	٤٠٢	٣



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مُتَمَدِّمَةٌ

تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدراً خصيباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص ؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أثنائها من نثر وشعر ، وما تدسّى خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام .

فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروي كثيراً مما كان يقع بين العرب القحطانيين والعدنانيين من خلاف ، وبين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ؛ بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر .

ثم هي في أسلوبها القصصي ، وبيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم ، وشأنهم في الحرب والسلم ، والاجتماع والفرقة ، والفداء والأسر ، والنجدة والاستقرار ؛ وهي أيضاً مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم ؛ كال دفاع عن الحرم ، والوفاء بالمهد ، والانتصار للعشيرة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً في تلك الأيام .

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جملته وتفصيله ، وبخاصة ما كان في الفخر والحماسة والرثاء والهجاء ، فإنك تجده قد ارتبط بهذه الأيام ارتباطاً تاماً ، فبينما كان

الفوارس يناضلون بسيوفهم ورمحهم ، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم كان الشعراء من ورائهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم ، ويطلقون أسننتهم في خصومهم وأعدائهم ؛ ويندبون بقوافيم سرعاهم والقنبل من أشرفهم وزعمائهم ؛ ترى ذلك ممثلاً في شعر الأعشى ، وعترة ، وابن حلزة ، وعامر بن الطفيل ، وأبي قيس بن الأسلت ، وقيس بن الخطيم ، وعبد يعقوب بن صلاة ، والمهلهل بن ربيعة ، والخنساء ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام في شعره من قريب أو بعيد .

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، وما امتلأت به الكتب من ذكر المغاور من أبطال الوقائع ؛ هذه الأيام هي مورد أفاضلهم ، وساحة بطولتهم ، ومسرد حوادثهم ؛ فبسطام بن قيس سيد شيبان ، وربيعة بن مكرم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جشم ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهاتم بن حرمة صاحب السماء . . . هؤلاء وغيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل ، قد سجّلوا في هذه الأيام مواقف ومغاورات تملأ القلوب دهشة وإعجاباً .

ولم تخل هذه الحروب من زعماء قبائل ، ورؤساء عشائر ، كانوا في زعامتهم ورياستهم مثلاً علياً في نصاحة الرأي ، وإصابة المحز ، والتهدى إلى مواطن الصواب ؛ وفيما أثير عن أكنم بن صيفي ، وقيس بن عاصم المنقري ، والحارث بن عباد البكري ، وعبد الله بن جعدان القرشي ما هو جديد على الزمن ، باقٍ على مر العصور .

* * *

يبدأن هذه الأيام على خطرها وجليل شأنها ليس بأيدي الناس كتاب خاص بها ينظم عقدها ، ويجمع شتاتها ، ويسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف

الظنون وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتاباً صغيراً حوى خمسة وسبعين يوماً ،
وآخر كبيراً جمع فيه ألفاً ومائتي يوم ، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتاباً جمع فيه
ألفاً وسبعمائة يوم ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يقع إلينا ، وكل ما عرفناه روايات منتثرة
في كتب الأدب والتاريخ ؛ ككتاب الأغاني والنقائض والمقد الفريد ومعجم البلدان
وابن الأثير والمسمودي ومعجم ما استعجم ، وهي متفرقة لا يحددها نظام ، ولا يجمع
في باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، واضطراب الشعر ، وتحريف الأعلام .

ومحينا أخرجنا كتابنا « قصص العرب » قطعنا على أنفسنا للقراء عهداً أن
نفرد للأيام كتاباً خاصاً يجمع شتيها ، ويؤلف بين رواياتها ، ويرسم معالمها وحدودها ؛
وهانحن أولاء نخرجه اليوم كتاباً قد اجتهدنا في تنسيقه وتهذيبه ، وتأقنا في جمه
وتبويه ، وجملنا أساس تقسيمه الفروق الجنسية ، أو العصبية القبالية ؛ إذ كان مثار
الحفائظ ومبعث الحروب الخلاف في الجنس أحياناً ، وفي أصول القبائل أحياناً ؛
وأتمعنا كل يوم ما ورد فيه من شعر ؛ وبذلنا الجهد في ضبطه وشرحه ، واخترنا
الروايات الصحيحة يكمل بعضها بعضاً ، مشيرين إلى غيرها من الروايات .

وهذا الكتاب - وإن كان معقوداً للأيام التي وقعت في العصر الجاهلي - قد تضمن
قليلاً من الأيام التي حدثت في الإسلام كيوم القوي ويوم الشيطان ويوم سحبل ؛
إذ أنها في أسبابها لم تخرج عن أسباب الأيام الجاهلية من خلاف حول الآبار ومواقع
السحاب ؛ أو اعتداء على جار ، أو انتهاك الحرم . أما الأيام التي وقعت في الإسلام
وكانت وليدة الخلافات السياسية والدينية والذهبية فقد أفردنا لها كتاباً خاصاً
نرجو أن يكون قريباً في أيدي القراء .

هذا ، وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها
وذكر أسبابها ورواية أشعارها وقصائدها ؛ أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا
ذكر عنواناتها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب ، فقد جاوزها اختيارنا ، إذ كان
الفرض من هذا الكتاب خبراً يروى ، أو قصة تحكى ، أو مثلاً يؤثر ، أو شعراً
يذكر . . .

والله نسأل أن يجعله عملاً نافماً مقبولاً .

المؤلفون

{ رمضان ١٣٦١
سبتمبر ١٩٤٢